



تاريخ مجيد وعهود جديد



# أعمال ملتقى الجزائر الدولي الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي (909هـ)

«الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها»



أعمال مُحَكَّمَة ومُرَاجَعَة

## الجزء الأول

الإشراف والمتابعة العلمية لأعمال الملتقى:  
الجامعة الإفريقية- أدرار- الجزائر.

قاعة المؤتمرات

عبد اللطيف رحال - الجزائر العاصمة

الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

01

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

أعمال ملتقى الجزائر الدولي  
الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي (909هـ)  
"أحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها"

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة والفنون

01 02 10/23

ردمك : 6-078-16-9931-978

الإيداع القانوني: ديسمبر 2023

أعمال ملتقى الجزائر الدولي  
الإمام محمد بن عبدالكريم الطخيلي (909هـ)  
"الحكومة واستقرار المجتمعات الإفريقية و وحدتها"  
الجزائر العاصمة الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

## الجزء الأول

أعمال مُحَكَّمَة ومُرَاجَعَة

الإشراف والمتابعة العلمية لأعمال الملتقى:  
الجامعة الإفريقية- أدرار- الجزائر.

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

## إدارة الملتقى

\*/ الإشراف العام: الحاج محمد حسوني

\*/ المنسق العام للملتقى: أمين بن مالك

\*/ رئيس لجنة تنظيم الملتقى: ابراهيم صدوق

\*/ رئيس اللجنة العلمية للملتقى: الأستاذ الدكتور أحمد جعفري

## المشرفون على الملتقى

\*/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

\*/ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

## بالتنسيق مع:

\*/ المجلس الإسلامي الأعلى

\*/ المعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة

\*/ الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية

اللجنة العلمية للملتقى:

| الرقم | الاسم واللقب                      | جهة الانتماء                       | الصفة |
|-------|-----------------------------------|------------------------------------|-------|
| 01    | الأستاذ الدكتور أحمد جعفري        | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | رئيسا |
| 02    | الأستاذ الدكتور محمد لمين بن عمر  | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 03    | الأستاذ الدكتور صديق حاج أحمد     | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 04    | الدكتور عبد الله كروم             | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 05    | الأستاذ عبد الرحمن حمادواكتبي     | وزارة الشؤون الدينية               | عضوا  |
| 06    | الأستاذ الدكتور عبد الله حاج أحمد | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 07    | الأستاذ الدكتور عبد المجيد قدي    | جامعة الجزائر 3                    | عضوا  |
| 08    | الأستاذ الدكتور نور الدين صدار    | جامعة معسكر                        | عضوا  |
| 09    | الأستاذ الدكتور منير بهادي        | مدير المكتبة الوطنية الجزائر       | عضوا  |
| 10    | الأستاذ الدكتور العيد جلولي       | جامعة ورقلة                        | عضوا  |
| 11    | الأستاذ الدكتور شريف مربي         | جامعة الجزائر 1                    | عضوا  |
| 12    | الأستاذ الدكتور محمد بن منوفي     | جامعة الجزائر 1                    | عضوا  |
| 13    | الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث | جامعة الجزائر 1                    | عضوا  |
| 14    | الدكتور الطاهر عبو                | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 15    | الدكتور عبد الكريم الغوط          | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 16    | الدكتور أحمد بن عبد الكريم        | الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر    | عضوا  |
| 17    | الأستاذ الدكتور لحسن زغيدي        | جامعة الجزائر 1                    | عضوا  |
| 18    | الأستاذة الدكتورة بوبة مجاني      | جامعة قسنطينة 2                    | عضوا  |
| 19    | الأستاذ الدكتور بومدين بوزيد      | المجلس الإسلامي الأعلى             | عضوا  |
| 20    | الأستاذ الدكتور مرسللي لعرج       | وزارة التعليم العالي والبحث العلمي | عضوا  |
| 21    | الأستاذ الدكتور جمال يحيواوي      | وزارة الثقافة والفنون              | عضوا  |

## المراجعة والتدقيق اللغوي للمداخلات:

- الأستاذ الدكتور أحمد جعفري،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور محمد بن عبو،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور الطاهر عبو،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العربي،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور إبراهيم بلبالي،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر

## الإشراف التقني:

- أيوب عميري،  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر

المواد المنشورة في هذا الكتاب لا تعبر إلا عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر القائمين على الملتنقى، ولا تلزمهم بأي حال من الأحوال.

## ديباجة | ملّتي:

بالرعاية السامية للسيد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
السيد عبد المجيد تبون

ملّتي الجزائر الدولي

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)

"الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها"

المركز الدولي للمؤتمرات عبد اللطيف رحال / الجزائر العاصمة

الجزائر العاصمة الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

### الديباجة:

في ظلّ معطى الراهن الجيوسراتيجي، إقليميا وعالميا، وأمام تحديات المرحلة ووعي القيادة السياسية للبلاد، بات من الضروري، التفكير في تفعيل المرجعيات التاريخية، التي حبا الله الجزائر بها، بغية إعمال هذا المشروع الحضاري، بما يخدم شعوب المنطقة، وييسّر لهم سُبُل العيش في أمن وسلام.

والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)، واحد من أولئك الذين يمكن للجزائر، أن تراهن عليهم، في استقطاب الجوار الإفريقي، ولها أن تعوّل على أطروحته الفكرية السياسية، ومشروعه الإصلاحي، لأنّ تلعب هذه الأخيرة دورا استراتيجيا، في الحوكمة واستقرار المجتمعات الإنسانية، بما في ذلك دول الساحل الإفريقي وغيرها، نظير ما قدّمه لتلك المجتمعات.

لا يعدم العظماء بقاء أجسادهم أبدا، إنّما تبقى أعمالهم وآثارهم حيّة شاهدة على بصماتهم، التي خلدوها، لتكون منارة هادية للأجيال من بعدهم، يستلهمون من قبساتها ما يضمن لهم سُبُل البقاء في الحياة أحرارا، ويعزّز لهم ما يكفل استقرارهم في أوطانهم بعزة وكرامة.

الإمام المغيلي (ت 909هـ) واحد من أولئك العظماء الذين قضوا حياتهم في مجالات مختلفة، وانفتح على محيطه الداخلي والخارجي، ليسجل تاريخا



حافلا في وطنه الجزائر، بالنظر إلى ثراء التجربة، وقوة الجسارة، ومركزية العطاء، ليعمق حضورا ثقيلًا في الجوار الإفريقي بوصفه فاتحا ومعلما ومصالحا، وليُسهم في استقرار الممالك والأوطان، ويرسّخ معالم النسيج الموحد فيها على المستويين الاجتماعي والثقافي.

وتشهد المكتبة العربية للإمام المغيلي بغزارة إنتاجه في تأليف العشرات من الكتب والتصنيفات في حقول معرفية متنوعة كالتفسير والفقه واللغة والأدب والتصوف والسياسة الشرعية والفلسفة، ومؤلفاته المحققة وغير المحققة، التي لا تزال تزرخ بها خزائن المخطوطات والمكتبات الخاصة والعامّة داخل الوطن وخارجه.

إنّ إفريقيا لتسجل بأحرف من نور تلك الإسهامات الجليلة للإمام المغيلي في تشكّل مشهدها الثقافي والفكري والإصلاحي، بما أبلّى فيه من أثر طيب؛ إذ ربط بلده بدول غرب إفريقيا، ليؤسس مرجعية علمية واجتماعية وثقافية على مستويات متعددة تؤسس مرجعية مشتركة تحقق الاستقرار الاجتماعي والأمن الفكري في إفريقيا.

لقد قاد الإمام المغيلي حركة إصلاحية تستهدف تحرير الإنسان أينما كان، من كل الولاءات التي تشكّل تهديدا على وجود النفس البشرية أولا، ومقومات الدولة ثانيا، ومستقبل الأمم والشعوب ثالثا، وربط ذلك كلّه بأواصر الإيمان، وعرى الوطنية، لحماية الأمة من التذويب والانحواء.

ولتحقيق تلك الشخصية المستقلّة والمتوازنة والمحافظة على ذاتها الحضارية والواعية بسياقات المعرفة وتحولاتها المتجددة، فقد انفتح إمامنا على الفكر الخصب، الذي يتلقى الجديد تلقيا إيجابيا في صورة المنطق الأرسطي، حيث دافع على توظيفاته المجردة، كما ردّ على بعض الأصوات الناشزة في فكر الأمة، وردّها لصواب التفكير السوي، لتبقى صامدة لا تتزعزع، وحرّة لا تستقوي بالأعداء، ولا تتضعضع بالأهواء، أصلها ثابت في أعماق الأوطان، وفرعها باحث في سماء العرفان...

ومن هذا المنطلق، قد كان التفكير في عقد هذا اللقاء العلميّ الكبير، على مائدة الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي، ليكون الرمز الموحد، والملمم

المرشد، والقاسم المشترك بين الجزائريين وإخوانهم من شعوب القارة الإفريقية، ومن سائر المعمورة؛ واختير له عنوان: ملتقى الجزائر الدّولي «الإمام مَحْمَد بن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها». وذلك بغية تحقيق جملة من الأهداف الأساسية.

#### – أهداف الملتقى:

- ✿ توطيد أواصر المحبّة والتعايش السلمي بين أبناء الجزائر والقارة الإفريقية خصوصا والمعمورة عموما.
- ✿ مدّ جسور التواصل الثقافي؛ وتوثيق الصلات والروابط التاريخية، بين الجزائر ومحيطها الإفريقيّ والعالم.
- ✿ الاستثمار في الرّأس مال الرّمزي، في مواجهة التطرّف والعنف، وتسوية النزاعات والصراعات.
- ✿ التذكير بمبادئ الإسلام السّميحة، بالوقوف على جملة من القيم والمثل العليا التي طبعت حياة الإمام المغيلي ومعاملاته؛ ومكّنته من ولوج أبواب إفريقيا، وكسب قلوب الملايين من ساكنتها، وترك حميد الأثر فيها.
- ✿ الوقوف عند شخصية الإمام المغيلي، في أبعادها الإفريقية والكونية.
- ✿ التعريف بتراث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتسهيل مهمّة الوصول إليه، والإفادة منه، تحقيقا ودراسة ونشرا.
- ✿ التعريف بجهود علماء الجزائر، ودورهم في نقل العلوم والمعارف إلى بلدان القارة الإفريقية والعالم.

ولتحقيق هذه الأهداف فقد رسمت للملتقى خطوطاً ومجاور كبرى  
شاملة.

– محاور الملتقى:

- المحور الأول: الإمام المغيلي. السيرة والمسيرة.
- المحور الثاني: التراث العلميّ والمعرفي للإمام المغيلي، تحقيقاً ودراسة.
- المحور الثالث: البعد الإصلاحي التحرّري، في فكر المغيلي، عربياً وإفريقيّاً وعالمياً.
- المحور الرابع: تجلّيات الوسطية والاعتدال، في المنهج الدعويّ والسلوكيّ للإمام المغيليّ، عربياً وإفريقيّاً وعالمياً.
- المحور الخامس: الأطروحة السياسية ومشروع الدولة، في الفكر السياسيّ للإمام المغيليّ (سنغاي والهوسا نموذجاً).
- المحور السادس: الإمام المغيليّ ومدرسة التصوّف الجزائرية. الامتداد الإفريقيّ والعالميّ.
- المحور السابع: الحكم الراشد ودوره في استقرار الشعوب الإفريقية. عرض حال لرسائل الإمام المغيليّ، وإسقاطها على السياق التاريخيّ الظرفيّ الآنيّ.
- المحور الثامن: الحوكمة السياسية، والرؤية الكونية للإمام المغيليّ، بين راهن المرحلة، واستشراف المستقبل.

وقد استقبلت اللجنة في كل هذا أزيد من 90 مشاركة من قارات إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا وبما يزيد عن أربعين دولة وتم توزيع هذا العدد على أربع ورشات كبرى بمعدل 20 بحثاً في كل ورشة إضافة إلى 05 ندوات مفتوحة في ذات المضامين المشتركة.

وبعد يومين من النقاش والحوار وبعد الاستماع الى تدخلات وتفاعلات الحضور الذي قارب الألف مشارك خلصت لجنة التوصيات الى اقتراح 10 (عشر) توصيات كبرى كخارطة طريق للطبعات القادمة من هذا الملتقى.

#### – توصيات الملتقى:

1. إنشاء مركز بحث باسم: «مركز الإمام المغيلي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية» ليكون رافداً للتنمية في إفريقيا والمنطقة العربية.
2. إنشاء مؤسسة الإمام المغيلي الإفريقية لتكون حاضنة ثقافية للعلماء والنخب وتكون مُعززة للفكر الوسطي المعتدل.
3. اعتماد اسبوع ثقافي إفريقي باسم «أدرار عاصمة الثقافة الإفريقية» تزامناً مع ذكرى الإمام المغيلي.
4. إنجاز فيلم مطول عن الإمام المغيلي يؤرخ لأمجاده ومآثره.
5. الاستفادة من فكر الإمام المغيلي لاستلهاام في المناهج التربوية والجامعية.
6. العمل على تقديم الإمام المغيلي شخصيه موسوعية والسعي إلى تصنيفه كتراث عالمي من طرف منظمة اليونسكو.
7. اعتماد جائزة الإمام المغيلي للدراسات التراثية والثقافية المشتركة.
8. تخصيص صرح علمي بجميع مرافقه يكون مخصصاً للإمام المغيلي.
9. العمل على تعزيز مكان الجزائر الدبلوماسية والروحية والدينية والثقافية واستثمارها.
10. العمل على مواصلة الملتقى في طبعاته سنوياً ونشر أعماله في جميع الوسائل والوسائط المتاحة.

ومن كرم رئيس الجمهورية، السيّد عبد المجيد تبون فقد تمت الموافقة على 50 (خمسین) بالمائة من توصيات الملتقى والحضور داخل القاعة، حيث وافق السيد الرئيس عبد المجيد تبون على التوصيات الآتية:

- ❖ إنشاء مركز بحث باسم: «مركز الإمام المغيلي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية» ليكون رافداً للتنمية في إفريقيا والمنطقة العربية.
- ❖ اعتماد أسبوع ثقافي إفريقي باسم: «أدرار عاصمة الثقافة الإفريقية» تزامناً مع ذكرى الإمام المغيلي.
- ❖ إنجاز فيلم مطول عن الإمام المغيلي يؤرخ لأمجاده ومآثره.
- ❖ اعتماد جائزة الإمام المغيلي للدراسات التراثية والثقافية المشتركة.
- ❖ العمل على مواصلة الملتقى في طبعاته سنوياً، ونشر أعماله في جميع الوسائل والوسائط المتاحة.
- ❖ على أن تبقى باقي التوصيات قيد البحث والدراسة.

الكلمات الرسميّة



رسالة رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون  
لملتقى الجزائر الدولي  
للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلى.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا  
وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،  
- أصحاب المعالي والسعادة،  
- السادة العلماء والمشايخ،  
- الحضور الكريم،

نرحب بضيوفنا من العلماء والأساتذة الباحثين والمشايخ المرابين،  
وبأحفاد الإمام المغيلى وأبنائه بالنسب وبالانتساب العلمي في هذا المحفل  
العلمي المبارك، الذي تتدارسون فيه معالم شخصية علمية بارزة، تركت  
آثار الفضيلة والخير، ومآثر العقل والفكر، فبقي ذكرها خالدا خلود تروكيتها  
الأخلاقية والعلمية والعملية.

لقد سجل العلامة الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلى اسمه  
في التاريخ كأحد العلماء الأجلاء، لما قام به من أدوار بارزة في المجالات  
العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي نشر الوعي والهداية،  
خلال القرن 9هـ / 15م، في إفريقيا العامرة.

أيها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل لا يخفي على كريم  
علمكم أن نشأة الإمام المغيلى قد ابتدأت من مرحلة التكوين العلمي عند  
ثلة من علماء الجزائر الأفاضل في العهد الزباني، ومنهم علامة الجزائر وعلمتها  
الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وإمام تلمسان الشيخ سيدي محمد بن



يوسف السنوسي وغيرهما من الأعلام الأكابر، ثم واصل مسيرة البذل والعتاء، متجاوزا ما واجهه من العقبات والمحن، وأثمرت جُهوده في نشر تعاليم الإسلام السّمحة في قارتنا الإفريقيّة، فبفضله وفضل أمثاله من العلماء، كالشّيخ سيدي أحمد التّيجانيّ وسيدي عبد الرّحمان الأخضرّي وغيرهما كثير، انتشر الإسلام في مناطق واسعة من القارة الإفريقيّة، نحو مالي والنيجر، ونيجيريا، وتشاد وغيرها... ولقد سجلت كتب التاريخ تلك الإسهامات في مجال التّعليم والتّدرّيس، والوعظ والإرشاد والإصلاح، حيث أرسى الإمام قواعد مؤسّسات علميّة، وحواضر ثقافيّة، في مختلف الأقطار الإفريقيّة، وكان لذلك بعد عميق، في توجّه تلك المجتمعات إلى الاهتمام بالتّعليم، وفتح المدارس، والعناية بالطلّبة... واستمرت آثار تلك التّهضة العلميّة قرونا متواليّة، بل إلى يوم الناس هذا.

كما حظي إنتاجه العلمي بالانتشار والاهتمام البالغ، فأثر في ازدهار الفقه، والتصوف، وعلوم اللّغة العربيّة، وهو العالم الأشهر الذي سجّل التاريخ آثاره في هذه البلاد، وأثر في عدد من العلماء والمؤلّفين والباحثين في القديم والحديث.

أتيها السيّدات الفضليات، أيها السّادة الأفاضل إن المشروع الإصلاحّي المتكامل للإمام المغيليّ لم يكتف بالبعد التّعليميّ والتّربويّ والدّعويّ فحسب، بل امتدّ ليشمل مجالات الحوكمة الرّاشدة، من أجل الحفاظ على الاستقرار، والأمن الاجتماعيّ، وكانت كتاباته مرجعيّة مركّزة، مستوحاة من مبادئ الشريعة الإسلاميّة السّمحة، لما فيها من القيم والمبادئ العليا، كسيادة القانون، وتحقيق العدل والمساواة، واحترام الحرّيات والحقوق، والمشاركة المجتمعيّة الفعّالة.

ومن آثار المغيليّ الاقتصاديّة والتّنمويّة في البلاد التّواتيّة، تلك السّوق الكبيرة والمشهورة بقصر سيدي يوسف، والتي كانت بمثابة قطب اقتصاديّ يربط إقليم توات بكثير من الأقاليم والبلدان، وهو الاتّجاه الذي

ينبغي أن تنحوه بلداننا الإفريقيّة اليوم من أجل إرساء تكامل اقتصاديّ إفريقيّ.

ولقد أثر ذلك المشروع إيجابا في إرساء النّظم الإداريّة والتّشريعيّة والقضائيّة، وتحقيق عوامل الانسجام والتّعايش، والاستقرار والتّمنية، وتنشيط الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، لأنّه مشروع متعدّد الجوانب، مبني على الوسطيّة التي سار عليها علماؤنا عبر التاريخ وصنعت مرجعيّتنا الدينيّة، ويمكن أن نستلهم من مبادئه وقيمه في بلداننا وعلى الخصوص منطقة الساحل الإفريقيّ، ممّا يعيننا على مواجهة مختلف التّحديات، لاسيما الغلو والتطرف بكل أشكاله.

لقد تمكّن الإمام المغيليّ من الاستثمار في البعد الإفريقيّ، واستطاع أن يُكوّن أرضيّة للوفاق والتعاون البنّاء. وإنّ الجزائر الجديدة تدرك بأنّ البعد الإفريقيّ يبقى خيارا استراتيجيّا مهما، يمكّن شعوبنا من استكمال طموحاتنا المنشودة، بتعزيز العمل الدبلوماسي، وتنشيط السيّاحة الدينيّة، والاستفادة من عمق الطّرق الصّوفيّة وامتداداتها في إفريقيا، وهو ما يؤدّي إلى تحقيق الانسجام في المواقف السياسيّة، وتفعيل التّعاون الاقتصاديّ، وترقية التّبادل العلميّ والثّقافيّ، وإرساء الاستقرار والأمن والسلم.

وإنّ الجزائر التي خدمت إفريقيا في ماضي عهدها، ستواصل هذه المسيرة في حاضرها ومستقبلها، مستلهمة كلّ ذلك من مجد الأسلاف والأجداد.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار. وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## كلمة رئيس الملتقى | الحاج محمد حسوني

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله  
أجمعين...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومرحبا بكم جميعا في رحاب  
ملتقى الجزائر الدولي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

الإخوة الحضور، نجتمع اليوم للحديث عن الإمام المغيلي كواحد من  
رجال الجزائر الكثر الذين مروا من هذه الأرض الطيبة، وتركوا لنا بصماتهم  
النيرة بما قدموه خدمة للبلاد والعباد ولكافة المسلمين في أرجاء المعمورة.

لقد كان الامام المغيلي - رضي الله عنه - رجلا مصلحا وقاتحا عظيما به  
عرفت جل شعوب إفريقيا وجهتها الصحيحة نحو الاسلام، وبه صُححت  
كثير من الافكار الهدامة التي طبعت تلك المرحلة من حياة القارة فكانت  
الوحدة والتآخي، وكان الاستقرار والاطمئنان لكثير من المجتمعات الافريقية.  
وهو ما أردناه جميعا عناصر أساسية وأهدافا سامية نجتمع عليها وحولها  
اليوم بعد أكثر من 536 (خمسمائة وست وثلاثين) سنة من وفاة الامام  
المغيلي.

والحقيقة إنّ فكرة هذا الملتقى لم تكن وليدة اليوم ولا هذه السنة أو  
السنة التي قبلها، بل هي فكرة لها جذورها في تاريخ الجزائر الحديث قبل 23  
(ثلاث وعشرين) سنة من هذا التاريخ حين فكر السيد عبد المجيد تبون  
رئيس الجمهورية في تأسيس أول ملتقى للإمام المغيلي سنة 1984 للميلاد  
وهو على رأس ولاية أدرار؛ فحقق الملتقى يومها نجاحا باهرا، وكان هذا هو

أول ملتقى دولي تعرفه الولاية خصوصا والجزائر المستقلة عموما عن تاريخ الإمام المغيلي وأعماله. وها هو سيادة الرئيس عبد المجيد تبون اليوم يعيد علينا من جديد فكرة جمع الإخوة الافارقة والأشقاء العرب والمسلمين من كل أنحاء العالم حول مائدة الإمام المغيلي، وبحضور أحفاد الإمام المغيلي من إفريقيا والجزائر وما هذا الحضور القوي لأزيد من 80 (ثمانين) حفيدا للإمام المغيلي وأكثر من 200 (مائتي) مدعو ومشارك من كافة أرجاء المعمورة إلا خير شاهد على ما أقول، وهذا في حد ذاته بداية لنجاح هذا الملتقى القيم والهادف بحول الله.

الإخوة الأفاضل، لن أخوض معكم في تاريخ الإمام المغيلي في الجزائر وإفريقيا وأنا بين يدي علماء وباحثين أفاضل سيثرون النقاش خلال يومين من الأشغال في كثير من الزوايا المنسية في حياة الإمام، ولكن أرى من الواجب تذكيركم وتذكير نفسي ببعض من تلك الاعمال الجليلة التي جلبت للإمام المغيلي كل هذا الحب والتقدير من كافة أرجاء المعمورة وبخاصة قارة إفريقيا، كيف لا وقد وقفت بنفسي وفي أكثر من مناسبة على ما يُكَنَّهُ الافارقة خاصة لعلماء الجزائر وأعلامها عامة وللإمام المغيلي خاصة، وحسبكم أن تقف اليوم على تاريخ الطريقة القادرية والشاذلية لمقدمها الإمام المغيلي الجزائري أو التيجانية لمقدمها سيدي أحمد التجاني الجزائري، أو الموساوية لمقدمها سيدي أحمد بن موسى الجزائري والطريقة الكنتية لمقدمها من شيوخ آل كنتة الجزائريين أو غيرهم من الطرق الصوفية العديدة في امتداداتها التاريخية والجغرافية؛ لتقف على مئات الملايين من الأتباع والمريدين ليس في إفريقيا وحدها، بل في ربوع العالم أجمع.

الإخوة الأكارم، لا يسعني في هذا المقام نيابة عن كافة أعضاء لجنة التنظيم الموسعة إلا أن أتقدم أصالة عن نفسي ونيابة عن كل أعضاء

اللجنة والمشرفين على الملتقى وعموم الشعب الجزائري بخالص الشكر وجميل العرفان لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون على ما أسداه من رعاية سامية لهذا الملتقى، وعلى دعمه المطلق لنا بداية ونهاية حرصا منه على إنجاح فعاليات الملتقى والتكفل الأمثل والأحسن بضيوف الجزائر... فجزاه الله عنا وعنكم كل خير وجعل ذلك في ميزان حسناته آمين.

ولا يفوتني أيضا أن أتقدم بجميل العرفان لكل الضيوف الذين قدموا إلينا من مسافات بعيدة تاركين الأهل والاولاد وكثير الأعمال حارصين كل الحرص على الحضور بيننا والمشاركة معنا فنقول لهم جزاكم الله عنا كل خير، وحللتهم أهلا ونزلتم سهلا، ومرحبا بكم بين إخوانكم وأشقاؤكم في بلدكم الثاني، وشكر خاص مني هنا لأحفاد الإمام المغيلي القادمين من نيجيريا إلى الجزائر لزيارة جدّهم الإمام المغيلي بدعوة خاصة من رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون.

كما لا يفوتني أيضا في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان لكل القطاعات المساهمة والمصاحبة لتحضيراتنا لهذا الملتقى بكافة الفعاليات المحيطة به منذ أكثر من سنة.

الشكر موصول لأعضاء اللجنة العلمية على صبرهم ومتابعتهم الدقيقة لمشاركات المتدخلين. ولا أنسى أيضا رجال الإعلام بما بذلوه وببذلونه من جهد في سبيل إيصال المعلومة الصحيحة والذود عن حيّاض الجزائر وإيصال كلمتها.

أخيرا كل الشكر لمن لبّى دعوتنا من كافة أرجاء الوطن ومن خارجه، متمنيا للجميع مقاما طيبا.

وقفنا الله جميعا لما يحب ويرضى، وجزى الله عنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي جمعنا ووحدنا حيا وميتا... والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



## كلمة رئيس اللجنة العلمية

الأستاذ الدكتور أحمد جعفري

الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر.

بسم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً  
أحد، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد.

السادة الحضور، جميعاً كلاً باسمه وجميل وصفه مع حفظ كافة  
الألقاب والرتب والأوسمة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

في ظلّ مُعطى الراهن الجيو إستراتيجي، إقليمياً وعالمياً؛ وأمام التحدّيات  
الصّعبة التي يشهدها العالم؛ بات من الضروريّ التفكير في تفعيل  
المرجعيات التاريخية الرمزية، التي حباننا الله بها، بغية إعمال هذا المشروع  
الحضاريّ، بما يخدم شعوب المنطقة وسائر المعمورة، ويسرّ للناس سُبل  
العيش في أمن وسلام.

ولعلّ من أهمّ المرجعيات الجزائرية العالمية، التي كان لها قصب السبق  
في ولوج إفريقيا، ونشر الإسلام فيها، وفق منهجه الصحيح، وتعاليمه  
السمححة الميسرة. نجد الإمام محمّد بن عبد الكريم، المغيلي هذا الرجل  
العظيم، الذي سخرّ حياته لخدمة رسالة جلييلة، تعدّدت مجالاتها؛ وانفتح  
على محيطه الداخليّ والخارجيّ؛ فسجّل تاريخاً حافلاً في وطنه الجزائر أوّلاً،  
بالنظر إلى ثراء التجربة، واستمرار العطاء؛ ثمّ بحضوره الفاعل، في الجوار  
الإفريقيّ ثانياً؛ حيث كان فاتحاً معلّماً، ومصالحاً ملهماً؛ وأسهم بجلائل  
أعماله في حوكمة كثير من المجتمعات الإفريقية والإنسانية، واستقرار عدد  
من الممالك والأوطان.



إنّ إفريقيا لتسجّل بأحرف من نور إسهامات الإمام المغيلي في تشكّل مشهدها الثقافي والفكري والإصلاحي، بعيدا عن كلّ استغلال ديني أو عرقيّ يهدف إلى الهيمنة، أو استغلال الثروات، والاعتداء على حقوق الشعوب؛ ممّا جعله يشكّل للجميع مرجعية علمية واجتماعية وثقافية مشتركة، أسهمت، إلى الآن في تحقيق الاستقرار والطمأنينة في نفوس الحكّام والشعوب على حدّ سواء.

ومن هذا المنطلق، كان التفكير في عقد هذا اللقاء العلميّ الكبير، على مائدة الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي، ليكون الرمز الموحّد، والمهم المرشد، والقاسم المشترك بين الجزائريين وإخوانهم من شعوب القارة الإفريقية، ومن سائر المعمورة؛ واختير له عنوان:

ملتقى الجزائر الدوّلي «الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها». وذلك بغية تحقيق جملة من الأهداف منها:

\*/ توطيد أواصر المحبّة والتعايش السلميّ بين أبناء الجزائر والقارة الإفريقية خصوصا والمعمورة عموما.

\*/ مدّد جسور التواصل الثقافي؛ وتوثيق الصلات والروابط التاريخية، بين الجزائر ومحيطها الإفريقيّ والعالمي.

\*/ الاستثمار في الرأسمال الرّمزي، في مواجهة التطرّف والعنف، وتسوية النزاعات والصراعات.

\*/ التذكير بمبادئ الإسلام السّمحة، بالوقوف على جملة من القيم والمثل العليا التي طبعت حياة الإمام المغيلي ومعاملاته؛ ومكّنته من ولوج أبواب إفريقيا، وكسب قلوب الملايين من ساكنتها، وترك حميد الأثر فيها.

\*/ الوقوف عند شخصية الإمام المغيلي، في أبعادها الإفريقية والكونية.

\* / التعريف بتراث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتسهيل مهمّة الوصول إليه، والإفادة منه، تحقيقا ودراسة ونشرا.

\* / التعريف بجهود علماء الجزائر، ودورهم في نقل العلوم والمعارف إلى بلدان القارة الإفريقية والعالم.

ولتحقيق هذه الأهداف رسمت للملتقى خطوط ومحاور كبرى شاملة تمثلت في:

01 / المحور الأول: الإمام المغيلي. السيرة والمسيرة.

02 / المحور الثاني: التراث العلميّ والمعرفي للإمام المغيلي، تحقيقا ودراسة.

03 / المحور الثالث: البعد الإصلاحي التحرّري، في فكر المغيلي، عربيا وإفريقيّا وعالميّا.

04 / المحور الرابع: تجلّيات الوسطية والاعتدال، في المنهج الدعويّ والسلوكيّ للإمام المغيليّ، عربيا وإفريقيّا وعالميّا.

05 / المحور الخامس: الأطروحة السياسية ومشروع الدولة، في الفكر السياسيّ للإمام المغيليّ (سنغاي والهوسا نموذجا).

06 / المحور السادس: الإمام المغيليّ ومدرسة التصوّف الجزائرية. الامتداد الإفريقيّ والعالميّ.

07 / المحور السابع: الحكم الراشد ودوره في استقرار الشعوب الإفريقية. عرض حال لرسائل الإمام المغيليّ، وإسقاطها على السياق التاريخيّ الظرفيّ الآنيّ.

08 / المحور الثامن: الحوكمة السياسية، والرؤية الكونية للإمام المغيليّ، بين راهن المرحلة، واستشراف المستقبل.

وقد استقبلت اللجنة في كل هذا أزيد من 90 مشاركة من قارات إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا وبما يزيد عن أربعين دولة.

### السادة الأكارم:

إننا ونحن اليوم نتحدث عن الإمام المغيلي الذي فرطنا فيه كُتّابا ومثقفين تحديدا حين تركناه بين مخالب الدراسات الغربية ورحنا نتفرج عليها وهي تحشره في زاوية نازلة فقهية فصار اسم الرجل - وبكل أسف - لسنوات طويلة مقرونا بتلك النازلة يُذكر بذكرها ويُتجاهل بتجاهلها؛ فوقعنا في شباك مصيبتهم وبكل أسف حتى أنسوننا، أو كادوا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم الموسوعة والفتاح العظيم الذي أجرى الله على يديه ينابيع الحكمة ففتح قلوبا غلغا وعيونا عميا وأصبحت إفريقيا الآن في عمومها مدينة له في مدها الإسلامي الأول الذي لم يسجل لنا التاريخ فيه قطرة دم واحدة، بل بحضور الحوار والحوار وحده أما سيفه الذي ورثناه عنه ويحتفظ به حفدته من بعده في نيجيريا والجزائر معا، فلم يسجل لنا التاريخ أنه سلّه يوما من غمده في تلك المرحلة الهامة من حياته في إفريقيا على الأقل ليس جبنا من الرجل، ولكنّه لم يجد له بداً أمام سلاح الحوار الشامل الذي نهجه. وبسلاح الحوار وحده استطاع الإمام المغيلي أن يسهم في إرساء قواعد الدعوة الإسلامية في عموم إفريقيا وإخضاع معارفها لمحكّ الأخذ والرد والعطاء وتوسيع دائرة النقاش العلمي، وبالحوار وحده توسّعت رقعة الإسلام في وقته وصُحّحت كثير من المفاهيم والأفكار المغلوطة التي ظلت معشّنة لفترة طويلة جدا من الزمن في أذهان كثير من الأفارقة حكاما ومحكومين على السواء. وبالحوار وحده ملك الرجل قلوب الحكام والمحكومين وعقولهم على السواء، وبه استطاع أيضا أن يؤسس إمارة العدل والمساواة، والعيش الكريم تحت ظلال شجرة الإسلام الوارفة، وأصبحت ذكراه من بعده عالقة في الأذهان إلى الآن، كما أصبحت مؤلفاته

ورسائله مصدرا هاما من مصادر العلوم الإسلامية والإنسانية في شتى مراحل التعليم بهذه الأقاليم.

نعم، أيها الأخوة، هذا هو الإمام المغيلي لمن لا يعرفه بحق العالم الموسوعة الذي لم يترك مجالا إلا وكتب فيه مؤلفا أو تقييدا.

فهو الإمام المغيلي المفسر المتبصر صاحب كتاب البدر المنير في علوم التفسير في ثمان مجلدات.

وهو الإمام المغيلي المحدث الجامع صاحب كتاب الأربعون المغيلية أو الأربعون حديثا وشرحه عليه.

وهو الإمام المغيلي الفقيه المفتي صاحب كتاب مغني النبيل وكتاب مفتاح الكنوز وهدية المسترشدين وكتاب إلهام الأنجال أحكام الأجل الذي ألفه في حدود سنة 866هـ/1459م حين كان مقيما بالقاهرة بجمهورية مصر العربية.

وهو الإمام المغيلي القاضي العادل صاحب الفتاوى والنوازل وصاحب الوصية المشهورة في أصول الاجتهاد القياسي التي وضعها للقضاة في كشنا بنيجيريا. حين كان على عرش القضاء هناك.

وهو الإمام المغيلي المتصوف الزاهد صاحب كتاب تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.

وهو الإمام المغيلي السياسي المحنك صاحب كتاب تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين الذي ترجم إلى الانجليزية ونشر منذ سنة 1932 م.

وهو الإمام المغيلي الفيلسوف المتكلم صاحب كتاب الرد على المعتزلة وصاحب المناظرة مع الشيخ السنوسي.

وهو الإمام المغيلي المنطقي البارع صاحب كتاب مقدمة في المنطق وكتاب إمناح الأحباب من منح الوهاب. وكتاب شرح الجمل للخونجي إضافة إلى المناظرة الشهيرة مع الإمام السيوطي.

وهو الإمام المغيلي اللغوي الفذ صاحب كتاب مقدمة في العربية.

وهو الإمام المغيلي البلاغي المتمكن صاحب كتاب شرح التبيان في علم البيان الذي أَلَفَهُ حين كان مقيماً بمدينة الإسكندرية في مصر.

وهو الإمام المغيلي الشاعر المُلَهَّم صاحب القصيدة الميمية الشهيرة النابضة بالأحاسيس والمشاعر الفياضة.

وبالمختصر، فهو الإمام المغيلي العالم الموسوعي الذي عدَّ له بعض مترجميه أزيدَ من 60 مؤلفاً بين كتاب ورسالة معظمها إلى الآن في تعداد المفقود.

وهذا هو الإمام المغيلي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس. ملأ الدنيا بفكره النير المنبعث من أعماق نفسه، وشغل الناس بنتاجه الضخم كماً وكيفاً، حيث كان للكلمة الواحدة عنده أكثر من معنى وأكثر من تفسير، فكانت كلماته تبعاً لنفسه وكانت نفسه متجدّرة تجدّر مواقفها؛ فأضحت قراءتنا كتبَه قد تغنينا عن رؤيته، ولا فرق بين أن نراه أو نسمع عنه.

أيّها الإخوة الكرام، كلّ هذا وغيره كثير من سيرة الإمام نطمح أن يُبسّطَ على فراش النقاش الجاد والمثمر خلال يومين من الأشغال الموزعة على أربع ورشات بمعدل عشرين مداخلة في كل ورشة إضافة إلى أربع ندوات متخصصة بمعدل ندوة واحدة في كل قاعة.

أخيراً لا يسعني في هذا المقام أصالة عن نفسي ونيابة عن كل أعضاء اللجنة العلمية إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان بداية لرئيس

الجمهورية السيد عبد المجيد تبون على رعايته السامية وحسن تكفله التام  
بحيثيات الملتقى بداية ونهاية فجزاه الله عنا وعن علماء الجزائر كل خير.

الشكر كلّ الشكر لكل أعضاء اللجنة التنظيمية أصولاً وفروعاً، ولكل  
من أشرف أو نسق أو أسهم في تنظيم الملتقى على جهودهم وجميل صنعهم  
من أجل إنجاح الملتقى وإخراجه في أبهى حلة ممكنة.

الشكر موصول لكل من تشجّم عناء السفر وحضر أشغال ملتقانا هذا  
وإلى الحاضرين جميعاً. الشكر كل الشكر لرجال الإعلام ولكل من كانت له  
يد في إخراج هذا الملتقى.

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير البلاد والعباد عاشت الجزائر المجد  
والخلود لشهدائنا الأبرار والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



## كلمة أحفاد الإمام المغيلي بالزاوية المغيلية ولاية أدرار الجزائر

أصحاب المعالي والسعادة.. مع حفظ الأسماء وكُنَى المواقع والألقاب.. ضيوف الجزائر.. السادة الحضور.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. اسمحو لي في البداية، أن أُلْفِظَ ما سَطَّرَ من آيات الشكر والتقدير والعرفان، أصالة عن نفسي، ونيابة عن جميع أحفاد الإمام المغيلي بالزاوية المغيلية بولاية أدرار، للسيد رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون، جزاء رعايته السامية، وعنايته القديرة بهذه الشخصية الجزائرية، ذات البعد الإفريقي والعالمي. عندما نريد تنزيل حدث من الأحداث، ضمن الإطار الفلسفي للزمن والمكان، في محاولة ربط المعنى الوجودي للكينونة؛ فإننا نجد أنفسنا أمام أمرين، ارتبطا بشخصيتين فاعلتين في صناعة راهنة الحدث المدار والآنبي. أولهما؛ الإمام المغيلي، الذي يحضر في ذات المكان، الذي نحن فيه الآن (الجزائر العاصمة)، إذ قبل خمسة قرون، عبر هذه القلعة، المسماة يومها (جزائر بني مزغنة)، حيث خَلَدَ فيها مدّة، في ضيافة شيخه وصهره، الشيخ سيدي عبدالرحمان الثعالبي، وها هو يحضر بيننا اليوم بذات المكان، لدرس حياته وبحث جهوده وأعماله.

حاول الرئيس تبون إقامة ملتقى الإمام المغيلي بولاية أدرار سنة 1984م، وها هو اليوم وبعد 37 سنة، يحصل له الشرف، في إقامة هذا الملتقى الدولي ورعايته السامية، وهو رئيسا للجمهورية. لقد درج الفلاسفة والمفكرون للأنظمة السياسية، اعتبار اهتمام الدول بمرجعياتها التاريخية والعلمية، من مظاهر الوعي الحضاري للدولة، ووضعها قيد التحيين الدائم، ضمن



سياقات التاريخ. إن شخصية الإمام المغيلي، العابرة للزمان والمكان والحقول المعرفية، أكسبته خصوصية بين مجاليه، نظرا للرؤية الواعية للذات ومصائر ما حولها، منوعا حرثه في تربات ومناخات جغرافية متعددة. ومع تفرخ الجيل الثالث للجماعات الإرهابية بعد حرب أفغانستان، وعبور تصدير ثقافة الدم للقارات، بات من الضروري، تلمس نجاعة الإسلام المتسامح، المبني على الوسطية والاعتدال، ولعلّ الإمام المغيلي، واحد من أولئك المرجعيات الجزائرية، التي يمكن المراهنة عليها، في تقديم هذه الأطروحة البديلة، مما يعود على شعوب المنطقة بالأمن والاستقرار إقليميا ودوليا شكرا للدولة الجزائرية وأجهزتها على هذا الاحتفاء بشخصية الإمام المغيلي.. عاشت الجزائر.. المجد والخلود لشهدائنا الأبرار..

عن أحفاد الإمام المغيلي بالزاوية المغيلية بأدرار.  
أ.د/ الصديق حاج أحمد آل المغيلي.

# كلمة: رئيس مؤسسة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بولاية كنو - نيجيريا -

السيد الحاج عبد الكريم بن سيدى علي بن صالح آل المغيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد: قال تعالى: ﴿يَزْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة، الآية 11، صدق الله العظيم.

فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية السيد عبد المجيد تبون.

السادة الوزراء وإطارات دولة الجزائر الشقيقة.

السيدات والسادة الحضور ... من علماء وشيوخ وأساتذة وضيوف.

نوجه تحية خالصة لكل الحاضرين الكرام في أشغال المؤتمر.

بداية... إنه لشرف عظيم لنا كأحفاد للإمام المغيلي بنيجيريا أن نعبر عن فرحتنا بنزول البلد الذي وُلد ونشأ فيه جدنا، وانطلق منه بدعوته الإصلاحية التي عمّت جانب كبير من إفريقيا، إنه لشرف كبير لنا أن نشارك في فعاليات هذا المؤتمر الدولي الذي يسعى لدعم قيم الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، فقد كنا نتطلع لإقامة مثل هذا الحدث الكبير منذ أن قامت الجزائر بتنظيم المهرجان الثقافي الأول حول: «الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي» بولاية أدرار - الجزائر، والذي شاركت في فعاليات أشغاله دولة نيجيريا.

السيدات والسادة الحضور:

يُعدّ الإمام المغيلي هو أول من ربط العلاقات بين الجزائر ونيجيريا، ورغم مرور زمن كبير على تلك الفترة التاريخية، لكن الآثار المادية والتراث العلمي والمورث الشفهي لا يزال حاضراً بقوة في الذاكرة النيجيرية ببلاد الهوسا، حتى قال بعض المؤرخين: «ولم يُخلد التاريخ أثراً لعالم عربي، غربي أو شرقي، مثل ما خلّده للإمام المغيلي في غرب أفريقيا عموماً، وفي نيجيريا خصوصاً» آدم عبد الله الإلوري. كما نسي «حجة» بالاستناد لما ذكره أمير المؤمنين محمد بللو بن الشيخ عثمان فودي -رحمه الله- في كتابه: «إنفاق المسور في تاريخ بلاد التكرور»، بل يعدّ الإمام المغيلي فخراً لجميع شعوب إفريقيا والعالم، بالنظر لجهوده وحركته الإصلاحية التي مكّنت للقيم الإنسانية بغرب إفريقيا.

إنّ العلاقات بين نيجيريا والجزائر تمرّ بلحظة هامة في تاريخها، إذ ندرك جميعاً بأنه يتعين علينا البناء على هذا الترابط الاجتماعي والثقافي المتين والفريد بين الشعبين، والذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، فهو جدير بالارتقاء به نحو آفاق مستقبلية أرحب، وذلك من خلال تكثيف وتنمية سبل التعاون المشترك في شتى المجالات.

كما نأمل أن تتوجّ أشغال المؤتمر بتوصيات تُمكن من إقامة علاقات سياسية واقتصادية وعلمية وثقافية، واقتراح آليات تُسهّم في تسهيل التعاون والتواصل بين الجزائر ودول أفريقيا؛ حتى يكون للجزائر دور محوري أكبر في تدويل ثقافة السلم والتعايش المشترك بالمجتمعات الإفريقية.

وفي الأخير؛ باعتباري رئيساً لمؤسسة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بولاية كنو، يسرني غاية السرور، أصالة عن نفسي ونيابة عن السيدات والسادة أحفاد الإمام المغيلي بدولة نيجيريا أن أتوجه بتحية تقدير وإجلال خاصة لفخامة السيد الرئيس عبد المجيد تبون، الذي أتاح

لنا هذه الفرصة العظيمة لحضور هذا الجمع الجليل، الذي يجتمع اليوم من أجل استلهام القيم والمبادئ التي ناضل من أجل تكريسها في عامة أفريقيا المجاهد الكبير والإمام القدوة السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي. كما نشكر السيد الرئيس على إرسال طائرة لتقلنا مع أحبائنا وأتباع الطريقة القادرية، وعلى ما خصنا به من منح دراسية لهذا البلد المبارك، أدام الله لنا السلام الأبدي في بلادنا الجزائر، فنحن ممتنون كثيراً لفخامة السيد الرئيس عبد المجيد تبون أعانه الله على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، ولن ننسى لك هذا التكريم في تاريخنا.

وأتقدم أيضاً بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من ساهم في تنمية هذه العلاقات، وأسهم في التحضير لهاته الفعاليات، خاصة سفير الجزائر في أبوجا بنيجيريا، والسيد حسوني محمد مكلف بمهمة برئاسة الجمهورية، والسيد بن مالك أمين مكلف بمهمة برئاسة الجمهورية وآخرين لا أذكرهم. أتمنى لكم النجاح والتوفيق في أعمال هذا المؤتمر الكبير الملقاة على عاتقنا جميعاً من أجل توفير حياة كريمة ملؤها الرخاء والازدهار لشعبونا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



# خطاب صاحب السمو الملكي أمير كنو الحاج أمين أدو بايرو

.CFR, CNOL, J.P

في الملتقى الجزائري الدولي حول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني.

تعريب: أ.د. أمين الله آدمو الغمبيري قسم الدراسات الإسلامية والشريعة.

جامعة بايرو، كنو- نيجيريا.

## حضرات أصحاب الفضيلة،

يمثل اليوم نقطة تحول في سجلات تاريخنا العريق، حيث نحتفل بذكرى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأيامه النيرة وأعماله القيمة. فالملتقى الدولي في مثل هذا الجو وهذه الطبيعة متأخر الاعقاد، ولكن ليس عن تعمد أو إغفال من جانبنا عن إقامته في نيجيريا والجزائر، بأننا لم نعقد مؤتمرا مهما مثل هذا منذ وقت مبكر.

ومهما يكن من شيء فيجب أن يكون في الاعتبار أنه ما من أمر كان مفعولا إلا بمشيئة الله عز وجل، فالوقت الذي نحوزه الآن (لعقد هذا المؤتمر) هو خير ما اختاره الله. وبالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن رفقتي الملكية وسائر حضرات أصحاب الفضيلة المدعوين للمشاركة في هذا المؤتمر من دولة نيجيريا، أودّ أن أعبر عن امتناننا وشكرنا وتقديرنا لسلطات الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية على تكريمها بتوجيه الدعوة إلينا لحضور هذا المؤتمر الدولي حول الإمام المغيلي. تشرفنا نحن الآخرين متعززين باعتباركم إيانا جزءا لا يتجزأ من أسرة هذا العالم الرباني الذي كان فريده عصره.

إنَّ اسهامات هذا العالم الإسلامي، الفيلسوف الأسطورة، الإمام المغيلي في نشر الإسلام كدين ونشر دعوته السمحاء، وخصوصا الحوكمة العادلة على أساس من التعاليم الإسلامية ومبادئه يمكن إرجاع بدايتها تاريخيا إلى وقت نهاية الحكم الإسلامي على الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي، وهذا الذي أدى بكثير من علماء مناطق إفريقيا الشمالية بما فيها الجزائر إلى هجرتهم من الأندلس إلى غرب (إفريقيا جنوب الصحراء) وخاصة بلاد الهوسا، وثمة كذلك موجات من انحدار علماء تجار من هناك إلى هذه المنطقة عملوا فيها للدعوة الإسلامية ونشرها. ورسالتهم الدينية التي حملوها إلى هذه المنطقة حظيت بنجاح بارز لدرجة اعتبار ذلك الوقت لدى كثير من العلماء والأكاديميين أمثال توماس هونغ، وجون هونغ، وعبد الله سميث، وموري لاست، عصرا ذهبيا للإسلام في السودان الأوسط. العالم الوحيد الذي اعترف له الجميع بهذا الإسهام الكبير وباكتسابه هذا العمل الفذ والجهد الجهد، هو ذلكم الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وليس شخصا غيره. وهو الذي زار مدينة كنو (دولة نيجيريا) سنة 1493م- 1498م. ومن خلال الأيام التي قضاها مقيما فيها، فقد استخدم نفوذه العلمي الهائل بحنكة وبراعة على سلطان كنو في ذلك الوقت، وهو المشهور بمحمد رمفا بن يعقوب الذي حكم المدينة في الفترة ما بين 1463 و1499م. وبطلب من هذا السلطان محمد (رمفا) وإيحاء منه أيضا، كتب الشيخ المغيلي وصايا شرعية في القيادة السياسية على أسس من المبادئ الشرعية. ووفقا لمقتضيات ذلك عدل السلطان (رمفا) كثيرا من أنظمة الدولة مصححا لها لتتناسب مع استشارات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العلمية الشرعية التي أوصاه بها.

وهذا الحدث بالذات هو المعتبر والمسؤول عن تغيير نظام الدولة الكنوية التقليدية إلى نظام الخلافة الإسلامية الصرفة، وما زال هذا الإسهام المهم الذي قام به الإمام المغيلي لإصلاح الدين والدولة في كنو حيا قائما في

النفاذ يُعمل به لحد اليوم. وهذه الوصايا والنصائح الشرعية التي حررها المغيلي للسلطان هي التي شكلت أسسا ومبادئ تسير على نهجها مؤسستنا الملكية في مدينة كنو المسماة تاريخيا وتقليديا بـ (دار رمفا) التي أنا حاليا أترأسها أميرا لأراضها (أمير إمارة كنو)، ولذلك يحق لنا أن نزعم ونعتقد جازمين بأن الإمام المغيلي خاصتنا وملكننا كليا أو جزئيا على الأقل.

جاء الإمام المغيلي إلى كنو في رفقة كثيرة وكبيرة سكنوا معه جميعا في قلب هذه المدينة (كنو) في حيٍّ يحمل اسم «الشرفاء» احتراماً لأحفاده الذين نعتقد أنهم شرفاء، ونعتقد كذلك بأنهم ينتمون نسبا للعترة الشريفة وأهل بيت حبيبنا محمد ﷺ، ولم تزل سيادة هذه المنطقة الشريفة باقية في أحفاد المغيلي ومحتفظا بها لدى أسرته، وهم الذين يحملون بالإضافة إلى ذلك لقباً تكريمياً معترفاً به في القصر الملكي لإمارة كنو، وهو (سيدي قري) (أي السيد الأبيض)، وحامل هذا اللقب في نفس الوقت بقي هو الآخر منذ ذلك الوقت عضواً في مجلس الأمير لحد اليوم.

أودُّ أن استحث وأشجع الأكاديميين في الجامعات والعلماء في كل مكان ثم قادة الأمة الإسلامية وأعلامهم على التعمق والتوسع في البحث والتنقيب والدراسات المستفيضة لكثير من الإنجازات العلمية والفكرية التي أسهم بها الإمام المغيلي في نشر الإسلام وعلومه، وهذا طريق آخر لتخليد تراثه لمصلحة الأمة الإسلامية.

غادر الشيخ الإمام المغيلي مدينة كنو إلى الجزائر 1497م وبعد وقت قليل من ذلك بلغنا نبأ وفاته ونعيه سنة 1504م بعد عمر ناهز 65 سنة. تقبله الله في زمرة عباده المتقين.

لقد توفي الشيخ المغيلي منذ قرون عديدة ومع ذلك فإن تراثه الكبير استمر بكيانه نافذاً في نظام الإمارة بمدينة كنو. بقي هذا التراث على قيد الحياة رغم تقلبات الأيام وتغييراتها، ورغم الثورات والانقلابات والهيجانات



كحركة الجهاد (يعني الجهاد المماثل لجهاد المغيلي في سبيل الله ونشر الإسلام وتعاليمه، وإقامة دولته في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي، ثلاثة قرون بعد قرن المغيلي تحت قيادة الشيخ عثمان بن فودي غارس الخلافة الصكتية الإسلامية في نيجيريا، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة)، واستيلاء الإنجليز على البلاد واستعمار، وحتى الحرب الأهلية، وذلك بدون شك، شهادة واضحة بأن الشيخ المغيلي قد وضع لنا تراثه الثمين على أساس متين.

ورجائي أن يبقى هذا التراث مصدر إلهام لنا في شؤون حياتنا الدينية والسياسية. جزى الله تعالى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الجزاء الأوفى ورحمه رحمة واسعة. وأود أخيرا، أن انتهز هذه الفرصة لإبداء حسن تمنياتي ورجائي لجميع المشاركين في هذا الملتقى سعادة وتداولاً مثمراً لمناقشاتهم العلمية والفكرية حول هذا الإمام. وقد كان مما نرجو أن تكون أدبيات هذا الملتقى وحصيلته منشورة نشرا عاما لإثراء الحوكمة بمفهومها الأوسع، كقوة موحدة للتقدم والوحدة واستقرار الأمن في مجتمعاتنا المختلفة.

صلوات الله وسلامه سبحانه وتعالى على النبي ﷺ وآله وصحبه أجمعين.  
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

امداد خلات



## امداخلة الافتتاحية للملتقى

### الإمام المغيلي ودوره في إحياء الأمة واستقرار مجتمعات

الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسني  
عميد جامع الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه  
ومن اهتدى بهداه أصحاب السماحة والفضيلة. أصحاب المعالي. أيها  
الحضور الكريم كُلاً باسمه ومقامه.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بين يديّ البحث.

يأتي انعقاد هذا الملتقى العلميّ، تأكيداً لانتماء الجزائر الأصيل،  
ومرجعيّتها المستمدّة من رصيدها التاريخيّ، وعطاء علمائها، وإسهامات  
مراكزها العلميّة، على مرّ الحقب والعصور. ويندرج المسعى ضمن مشروع  
يضع في طليعة أهدافه تغيير النظرة إلى المؤسّسات الدينيّة والعلميّة، على  
الصعيدين الوطني والدوليّ، بإعطاء الصورة الحقيقيّة لرسالة هذه  
المؤسّسات، والدفع بحركتها الفاعلة من جديد، بما يخدم صالح الأمة  
الإسلامية، بتعدديّتها، وتنوّعاتها المذهبية والاجتماعية؛ وبما يعيد إليها  
أمجادها التاريخيّة، وعطاءها الحضاريّ، الذي تجسّد بأبعاده الاجتماعيّة  
والاقتصاديّة، والثقافيّة والعمرانيّة، خلال قرون من السؤدد والريادة  
والتأثير.

ولعلّ من أهمّ مرجعيّاتنا العلميّة، في الجزائر شخصيّة الإمام محمد بن  
عبد الكريم المغيلي، رحمه الله، الذي تبوّأ مكانة علميّة عالية بين معاصريه

من العلماء؛ وسجّل تاريخاً حافلاً بجلائل الأعمال، في بلاده وفي الجوار الإفريقيّ؛ حيث كان له حضور فاعل، وقدّم الكثير للمجتمعات الإفريقية، من أجل وحدتها واستقرار ممالكها وأوطانها؛ وترك من بعده جميل الذكر وطيب الأثر.

لقد حباه الله بالفهم وسعة العلم؛ وكان محلّ تقدير وإكبار من أئمة أعلام، نعتوه بأوصاف تدلّ على عظمته وجلال قدره؛ وقد ذاع صيته في كثير من المناطق؛ حيث اقترن اسمه بواحة تمنطيط، وأرض توات، ومناطق السودان الغربيّ، وتكرور. ولا نجد كتاب تراجم أو نوازل أو تاريخ يخلو من ذكر اسمه على رأس شيوخها وعلمائها وأعيانها والمصلحين فيها. كان المغيلي رجل علم ومعرفة. وكان من أجلّ شيوخ التربية. وله منهج متميّز في الدعوة والإصلاح، ورد في بعض وصاياه قوله لمريده: «...أوصيك بتقوى الله، وبالحذر والعزم، والتخفيف بما استطعت. واعلم أنّ الله هو الرزاق؛ وإنّما الأسباب على الأرزاق كالقناديل على الأطباق. فخذ من الأسباب بأحسنها وأحلّها وأهونها، متوكّلاً على الله، راضياً بقضاء الله». وفي وصية أخرى جاء قوله: «إنّ الخير كلّهُ في التقوى، والشرّ كلّهُ في الهوى. اصبر ولا تضجر، فإنّ الله مع الصابرين بقوّته ونصره. ارحموا من بأيديكم من رعيتكم، فإنّ الرحماء يرحمهم الرحمن. ومن لا يرحم عبادَ الله يخاف على نفسه أن لا يرحمه الله».

#### حضرات السّادة والسّيّدات؛

لقد استحقّ هذا الملتقى الدّولي أن ينعقد تحت عنوان: «الإمام محمد ابن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها»؛ ليكون لنا هذا الإمام الفدّ الملهم المرشد، والرمز الموحد؛ نستلهم من سيرته ومنهجه ما تأتلف به الأرواح، وترتبط القلوب، وما يوطّد أواصر المحبّة والتعايش بين الشعوب. نريد أن نستلهم من الشيخ المغيلي منهجه الراشد، بوسطيته واعتداله، بدوره التنويري، ببعده الإصلاحيّ والاجتماعيّ. نريد أن

نفيد منه فكره السياسيّ، ونظرته المقاصدية، ومبادئ الحكم الراشد لديه. نريد أن نفيد من الرشادة الاقتصادية، والأطروحة السياسية، ومشروع الدولة، في ضوء رسائله؛ إلى غير ذلك ممّا يقدّمه لنا الأساتذة الأفاضل المنشطون لفعاليات هذا الملتقى.

إنّ الأُمَّة، منذ فجر تاريخها الإسلاميّ، تعارفت على احترام علماء الدين، وتوقيرهم؛ لأنّهم حملة الشريعة، وحرّاس تعاليم الدين. والأُمَّة الواعية هي التي تعرف للعلماء فضلهم، وتحفظ عهدهم. وتقدّرهم حقّ قدرهم، وتحبي ذكراهم، ليعرف الناس مآثرهم، ولتقتدي الأجيال بسيرتهم وأعمالهم. ولا كرامة للأُمَّة، إذا لم يكن علماءؤها في موطن التقدير والاحترام؛ وإذا هي لم تحفظ حقوق علماءها الذين يخدمونها في أقدس مقدّساتها؛ ألا وهو دينها، مصدر عزّتها، وضامن وحدتها وقوّتها.

فالعلماء الرّبّانيون هم ورثة علم الرسالة، وخلفاء صاحب الرسالة، صلى الله عليه وسلم، المتّبعون لهديه، المحيون لما مات من سنّته. ومثّلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بها في الظلمات؛ كما جاء في الحديث الشريف. ففي مسند الإمام أحمد أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر؛ فإذا طمست النجوم أوشك أن تُضِلَّ الهداة». وفي حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال صلّى الله عليه وسلم: «.. وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإنّ العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنّما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر». رواه أحمد والترمذي وابن ماجّة.

وعالمنا الذي يحتفي به حملة إرث النبوة، تلكم الوراثة العظيمة التي تتمثّل في العلم والعمل؛ وتمثّل المنهج الوسط للأُمَّة الوسط. إنّه المنهج الإسلاميّ الأصيل، الذي يجمع في انسجام وتكامل، بين الجانب التشريعيّ والجانب الروحيّ من الإسلام.

والإمام المغيلي خير مثال لأولئك الأخيار من العلماء الربانيين، الذين كانوا مرابطين في هذه القلاع الحصينة؛ فزادوا عن عقيدة الأمة وقيمها الروحية، ومقومات شخصيتها الإسلامية؛ ومثلوا في مجتمعهم قيم الإسلام السامية ومبادئه السمحة؛ كما مثلوا في الأمة مرجعيتها الدينية الجامعة، التي أنعم الله بها على شعوب المغرب وأقطار إفريقيا، التي عاشت الإسلام منذ أن أنارها الله بهدايته، في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك؛ وكانت لها هذه المرجعية، عبر الأجيال، حصانة ذاتية، وصمام أمان من التطرف والغلو في الدين، ومن أضرار التشرذم المذهبي، والتفرق الطائفي.

لقد اشتهر المغيلي بوصف الأشعري. والعقيدة الأشعرية هي عقيدة السواد الأعظم من المسلمين؛ فهي عقيدة أهل السنة والجماعة. ومن أهم مميزات الوسطية؛ فقد عُرفت بتوسط فكرها بين مدرسة النقل ومدرسة العقل. والمنهج الصحيح، بلا ريب، هو الذي يجمع بين نور الشرع وأداة العقل، باعتبار العقل سبيلا إلى استنباط الأحكام التشريعية، وإدراك مقاصد الشريعة وغاياتها السامية.

والمذهب السائد في هذه البلدان هو مذهب الإمام مالك، رحمه الله. ومن فضل الله علينا أن اختار لهذا الجزء من العالم الإسلامي، في بلدان المغرب وإفريقيا، أن تتوحد شعوبها، في عباداتهم ومعاملاتهم، على مذهب إمام دار الهجرة؛ فقد آتسم المذهب المالكي بالتوسط والاعتدال، وهو منهج الإسلام؛ وعُرفت المدرسة المالكية، في مناهج تعليمها، بالعمل لتوحيد أهل المغرب، عقيدة وفكراً، ومذهبا وسلوكا. واستطاعت أن تعرب لسانهم، وتوحد لغتهم الدينية والعلمية. لقد كانت مدرسة واحدة موحدّة المنهج واللغة والفكر؛ تؤثر في تربية الناس، وتوحد سلوكهم، وتؤثر في علاقاتهم

وتعاملاتهم الاقتصادية والسياسية، وفي علاقاتهم مع غيرهم من المسلمين؛  
كما تؤثر في نظرة الناس إلى الكون والحياة والإنسان.<sup>(1)</sup>

ومنهجنا في السلوك والتصوّف السنيّ هي طريقة الإمام الجنيد.  
فالتصوّف في حقيقته عقيدة وإيمان، وعلم وعمل، وتربية ودعوة، وأدب  
ومحبّة، وعبادة ورياضة، وسلوك عملي إلى رحاب الأسرار والأنوار، على  
معارج المراقبة والمجاهدة للنفس وأهوائها، وتطهيرها من أدرانها وغلوائها.  
التصوّف، بصورته الناصعة، هو روح الإسلام، وحقيقة الإيمان، ومقام  
الإحسان. إنّها الحياة الإيمانية الراقية، التي ترتفع بالإنسان المخلوق إلى  
معرفة خالقه، وعبادته ومحبّته، وإيثاره على كلّ ما سواه، عن طريق تزكية  
النفس، ومجاهدتها في الله، حتى يهديها سبيله، وتنتصر على أهوائها وشهواتها  
الظاهرة والباطنة، ولا فلاح للنفس البشرية إلّا بالتزكية كما قال الله تعالى:  
"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ  
دَسَّاهَا". الشمس /9.8.7. وقال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا  
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ". العنكبوت/69.

إنّ المنهج الربّاني الذي يوازن بين المادّة والروح؛ بل يتجاوز المادّة إلى  
الروح، والدنيا إلى الآخرة؛ وتتحقّق به الحياة الإسلامية المتوازنة، وترتبط  
برسالته الحياة الروحية بالحياة الاجتماعية. إنّ الإسلام، بلا جدال، هو  
أعظم دين أغنى الحياة الروحية، ورسم معالمها، ووضع لها أسسها ومقوماتها.  
وقمّة الحياة الروحية تتجلّى في سيرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المثل  
الكامل للسموّ الروحيّ، والعظمة الأخلاقية، والترقيّ في مدارج الكمالات  
الإنسانية. فهو خير من وزن بين متطلّبات الروح ومطالب الجسد، بين

<sup>(1)</sup> محاضرة للكاتب في ملتقى الدروس المحمّدية، بالزاوية البلقايدية. وهران، بتاريخ: 16  
رمضان 1435هـ، الموافق 14 جويلية 2014م، بعنوان: «الإمام مالك مناقبه وأثاره  
العلمية وانتشار مذهبه في البلدان المغاربية»



حقوق الله وحفظ النفس، بين المثال والواقع؛ ومن بعده خلفاؤه وأصحابه الذين تخرّجوا من مدرسته، وأتبعوا التور الذي أنزل معه؛ وبعدهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم الذين اتبعوهم بإحسان. أولئك الأخيار الذين كانوا يعبدون الله ويتقونه حقّ تقاته؛ وكانوا، على تقواهم واستقامتهم، يخشون ربهم ويرهبونه، وكأنّ النار لم تُخلَق إلاّ لهم؛ يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة، ويحثّون إليها مطاياهم؛ ويجعلون من رضوان الله غايتهم ومناهم.

### حضرات السّادة والسّيّدات؛

نحن في هذا الملتقى نربط الماضي بالحاضر؛ ونتحدّث عن تحدّيات الحاضر والمستقبل؛ وفي طليعتها حماية مجتمعاتنا من المخاطر التي تهدّد أمنها وتماسكها. نبحث عن أفضل السبل للحفاظ على وحدتنا الجامعة، وقطع الطريق على المذاهب الوافدة، والنحل الضالّة، والتيارات الدخيلة المفرّقة؛ ولاسيما التيار التكفيريّ الذي يتغذّى من إشاعة الفهم الخاطئة للدين، والتأويلات الباطلة لمقاصد شريعته؛ ممّا يستوجب التصدّي، بحزم، لحركات لم تصدّر للأمة سوى مزيد من عوامل التفرّق والتمزّق؛ فضلا عن جفاف الأرواح، واختلاف القلوب، وتزهيد طائفة من المسلمين في حبّ نبيّهم، والتأسيّ بقدوتهم، وحجّهم عن مصادر النور كيلا ينفذ إلى قلوبهم. إنّها الحركات المتطرّفة التي نشأت منها تنظيّمات إرهابية تهدّد في شعوبنا السلم الاجتماعيّ؛ وتدمّر في بلداننا تماسك النسيج الثقافي والاجتماعيّ.

إنّ ما تشهده المجتمعات الإسلامية في واقعها الراهن، لهو أكثر خطورة، وأعمق تأثيرا ممّا كان عليه الأمر، من قبل. فقد برزت فكرة الطائفية من جديد، وهي تلقى العناية والرعاية، تحت ذرائع متنوّعة؛ كما توافرت لها سياقات إقليمية ودولية، شجّعت أنصارها على التّهديد بتدمير مكتسبات الوحدة والاندماج المتراكمة في بلداننا، منذ قرون.

وما نسعى لتحقيقه اليوم؛ هو التعاون على ما يفيد الأمة، ويرأب صدعها، ويجمع صفوفها، ويوحد بين فئاتها. وهذا ما ينبغي أن يوليه الخطاب الديني كلّ عناية واهتمام. فالمطلوب من العلماء والدعاة وأئمة المساجد أن ينشروا مزيداً من الوعي بين المسلمين، لإبعادهم من شرور الغلو والتعصب. عليهم أن يتحاشوا إثارة الشبهات، واتقاء الفتنة بين المسلمين، وتجنّب كلّ ما يفضي إلى الفرقة التي ينهى عنها الإسلام؛ والعمل لإشاعة روح التسامح، تأليفاً للقلوب، وجمعاً للكلمة، مع التركيز على مواضع الاتّفاق للاجتماع حولها، والتغاضي عن مواضع الاختلاف لتحاشي مساوئها. وهذا يقتضي الالتزام بأدب الاختلاف، ومراعاة نظرة الإسلام إليه، باعتباره اختلاف تعدّد وتنوّع وتكامل؛ ولا ينبغي أن يتحوّل الاختلاف في الرأي، أو المنهج، أو المذهب، إلى اختلاف تعصّب وتناحر وتخاصم.

إنّ ما ينبغي التذكير به وإشاعته بين المسلمين أنّ الأخوة هي الرابطة الوثقى بينهم؛ ومما يترتّب عليها أن يكون الحبّ والسلام، والتعاون والوحدة، هي الأصل في الجماعة المسلمة؛ وأن يكون الخلاف هو الاستثناء، الذي يجب أن يردّ إلى أصله، فور وقوعه، محافظة على الكيان العام لجماعة المسلمين، وإبقاء لعلاقات المودّة والإخاء فيما بينهم، وحفظاً لمجتمعهم من عواقب التفكك والخصام، تحت تأثير النزوات والاندفاعات. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، وآتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ الحجرات/10.

فما كان إلّا الإسلام وحده، ليجمع النفوس المتنافرة؛ وما كان إلّا حبل الله يعصم به الجميع، فيصبحون بنعمته إخواناً؛ وما يمكن أن يجمع القلوب إلّا أخوة الإيمان، تصغر إلى جانبها وتمحي الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والنعرات العرقية، والرايات العنصرية، والتزعزعات الفردية، والأطماع

الشخصية. فيتجمّع الصفّ، تحت لواء الله الواحد الأحد، تحت راية لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله!<sup>(2)</sup>

### حضرات السّادة والسّيّدات؛

وكما يتعيّن علينا التصدّي لكلّ تيار متطرّف دخيل، فإنّ علينا كذلك أن نحذّر من مخاطر تيار تغريبيّ، يعمل، دون هوادة، لكي تطلّ مجتمعاتنا تحت الهيمنة الثقافية والحضارية للغرب. يريد للأمة أن تتنكّر لهويّتها، وتتجرّد من ثوابتها، وتتنازل عن خصوصياتها. يريد أن تشيع فيها مظاهر الاغتراب وثقافة الاستلاب. يريد للأسرة المسلمة أن تنساق وراء الشعارات البرّاقة، وتستجيب للدعوات المشبوهة، التي تقلب سلّم القيم؛ ويراد منها تحطيم منظومة القيم الأخلاقية، وإحلال القيم الهابطة محلّها، لتميع شباب الأمة، وإسقاط المرأة في أحوال الرذيلة والفساد. وهذا ما يسعى إليه دعاة الإباحية والتغريب. يريدون لنا أن نكون نسخة من المجتمعات المنحلّة؛ حيث يُترك للناس الحبل على القارب، يعيشون كما يشتهون، بلا ضابط ولا زاجر، ومن غير وازع ولا رادع، باسم الحداثة وشعار الحريات الشخصية، وسوء استعمال هذه الحريات المغشوشة، التي تردينا في المهالك، وتسلك بنا أسوأ المسالك. إنهم يريدون لمجتمعاتنا أن تنجرّ إلى مهاوي الحضارة المادية، الخاوية من مقوّمات الروح والإيمان؛ وتوشك أن تنحدر إلى الهاوية، لأنّها فرطت في أهمّ مقوّمات البقاء؛ حيث أهدرت القيم الإنسانية؛ وتجاهلت روح الإنسان وقلبه ووجدانه؛ ولم تنسجم مع فطرته التي فطره الله عليها؛ بل قدّمت له الشهوات الهيمية، بدعوى الحرية الشخصية؛ وراحت تقنن للشذوذ، وتشرّع للانحراف. وما فتئت صيحات العقلاء تتعالى، من هنا وهناك، منذرة بسوء مصير البشرية، في ظلّ الحضارة المادّية.

إنّنا مدركون لسرعة التطوّر الذي طبع مختلف مجالات الحياة، في عصرنا هذا. وإننا واعون بضرورة التفاعل مع هذا التطوّر. ولا ينبغي أن يغيب

<sup>(2)</sup> حوار أجرته مع الكاتب جريدة الخبر، بتاريخ: 26 صفر 1435هـ، 19 ديسمبر 2013م.

عن أذهاننا أنّ الوضع الحضاري المتميّز الذي يشهده العالم من حولنا مطبوع بفلسفة العولمة، التي ترمي إلى إعادة صياغة مختلف نواحي الحياة؛ وذلك بالاختراق الثقافي للإعلام والتعليم والأسرة، ولكافة مؤسّسات المجتمع.

ونحن ندرك كذلك أنّنا طرف في صراع حضاريّ غير متكافئ؛ ولكنّ ذلك لا ينبغي أن يثنيّا عن السّعي لتحقيق معاني التفاعل الإيجابي مع الغير، والتفتّح الواعي عليه، والاستفادة الحكيمة ممّا لديه. والإصرار على إظهار ما عندنا مما هو حقّ لا يمكن التغاضي عنه ولا المساومة فيه.<sup>(3)</sup>

وهنا نطرح جملة من الأسئلة، نرجو أن نجد في فعاليات الملتقى، والأبحاث التي تُقدّم في ورشاته أجوبة عليها:

• كيف نحصّن الأجيال في مواجهة التحدّيات؛ وأمّتنا أمام تحدّد كبير تفرضه العولمة، بمختلف أشكالها؛ فهي اليوم تهيمن بقوانينها ونظمها ومؤسّساتها، وسياساتها المعلنة والمضمرة، غير عابئة بالقيم الروحية والأخلاقية للمجتمعات، وغير آبهة بما تحدّثه مشاريعها من تداعيات سلبية، اقتصادية واجتماعية وثقافية، على هذه المجتمعات.

• كيف ننظر إلى إشكالية الأصالة والمعاصرة التي تواجه مجتمعاتنا الإسلامية، أي بين التمسكّ بالعقيدة والتراث الإسلامي والانتماء الحضاريّ، وبين مساندة التطوّر والتّغيير والتجديد، مما يفرضه منطلق العصر؟

• وفي تقديرنا أنّ السّبيل إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، تتمثّله في أن يعيش المجتمع إسلامه، في قيمه الثابتة، ومبادئه الخالدة، مثلما كان يعيشه سلفنا الصالح؛ ويعيش في الوقت ذاته واقع عصره، في صوره المتبدّلة والمتغيّرة، بفضل تقدّم العلوم والتكنولوجيا؛ وأن يخطّط المجتمع لحاضره ومستقبله، كأدقّ ما تخطّط الأمم المتقدمة لحاضرها ومستقبلها.

---

<sup>(3)</sup> من محاضرة للكاتب في الملتقى الدّولي بإسطنبول، بتاريخ: شوال 1433هـ، الموافق أوت 2012م، بعنوان: حضارة الإسلام؛ وعنوانها: "من أجل مجتمعات إنسانية يسودها العدل ويعمّها السّلام".

وبعبارة أخرى: أن يفصل المجتمع بوعي بين الثوابت والمتغيرات، في تطوير حياته، فيظل متمسكا بالمبادئ والأصول، يعضّ عليها بالنواجذ، متشددا في الثوابت الخالدة خلود العقيدة التي أثمرتها؛ ويكون في الوقت ذاته، مرنا في التعامل مع المتغيرات، باعتبارها مجرد أساليب ووسائل وكيف يتوجب أن يكتسبها كلّ جيل ليعبر بها عن عصره وزمانه.

أيها الحضور الكريم؛

إننا مطالبون بالعمل لتحسين مجتمعاتنا، وحمايتها من أيّ انحرافات، وتأهيلها لمواجهة التحديات. ويتعيّن علينا ممارسة المراجعة الواعية لمنهج التلقّي من كتاب الله، وسنة رسوله الهادي، صلى الله عليه وسلم؛ وحسن تمثّل المنهاج القرآني في البناء التربوي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، ندكر بما كتنا أعلنه، في منابر مختلفة، من أنّ أمتنا بحاجة إلى تجديد فقهها، بما يبرز عظمة الإسلام وسماحة تشريعاته، في كافة المجالات، التربوية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية؛ لأنّ الإسلام دين لكل عصر ومصر، وشريعته ربّانية خالدة إلى يوم الدين؛ وسرّ بقائها واستمرارها وصلاحها لكلّ زمان ومكان، يكمن في مرونتها وحيويتها، وتفاعلها ومواكبتها للتغيرات، ومراعاتها لتطوّرات الحياة. والإسلام لا يقف عاجزا أمام ظروف التطور؛ فليس التحجّر والجمود من شيم ديننا الحنيف؛ وهو بريء من كلّ من يقف في وجه التقدم باسم الدين.

إنّ الاجتهاد هو بمثابة الروح للشريعة الإسلامية ومنبع الحياة لفقهها. ولا يعقل أبدا أن تؤدّي الشريعة وظيفتها، وأن يكون لها فقه حيّ ينظّم مصالح البشر باستمرار، دون الاجتهاد. ومن هنا تبرز أهمّية الاجتهاد وأثره في تجديد حياة الأمة الإسلامية، وفعاليتها في النهوض بالمجتمعات الإسلامية.

فالاجتهاد هو مفتاح المسلمين للتكيف مع كلّ تقدّم أو تطوّر في العالم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وحاجتنا إليه اليوم أكبر

بكثير من حاجتنا إليه بالأمس. فهناك كثير من القضايا والمشكلات التي تتجدد كل يوم، وتتطلب الحلّ في ضوء الشريعة الإسلامية. ومبادئها العادلة.

فبتفعيل حركة الاجتهاد، يمكن العلماء ذوي الخبرة بروح الشريعة ومقاصدها، ومبادئها العامّة، وقواعدها الأساسية: أن يشرّعوا الأحكام والقوانين التي تحقّق للأمة مصلحتها، وتلبّي حاجاتها العارضة، ومطالبها المتجدّدة، إذا لم يجدوا لها دليلاً من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

إنّ الفقه الإسلامي لم يضق في الماضي البعيد والقريب عن تقديم الحلول التي تلتزم بشريعة الله، وتتجاوب مع حاجات العصر. ولا ريب أنّ مصالح الناس تتجدّد بتجدّد الزمان، وتختلف باختلاف البيئات؛ ولا سبيل إلى حصرها في عدد معين؛ فإذا لم نعتبر المصالح المتجدّدة، ولم نشرّع لها الأحكام المناسبة، ووقفنا عند المصالح التي قام الدليل على رعايتها، ضاع على الناس كثير من مصالحهم، ووقف التشريع عن مساهمة تطوّرات الحياة؛ وهذا لا يتفق وما قصد بالتشريع من تحقيق مصالح الناس، ودرء المفساد عنهم، ولا يتلاءم مع ما هو مقرّر من أنّ هذه الشريعة شريعة الخلود والبقاء.

والاجتهاد المطلوب يجب أن يرتكز على أصول الدّين وثوابته، وقواعده المقرّرة. ومهمّة تجديد الفقه الإسلامي ليست ميسّرة لكلّ الناس؛ وإنّما يضطلع بها المؤهلون لها؛ وهم العلماء العدول، والثقة من أهل الخبرة والاختصاص، رائدهم الإخلاص لدينهم؛ وتحركهم الغيرة على أمّتهم؛ ولهم معرفة واسعة بقضايا العصر، فضلاً عن رسوخ قدمهم في علوم الإسلام ومعرفتهم بمقاصد رسالته. وهذا ما نجده في الإمام المغيلي وأمثاله من العلماء الرّبانيين الذين جاء وصفهم في الحديث: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

## حضرات السّادة والسّيّدات؛

إنّ حديثاً نقرأه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يمنحنا طاقة من الأمل بأنّ المستقبل للإسلام، مهما يبلغ الفساد، وتتكاثر قوى الشرّ، ويتعاضم طغيان أهل الباطل.

فقد روى سيّدنا أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنّه قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها». أي: بإحياء من اندرس من معالم الدّين، وما انطمس من أحكام الشريعة، وما ذهب من السنن، وما خفي من العلوم الظّاهرة والباطنة. ونحن بحاجة إلى تأكيد هذا المعنى ونشره بين النّاس؛ حتى نقاوم موجات اليأس والقنوط، الّتي عمّت بعض النفوس، فجعلتها تستسلم للذلّ والخضوع والخنوع، بحجّة أنّنا في آخر الزمان، وأنّه لا فائدة ولا رجاء من كلّ جهود الإصلاح.

وممّا نفهمه من الحديث الشريف: أنّ تجديد الدّين يعني تجديد الفهم للدّين، وحسن العمل بمبادئه وتطبيق تشريعاته. وإنّ من يستضيء بنور الله، ويمتدّي بهداية رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ الصواب. والإسلام، بمبادئه السمحة وقيمه السّامية، خير منهج يهتدى به في إصلاح الإنسان وتقويم انحرافه؛ إذا أحسن المسلمون التلقّي من الوحيين، وفق منهج علميّ أصيل، خطّه العلماء الأوّلون، الذين سلكوا نهج الوسطية والاعتدال؛ فلم يحدوا عن مبادئه وقواعده المقرّرة، ولم يقدّموا الفروع على الأصول الثابتة.<sup>(4)</sup>

وفي هذا الجمع المبارك، خير ما نتواصى به تقوى الله عزّ وجلّ؛ فهي العماد، وهي خير زاد. وفي التناصح بين المسلمين يقول الإمام المغيّليّ، رحمه

<sup>(4)</sup> من محاضرة للكاتب في المؤتمر الدّولي بإسطنبول، الموسوم بالاجتهاد والقياس، بتاريخ: 10 و11 ماي 2014م، بعنوان: القياس وموقعه في التصرّو الإسلامي، ودوره في تفعيل حركة الاجتهاد.

الله: «النصيحة مُرّة، لا يقبلها إلاّ من أراد الله به خيرا. انصحوا واقبلوا  
النصيحة؛ فإنّ الدين والدنيا على النصيحة؛ مَنْ قَبَلَهَا صَلَحَ دينه ودنياه؛  
ومن رَدَّهَا فسَدَ دينه ودنياه».

نحن هنا ننتمي إلى مدرسة التصوّف الإسلاميّ، وهذه المدرسة الروحية  
مصدرها القرآن، وهدى من تنزّل عليه القرآن؛ وعمادها العلم والمعرفة؛  
ونهجها سلوك الطريق باستقامة واعتدال.

وعلينا، نحن المنتسبين إليها، أن نعمل لنفي كلّ مدسوس أو دخيل على  
التصوّف الإسلاميّ الأصيل؛ ونكشفُ عن الجاهلين والمبطلين من أذعيائه؛  
ونردّ بالدليل على خصومه وأعدائه.

علينا أن نردّ على المزاعم بأنّ التصوّف نقطة جامعة لكلّ المشارب  
والمذاهب والمعتقدات؛ ونفنّد النظرية القائلة بأنّ التصوّف ظاهرة  
اجتماعية مشتركة، تنسحب على كافّة المجتمعات، بتنوّعها وتعدّدتها؛ فذلك  
من شأنه أن يميّع التصوّف الإسلاميّ، ويفرغه من محتواه، وينزله في غير  
منزلته، وينأى به عن مرجعيته ومفهومه الصّحيح؛ ويجعله مجرد «طقوس»،  
كما يقال، تتشكّل من مفاهيم المجتمعات وممارساتها المختلفة.

التصوّف الإسلاميّ يجمع بين الشريعة والحقيقة، أي بين الإسلام  
والإيمان؛ فهو مقام الإحسان. والطرق الصوفية، وإن تعدّدت أذكارها،  
واختلفت أوراها، فقد اتّحدت معانيها ومقاصدها. فهي في حقيقتها متّحدة،  
مصدرها واحد، وكلّها تهل من منبع واحد؛ وأصلها مرتبة الإحسان؛ كما قال  
الشيخ الطاهر العبيدي، أحد أعلام الطريقة الرحمانية، رحمه الله:

وهي وإن تعدّدت أذكارُها \*\*\* واختلفت، ففي المعاني اتّحدت  
وأصلها مرتبةُ الإحسان \*\*\* أن تعبدَ الله على العيان  
إن لم تكن تراه إنّه يراك \*\*\* فاعملْ على الإخلاص، واحذزما وراك

وفي هذا السياق، ينبغي العمل لنشر مزيد من الوعي في أتباع الطرق  
الصوفية، حتى يزنوا أعمالهم بميزان الشرع الحنيف، ويكونوا؛ في جميع



خطاهم، على مبادئ القرآن الكريم، وهدى النبي المصطفى، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم، بعيدا عن كلّ أغراض وأوضاع تتنافى وجوهراً الإسلام، أو تتعارض مع شريعة الإسلام.<sup>(5)</sup>

أيها الحضور الكريم؛ إنّ مثل هذه الملتقيات العلمية نشهد فيها أوقاتاً مباركة، نقضيها في التعارف والتشاور والتناصح، وفي البحث المستفيض، والدراسة الموضوعية، والمناقشات الجادة، التي تربط ماضي المسلمين المشرق بحاضرهم المتطلّع إلى الانبعاث والتجديد، وترسم معالم مستقبلهم التشريعيّ ونهوضهم الحضاريّ المنشود.

إنّ المسلمين لا تستقيم لهم حياة إلا إذا اعتمدوا الإسلام، في تشريعاتهم وأنظمتهم، وفي تخطيطهم لحاضرهم ومستقبلهم. فلقد كان الإسلام مصدر عزّ الأولين ومجدهم، وعامل تحرّر المتأخّرين ونهضتهم. والغاية المنشودة أن يكونوا في مستوى عظمتهم، مثلما كان أسلافهم؛ وذلك بإخلاص النية، وصدق العزم، وتنسيق الجهود، وتوحيد الأهداف.

نحن المسلمين، لدينا أعظم ذخيرة من القيم الحضارية في المجالات: الروحية والخلقية والعلمية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فإذا أفدنا منها، كما أفاد منها أسلافنا، كان بإمكاننا أن نُسهّم بالحظ الأوفر في إصلاح مجتمعاتنا، بل وفي إصلاح العالم من حولنا، وتقويم مساره، وإنقاذه من المظالم التي طغت على شعوبه، وإشاعة روح التسامح والتعاون في مجتمعاته.

فما أحوج البشرية، كلّ البشرية، إلى هداية الإسلام، لتتحرّر من عبودية الدنيا، وترتقي إلى عبودية الله. هذا، والله نسأل أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا؛ وأن يجمع قلوبنا على التقى ونفوسنا على الهدى، وعزائمنا على الرشد وعلى حبّ الخير وخير العمل. إنّهُ وليّ ذلك والقادر عليه. والحمد لله ربّ العالمين.

<sup>(5)</sup> محاضرة للكاتب في الملتقى الدولي بجامعة الجزائر، بتاريخ: 15/14 جمادى الثانية 1443هـ، الموافق 18/17 جانفي 2022م، بعنوان: التصوّف الإسلامي، المفهوم والممارسة.

## «الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابات النيجيريين: قديما وحديثا»

إعداد الأستاذ الدكتور: ثاني عمر موسي.  
قسم اللغة العربية كلية الآداب والدراسات الإسلامية  
جامعة عثمان بن فودي صكتو صكتو نيجيريا.

### ملخص:

هذه المداخلة بعنوان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابات النيجيريين: قديما وحديثا. عبارة عن ذكر مواضع ورود شخصية الإمام المغيلي وأثرها في كتابات النيجيريين من مؤلفين وباحثين أكاديميين ومساهمين في المجالات العلمية وهي في مقدمة عن مكانة الإمام المغيلي العلمية ونبذة عن حياته ومواضع ذكره في المؤلفات والبحوث الأكاديمية والمجلات، ثم الخاتمة والمراجع. توصلت المداخلة إلى أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني شخصية نشأت في مجتمع إسلامي تربوي، تربي تربية دينية، ثقافية، وصوفية، الأمر الذي هيأه شخصية متميزة غيرة على الإسلام وتعاليمه وكرهه لكل ما يدنس الإسلام وشعائره كما ثبت في نضاله ضد اليهود في بيئته. وتنقله من بين أرجاء المعمورة لنشر الإسلام والإصلاح الاجتماعي. ولقد كان الإمام المغيلي ولا يزال مثالا للمسلم الرشيد والداعية والمصلح بشتى أنواع الإصلاح. وتمثل وصايا المغيلي ورسائله إلى حكام السودان الغربي أليات للحكومة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها على نحو ما شهدنا في رسائله ووصاياها إلى أولئك الملوك. وتمثل شخصية الإمام المغيلي محل إعجاب وتوقير لدى شعوب السودان الغربي بما فيها نيجيريا لما غرس في نفوس أبنائها من علوم نافعة. وللإمام المغيلي منزلة رفيعة عند ملوك السودان الغربي بصفة عامة وملوك نيجيريا بصفة خاصة لما أفادهم به من توجيهات وإرشادات في قيادة رعييتهم.

## **Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī in the writings of Nigerian scholars: Past and present**

### **Abstract:**

This paper titled “Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī in the writings of Nigerian scholars: Past and present” is aimed at illustrating the mention and impact of Imām al-Maghīlī in the works of Nigerians, ranging from books, academic researches and researched papers in academic journals. The paper consists of an introduction on the place of al-Maghīlī, followed by an account on his biography. Thereafter follows mention of Imām al-Maghīlī in the above-mentioned academic works by Nigerians. The paper was concluded with findings namely; Imām al-Maghīlī a distinguished personality was brought up in an enlightened Islamic environment with Sufi orientation which groomed him an Islamic reformer of all facets; spiritual, social, economic, political etc. His wealthy knowledge and strong pithy gave him the courage to fight all forms of evil perpetrated by the Jews and their allies both in his immediate environment and beyond, especially North and West Africa. Subjects and leaders of Sub-Saharan African region benefited from his reform activities as witnessed in Kano, Katsina and Sokoto, where a lot of his ideas and teachings are being studied, cherished and propagated in different fora; such as *Madaris*, *Zawayah* and other institutions of learning.

### **Keywords:**

Imām al-Maghīlī, Sub-Saharan Africa, Nigerian Scholars

بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلى الله على النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين ومن والاهم بإحسان إلى  
يوم الدين

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾  
(فاطر: 28)، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: 9)  
﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: 11)  
﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه  
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (الأحزاب: 23)

وبعد

هذه المداخلة بعنوان «الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابات  
النيجيريين: قديما وحديثا» محاولة لتسليط الضوء على معالم لعلم من  
أعلام الأمة الإسلامية ورمز من رموز الإصلاح بشتى أنواعه الاجتماعي  
والسياسي والديني. تسعى المداخلة إلى الوقوف على شخصية الإمام محمد  
بن عبد الكريم المغيلي في كتابات النيجيريين لما استفاده المجتمع النيجيري  
من خيرات هذه الشخصية الفذة.

تمثل دولة نيجيريا من بين دول السودان الغربي قديما وحديثا أحد  
المناطق المستفيدة من أنوار الشيخ الإمام المغيلي. وأدل على ذلك المادة  
الثقافية التراثية المدونة في مؤلفات علماء هذه الدولة قديما وحديثا، كتبا  
ومجلات وبحوثا.

يعد التراث المغيلي نبراسا يستضاء به في جميع شؤون الحياة من حكم  
واستقرار ووحدة للمجتمعات الإفريقية، بل للعالم بأجمعه. فراي الباحث  
بعد الاطلاع على محور المؤتمر الرئيس والمحور الأول الفرعي أن يقوم بتتبع

كتابات النيجيريين لاستخراج مواطن ذكر هذا الإمام المبجل وما توجي إليه الإشارة إليه.

والمداخلة مقسمة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وثبت للهوامش والمصادر. أما المقدمة فهي بيان عن موضوع المداخلة وحدوده والغاية منها. والمبحث الأول موجز عن حياة الإمام المغيلي. وأما المبحث الثاني فهو عرض لنماذج مواطن ذكر الإمام المغيلي في ثنايا كتابات النيجيريين، من كتب ومجلات وبحوث أكاديمية. ويلي ذلك الخاتمة وثبت الهوامش والمصادر.

## المبحث الأول: نبذة عن حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

### مولده:

لقد جال المؤرخون والكتاب في تاريخ حياة الإمام المغيلي وأثاره، منهم الأستاذ مبروك مقدم أحد أبناء منطقة المغيلي. ذهب الأستاذ المبروك في كتابه إلى أن سيدي محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ولد في مدينة مغيلة التابعة لبلدية ودائرة مغيلة ولاية تيارت حالياً. وذلك في عام 831هـ الموافق لعام 1427م<sup>(1)</sup>. وذهب بعض الباحثين المحققين الجزائريين، منهم الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي من وهران إلى أن مولد الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي كان في تلمسان. (مناقشة مؤتمر الجزائر الدوالي 12-13 ديسمبر 2022م).

وأما الشيخ آدم عبد الله الإلوري النيجيري أحد المتخصصين في تاريخ الإمام المغيلي وأثاره فقد ذكر في التعريف بالإمام المغيلي أنه «الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي» الذي وصفه الشيخ أحمد بابا التمبكتي في «نيل الابتهاج» بأنه خاتمة المحققين، وأحد أذكى العلم الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم في الفهم.<sup>(2)</sup>

لقد تلقى المغيلي دراسته الأولية بتلمسان حيث حفظ القرآن على السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما درس عليه أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وبعض كتب يونس وغيرها من الكتب العلمية. روي أن الإمام المغيلي أتقن دروبا مختلفة من الفنون على مذهب الإمام مالك بن أنس، وقد ساعده على التحصيل ذكاء مفرط ونية صالحة ومكارم أخلاق.<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> مقدم، 2006، ص 7

<sup>(2)</sup> الإلوري، 2012 ص 12

<sup>(3)</sup> مقدم، 2006، ص 7

## مشايخه ومعاصروه وتلاميذه:

قيل بأن الإمام المغيلي أخذ العلم عن أعلام كثيرين من علماء المغرب مثل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، علامة المغرب الشهير والشيخ يحيى بن بدر وأبي العباس الوغليسي. وأما معاصروه فمهم الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي جري بينهما مكاتبات. ومهم الحافظ التونسي والشيخ الرصاع والإمام الحافظ عبد الرحمن السيوطي وأخذ عنه كثير من المغاربة مثل الشيخ أحمد أيدا.

## مؤلفاته:

ومن مؤلفاته التي ذكرها أحمد بابا في كتابه تطريز الدبياج «البدر المنير في علوم التفسير» و«مفتاح النظر في علم الأثر» و«مصباح الأرواح في أصول الفلاح» و«مختصر تلخيص المفتاح وشرحه»<sup>(4)</sup>.

لقد أثر في نفس المغيلي بذور الصوفية وعززها اتصاله بالشيخ العالم سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الذي تتلمذ عليه وزادت المصاهرة بينهما أواصر المودة والقربة، وكان هذا سنة 875هـ. لقد أبدى الإمام المغيلي قلقه على الأمة الإسلامية لما أصابها من نوايب الدهر مثل سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس على يد ملك (قشتالة وارجون) سنة 1492م وسيطرة اليهود على شؤون المسلمين وخاصة في منطقتة التي يعيش فيها.

روي أن الإمام المغيلي خرج من تلمسان لواقعة حدثت بينه وبين اليهود، وارتحل إلى بلاد السودان. إنه دخل مدينة تكدة الواقعة في دولة النيجير حاليا ومكث بها مدة من الزمن حتى أخذ عنه علماءها علوما كثيرة وترك فيها آثارا كثيرة. ثم جاء إلى مدينة كشنة الواقعة في دولة نيجيريا حاليا واجتمع بسلطانها وانتفع به أهلها آخذين عنه علوما غزيرة مما جعل أهل كشنة مفتخرين ومعتزين بالإمام المغيلي.

<sup>(4)</sup> الإلوري، 2012 ص 12-13

ومما زاره الإمام المغيلي من مدن السودان الغربي مدينة كنو الشهيرة، الواقعة حالياً في دولة نيجيريا زار المغيلي هذه المدينة في عهد ملكها الشهير محمد زُلفا بن يعقوب. مكث بها مدة من الزمن حتى تولى القضاء والإمامة والإفتاء بها وأخذ عنه علماءها وتزوج بها وخلف فيها أولاداً، هم أحمد وعيسى والسيد الأبيض. ولا يزال أحفادهم باقين في كانو إلى اليوم.<sup>(5)</sup>  
توفي الإمام المغيلي في «توات» سنة 909هـ رحمة الله عليه.<sup>(6)</sup>

## المبحث الثاني: عرض لمواطن ذكر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وآثاره في كتابات النيجريين

فيما يلي عرض لمواضع ذكر الإمام المغيلي وآثاره في مختلف إنتاجات العلماء النيجريين عبر الفترات المختلفة وانطباع الشعب النيجيري عن هذه الشخصية المثالية.

### أولاً: نماذج من الكتب المنشورة

من الكتب التي ورد فيها ذكر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وآثاره في مناسبات متعددة ما يلي:

1. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. تأليف الإمام محمد بلو بن عثمان بن فودي 1195 هـ إلى 1253 هـ/1779-1837 م. طبع على نفقة الحاج محمد طن إغى، ثاميرُ يَرُو، مدينة صكتو-نيجيريا، بدون تاريخ.  
تناول المؤلف في كتابه تحقيق اسم بلاد «التكرور» (السودان الغربي وتحديد تلك البلاد وترجمة علماء المنطقة بما فيهم والد المؤلف الشيخ عثمان بن فودي ودعوته وغزواته ومؤلفاته ووزرائه وورد الطريقة القادرية وفوائده.  
جاء في الفصل التاسع (ص 50-51) المعنون «في تراجم بعض الأقاليم السبعة» (دور كاشنة وكنو وغوبير وركزك.....) ما نصه:

<sup>(5)</sup> لا الإلوري، 2012 ص 41



ومنهم القاضي محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي. قال أحمد بابا في كفاية المحتاج: عرف بأيد أحمد، بهمزة مفتوحة وياء ساكنة فдал مفتوحة مضافة لاسم أحمد، ومعناه ابن. كان فقيها عالما فهاما محدثا متفنا محصلا، جيد الحفظ: حسن الفهم، كثير المنازعة (التحاور العلمي طلبا للحق والصواب) وقرأ ببلده على جده الفقيه، الحاج أحمد بن عمر وعلى خاله الفقيه الصالح على، ولقى بتكده الامام المغيلي، وحضر دروسه مما يدل على حرصه على العلم وتفقد العلماء أينما كانوا.....<sup>(6)</sup>

ورد في النص المذكور أعلاه المقتبس من كتاب إنفاق الميسور... للشيخ محمد بلو اسم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من ضمن المشايخ الذين أخذ عنهم أبناء منطقة السودان الغربي علومهم، على نحو ما أشار إليه المؤلف، أحد مؤسسي دولة صكتو في كتابه إنفاق الميسور. إن دل هذا على شيء إنما يدل على اعتراف أبناء المنطقة بمكانة الشيخ المغيلي العلمية وحرص الناس على الاستفادة من علمه وتقواه.

مما يلاحظ في محتويات هذا الكتاب ذكر ورد الطريقة القادرية التي طالما تولى نشرها الإمام المغيلي أينما رحل.

2. الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا. تأليف آدام عبد الله الإلوري، مؤسس مركز التعليم الإسلامي أجيبي-نيجيريا. طبع مكتبة وهبة، 1423هـ/2012م. (1336-1413هـ/1917-1992م)

تناول الإلوري في هذا الكتاب حديثا عن المغرب العربي والسودان الغربي ثم عرض مفصلا عن حياة الإمام المغيلي مولدا ونشأة وتأليفا وتوجيها للحكام في الإمارة.

<sup>(6)</sup> عثمان بلا تاريخ ص 50-51

ومما ورد في هذا الكتاب من آثار الإمام المغيلي ما يلي:  
وصية فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله «محمد بن عبد الكريم» التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان (كانو) وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه من أمور دينه، بجاه سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، أنه لا بد من ردع المفسدات الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده مع إمكان رده عنه بسبه أو لعنه أو طعنه أو حبسه أو ضربه أو صلبه أو قتله أو أخذ ماله، أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية فلكل داء دواء، ولكل مقام مقال، بحسب ما يظهر من الأحوال، فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته عنه؛ لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله. وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم وغير ذلك من المحرمات، وامنع كفار بلادك من أن يظهر ذلك كله بين المسلمين في الأسواق والمنازل من المحلات، فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطرا في شهر رمضان، أو زنا أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن لا يفعل مثل فعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى، وأصلهم كان ذلك، وقد قال العلماء: الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب.....<sup>(7)</sup>.

<sup>(7)</sup> الإلوري، 2012 ص 42-45

يلاحظ فيما سبق عرضه من أعمال المغيلي الجبارة في إمارة كانو من القضاء والإمامة والإفتاء أنه مصلح كبير للملوك والرعية على نحو ما شهدنا في بعض وصاياه لأمير كانو محمد رنفا. إن تلك الوصايا قمة في إيجاد الإصلاح في الرعاة والرعية.

3. الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى عام الاستقلال. تأليف علي أبو بكر الدكتور. طبع دار الأمة لوكالة المطبوعات كانو نيجيريا، الطبعة الثانية 1861هـ/2014م.

ورد في هذا الكتاب في الباب الأول بعنوان تاريخ نيجيريا في القرون الوسطى ودخول الإسلام إليها في حديثه عن مملكة صنغاي بجاوو (ص 41، 69، 75) ما نصه: وكذلك خطأ (أسكيا محمد) التعليم خطى واسعة في جامعة سنكوري، وأصبحت قبلة للطلبة في السودان الغربي، وكانت العلوم التي تدرس فيها هي الفقه المالكي، واللغة، والبلاغة، والنحو، والصرف، والمنطق، والتاريخ، والجغرافيا، وعلم الفلك.

ولا نبالغ إذا قلنا إنّ المراكز الإسلامية في السودان الغربي أصبحت صورة مصغرة لحضارة مصر والمغرب، بفضل هذه الزيارة المثمرة التي قام بها إلى القاهرة. ومن بين أساتذة هذه الجامعة من تربطهم صلة قوية بنيجيريا، منهم الشيخ محمد المغيلي التلمساني، العالم السياسي، الذي زار كشننا وكانو واتخذه أمير كانو محمد رمفا مستشارا سياسيا، وألف له كتاب «نصائح الملوك» ثم عاد إلى تمبكتو حيث عينه أسكيا محمد مستشارا سياسيا له أيضا.<sup>(8)</sup>

4. حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا من سنة 1803 إلى 1966م. تأليف الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادني، رئيس جامعة صكتو-نيجيريا وسفير نيجيريا بالمملكة العربية السعودية سابقا، والمرشد للمسجد الجامع الوطني بعاصمة نيجيريا أبوجا حاليا. طبع شركة دار الأمة، كنو-نيجيريا، الطبعة الثالثة 1427هـ/2016م.

<sup>(8)</sup> أبوبكر 2014 ص 41، 69، 75.

تناول المؤلف تمهيدا عن الإسلام واللغة العربية جنوب الصحراء الكبرى والدور الإسلام في نشر اللغة العربية ونشر اللغة العربية في نيجيريا والأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر والأدب العربي النيجيري في القرن العشرين واللغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا.

ورد في هذا الكتاب تحت تقسيم حركة اللغة العربية وأدائها (في نيجيريا) الفترات التاريخية. في حديث المؤلف عن ولاية كانو (ص 31، 39، 41، ) ما نصه: وتعاقت الملوك إلى عهد محمد رمفا 1463-1499 ذلك العهد الذي يستحق الذكر لما حدث فيه من نشاط كثير نحو نشر الإسلام والثقافة العربية، ولكون هذا الملك من أشهر ملوك كانو في تلك القرون. وفي عهده وصلت كانو إلى ذروة شهرتها، فأصبحت مركزا تجاريا هاما لا في نيجيريا فحسب بل في غرب إفريقيا كلها، وفي عهده قام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بزيارة إلى كانو: فاستقبله الملك استقبالا عظيما وأكرمه غاية الإكرام. وكان لهذه الزيارة آثار بالغة في نشر الثقافة الإسلامية في هذه المملكة. وقد اتخذ محمد رمفا هذا الشيخ صديقا أميناً وشیخاً هادياً حتى أصبح المغيلي مستشاراً خاصاً للملك يستشيريه في أمور دينه ودولته. وساعد الشيخ الملك في تأسيس الدولة الإسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة. وأمره بتكوين مجلس استشاري يضم الوزير والقاضي والإمام وبعض رجال الدولة.<sup>(9)</sup>

مما سبق تبدو مكانة الإمام المغيلي في نفوس شعب المنطقة بكونه مؤسساً لدولة إسلامية ومرشداً لملوك المنطقة على نحو ما شهدنا في إمارة كانو. وأي أثر يفوق هذا الأثر في بناء العقول والأرواح على ضوء الشريعة الإسلامية الغراء.

<sup>(9)</sup> غلادني، 2016، ص 31، 39، 41.

## ثانيا: نماذج من المجالات

لقد ورد ذكر الإمام المغيلي وأثاره في عديد من المجالات العلمية الصادرة من الجامعات النيجيرية والمعاهد العليا والمراكز البحثية ومن المتخصصين. من تلك المجالات ما يلي:

1. مجلة دراسات عربية الصادرة من قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كانو. ورد في العدد الخامس الصادر في أكتوبر 2010 (ص 114-135) مقالة بعنوان

«الشيخ محمد المغيلي: حياته وأثاره ونشاطاته في بلاد الهوسا بقلم تكرر محمد إنوا».

تناول الباحث تاريخ دخول الإسلام إلى بلاد هوسا مشيرا إلى أن الإسلام وإن دخل المنطقة قبل وصول المغيلي إليها، إن فضل إحلاله محل الاستقرار في مدينتي كانو وكشنا وما جاورهما يرجع إلى المغيلي، وإليه ينسب نجاح العلماء والوفود التعليمية المتأخرة عنه. لقد أشار الباحث أيضا إلى ما قام به الإمام المغيلي في مدينتي كانو وكشنا من جهود للقضاء على الأمية وإنشاء المدارس والمساجد وتأليف الكتب. لقد نوه الباحث أيضا إلى نشاطات المغيلي الإصلاحية في القضاء على الوثنية والأمر بصلاة الجماعة والجمع والأعياد وعقد الزواج وفق المنهج الشرعي وأمر النساء بالجلابيب ومنعهن من التبرج.<sup>(10)</sup>

2. الصراع الفكري بين الشيخين: المغيلي والسيوطي: نظرات بلاغية. تناول الباحث تعريفا للإمام المغيلي ثم موقفه من علم المنطق والمناظرة بينه وبين الإمام السيوطي في حرمة او جواز علم المنطق، وأبدى مهارة الإمام المغيلي في اللغة العربية.<sup>(11)</sup>

<sup>(10)</sup> إنوا 2010 ص 114، 116، 119، 122

<sup>(11)</sup> أحمد، 2012، 138، 139، 140

3. رسالة الإمام المغيلي إلى سلطان كنو في تحقيق الأمن والسلام «دراسة أدبية». تناول الباحث في المقالة موقع كانو الجغرافي والتجاري والعمراني والديني. ثم تناول حياة الإمام المغيلي في مدينة كانو في عهد الملك محمد رمفا ومقابلته للإمام السيوطي. وتولي التعليم والإمامة والقضاء. ثم فصل القول في رسالة الإمام المغيلي إلى سلطان كانو.<sup>(12)</sup>

### ثالثاً: نماذج البحوث الأكاديمية.

لقد تناول الباحثون في بحوثهم الإمام المغيلي من حيث تاريخه وآثاره الثقافية والإصلاحية مما يظهر مكانة هذه الشخصية المرموقة. من البحوث التي تناولت شخصية المغيلي وآثاره ما يلي:

1. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره السياسي والثقافي في المغرب والسودان الغربي 909/830هـ. بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة في قسم التاريخ والحضارة، بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر. إعداد الطالب محمد عثمان أبوبكر تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الشيخ عبد الوهاب فضل، أستاذ التاريخ والحضارة المساعد. تناول الباحث في رسالته الخلفية الجغرافية لبلاد المغرب والسودان الغربي ومولد الشيخ المغيلي ونشأته وحياته العلمية وجهوده في المجال السياسي في بلاد المغرب والسودان الغربي، وناقش الباحث أيضاً جهود المغيلي في المجال الثقافي في بلاد المغرب والسودان الغربي.
2. عوامل تطور اللغة العربية في مدينة ميدغري- ولاية برنو- في القرن العشرين. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في شعبة اللغة العربية بجامعة ولاية نصرأوا كفي نيجيريا. إعداد الطالب أحمد محمد هارون إشراف الدكتور محمد غمبو حمزة (2012).

<sup>(12)</sup> أحمد، 2020، 378، 279، 380

ورد في هذا البحث (ص 32-33) في الحديث عن الطريقة القادرية ما نصه: أما في بلادنا (غرب إفريقيا) فقد اهتم بنشرها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ثم الشيخ أحمد البكاء الكنتي وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد انتشرت بشكل واضح في نيجيريا على يد الشيخ المختار الكنتي في الفترة ما بين (1780-1799).

## الخاتمة:

فيما سبق تم عرض شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وما يتعلق به من مولد ونشأة وتعلم وتعليم وتوجيه للمجتمعات المغربية والسودانية الغربية في كتابات النيجيريين من مؤلفات قديمة وحديثة ومقالات منشورة في مجلات أكاديمية وبحوث مجرة في جامعات نيجيرية وغيرها.

لقد توصلت المداخلة إلى نتائج أبرزها ما يلي:

- إن الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم التلمساني شخصية نشأت في مجتمع إسلامي تربوي حيث تربي تربية دينية، ثقافية، وصوفية، الأمر الذي هيأه شخصية متميزة غيورة على الإسلام وتعاليمه وكارهة لكل ما يدنس الإسلام وشعائره، كما ثبت ذلك في نضاله ضد اليهود في بيئته. ونراه أيضا يتنقل من بين أرجاء المعمورة لنشر الإسلام والإصلاح الاجتماعي.
- لقد كان الإمام المغيلي ولا يزال مثالا للمسلم الرشيد والداعية والمصلح بشتى أنواع الإصلاح.
- تمثل وصايا الإمام المغيلي ورسائله إلى حكام السودان الغربي آليات للحكومة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها على نحو ما شهدنا في رسائله ووصاياها إلى أولئك الملوك.

- تمثل شخصية الإمام المغيلي محل إعجاب وتوقير لدى شعوب السودان الغربي بما فيها نيجيريا لما غرس في نفوس أبنائها من علوم نافعة لا تزال حية تدرس في المعاهد العلمية الأهلية والنظامية من أقسام للدراسات الإسلامية والعربية والدهاليز والزوايا.
- للإمام المغيلي منزلة رفيعة عند ملوك السودان الغربي عامة وملوك نيجيريا خاصة لما أفادهم به من توجيهات وإرشادات في قيادة رعيّتهم.



## قائمة المصادر والمراجع:

1. أبوبكر محمد عثمان، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره السياسي والثقافي في المغرب والسودان الغربي 909/830هـ، (ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، 1991م) ص 41، 69، 75.
2. آدم عبد الله الإلوري الشيخ، الإمام المغيلي وأثره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى فينيجيريا. (أجيبي-نيجيريا، مكتبة وهبة المطبعة الأولى، 2012م) ص 12، 13، 14، 41، 42-45.
3. آدم عبد الله الإلوري الشيخ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب إفريقيا والجد الأعلى للشهيد أحمد بلو (بلا مطبعة) ص 50-51، 88-89.
4. إنوا محمد تكرر «الشيخ محمد بن العبد الكريم المغيلي: حياته ونشاطاته في بلاد الهوسا»، مجلة دراسات عربية يصدرها قسم اللغة العربية، عدد الخامس من السلسلة الجديدة (كانو، مطبعة المندوبي العربية، 5 أكتوبر، 2010م) ص 119-122.
5. شيخو أحمد سعيد غلادني، الدكتور، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 إلى سنة 1966م، (كانو، شركة دار الأمة، 2016م) ص 31، 39، 41.
6. علي أبوبكر، الدكتو الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام استقلال، (كانو، دار الأمة، 2014م). ص 31، 39، 41.
7. مبروك مقدم الأستاذ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة – الخامس عشر للميلاد. (وهران الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006م). ص 7.
8. محمد بلو بن عثمان بن فودي الإمام، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. (كانو، طبع على نفقة الحاج محمد طن إغني تَامِيَرُ يَزُو صكتو-نيجيريا)، ص 50-51.
9. أحمد محمد، هارون، «عوامل تطور اللغة العربية في مدينة ميدوغري ولاية برنو في القرن العشرين» (ماجستير، جامعة ولاية نصرأوا كفي نيجيريا، 2012م) ص 32-33.
10. أ.د عبد الله حمادي الإدريسي، (مناقشة مداخلات مؤتمر الجزائر الدولي: الإمام المغيلي 2022م)

# الإمام المغيلي في الكتابات الغربية

## - عرض وتوصيف -

الدكتور الطاهر عبو

الجامعة الإفريقية أحمد دريعة - أدرار - الجزائر

ملخص:

نهدف من خلال هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على ما كتبه مجموعة من المؤلفين الغربيين حول شخصية الإمام المغيلي ومواقفه وآرائه خاصة ما تعلق منها بتعامله مع أهل الذمة. هذه المسألة التي أسالت الكثير من الحبر في ما يعرف بنازلة يهود توات وما ترتب عليها من أحداث سياسية انتهت بزوال اليهود من المنطقة. من خلال هذه الورقة البحثية سنحاول دراسة بعض ما جاء في الكتابات الغربية في هذا الموضوع وتحليلها في محاولة لمعرفة الأسباب الحقيقية لاختفاء اليهود في منطقة توات. خلص البحث إلى أن هناك شبه إجماع في الكتابات الغربية على تعرض يهود توات إلى إبادة من قبل الإمام المغيلي وأنصاره أدت إلى زوالهم، وأن التحامل على شخص الإمام المغيلي في الكتابات الغربية ووصفه بالتشدد والتطرف ومعاداة اليهود نابع من خلفيات دينية وإيديولوجية، كما أن اختفاء اليهود لم يكن بسبب إبادة جماعية تعرضوا لها على يد الإمام المغيلي وأنصاره، إنما كان ذلك لأسباب اقتصادية حصلت مع نهاية القرن الخامس عشر.

الكلمات المفتاحية:

الإمام المغيلي، توات، يهود توات، الكتابات الغربية، إبادة يهود توات

## **Imām al-Maghīlī in the Western Writings**

### **-Description and Analysis-**

#### **Abstract :**

This paper aims at shedding light on the writings of the western authors on the personality of Imām al-Maghīlī and his positions particularly with regard to the *Dhimmi*s, an Arabic word meaning the non-Muslims, who were permitted to dwell in the land of Islam. Much ink has been spilled on this issue which is known by *Nazilet* the Jews of Tuāt, and its political consequences which ended by the disappearance of the Jews from the region. In this paper, we examine the writings of the western authors on this issue to understand the reasons of the disappearance of the Jews from the region. The research concluded that there is almost unanimity in Western writings that the Jews were subjected to extermination by Imām al-Maghīlī and his supporters which led to their demise, and that the prejudice against the person of Imām al-Maghīlī in the Western writings, describing him as extremist and anti-Jewishness stems from religious and ideological backgrounds, and the disappearance of the Jews was not because of the genocide they were subjected to at the hands of Imām al-Maghīlī and his supporters, but because of economic reasons that occurred at the end of the fifteenth century.

#### **Keywords:**

Imām al-Maghīlī, Tuāt, The Jews of Tuāt, Western Writings, The Extermination of the Jews of Tuāt.

نتناول في هذه الورقة البحثية عينة من الكتابات الغربية حول شخصية الإمام المغيلي كمجدد ومصلح، وأيضا مواقفه من أهل الذمة. هذه المسألة التي أسالت الكثير من الحبر من خلال العشرات من المقالات الأكاديمية والكتب ورسائل الماجستير والدكتوراه، وهذا دليل على الأثر الكبير الذي خلفه الإمام المغيلي خلال مسيرته الإصلاحية والدعوية.

إنّ الإمام بكل الدراسات الغربية أمر مستحيل لغزارتها وتنوع مصادرها، لذلك سوف نقتصر في هذا البحث على عينة بسيطة لكنها نوعية باعتبار أن مؤلفيها من أبرز المتخصصين في الشأن المغيلي. تضم هذه العينة مجموعة من الكتاب الفرنكفونيين مثل أوغيست شيربونو، ألفرد جورج بول مارتن، بول مارتني ومجموعة من الكتاب الانجلوسكسونيين مثل جون هانويك، إدوارد بوفيل، فاسيليوس سيروس، فرانسيس رينل رود والسير ريشموند بالمر. سننتهج المقاربة التحليلية في دراسة هذه الكتابات للوصول إلى استنتاجات حول بعض المسائل التي ركزت عليها هذه الكتابات خاصة ما تعلق منها بوصفه بالتشدد والتطرف ومعادات اليهود ومسؤوليته عن ما سمي بإبادة يهود توات، سنناقش من خلالها مدى صحة هذا الادعاء مستدلين ببعض القرائن والحجج التاريخية.

تشابهت في كثير من الأحيان الكتابات الغربية بخصوص الإمام المغيلي بسبب قراءتها للمصادر الأولية (المخطوطات) بطريقة منحازة لإيديوجيات وخلفيات دينية معينة، لكنها وبالمقابل تجمع على ذكر دوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية، بالإضافة لوضعه أسس السياسة الشرعية ومبادئ الحكم الراشد في ممالك الهوسا وغرب إفريقيا؛ حيث يقول المستكشف الألماني هاينرتش بارث (1821 – 1865) في كتابه «رحلات واستكشافات في شمال ووسط إفريقيا».

إنَّ المغيلي هو من أدخل الإسلام لبلاد السودان باستثناء بورنو وقد أنشأ عدد أماكن للعبادة في المناطق التي مر بها خلال تواجده بشمال النيجر وممالك الهوسا وغرب إفريقيا.<sup>(1)</sup> في ذات السياق، يقول بول مارتى Paul Marty: «إن الشيخ المغيلي هو من أدخل الطريقة القادرية إلى غرب إفريقيا»<sup>(2)</sup>. أما فرنسيس رينل رود Francis Rennell Rodd فيقول من خلال رحلته في منطقة الأهير: «إن شعب الأهير ينتمون للمذهب المالكي بفضل تعاليم زعيم كبير كان من بينهم خلال بداية القرن السادس عشر اسمه محمد بن عبد الكريم المغيلي المكنى بالبغدادي. هذه الكنية كان يطلقها شعب الأهير على كل من جاء من المشرق، وقد تكون أطلقت عليه لكونه من أتباع الطريقة القادرية وبالتالي تمت نسبته لمؤسس الطريقة القادرية الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني البغدادي».<sup>(3)</sup> الباحث فاسيليوس سيروس Vasileios Syros من الأكاديمية الفنلندية، يقول: «إن كتابات الشيخ المغيلي أثارت إعجاب الحكام المسلمين وأيضاً المصلحين المجددين مثل عثمان بن فودي، ويضيف أن الإدارة الاستعمارية البريطانية، على لسان السير هيربرت ريتشموند بالمر Sir Herbert Richmond Palmer الذي عُين حاكماً للأقاليم الشمالية لنيجيريا، عندما قرأ مخطوط «تاج الدين»، قال: «إن البرنامج السياسي للشيخ المغيلي هو عبارة عن تبلور لأكثر تقاليد الملكية الإسلامية حيوية، واعترف بقيمته الكبيرة كأداة لاستقطاب ولاء السكان المحليين».<sup>(4)</sup>

(1) Henrich Barth, *Travels and Discoveries in North and Central Africa*, London, 1965, Vol. I, p. 310.

(2) Paul Marty, *Etudes sur l'islam et les Tribus du Soudan*, Ome I, Paris, Editions Ernest Leroux, 1920, p.21

(3) Francis Rennell Rodd, *People of the Veil*, London, 1926, p.291.

(4) Vasileios Syros, *Behind Every Great Reformer There Is a "Machiavelli": al-Maghili, Machiavelli, and the Micro-Politics of an Early Modern African and an Italian City-State*, *Philosophy East and West*, October 2015 Vol. 65, No. 4, p. 1119.

أوغيست شيربونو في مقال له بعنوان: «تاريخ الأدب العربي في السودان»  
يقدم ترجمة للإمام المغيلي بعنوان: «محمد المغيلي التمبكتي الداعية وأستاذ  
القانون الإسلامي بالسودان خلال القرن الخامس عشر».<sup>(5)</sup>

أول ملاحظة يمكن أن تلفت الانتباه وهي النسبة؛ حيث إن المؤلف نسب  
الإمام المغيلي إلى تمبكتو مع أن النسبة التي يعرف بها هي التلمساني  
الجزائري ليتدارك في الصفحة الثالثة في تقديم الإمام المغيلي ويقول: «محمد  
بن عبد الكريم وحفيد محمد المغيلي وهو من تلمسان». يضيف شيربونو  
«تميز المغيلي بذكاء غير عادي وشغف لدراسة العقيدة وقد تميز بالتقوى  
بقدر ما يميزه سعة الاطلاع. ومن الجدير بالذكر أن جهوده في المنطق لم  
تنقص أبداً من احترامه وحبه الشديد للسنة النبوية وكرهيته للكفار».

تعرض تشيربونو إلى نازلة يهود توات في ترجمته للإمام المغيلي وأشار إلى  
أنه وبعد وصول ردّ الشيخ محمد بن عبد الجليل إمام تنس المؤيد له في فكرة  
هدم كنيس اليهود، شرع الإمام المغيلي في تعبئة أنصاره، وقد رصد منحة  
تقدر بسبعة مثاقيل<sup>(6)</sup> ذهب لكل من يقتل يهودياً.<sup>(7)</sup> لو احتسبنا قيمة  
المكافأة التي رصدها الشيخ المغيلي عن قتل كل يهودي بعملة زمننا هذا  
لوجدناها تساوي تقريباً 875 دولار دون أخذ عامل التضخم بعين الاعتبار،  
وهذا المبلغ كبير جداً، والشيخ المغيلي لم يكن ثرياً ولم يرث ثروة عن والده،  
وبالتالي مسألة المكافأة عن قتل كل يهودي تطرح تساؤلاً مهماً يتمثل عن  
مصدر الأموال التي يزعم المؤلف أن المغيلي كان يدفعها لهذا الغرض. لو  
افترضنا أن ذلك صحيح، فهذا يعني أنه كانت لليهود حصانة كبيرة، بمعنى  
أنه لم يكن من السهل الوصول إليهم، لذلك كانت المكافأة كبيرة.

<sup>(5)</sup> M. A. Cherbonneau, *Littérature Arabe au Soudan*, Journal Asiatique, Paris, 1855, pp. 391-398

<sup>(6)</sup> المثقال يعادل 4,25 جرام لكن تتم معادلته بـ 5 جرام، فإذا كان سعر الذهب 10 قيراط حالياً يساوي 25 دولار، فإن 7 مثاقيل تساوي 35 جرام وتبلغ قيمتها 875 دولار  
<sup>(7)</sup> Cherbonneau, Op. Cit., p. 5

يقول شيربونو إنه وبعد الإبادة الفظيعة(!؟) لليهود غادر المغيلي توات ليتوغل في قلب السودان، حيث مر تواليا بكل من تكرا Tekra، كاتشينا Kachéna وكانو Kanou حيث درّس علوم القرآن في الأوليين، أما في المدينة الثالثة فدرّس الفقه، ومنها مضى نحو كارو Kar'ou أو تشيارو Tchiarou حسب النطق المحلي، حيث استضافه الحاج محمد الذي كان حاكماً (ويقصد المؤلف هنا الأسقيا محمد الكبير ملك سنغاي)، هناك أُلّف مخطوطة تتضمن أجوبة عن أسئلة مختلفة في القانون الشرعي. يضيف شيربونو، هناك وصله خبر مقتل ابنه من طرف يهود توات. بعد وصول الخبر، عاد مباشرة إلى توات وتوفي بعد وصوله بوقت قصير. ويشاع أن أحد اليهود بال على قبره وأصيب بالعمى في حينه. هذه الحادثة نقلها المؤلف عن أحمد بابا التمبكتي في مخطوطه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج».

دائماً حسب تشربونو فقد كان الإمام المغيلي في علاقته لعلماء عصره يتميز بجرأة لافتة مشحونة بحماسة شرسة لعقيدة القرآن، وقد استخدم فصاحته لجر سكان الصحراء للتطرف وربما يكون ذلك بداية ظهور التطرف الديني، الذي أغلق مزايا الحضارة على وسط إفريقيا بصد ودحر أكثر الأجناس استنارة وحضارة (يقصد بذلك الأوروبيين)؟! هذه الشهادة تمثل افتراءً صريحاً على شخص الإمام المغيلي، والدليل على ذلك أن غرب إفريقيا كان مركزاً مزدهراً للعلوم بشتى أصنافها، ولعل ثالث الحضارة والعلوم المتمثل في مسجد جنغريبر وسيدي يحيى وجامعة سنكوري يتمبكتو من أكبر الشواهد الدالة على ذلك، وقد كانت جامعة سنكوري بتنبكتو تضم في أوج إزدهارها ما يقارب 25 ألف طالب من شتى أنحاء إفريقيا ومن خارجها<sup>(8)</sup>، وقد استمر إشعاع هذا الصرح العلمي الحضاري إلى أواخر القرن السادس عشر بعد أن تم غزو تمبكتو من طرف السلطان أحمد المنصور

---

<sup>(8)</sup> Tahar ABBOU, Timbuktu: Aparamount Mediaeval Centre of Trade and Knowledge, Rufuf, N°1, p. 25, 2013.

الذهبي، بعدما أرسل جيشا قوامه 20 ألف مقاتل بقيادة جودار باشا مع نهاية سنة 1590<sup>(9)</sup>، مما حقق جيش المنصور انتصارا ساحقا على الملك إسحاق الثاني بفضل تفوقهم في العتاد واستعمالهم للأسلحة النارية التي لم تكن معروفة لدى الطرف الآخر. حسب فيليكس ديبوا«فإن المغاربة (جيش المنصور) أجهز بلا رحمة على الحشد المحبط من جيش إسحاق الثاني بالسيوف، حتى أولئك الذين كانوا يصرخون 'نحن مسلمون، نحن إخوانكم في الدين'. يقول فيليكس ديبوا:

"Les Marocains sabrèrent impitoyablement cette foule démoralisée, même ceux qui criaient: «Nous sommes des musulmans ! Nous sommes vos frères en religion."<sup>(10)</sup>

تم نهب كل من وقعت عليه يد جيش المنصور من مخطوطات في الطب، والفلك، والرياضيات والفقهاء وغيرها من أصناف العلوم، لم يكتف جيش المنصور الذهبي بذلك فقد قام بترحيل خيرة علماء تمبكتو قسراً إلى مراكش، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أحمد بابا التمبكتي، أحد أبرز علماء أسرة أقيت.

بعد هذا الغزو جاء توسع من وصفهم شربونو بالمستنيرين للقضاء على ما تبقى من مظاهر الحضارة بغرب إفريقيا بنهب وحرق المخطوطات العربية. كمثال على ذلك، فقد تم نهب محتويات خزانه الشيخ سيدي الحاج عمر بن سعيد الفوتي تال التيجاني سلطان مملكة فوتا تورو (1797-1865) بأكملها من قبل الفرنسيين، وهي موجودة الآن في جناح يسمى المكتبة العمرية في المكتبة الوطنية بفرنسا.

---

<sup>(9)</sup> A.G.P. Martin, Quatre Siècle d'Histoire Marocaine, Librairie Félix Alcan, Paris, 1923, p.37

<sup>(10)</sup> Felix Dubois, Tomboctou la Mystérieuse, Edition du Figaro, Paris, 1897, p. 145.



المؤلف الموالي الذي تناول سيرة الإمام المغيلي وأعماله بطريقة لافتة هو المستشرق البريطاني جون أوين هانويك (1936-2015). وتعد أعماله مصدرا للعديد من الأكاديميين الذين تناولوا مسألة يهود توات ومواقف الشيخ المغيلي من الذميين. على سبيل المثال، تقول الأكاديمية الأمريكية غلاين ليدون نقلا عنه دون زيادة أو نقصان:

“The year 1492 marked the ruthless massacre of the Jewish community of Tuāt and the destruction of their synagogue in Tamentit. The pogrom was instigated by Imām Muḥammad b. ‘AbdulKarīm al-Maghīlī, who along with several other Muslim scholars, wrote fatwas expressing violent anti-Semitism, calling on Muslims to ‘rise up and kill the Jews.”<sup>(11)</sup>

الترجمة: «شهد عام 1492 مذبحه وحشية (!؟) ضد الجالية اليهودية في توات وتدمير كنيسهم في تمطيط، هذه المذبحة حرض عليها محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كتب ومجموعة من العلماء المسلمين فتاوى تدعو إلى معادات السامية بعنف، وتدعو المسلمين إلى الانتفاض وقتل اليهود».

تناول هانويك نازلة يهود توات ومواقف الشيخ المغيلي من الذميين في العديد من أعماله، نذكر منها رسالته لنيل شهادة الدكتوراة<sup>(12)</sup>، بالإضافة للمقال والكتاب الذين ستناولهما في هذه الورقة البحثية. يصف جون

---

<sup>(11)</sup> Ghislaine Lydon, *On Trans-Saharan Trails Islamic Law Trade Networks and Cross-Cultural Exchange in Nineteenth-Century Western Africa*, Cambridge University Press, 2009, p. 87.

<sup>(12)</sup> Hunwick, John O.: *al-Maghīlī’s Replies to the Questions of Askia Al-Hajj Muhammad*. Edited and Translated with an Introduction on the History of Islam in the Niger Bend to 1500, PhD dissertation, University of London 1974.

هانويك الإمام المغيلي برجل الدين المتطرف مستدلاً بآراء فقهية تتعلق بمعاملة لأهل الذمة من اليهود. يضيف هانويك «لعل مشاعر معاداة اليهود لديه بدأت منذ كان معاشاً لهم في تلمسان»<sup>(13)</sup>. وقد ركز هانويك في كتابه على إبادة الجالية اليهودية في تمنطيط من طرف الإمام المغيلي كما أشار إلى أنه وقبل هذه الحادثة، قام بنفس التصرف مع يهود قورارة عندما حل بها في أول محطة له بالصحراء حيث يقول:

“al-Maghīlī may have even taken part in the pillaging and killing of Jews in the other nearby Saharan Oasis of Gourara in 1492.”<sup>(14)</sup>

الترجمة: «المغيلي يكون أيضاً من المحتمل أنه شارك في أعمال النهب والقتل (!؟) التي طالت يهود الواحة الصحراوية المجاورة في قورارة سنة 1492».

هذه الحادثة ذكرت في مصدر وحيد هو كتاب "وصف إفريقيا" الجزء الثاني لحسن الوزان Leo Africanus حيث يقول:

“Il y avait au Tegorarīn quelques Juifs très riches. L'intervention d'un prédicateur de Tlemcen (al-Maghīlī) a provoqué le pillage de leurs biens et la plupart ont été massacrés par la population. Cet événement a eu lieu l'année ou les Juifs ont été chassés d'Espagne et de Sicile par le Roi Catholique.”<sup>(15)</sup>

الترجمة: «كان في تيقورارين بعض اليهود الأثرياء فتدخل أحد الدعاة من تلمسان وتسبب في نهب ممتلكاتهم، ومعظمهم قتل من طرف

---

<sup>(13)</sup> John Hunwick, Jews of a Saharan Oasis – Elimination of The Tamantit Community, Markus Wiener Publishers Princeton, p. 11, 2006.

<sup>(14)</sup> Hunwick, Op. Cit., p. 64. & Hunwick, al-Maghīlī and the Jews of Tuāt: The Demise of a Community, Studia Islamica, No. 61, 1985, p.161, 155-183.

<sup>(15)</sup> Jean- Leon L'Africain, Description de L'Afrique (Traduction de A. Epaulard), Tome II, p. 436, Paris, 1981.

السكان(?!). هذا الحدث جرى في السنة التي تم فيها طرد اليهود من إسبانيا ومن صقلية من طرف الملك الكاثوليكي».

بالنسبة لحادثة إبادة يهود قورارة التي جاءت في كتاب هانويك أيضا تحتاج إلى تدقيق، ذلك أنها لم ترد في أي من المصادر التي تناولت تاريخ المنطقة مثل «الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى» لأحمد بن خالد الناصري أو «مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا" لعبد العزيز الفشتالي ولا في «البيسط في أخبار تمنطيط" لابن بابا حيدة، المصدر الوحيد الذي تناول هذه الحادثة حسب ما اطلعت عليه من مصادر هو «وصف إفريقيا" لليون الإفريقي، كما ذكرنا سابقا، وهو المصدر نفسه الذي نقل عنه هانويك.

ادوارد وليام بوفيل (1892-1966) أحد المؤرخين البارزين في تاريخ غرب إفريقيا، يقول عن الشيخ المغيلي إنه رجل علم يعرف بالبغداداي من مواليد تلمسان قرب وهران عاش لبعض الوقت بتوات ثم انتقل إلى شمال النيجر، ويقال إنه هو من نشر الإسلام بين الطوارق، يضيف بوفيل:

"A massacre of the Jews was attributed to the fervour of his preaching. But the austerity of the code which he endeavoured to impose on the people proved intolerable to this small Saharan community, who rose against him and drove him out"<sup>(16)</sup>.

الترجمة: «مذبحة يهود توات(?! ) كانت بسبب حماسة خطاباته الدينية<sup>(17)</sup>، لكن القانون الصارم الذي سعى لفرضه على الناس ضاقوا به ذرعاً مما أدى إلى الانتفاضة ضده وطرده».

---

<sup>(16)</sup> E.W. Bovill, Mohammed al-Maghili, Journal of the Royal African Society, Jan., 1935, Vol. 34, No. 134, p.28.

<sup>(17)</sup> ورد في مخطوط "أحكام أهل الذمة" للإمام المغيلي: "فوالذي نفسي بيده لقتل يهودي واحد منهم أعظم أجرا من غزوة في أرض المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم وانهبوا أموالهم وأسبوا أولادهم ونسأؤهم في كل مكان حتى يدعنوا للأحكام

لم يذكر بوفيل مصدر هذه المعلومة المتعلقة بالانتفاضة ضد الإمام المغيلي وطرده، ومعظم المصادر تتفق على أنه غادر توات طواعية بغية نشر الدعوة الإسلامية في ممالك الهوسا وغرب إفريقيا. الشعور بالتذمر من التعاليم الصارمة من قبل المجددين والمصلحين من قبل المجتمعات الغارقة في الجهل والضلال أمر طبيعي، وهناك أمثلة حصلت لدعاة ومجددين نذكر منهم عبد الله بن ياسين حين أمر بتطبيق الحدود الشرعية في السرقة والقتل والزنا، رفض أهل جدالة وصنهاجة ذلك وهددوه بالقتل إن لم يترك البلد. وحصل ذلك -أيضا- مع المجدد والمصلح الشيخ عثمان بن فودي حيث لم يستتب له الأمر ويؤسس الخلافة الإسلامية في صوكوتو إلا بعد جهاد مرير بسبب رفض أفكاره الإصلاحية. وعليه، فإن الشيخ المغيلي -أيضا- وجد معارضة ومقاومة لأفكاره الإصلاحية من قبل أصحاب المصالح ومن أفراد المجتمع الغارقين في الجهل والضلالة. يدعم هذا الرأي الباحث مبارك جعفري حيث يقول: إن الشيخ المغيلي من خلال تجربته مع سكان قورارة، توات وأهير بشمال النيجر أدرك عدم فعالية استراتيجيته في الدعوة والإصلاح؛ حيث كانت تعتمد على البدء بالقاعدة للوصول إلى القمة، لذلك عندما رحل إلى ممالك الهوسا وسنغاي غير استراتيجيته في الدعوة بالبدء بالقمة (السلطان) للوصول إلى القاعدة (الرعية)، حققت هذه الاستراتيجية نجاحا باهرا لا تزال نتائجها ظاهرة جلية إلى يومنا هذا.<sup>(18)</sup>

يقول بوفيل -أيضاً-: إنه وبينما كان المغيلي بغاو بمملكة سنغاي عند الملك محمد الأسقيا الكبير وصله نبأ مقتل ابنه من طرف اليهود الناجين من

---

الشرعية أتم إذعان إنما الجزية والصغار مقمعة لشر هؤلاء الأشرار وسلاسل وأغلال يطوفون بها في سائر الأقطار على مرور الأعصار إظهارا لشرف النبي المختار" المصدر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، مخطوط «أحكام أهل الذمة» ص.3

<sup>(18)</sup> مبارك جعفري، مقابلة بجامعة أدرار بتاريخ 2022/10/14، المحاور: عبو الطاهر

المذبحة.<sup>(19)</sup> هنا نتساءل هل بإمكان شلة من اليهود المستضعفين الناجين من المذبحة، إذا سلمنا بوقوعها، أن يتجرؤوا على قتل ابن المغيلي؟

من بين الكتاب الغربيين الذين تناولو سيرة وأعمال المغيلي نجد أيضاً:

Alferd Georges Paul Martin في كتابه Les Oasis Sahariennes (Gourara - Touat- Tidikelt)

الفرد جورج بول مارتن (1863-1938) ضابط فرنسي قام بأبحاث دقيقة ومفصلة عن مناطق قورارة، توات وتيدكلت، إلا أن كتاباته يجب أن تقرأ بكثير من الحيطة والحذر لأنها وبحكم منصبه وخلفياته الدينية تخدم وجهة النظر الكولونيالية. فقد بلغ به الحد إلى التشكيك في الاسم الحقيقي للشيخ المغيلي، حيث يقول إن اسمه الحقيقي هو موسى بن عيسى<sup>(20)</sup> لأنه وحسب زعمه في المجتمعات الإسلامية عندما يجهل أحد اسم شخص ما، يناديه «يا محمد» فكان الناس يجهلون اسمه لذلك كانوا ينادونه بمحمد وهكذا اكتسب هذا الاسم. هذا الزعم بعيد كل البعد عن المنطق، إذ كيف يعقل أن يجهل الناس اسم المغيلي، وقد كان متميزاً منذ نعومة أظافره ولم يكن أبداً نكرة. هذا الادعاء لم يرد عند أي من المؤرخين سواءً ممن عاصروه أو ممن جاؤوا من بعده، بالتالي فهي مغالطة ترمي إلى التقليل من شأن الإمام المغيلي فحسب.

يقول مارتن إن الشيخ المغيلي وصل إلى توات سنة 1479، نزل بقصر أولاد يعقوب، لينتقل بعدها بقليل إلى قصر بوعلي بتوات الحنة، أين أسس زاويته الموجودة إلى الآن.<sup>(21)</sup> يشير مارتن إلى قيام الشيخ المغيلي بهدم كنيس

---

<sup>(19)</sup> A.G.P. Martin, les Oasis Sahariennes (Gourara- Touat- Tidikelt) Edition de L'Imprimerie Algérienne, Alger, 1980, pp. 29-30.

<sup>(20)</sup> Martin, Op. Cit., p. 128.

<sup>(21)</sup> Ibid., p. 124.

تمنطيط وإلى أنه رصد مكافأة بسبعة مئتا قيل ذهب عن قتل كل يهودي.<sup>(22)</sup>  
الجديد في ما جاء به مارتن هو أنه تحدث عن الرواية الشعبية لأسباب  
الصراع بين الشيخ المغيلي واليهود وهي تختلف عن الرواية المترتبة عن نازلة  
يهود توات.

يقول مارتن إنه من وخلال وثيقة مخطوطة تتضمن أحداث المنطقة  
مؤرخة في عام 1595: «علمت من سيدي محمد الطيب بن موسى أن والده  
الطالب موسى قال له: عندما وصل الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم  
المغيلي إلى توات كان السكان غارقين في الجهل لا يعترفون بأمر ولا بقانون  
وكان يطغى عليهم الشعور بالكبرياء وازدراء العلم ولقد كرموا اليهود وتأثروا  
بهم، لذلك قرر الشيخ المغيلي أن يببدهم. ذات يوم كان ضيفاً على سيدي  
محمد عبد الجبار بقصر تاخفيف وبينهما هم جلوس مر عليهم نفر من  
اليهود يركبون احمره دون أن يلقوا عليهم بالتحية عند عودتهم لمنزلهم بعد  
أن فرغوا من أعمالهم خارج القصر، مروا ثانية على الشيخ المغيلي ومن كان  
معه من أعيان القصر دون أن ينزلوا من على أحمرتهم ودون أن يلقوا التحية  
فقام مبروك بن أحمد وهو من أعيان القصر وقام بضرب اليهود وألقى حفن  
من التراب على وجوههم بسبب ما أظهره من احتقار للشيخ المغيلي  
والحاضرين معه، لكن الشيخ الصديق بن عبد الرحمان قام منحازاً لليهود،  
حيث زجر قريبه مبروك بن أحمد على تصرفه ضد اليهود، ومنه كانت هذه  
الحادثة بداية لموجة من الخلافات والمشاجرات التي زعزت استقرار القصر  
وامتدت لتشمل قصورا أخرى بتوات.

دعا الشيخ المغيلي باللعنة الإلهية على الشيخ الصديق وأنصاره وقد  
هلكوا جميعاً في الشهر الموالي ببركة دعاء الشيخ المغيلي عليهم، كما دعا  
الشيخ المغيلي على اليهود ومن يؤازرهم ودعا إلى هدر دمائهم. كتبت

---

<sup>(22)</sup> Ibid., p. 127.

المخطوطة في الليلة السادسة من ربيع النبي لسنة 1003 الموافق لـ 1595 من طرف عبد ربه تعالى محمد عبد الهادي بن عبد الله السباعي ونسخت في 27 شوال 1126 الموافق لـ 5 نوفمبر 1714 من طرف عبد ربه تعالى مبارك بن علي المناصري.<sup>(23)</sup>

يتناول مارتن في كتابه -أيضاً- عودة الشيخ المغيلي من بلاد السودان بعد سماعه خبر مقتل ابنه من طرف يهود تمنطيط، حيث رجع إلى توات وذلك في سنة 1503، حيث قام بحصار قصر أولاد امحمد بتمنطيط أين كان يتحصن الشيخ اعمر بن عبد الرحمان واستولى عليه بذلك انتقم لمقتل ابنه عبد الجبار. بعدها انسحب إلى زاويته ببوعلي أين توفي سنة 1504.<sup>(24)</sup> لكن الرواية المقدمة في جل المصادر العربية بما فيها الشفوية تتحدث عن انتصار الشيخ أعمر بن عبد الرحمان على الشيخ المغيلي ونسوق في ما يلي ما جاء في إحدى هذه المصادر، يقول مقدم مبروك: «فزحف الشيخ بن عبد الكريم المغيلي بجيش كثير يريد مثل ما صنع أولا باليهود، فوقع بمن وجد منهم في قصور زاكلوا وتماسخت ولحمر وغير ذلك علاوة على قصور تمنطيط وحيث وصل إلى تمنطيط خرج إليه الشيخ عمر بن عبد الرحمان بجيش عظيم... فالتقى الجمعان حذو قصر يقال له قصر أولاد إسماعيل في الجهة القبالية من تمنطيط، ووقعت بين الفريقين ملحمة عظيمة مات فيها جمع غفير من كلا الفئتين. وكان النصر للشيخ عمر بن عبد الرحمان، وكان وقوع ذلك في أول القرن العاشر الهجري الموافق لـ 1501 ميلادي...»<sup>(25)</sup>.

في قراءة لرواية مارتن ومقدم مبروك حول نتيجة الحرب بين الشيخ المغيلي والشيخ عمر بن عبد الرحمان، تبدو الرواية التي وردت في المصادر

---

<sup>(23)</sup> Martin, Op., Cit., pp. 127-129.

<sup>(24)</sup> Ibid., p. 130.

<sup>(25)</sup> مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وأثار، المجلد الرابع، دار القدس العربي، 2011، ص ص. 467-468.

العربية أقرب إلى المنطق، ذلك أنه من غير المعقول أن ينتصر الشيخ المغيلي في الحرب ثم ينسحب إلى زاويته بقصر بوعلى تاركا العاصمة تمنطيط مقر الخلافة، حتى ولو كان ذلك بداعي التفرغ للعبادة. السبب الذي جعل مارتن ينسب الانتصار للشيخ المغيلي ثم يتبعه بالانسحاب، هو محاولة رسم صورة سلبية للشيخ المغيلي على أنه خاض هذه الحرب من أجل قضية شخصية تتمثل في الانتقام لابنه فقط، وليس من أجل قضية عامة بدليل، أنه لما حقق مبتغاه انسحب إلى زاويته ببوعلي، حسب مارتن.

كتابات جورج ألفريد بول مارتن حول الشيخ المغيلي فيها الكثير من التحيز والتحامل بسبب انتمائه للمدرسة الكولونيالية كما سبق وأن أشرنا؛ حيث أن أفكار كتابها ومؤرخها موجهة لخدمة مصالح معينة.

من خلال قراءتنا لعينة من الكتابات الغربية سواء الفرنكوفونية ممثلة في مارتن، وشيربونو وليو أفريكانوس أو في الأنجلوسكسونية ممثلة في هانويك، بوفيل، رود وهانيريش بارث نجد أن هناك إجماعاً على وصفه بالمجدد المصحح، وبسعة فكره وحدة ذكائه، وبفضله في نشر الإسلام والطريقة القادرية في ممالك الهوسا وغرب إفريقيا، بالمقابل هناك -أيضاً- شبه إجماع على اتهامه بمعاداة اليهود وتحميله مسؤولية إبادةهم بواحة تمنطيط.

لو تأملنا مسيرة الشيخ المغيلي منذ نشأته بتلمسان، نجد أن مواقفه من معاملة أهل الذمة وخاصة اليهود مبنية على نصوص شرعية وردت في مخطوطه «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»، الفصل الثاني «فيما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية والصغار»<sup>(26)</sup> والفصل الثالث «فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان»<sup>(27)</sup>؛ حيث ركز

<sup>(26)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق الأستاذ عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط1، 2001، ص ص 35-39.

<sup>(27)</sup> نفس المرجع، ص ص 40-41.



الشيخ المغيلي على نقض اليهود للعهد والمواثيق بعدم التزامهم بدفع الجزية وإظهارهم للصفار.

بلغ نفوذ اليهود أوجّه بتعيين السلطان عبد الحق بن أبي العباس أحمد بن سعيد المريني، آخر سلاطين الدولة المرينية، لهارون وشاويل لتولي شؤون الرعية، وكانت السلطة الفعلية في يد الوزير هارون اليهودي، يُعَيّن من يشاء ويعزل من يشاء. في هذا السياق، يقول أحمد بن خالد الناصري في «الاستقصاء»:

فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس (عاصمة الدولة المرينية) بالضرب والمصادرة على الأموال، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا بالأشراف والفقهاء فمن دونهم، وكان اليهودي هارون قد ولى على شرطته رجلا يقال له: «الحسين لا يألو جهدا في العسف واستلاب الأموال، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة»<sup>(28)</sup> ويقال إن الشيخ المغيلي شهد واقعة جعلته يقرر الرحيل منشدا قصيدة يعبر فيها عن سخطه لما آلت إليه أوضاع المسلمين في عهد السلطان عبد الحق من طغيان وتسلط لليهود». يقول في مطلع القصيدة<sup>(29)</sup>:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا أرض يسودها فجار ويهود ومن ليس يرتضى

الواقعة التي جعلت الشيخ المغيلي يقرر الرحيل ذكرها أحمد بن خالد الناصري في «الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى»: «ثم إن اليهودي عمد إلى امرأة شريفة من أهل حومة البليدة فقبض عليها... فأنجى عليها بالضرب، ولما ألهيته السياط جعلت تتوسل برسول الله ﷺ، فحمي اليهودي واشتات غيظا من سماع ذكر الرسول، وأمره بالإبلاغ في عقابها، وسمع الناس ذلك

<sup>(28)</sup> أحمد بن خالد الناصري، 'الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى'، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء الرابع، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، الصفحة 98.

<sup>(29)</sup> رغم أن جل المصادر تتحد عن قصيدة من عدة أبيات إلا أنني لم أعر على القصيدة من خلال ما توصلت اليه وعليه فمن المرجح أن تكون عبارة مقولة في شكل بيت شعري.

فأعظموه، وتمشت رجالات فاس بعضهم إلى بعض فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي، وكانت له صلابة في الحق وجلادة عليه... وقالوا له «ألا ترى إلى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت...»<sup>(30)</sup> يصف القاضي محمد العقباني (ت. 1467) اليهود «بأنهم كانوا يلبسون لباس المسلمين ويسافرون معهم في رحلات التجارة ويركبون الخيل...»<sup>(31)</sup>، وهذا في رأيه لا يجوز بل أنكر حتى على من يتعاملون معهم من المسلمين.

وضع اليهود في توات وتجارين لم يكن يختلف كثيراً عن وضعهم في تلمسان فقد كان نفوذهم في بتمنطيط قويا بحكم سيطرتهم على أهم الأنشطة الاقتصادية، كانوا يتعاملون مع تجار القوافل العابرة للصحراء التي كانت تمر عبر تمنطيط قادمة من أسواق غرب إفريقيا باتجاه غدامس، تونس، الجزائر، سجلماسة وفاس. كانوا يمتلكون -أيضا- ورشات الحدادة التي توفر للفلاحين وسائل العمل بالإضافة للسيوف والدروع، كما كانت لهم مصانع تقليدية للصابون والعمود. تحكمتهم في الحياة الاقتصادية ساعدتهم على التمرد على وضعهم كأهل ذمة وما ينبغي أن يكونوا عليه من ذلة وصغار ودفع للجزية للحاكم لتصرف في الأوجه الشرعية لها. كما إن الجزية كانت تدفع في صورة رشاوي لزعماء القصور لكسب ودهم وتعاطفهم وشراء سكوتهم عن التجاوزات التي كانوا يقومون بها.<sup>(32)</sup> استنكر الشيخ المغيلي سلوكات الجالية اليهودية وتصرفاتها في ظل سكوت أهل الحل والربط.

---

<sup>(30)</sup> الناصري، نفس المرجع، الصفحة 99.

<sup>(31)</sup> John Hunwick, 'Jews of a Saharan Oasis, Markus Wiener Publishers, Princeton, 2005, p.11

<sup>(32)</sup> Hassan BrahimGwarzu, 'Life and Teachings of al-Maghīlīwith Particular Reference to the Saharan Jewish Community', Ph.D. Thesis, SOAS, London, September 1972, page 178

أشار الشيخ المغيلي في «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» إلى تمرد اليهود عن أحكام أهل الذمة، حيث يقول في الفصل الثالث: «فأقول: والله المستعان، لا شك أن اليهود المذكورين كيهود توات، تيجراير (تيجرارة) ودرعة وكثير من الأوطان في إفريقية، وتلمسان قد حلت دماؤهم وأموالهم ونساؤهم ولا ذمة لهم لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية... وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون».<sup>(33)</sup> لذلك شعر الشيخ المغيلي بالمسؤولية الشرعية تجاه أمته، باعتباره مجددا ومصالحا، لتخليصها من هيمنة وطغيان اليهود لتحكمهم في التجارة وتغلغلهم في دواليب السلطة.

بالنسبة لمسؤولية الشيخ المغيلي عن الإبادة الجماعية المزعومة ليهود توات، حسب بعض القرائن التاريخية يبدو أن هذه الإبادة سواءً في تمنطيط أو في قورارة تدخل في إطار الترويح لمحرقه اليهود بالصحراء. القرينة الأولى تكمن في التساؤل التالي: لو كان المغيلي أباد اليهود عن بكرة أبيهم كما يُزعم، لقام بتغيير السلطة التي عارضت فتوى المغيلي بهدم كنيسهم ووضع مكانها سلطة موالية له قبل رحيله لبلاد الهوسا، لكن الواقع أن القاضي العصنوني استمر في السلطة بعد ذلك. القرينة الثانية، بعد سنوات قليلة قضاها بين ممالك الهوسا ومملكة سنغاي وصله نبأ مقتل ابنه عبد الجبار من طرف يهود تمنطيط، فمن أين أتى هؤلاء إن كان المغيلي قد أبادهم عن بكرة أبيهم؟ القرينة الثالثة تتمثل في ما ورد في مخطوط «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لمؤلفه أحمد بابا التمبكتي حيث يقول: «ويقال إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقربه فبال عليه فععى مكانه» السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو كيف لشخص أن يقوم بعمل مشين كهذا، إن لم يكن له من القوة والدعم والحماية ما يمكنه من فعل ذلك، ومن أين أتى إن

---

<sup>(33)</sup>الناصرى، ص. 40.

سلمنا بفكرة إبادة يهود المنطقة من طرف الإمام المغيلي؟ القرينة الرابعة، إذا سلمنا جدلا بإبادة المغيلي لليهود بمنطقة توات فمن المسؤول عن هجرة الجاليات اليهودية بكل من الجزائر العاصمة، قسنطينة، تلمسان وبشار؟

من خلال القرائن السالفة الذكر يمكن استنتاج أن هجرة اليهود من منطقة توات لم تكن بسبب إبادتهم من طرف الشيخ المغيلي كما تشير إليه جل المصادر الغربية والعربية وحتى في الرواية المتواترة في التراث المحلي لمنطقة توات، ولكن بسبب زوال الأهمية الاقتصادية للمنطقة كمركز عبور لقوافل التجارة العابرة للصحراء التي كانت تأتي محملة بالذهب والسلع النفيسة من أسواق غرب إفريقيا، وهذا بعد الاستكشافات التي قادها هنري الملاح Henry the Navigator وتوجت مع نهاية القرن الخامس عشر بوصول البرتغاليين لمصادر الذهب وإنشائهم لخطوط تجارية بحرية على السواحل الغربية لإفريقيا. في هذا السياق يقول جون فيج:

“The Portuguese knew that the Muslim states in North Africa did not actually control the gold-producing lands of West Africa which their merchants traded so profitably. Henry hoped, therefore, might outflank the area of Muslim rule in north-western Africa and establish direct contacts with the Negroes of West Africa.”<sup>(34)</sup>

الترجمة: «البرتغاليون علموا أن الدويلات الإسلامية في شمال إفريقيا لم تكن تسيطر على أراضي الذهب في غرب إفريقيا، التي كان تجارها يجنون منها أرباحا كبيرة. كان هنري يأمل في الالتفاف حول مناطق الحكم الإسلامي في شمال غرب إفريقيا وإقامة اتصالات مباشرة مع زنوج غرب إفريقيا.»

---

<sup>(34)</sup> J. D. Fage, A History of West Africa, Cambridge University Press, 1969, p.51.

هذه التطورات قلصت تدريجيا من الاعتماد على القوافل التجارية العابرة للصحراء لوصول بضائع غرب إفريقيا وخصوصا الذهب إلى المراكز التجارية جنوب أوروبا، مما تسبب في تضرر المراكز التجارية في شمال غرب إفريقيا ومنها على وجه الخصوص منطقة توات التي كانت همزة وصل بين أسواق غرب إفريقيا وجنوب أوروبا، حيث كان التجار اليهود يجنون أرباحا طائلة من تجارة الذهب الذي كان يمر عبر هذا الطريق. يقول أنطونيو مالفانتي عندما حل بتمنيط سنة 1447<sup>(35)</sup>، إنه حاول دخول سوق البيع والشراء، وأنه صُدم لما رأى التجار(اليهود) في توات يرفضون القيام بأي معاملة بيع أو شراء دون عمولة تبلغ مائة في المائة من قيمة البضاعة.<sup>(36)</sup> نتيجة لربط أسواق أوروبا بطرق تجارية بحرية بأسواق غرب إفريقيا فقدت الطرق التجارية العابرة للصحراء أهميتها الاقتصادية، ولم يبق أمام التجار اليهود في منطقة توات خيار إلا الرحيل لأماكن أكثر أهمية من الناحية الاقتصادية. أما من تبقى من الحرفيين فمعظمهم اعتنق الإسلام، وكوّنوا طائفة تعرف باللسان المحلي بـ (لمهاجرية) وهي مشتقة من كلمة (هجرة)؛ أي أنهم هجروا الديانة اليهودية إلى الإسلام.

---

<sup>(35)</sup> Jacob Oliel, *Les Juifs au Sahara – Le Touat au Moyen Age-*, CNRS Editions, Paris, 1994, p. 52.

<sup>(36)</sup> Ralph A. Austen, *Trans-Saharan Africa in World History*, Oxford University Press, 2010, p.27

## خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية توصلنا لجملة من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

- إنَّ تناول شخصية الشيخ المغيلي في الكتابات الغربية تميزت بالإنصاف أحيانا وبالإجحاف أحيانا أخرى، وقد كان الانتماء الديني والإيديولوجي واضحا في أفكار الكثير من المؤلفين خاصة مارتن، شيربونو وهانويك.

- هناك شبه إجماع في الكتابات الغربية على الأثر الكبير الذي تركه الشيخ المغيلي بممالك الهوسا وممالك غرب في نشر الإسلام وتجديد العقيدة ومحاربة البدعة.

- هناك أيضا إشارة في الكتابات الغربية، خاصة من طرف فاسيليوس سيروس، إلى دور الشيخ المغيلي في إرساء مبادئ الحكم الراشد، الإدارة والعدالة، تسيير نفقات الدولة والسياسة الشرعية عموما.

- إنَّ موقف الشيخ المغيلي من اليهود نابع من تجربته معهم وما عايشه من ممارساتهم خلال إقامته بتلمسان، فاس، قورارة وتوات وأيضا من نصوص شرعية من تعاليم الدين الإسلامي تصف لليهود بالعدو والخيانة ونقض العهود والمواثيق، ولم يكن أبدا لدوافع شخصية نابعة من أفكار التطرف ومعاداة اليهود.

- معظم الكتابات الغربية كانت تنقصها الموضوعية والحياد، بل كانت في بعض الأحيان تتصف بالتحامل وتزييف الحقائق لتحقيق أغراض معينة. على سبيل المثال نال الشيخ المغيلي الكثير من الأوصاف كالتطرف وكرهية اليهود، بالمقابل لم تنصف كتاباتهم شخصيات بارزة كان لها موقف معارضا للشيخ المغيلي في مسألة اليهود كالقاضي عبد الله العصنوني والشيخ عمر بن عبد الرحمان.

## المراجع والمصادر

1. ABOU Tahar, Timbuktu: Aparamount Mediaeval Centre of Trade and Knowledge, *Rufuf*, N°1, 2013.
2. Barth Henrich, Travels and Discoveries in North and Central Africa, London, 1965, Vol. I.
3. Bovill E.W., Mohammed al-Maghīlī, Journal of the Royal African Society, Jan., 1935, Vol. 34, No. 134
4. Cherbonneau M. A., Littérature Arabe au Soudan, Journal Asiatique, Paris, 1855, pp. 391-398.
5. Fage J. D., A History of West Africa, Cambridge University Press, 1969
6. Felix Dubois, Tomboctou la Mystérieuse, Edition du Figaro, Paris, 1897
7. Gwarzu Hassan Brahim, 'Life and Teachings of al-Maghīlī with Particular Reference to the Saharan Jewish Community', Ph.D. Thesis, SOAS, London, September 1972.
8. Hunwick John, 'Jews of a Saharan Oasis, Markus Wiener Publishers, Princeton, 2005
9. Hunwick, John, Al-Maghīlī and the Jews of Tuwat: The Demise of a Community, *Studia Islamica*, No. 61, 1985, pp. 155-183.
10. L'Africain Jean- Leon, Description de L'Afrique (Traduction de A. Epaulard) Tome II, P 436, Paris, 1981.
11. Lydon Ghislaine, On Trans-Saharan Trails Islamic Law Trade Networks and Cross-Cultural Exchange in Nineteenth-Century Western Africa, Cambridge University Press, 2009.

12. Martin A.G.P, Quatre Siècle d'Histoire Marocaine, Librairie Félix Alcan, Paris, 1923.
13. Martin A.G.P, les Oasis Sahariennes (Gourara- Touat- Tidikelt) Edition de L'Imprimerie Algérienne, Alger, 1908.
14. Marty Paul, Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan, Ome I, Paris, Editions Ernest Leroux, 1920.
15. Oliel Jacob, Les Juifs au Sahara – Le Touat au Moyen Age-, CNRS Editions, Paris, 1994.
16. Ralph A. Austen, Trans-Saharan Africa in World History, Oxford University Press, 2010.
17. Rodd Francis Rennell, People of the Veil, London, 1926.
18. Vasileios Syros, Behind Every Great Reformer There Is a "Machiavelli": Al-Maghīlī, Machiavelli, and the Micro-Politics of an Early Modern African and an Italian City-State, Philosophy East and West, October 2015 Vol. 65, No. 4, p. 1119-1148.
19. أحمد بن خالد الناصري، «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء الرابع، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
20. مبارك جعفري، مقابلة بجامعة أدرار بتاريخ 2022/10/14، المحاور: عبو الطاهر
21. مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، المجلد الرابع، دار القدس العربي، 2011.
22. محمد بن عبد الكريم المغيلي، مخطوط "أحكام أهل الذمة".
23. محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق الأستاذ عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط1، 2001.





# الدلالات الرمزية لمكانة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في التراث التواتي

الأستاذ أحمد بن حسان.  
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية أدرار.

## الملخص:

لقد حظي الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي بمكانة كبيرة ومنزلة عظيمة في المجتمع التواتي، بسبب ما كان له من أثر وتأثير في واقع هذا المجتمع، من خلال جهاده بالكلمة والقلم لإزاحة غشاوة الجهل عن العقول والأفكار، وكذا جهاده بالسيف في سبيل تطهير البلاد من نجس اليهود الأشرار ورجسهم، فكانت له بهذا اليد البيضاء على عموم إقليم توات، مما جعل التواتيين يحفظون له هذا الجميل، ويختارونه كواحد من أبرز الشخصيات التي اتخذوها قدوة ونموذجاً يُستحق أن يُقتدى ويُحتذى بها، وقد ظهرت مكانة الشيخ المغيلي عند التواتيين في كثير من المظاهر التي تفرقت بين ثنايا تراث توات، وهو ما يحتاج لوقفه من الباحثين من أجل إبراز ذلك وإظهاره حتى يتسنى لكل باحث الاطلاع عليه، وقد تكفلت هذه الكلمة بذلك.

## **Symbolic Connotations of the Status of Imām al-Maghīlī in the Tuati Heritage**

### **Abstract**

Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī has been granted a great prestige and status in the Tuat community because of the impact and influence he had on his society through his Jihad with word and pen against ignorance. He is also known by his jihad with the sword in order to purify the country from polytheism. He had his white hand over the whole of the province of Tuat, which made the Tuatis preserve his good deeds, and choose him as one of the most prominent personalities they took as an example and a model worthy of being followed. The position of Imām al-Maghīlī among the Tuāti has appeared in many aspects that have been divided between the folds of Tuati heritage, which needs serious efforts from researchers in order to be highlighted and shown, so that every researcher can have access to such a priceless heritage.

Keywords: Imām al-Maghīlī, Tuat, Hiritage, Jihad

تمهيد:

هناك شخصيات نادرة مرت عبر مسرح تاريخ أمتنا الإسلامية، فأحدثت أثراً كبيراً في محيطها ومجتمعها، وحققت للأمة وللدين من الإنجازات والأعمال ما جعل ذكرها يبقى خالداً مخلداً في جبين الزمن، يصعب على الأيام محوه من ذاكرة الشعوب، أو إسقاطه من سجل التاريخ.

وقد كان العالم المجاهد الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز هؤلاء الرجال الذين جاد الزمن بهم في أوقات كانت الأمة أحوج ما يكون إلى علمهم وجهادهم وتضحياتهم، فنذر نفسه لخدمة دينه وأمته، وحمل رسالة الدعوة إلى الله ورسوله، وزاوج بين أعمال متعددة في ميادين مختلفة قلما تجد عالماً يستطيع المزاجية بينها، حيث تصدى بقلمه لنشر العلم وتوعية الجاهلين، وأسهم بخبرته وحكمته في ترشيد سير الحكام والأمراء والسلطين وتقويمها، وأشهر سيفه في وجه الظلم ومقارعة الطغاة المعتدين، فحقق في كل هذه الميادين نجاحاً ونصراً، وترك فيها بصمة وأثراً.

لقد كانت للشيخ المغيلي جولات وصولات في بلاد شتى، وأقطار مختلفة، لاسيما في منطقة توات، التي جعل الشيخ منها موطناً ثانياً بعد موطنه تلمسان، فهاجر إليها، واستكمل تعليمه على بعض مشايخها وعلمائها، وأنشأ بها من التلامذة والمحبين ما أهَّله لأن يقوم فيها بدور إصلاحي عظيم، بفضل الثقة الكبيرة التي نالها بين معظم ساكنة توات، حتى استحق أن يوسم باسم (الشيخ) فلم يشاركه فيه على إطلاقه أحد ممن عاصره، بل وحتى قرون عدة بعده. (وهذا إلى حين ظهور الشيخ سيدي محمد بن الكبير في القرن العشرين، فأصبح لفظ الشيخ -في مفهوم ساكنة توات- إذا أطلق ينصرف له، فإذا أريد غيره لا بد من الإضافة حتى يحصل التعريف والتمييز)

ولعلّ من أبرز الأمور التي تميزت بها حياة إمامنا المغيلي، محاربته للطائفة اليهودية التي كان لها نفوذ قوي آنذاك في كثير من حواضر العالم الإسلامي، وبالأخص في أرض توات المباركة، حيث تمكن هؤلاء بحيلهم ومكرهم من التحكم في الأسواق والاقتصاد، والتفرد بالحرف والمهن، واستعانوا بثرائهم المادي على تجسيد مخططاتهم الإجرامية، فنشروا الفساد في المجتمع، وأثاروا الفتن والقلقل بين القبائل، وأضحت لهم سلطة وسطوة حتى على أرباب السطوة والسلطة، فكان لهذا الشيخ -رحمه الله تعالى- فضل كبير في تطهير الإقليم التواتي منهم ومن رجسهم وذنسهم، وخاض في سبيل ذلك حروباً ضارية بالسيف والقلم، لا تزال تشهد له بها أحجار هذه الأرض وأكمامها، ومنعرجات طرقها، ونخيلها وأعشاب صحرائها، وبنائاتها وقصباتها، وكل ذرة من ذرات ترابها، لذلك تعلقت به قلوب التواتيين، وتريع على عرش الزعامة بينهم، وظلّ اسمه رمزاً للولاية والصلاح من جهة، وللجهاد والنضال من جهة أخرى.

وقد بلغ من تعظيم عوام توات للإمام المغيلي أنهم نسجوا حوله قصصاً وحكايات تتعلق بكراماته وخوراق العادات التي ظهرت على يديه، وتأثر حتى بعض أهل العلم بهذا الأمر، فقاموا بتدوين جانب منها، كمثل قصته مع ذلك اليهودي الذي زعموا- أنه عطل النار بسحره في توات كلها، ودخل بيتاً واحتبس نفسه بداخله، وكان لا يتواصل مع الناس إلا من خلال نافذة يطل منها عليهم، فلما جاء المغيلي اشتكى إليه أهل توات مما صنع اليهودي، فذهب إليه وكلمه، فأخرج اليهودي إليه رأسه من النافذة كعادته، فأمر المغيلي الجدار أن ينطبق على رقبة اليهودي، فاختنق وجعل يستغيث، فطلب المغيلي منه أن يزيل تعطيل النار ففعل، فضرب بعد ذلك عنقه وخلص الناس من شره<sup>(1)</sup>.

(1) مجهول، وثيقة من خزانة سيدي عبد الرحمن الأنصاري إنجزمير، ص 1.

وفي الحقيقة إنّ الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي ليس بحاجة لنسج مثل هذه القصص والحكايات، أو اختلاق هذه الغرائب والكرامات، حتى تتجلى للناس مكانته وفضله، فهو غني بعلمه ومؤلفاته وجهاده عن كل هذا، ولكن جرت عادة العوام وأشباههم-منذ الزمن القديم- أن يطلقوا العنان لعواطفهم بشأن التحدث عن محبوبتهم وتتعلق قلوبهم بهم من أهل العلم والفضل والصلاح، فتولد عن ذلك أساطير يستغريها الفكر ولا يستسيغها العقل، وفي كتب التراجم من هذا النوع الكثير والكثير.

إنّ في تراثنا التواتي جملة من الدلالات الرمزية التي تشير إلى عظم مكانة الشيخ المغيلي وعلو قدره عند أهل توات، ولاسيما عند أهل العلم والفضل منهم، لذلك ارتأيت في هذه المداخلة أن أسلط الضوء على هذا الجانب المتناثر في المخطوطات والوثائق، والقيام بجمعه وترتيب جزئياته وتنسيق عناصره، بقصد الإسهام في إبراز ما يمكن إبرازه منه، وذلك في حدود ما تساعد عليه الظروف، مع العلم أن ما خفي عن الأعين مما تنطوي عليه الوثائق أكبر بكثير مما تم الوقوف عليه حتى الآن، وفي سعة الزمان ما يتيح الفرصة للباحثين الجادين، فعسى أن تصل أيديهم لما قصرت عنه أيدي غيرهم، وما ذلك على الله بعزيز.

هذا وقد قمت بتقسيم المداخلة إلى تمهيد، ومبحثين، تحت كل مبحث منها مطالب، ثم الخاتمة، فالله أسأل التوفيق والسداد لما فيه الخير والرشاد.

المبحث الأول: معالم التعظيم لشخصه وحفدته.

المطلب الأول: معالم تعظيم شخصه.

1. مدحه والثناء عليه:

فقد اعتاد معظم علماء توات، ممن تعرضوا لذكر الشيخ المغيلي قصداً أو عرضاً أن يطلقوا في حقه عبارات المدح والثناء، ويصفوه بأوصاف وألقاب تشعر بعلو مكانته وتعظيم قدره، وتوحي بمدى الاحترام والتقدير الذي يكنه هؤلاء التواتيون لهذا العالم الأسوة والإمام القدوة. وفي هذا الصدد نكتفي بذكر بعض النماذج ممن أثنى عليه من مترجمي علماء توات، وهم:

- الشيخ سيد البكري التمنطيبي.

قال في إعلام الإخوان: «وفي سنة ولادة سيدي سالم [العصنوني] أتى الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي لتمنطييط، ونزل بأولاد يعقوب، وانتقل منها إلى بوعلي وبه ضريحه ومقامه، وهو مشهور بالعلوم الظاهرة، والولاية الباطنة، فهو آية الله في أرضه، وحجته في شريعته»<sup>(2)</sup>.

- الشيخ سيدي محمد بن الطيب بن عمر التمنطيبي قال عنه في إحدى الوثائق: «الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خاتمة المحققين، الإمام العامل، العلامة القدوة الصالح، أحد أفراد العلماء الذين أوتوا البسطة في العلم والتقدم، والسيرة المشهورة بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم...»<sup>(3)</sup>.

- الشيخ سيدي عبد القادر بن عمر المهدي.

قال في الدررة الفاخرة: «الشيخ بن عبد الكريم المغيلي المقبور ببوعلي، كان من صدور المقربين، وأصحاب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة،

<sup>(2)</sup> م، التمنطيبي، بدون، ص 5.

<sup>(3)</sup> التمنطيبي، بدون، كلها.

والسرائر الظاهرة، والأحوال الباهرة، والعلوم الزاخرة، والأنفاس الصادقة، لم نر ولم نسمع ولم نجد أحداً من الأولياء أكثر كرامة منه، وله القبول التام عند الخاص والعام، وكانت تقصده الفضلاء بزيارته من البلاد الشاسعة، له كرامات وأحوال غريبة في حياته وبعد مماته، الظافر من العلم والعمل بأوفر نصيب، الرأس في كل فن بفهم مصيب، جدد الله على ضريحه الميمون»<sup>(4)</sup>.  
وفضلاً عن هؤلاء فقد انبرى غير واحد من شعراء الإقليم التواتي إلى مدحه والثناء عليه بقصائد مختلفة من الشعر الفصيح والملمحون، كالشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن، والشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي، وغيرهم.

2. الحرص على زيارة ضريحه لم يزل ضريح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي منذ وفاته وحتى يومنا الحاضر مزاراً من أهم المزارات وأعظمها، التي يشد الناس الرحال إليها من جهات مختلفة داخل الإقليم التواتي وخارجه، وما ذلك إلا لما يحظى به صاحب هذا الضريح من وجاهة دينية واجتماعية بين عموم فضلاء وصلحاء توات.

يقول الشيخ سيدي القادر المهداوي في الدرّة الفاخرة: «وكانت تقصده الفضلاء بزيارته من البلاد الشاسعة»<sup>(5)</sup>. ويقول في ترجمة جده الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التتلاني: «وكان زواراً للمشايع، لاسيما الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، وسيدي عمر بن صالح في أوقروت»<sup>(6)</sup>. وقد جرت العادة في توات من الزمن الماضي البعيد أنه لا يمر وفد ولا شخص من أهل العلم والفضل على قصر (بوعلي) حتى يدخل زاوية الشيخ ويقوم بزيارة ضريحه والتبرك به.

قال سيدي عبد الرحمن بن بعمر في رحلته الحجية: «ثم رحلنا منها لقرية بعلي، وزرنا بها قبر الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم

<sup>(4)</sup> المهداوي، بدون، ص 21

<sup>(5)</sup> المهداوي، بدون، ص 21

<sup>(6)</sup> المهداوي، بدون، ص 2



المغيلي، وبتنا بها وقيلنا»<sup>(7)</sup> وقال الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي عمر التتلاني في رحلته الحجية: «فلما كان للفجر انفجار، سرنا متوجهين ونزلنا بلاد بوعلي، فوق زاوية القطب الرباني سيدي بن عبد الكريم المغيلي، نفعنا الله ببركاته، وهو أحد صلحاء توات وعالمها ومفتيها، وهو ممن يضرب به المثل شرقاً وغرباً رحمه الله»<sup>(8)</sup>.

وقال الشيخ سيدي عبد القادر بن عمر المهداوي في رحلته: «وقيلنا بزاوية الشيخ الواضح، والأزهر الأنور الفائح، قطب رحاها، وشمس ضحاها، الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، وزرناه وأضافونا كما ينبغي»<sup>(9)</sup>.

### 3. التوسل والاستشفاع به.

الكثير من أهل توات من علمائهم فضلاً عن عوامهم كان لهم اعتقاد راسخ أنّ الدعاء عند ضريح هذا الشيخ مستجاب، وأنّ التوسل به إلى الله تعالى من أهم أسباب تحقيق المطالب، وإدراك المآرب، وحصول النجاح في الغايات بحسب صدق المقاصد والنيات.

وقد وردت بعض النصوص في التراث التواتي تؤكد هذا الأمر عند العوام وعند العلماء؛ فمن أمثلة توسل العوام به ما جاء في تقييد مجهول المؤلف أن في سنة تسعمائة وعشرين هجرية [920 هـ]، وقع وباء عظيم في بلاد تمنطيط، دام مدة أربعة عشر شهراً، فتوجه أهل هذا البلد لضريح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم، وتوسلوا به إلى الله تعالى في رفع ما حل بهم من بلاء، والتزموا دفع فلس عن كل بيت عامر في البلد، فلطف الله سبحانه وتعالى بهم، ورفع عنهم رجس الوباء ببركة توسلهم واستشفاعهم به<sup>(10)</sup>. ومن أمثلة توسل العلماء به ما ورد في مصادر مختلفة عن الشيخ سيدي محمد بن أبي المزمري وقصة الفتح عليه في علم العروض.

<sup>(7)</sup> التتلاني، 2014، ص 2

<sup>(8)</sup> التتلاني، الرحلة الحجية، بدون، ص 9

<sup>(9)</sup> المهداوي، ع، بدون، ص 2.

<sup>(10)</sup> مجهول، م، بدون، ص 6

قال الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر التتلائي عنه: «أما الخزرجية فإنه قرأ فيها أبياتاً على بعض العلماء فلم يفتح له، وعلقت همته بها، فقصده قبر الولي الصالح الإمام العالم العلامة الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، فطلب من الله تعالى الفتح فيها، واستشفع به ثم رجع وذلك في أيام عيد، ثم صرف همته لها واشتغل بمطالعة شروحها، فلم تمض تلك الأيام حتى فتح له فيها ببركة ذلك الشيخ نفعنا الله به»<sup>(11)</sup>.

#### 4. أداء اليمين عند قبره.

من بين أهم العادات التي تعارف عليه أهل توات في الزمن الماضي وأقرها فقهاؤهم وأفتوا بجوازها: أداء اليمين في ضريح ولي من أولياء المنطقة في حال حصول خصام بين الناس بشأن أي قضية من القضايا التي تستوجب منهم الحلف، وما ذلك إلا لما يحمله هؤلاء الناس من تعظيم كبير لأضرحة الأولياء الصالحين، وخوفهم الشديد من التجرؤ على الكذب فيها، اعتقاداً منهم أن الإقدام على ذلك يعد تطاولاً على حرمة الولي مما يسرع لهم بالهلاك والعطب.

وقد كان ضريح الشيخ المغيلي من بين الأضرحة التي تُقصد لأجل هذا الغرض، وهو أمر معلوم قديماً بين بعض قصور ساكنة توات الوسطى بالذات، وأكتفي هنا بنازلة من النوازل التي وقفت عليها تجلي لنا صحة ما ذكرناه، وهي رسالة تتضمن الاستفسار بشأن حكم فقهي يتعلق بالطلاق أرسلها بها الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الملقب بالمغيلي ابن أحمد بن عبد الرحمن العالم الأنزجميري إلى الشيخ أبي فارس سيدي عبد العزيز البلبالي.

ونص الوثيقة كالتالي: «الحمد لله، وجدت بخط شيخنا أبي فارس الذي لأصل المكرمات غارس، العلامة سيدي محمد عبدالعزيز، التاج الإبريز، ابن العلامة القاضي العدل الراضي سيدي الحاج محمد أبي زيد البلبالي ما نصه:

<sup>(11)</sup> التتلائي.ع، 2009، ص 42.

مسألة سئلت عنها نصها بعد افتتاحها، وعلى ساداتنا الأجلة الأعلام، آية الفضل وهداة الأنام، المسفرين عن مشكلات المسائل ومحال الأوهام، ألف آلاف سلام، وتحية وإكرام، على مر الليالي وسائر الأيام، وعلى كافة تعلقاتكم بالتمام، هذا وإن ماسكه الحبيب بن عبدالقادر الأنزجميري وقع له أن طلق زوجته طلاقاً رجعيّاً، فلحقت بأهلها فحرضوها أن تطلب منه التحريم فأرجعوها إليه بذلك، فطلبت منه فأجابها أن قال: زدته لك، فلما كان بعد أيام استفتى في ذلك بعض من لا يعبأ بفتواه فأفتاه بأن لا يردّ الحرام على الطلاق الرجعي لو وقع الصمت بينهما، فورد بذلك على أشياخنا -حفظهم الله- فأبطلوا تلك الفتيا وأزموه التحريم، وبعد حين ادعى أنه أراد بقوله زدته لك التأكيد لا التأسيس، أي تأكيد تلك الطلقة الرجعية، فقبل منه بعض أشياخنا تلك النية جرياً على قول المختصر "إلا لنية تأكيد" ومتعللاً بأن مدلول كل من الطلاق والتحريم إزالة العصمة، فأفتاه بصحة رجعتة بعد حلفه في ضريح المغيلي نفعنا الله به...»<sup>(12)</sup>.

### تسمية الأولاد باسمه.

إنّ المتأمل في قاموس الأسماء المنتشرة في عموم القطر التواتي، يجد اسم (عبد الكريم) أو (ابن عبد الكريم) أو (المغيلي) من بين الأسماء التي جرى عرف بعض الناس في تسمية أبنائهم بها، وهو ما يوجي بعمق التأثير بهذا العالم، والسعي في التماس حصول بركة اسمه لهؤلاء الأبناء المتسمين به. وعندنا في هذا الباب نموذج من كبار علماء العائلة الأنصاريّة بأنزجمير، وهو الشيخ سيدي محمد عبد الكريم المغيلي بن أحمد بن عبد الرحمن بن سيدي أمحمد العالم الزجلاوي. هذا العالم سماه والده سيدي أحمد بهذا الاسم من باب التفاؤل والتبرك بالشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، وقد حقق الله له قصده فكان له نصيب وافر من العلم والتقوى والصلاح.

<sup>(12)</sup> المغيلي، ع، نازلة مخطوطة، بدون، كلها.

## المطلب الثاني: معالم تعظيم حفدته

لم يقتصر تعظيم أهل توات للشيخ المغيلي على ذاته وشخصه، بل امتد التعظيم لأبنائه وحفدته وما امتد من نسله؛ لأنّ من معالم المحبة الصادقة للشخص أن تحبّ من يلوذ به ويتصل حبله بحبله من أهل بيته وأقربائه وذريته. وقد تجلت معالم تعظيم التواتيين لذرية الشيخ فيما يلي:

### 1. تقديمهم في ختم المجلس

جرت العادة في عموم توات أنهم بعد قراءة الفاتحة في ختام المجالس يقدمون من حضر في ذلك الجمع من كبير الأشراف ليتولى ختم الدعاء بقوله: «الحمد لله رب العالمين»، أو بقوله: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾، وهذه العادة هي رمز من رموز التقدير والتعظيم والاحترام.

وقد امتاز حفدة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بهذه الخصوصية لا سيما في عموم قصور توات الوسطى، فإذا حضر أي واحد منهم ولو كان صغيراً فإنه يكون أولى بالتقدم في ختم المجلس، لا يتقدم عليه غيره، حتى مع وجود جمع الأشراف، نظراً للمكانة التي يكنها الناس لهؤلاء الحفدة تعظيماً وتقديراً لجدهم رحمه الله تعالى.

### 2. الكف عن ظلمهم وعدم الاعتداء عليهم

مرّت على الإقليم التواتي فترة زمنية طويلة وهي تعيش مرحلة الظلم والاعتداء بين القبائل المتضاربة المصالح، المتنافسة على الزعامة والريادة، فكانت معظم قصور توات يُغير بعضهم على بعض، وينتهك بعضهم حرمة البعض، ولم يسلم من هذا القانون الغابي سوى عائلات معلومة كانت لها مكانتها الاجتماعية التي جعلت لها وجاهة وحرمة تحفظ وتصان.

وقد كانت العائلة المغيلية من بين هذه العائلات التواتية القليلة التي حظيت باحترام الجميع مما جعلها في مأمن من هذه الغارات والاعتداءات المتكررة على القصور الأخرى المجاورة لها.

ولم يقتصر هذا الاحترام الممنوح لهم على قبائل توات فحسب، بل امتد إلى القبائل الأخرى التي كانت تشنّ هجمات مباغطة بين الحين والآخر على قصور توات، كالبرابر، والغنانمة، وذوي منيع، مما اضطر بعض هذه القصور إلى القيام بدفع قسط من المال لتجنّب قصورهم ويلات هذه الهجمات، ويسمون ذلك باسم (المدارة)؛ لأنهم يدارون بها عن أنفسهم من الظلم والاعتداء.

ولم يكن أحفاد الشيخ المغيلي معنيين بهذه المدارة، لاستغنائهم عن دفعها بالجاه الذي توارثوه في المجتمع تعظيماً وتقديراً لجدهم. وهناك وثيقة تشير إلى قيام خلاف بين أحفاد الشيخ المغيلي وشرفاء زاوية كنتة أحفاد سيدي حم بلحاج، بشأن دفع هذه المدارة، فتحاكموا إلى مجلس الشيخ سيدي محمد عبد الكريم بن أحمد الأنجزميري، في أواسط جمادى الأولى سنة تسع ومائتين وألف [1209هـ]، وقد امتنع هؤلاء الأحفاد من لدفع حظهم من المدارة «وقالوا إنهم يقدرّون على دفع القتال بجاه الله وجاه جدهم الشيخ المغيلي وحرمة»<sup>(13)</sup>. وهذا يؤكد ما استقر عندهم من خلال الواقع أن لجدهم حرمة ترعاها القبائل المهاجمة، سواء كانت من داخل الإقليم أو من خارجه.

## 2. وجاهتهم في إقامة الصلح.

ظل أحفاد الشيخ المغيلي منذ الزمن القديم يلتزمون الحياد تجاه تلك الفتنة التي ضربت إقليم توات، والتي عرفت باسم (يحمد) و(سفيان)، فلم يكن لهم أي انحياز لطائفة على حساب طائفة أخرى، وهو ما جنّبهم الدخول في نزاعات مع غيرهم من القبائل والقصور، مما أهلهم لأن يقودوا مساعي الصلح بين هؤلاء المتخاصمين، حين يستدعي الأمر التدخل.

<sup>(13)</sup> مجهول، وثيقة مخطوطة بدون، كلها.

ونظراً للوجاهة والمكانة التي يحظى بها أحفاد الشيخ، كانت وساطتهم غالباً ما تلقى قبولاً بين الناس، وكانت مساعيهم في الصلح تتكلل بالنجاح، وهو أمر استمدوه من وجاهة جدّهم ومكانته الاجتماعية بين أهل توات.

ولم يزل هؤلاء الأحفاد عبر القرون المتتالية يمارسون هذا الدور الإصلاحية، ويسيرون على خطى أجدادهم ومنهج آبائهم، في التدخل لإصلاح ذات البين، ولَمِّ الشمل، وتوحيد الكلمة، وجمع الصفوف، والحفاظ على وحدة المجتمع وتماسك علاقات أفرادهم وقبائله، وهناك رسالة في موضوع الصلح أرسلها الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي سالم باسم جميع آل الشيخ المغيلي، إلى الشرفاء بزواوية مولاي هيبه بأولف بخصوص نزاع وخلاف بن طرفين، وقد تضمنت تلك الرسالة جملة التوجيهات والإرشادات والنصح، مما يدل على استمرار أحفاد المغيلي على هذا النهج إلى وقت غير بعيد<sup>(14)</sup>

### 3. إكرامهم وضيافتهم

ومن معالم التعظيم لأحفاد الشيخ: إكرامهم والإحسان إليهم، وبذل الوسع في ضيافتهم، فلم يكن هؤلاء الأحفاد يلجون قصراً من قصور توات، إلا ويبادر أهل ذلك القصر إلى استقبالهم واستضافتهم، خاصة في بعض القصور التي عرف عنها أنّ لها ولاء خاصاً للشيخ المغيلي.

ولعلّ من بين أهم القصور التي لها تكريم خاص لأولاد الشيخ قصر (أولاد اسعيد)، حيث جرت العادة عندهم أنه حين يقدم عليهم أولاد الشيخ المغيلي يقومون بجمع قسط من المال عن كل شخص ليتمّ به إكرام هؤلاء الحفدة، وضيافتهم.

وقد جاء في رسالة كتبها الفقيه سيدي محمد الطيب بن أمحمد بن عبد الله بن الجوزي الحفيد بتاريخ 1319 هجرية الموافق 1902م، حرر فيها ما

<sup>(14)</sup> عبد القادر بن سالم، وثيقة صلح، بدون، كلها.

قام بصرفه من نفقات من مال عمه القاضي سيدي الحاج عبد الكريم يوم أن كان مسجوناً من قبل الاستعمار الفرنسي في قصر الشلالة في تيارت، فيقول في تعداد جملة ما أنفقه: (وموزونة) لأهل الفقارة، ثم صرفت منها أربعة عشرة موزونة ضيافة أولاد الشيخ بن عبد الكريم، بل إحدى عشرة موزونة للضيافة<sup>(15)</sup>.

ومن العادات الجميلة التي توارثها أعيان أولاد سعيد في إكرام أحفاد الشيخ المغيلي أنهم كانوا يقدمون بدلة تعرف في المنطقة باسم (الحائك) لكبير أحفاد زاوية الشيخ، وهو أمر لم يزل منذ زمن قديم يتوارثونه كابراً عن كابر، يعبرون به عن ولائهم وخدمتهم للشيخ.

وقد وقع في بعض السنوات تماطل من قبل أعيان أولاد سعيد في إرسال هذا الحائك، فكاتبهم كبير الزاوية في وقته وهو السيد محمد بن سيد الحاج مبارك وجماعته، في رسالة بتاريخ يوم 15 من شهر شوال سنة 1366 هـ، وخطبهم بالقول: أما بعد: أيها الخدمان عامة، أصلح الله حالكم، وبارك لكم في جميع حركاتكم وسكناتكم، فالمرغوب منكم، والمقصود من جزيل إحسانكم، أنه قد طال تردده وخطابه إليكم على الحائك الذي قد جرت العادة به من آبائكم، لكبير زاوية شيخكم، فالآن إن كنتم على آثارهم مقتدون، [مقتدين] فعليكم أن تمكنوه لحامله السيد محمد بن محمد البركة، وإن عرضتم واستغنيتم وبخلتم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وإياكم ثم إياكم، وترك اقتفاء طريقة أسلافكم، اللهم اجعل بلادكم محفوظة، وذرايكم ممنوعة، من مكاره أعدائكم، اللهم أصلح الأئمة والإمام، ويجعل بركة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي معكم دنيا وأخرى، والسلام..<sup>(16)</sup>

<sup>(15)</sup> الجوزي بدون، ص1

<sup>(16)</sup> محمد الصالح بن خليل. بدون، كله.

#### 4. التبرك بأقدامهم وحضورهم.

ومما يعبر عن وجاهة آل الشيخ المغيلي أنّ هناك بعض الناس، لا سيما في بعض قصور توات الوسطى يحرصون في كل ما يقومون به من مناسبات وأفراح، على إحضارهم أو إحضار بعض كبرائهم، تبركاً بأقدامهم، والتماساً لبركة جدهم، وهذا يعد من جملة الدلالات التي تعبر على مدى حضور الشيخ المغيلي في عقول وذاكرة المجتمع التواتي.

ولعنا هنا نسوق هذه الرسالة كنموذج لما ذكرناه، برغم أن هذا الأمر معلوم ومعروف عند أهله حتى أنه لا يحتاج إثباته عندهم لدليل.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله إلى حضرة الأفضلين الأكرمين السيد حمّد شيخنا وابن شيخنا السيد محمد الصديق وابن عمه الفقيه العالم المعلم السيد عبدالقادر بن السيد سالم السلام عليكما ورحمة الله وبركاته وعلى أب الفقيه وأمه وعلى أهلكما وعلى الشريف سيد محمد بن السيد حمّ وعلى أولاده، أما بعد مطلوب كاتبه من الله ومنكم أيها السادات الثلاث السيد عبدالقادر والسيد حمّد والسيد محمد المذكورين أن تقدموا لديّ عشية السبت الآتي لتتبرك بأقدامكم في بيوتنا ولننظر في وجوهكم لأن النظر في وجوهكم دواء لفؤادنا ولا نقبل عذرا من أحدكم ومن تخلف وخيب مقصودنا فقد أفرط في طريق المحبة وإياكم ثم إياكم والتخلف عما أطلب منكم لأنني أخوكم وزيارة الإخوان واجبة، والسلام على أحبائكم، والسلام كما بدأ يعود من كاتبه خادمكم وطالبا من الله له ولكم الختم بالشهادتين، محمد عبدالكريم بن محمد الصديق، أمننا الله وإياكم من مكروه آمين<sup>(17)</sup>.

<sup>(17)</sup> محمد عبدالكريم بن محمد الصديق، رسالة، بدون، ص كلها



## المبحث الثاني: معالم التعظيم لتراثه وآثاره.

### المطلب الأول: تعظيم آثاره العلمية.

#### 1. الحرص على اقتناء مؤلفاته.

خلف الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي مؤلفات عدة في مجالات علمية مختلفة، وقد اهتم أهل توات، وبالأخص العلماء منهم باقتناء هذه الكتب، وسعوا في اكتسابها وتحصيلها بكل الطرق الممكنة، لما لمؤلفها من مكانة عظيمة في قلوبهم.

يذكر الشيخ سيدي مولاي أحمد بن مولاي هاشم في رحلته لقصور توات، أنه لما مر بقصر (أولاد الحاج البرجة)، وجد عندهم كتباً كثيرة، ووقف من بين هذه الكتب على مخطوط للشيخ بن عبد الكريم المغيلي، قد تم نسخه سنة 1040 هـ<sup>(18)</sup>، مما يدل على حضور مؤلفات هذا الشيخ ضمن مقتنيات خزائن المخطوطات في المنطقة.

(أ) ولعلّ من الصعوبة بمكان أن يحصي الباحث عدد الكتب والمصنفات المغيلية التي خطها علماء توات بأناملهم، والتي تزخر بها رفوف مكتبات الإقليم التواتي، لكن لا حرج أن نورد هنا نماذج من تلك الكتب على سبيل التفتح الجليل على متن فرائض خليل:

قام بنسخه أحمد بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الله بن أبي بكر التاسفاوتي داراً ومنشئاً، وقد فرغ من تأليفه لثمان عشرة خلت من شهر جمادى الآخرة، سنة سبع وخمسين ومائة وألف هجرية [1157 هـ]، بزواية الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن محمد الرقاد بزواية كنتة<sup>(19)</sup>.

(18) بن هاشم، بدون، ص3

(19) المغيلي بدون، كله

(ب) رسالة المغيلي في أحكام اليهود:

قام بنسخها الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن بن بعمر التنلاني،  
وفرع منه آخر شهر شوال عام 1258<sup>(20)</sup>.

(ج) فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب:

قام بنسخه محمد المهدي بن محمد عبد الرحمن لشيخه وعمه سيدي  
محمد عبد العزيز بن سيدي محمد بن عبد الرحمن البلبالي، وفرغ من  
نسخه في آخر شوال الحرام، سنة خمس وخمسين ومائتين وألف  
[1255هـ]<sup>(21)</sup>.

مثيل لا الحصر، ومن ذلك:

(د) منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب:

قام بنسخ هذه المنظومة في المنطق محمد الحسن بن أبي مدين  
التمنيطي لشيخه سيدي محمد الزجلوي، وقد صدرها بالقول: "هذه  
قصيدة ناصر السنة وتاج الملة سيدنا وسندنا محمد بن عبد الكريم المغيلي،  
ألبسه الله بلباس أزهى من اللآلي"<sup>(22)</sup>.

2. الاهتمام بقراءة كتبه والاستفادة منها.

وكما حرص أهل توات على نسخ كتب الشيخ المغيلي واقتنائها في خزائن  
مخطوطاتهم، فقد حرصوا كذلك على قراءتها ودراستها وتدريسها، رغبة منهم  
في الانتفاع بها، والاستفادة مما تضمنته من فوائد ونصائح في طياتها.

قال تلميذه الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر التنلاني في معرض حديثه  
عما قرأه من علوم عليه: «وقرأت عليه السلم في المنطق، وحضرت إقرآه  
لمختصر السنوسي فيه، وكذلك تأليف للشيخ ابن عبد الكريم المغيلي فيه»<sup>(23)</sup>.

(20) المغيلي، بدون، كله

(21) المغيلي، بدون، كله.

(22) المغيلي، بدون، كله.

(23) التنلاني، بدون، ص 6

وفضلاً عن هذا نجد غير واحد من أهل العلم التواتيين يصرحون بما استفادوه من كتب ومصنفات المغيلي ويدونون ذلك من باب نقل الفائدة للغير، كما نقف على هذا في كلام الشيخ سيدي مولاي أحمد بن مولاي هاشم في رحلته حيث يقول: "وتوجهت بعدها إلى زاوية سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي ب (بوعلي)، واطلعت على العديد من كتب هذا الشيخ، وجدت في أحد هذه الكتب أنه لم يجد في وصوله إلى توات أي سلطة في المنطقة، بل وجد السلطة بيد اليهود، حيث كان كل قصر يحكم من طرف يهودي، وكان يطاع ويقدر ويحترم"<sup>(24)</sup>.

وكثيراً ما يقف الباحث على كثير من هذه الفوائد المنقولة من كتب المغيلي ومصنفاته على الطرر والهوامش، مما يدل دلالة واضحة على مدى عنايتهم واهتمامهم بقراءة هذه الكتب وتقدير ما جاء فيها من الفوائد والنصائح المختلفة.

### 3. الاستشهاد بأقواله وأشعاره.

قال ضيف الله في الرحلة حين كان يتحدث عن أهل قصر أولاد محمود: «وهذا البلد صحراء تصلح بها الإبل والغنم، كثيرة الشجر، خضراء ناعمة، قليلة الرمل، وأهلها يحقرون أهل الله، ومن انتسب إليه، ويعظمون الظلمة، حرقوا المساكين فسلط الله عليهم الظالمين، فائدة: من وصايا الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، اعط للمساكين ما تعطي للظالمين، يكفيكم رب العالمين»<sup>(25)</sup>. ومما وجد بخط الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري قال: بأنه نقله من خط الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله، قال:

العلم نور وكل الناس تطلبه وهل يرى النور منهم غير ذي بصر  
ذو عين وذو كفه والقلب قلبان ذو صفو وذو كدر

<sup>(24)</sup> هاشم بدون، ص 3

<sup>(25)</sup> جعفري 2015، ج 1، ص 483

لكن للعلم شأناً شأن جاهله بين البرية في بدو وفي حضر  
للأوهام وانبعثت لها النفوس انبعاثاً غير مصطبر  
وصار ذو الجهل ينفي الجهل عندكم ينفية ثور عصى خوفاً بلا ضير

ومما تم تقييده على طرر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن الحوزي  
الغرناطي: «ولبعض علماء السنة وذكر بحسن من يخاف ويرتجى وعظ كل  
من يعصي ولو كنت عاصياً قال السيد الحاج عبد الحاكم بن السيد الحاج  
àعبد الكريم أظن أن قائله الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمننا الله  
وإياه<sup>(26)</sup>. ومما وجد بخط سيدي محمد عبد الله القاضي بن الجوزي  
الحفيد: «قال الشيخ المغيلي

إذا قارب الإنسان أختيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح  
وإن قارب الإنسان اشرار قومه وأعرض عن أختيارهم فهو طالح  
وكل امرئ ينبئك عنه قرينه وذلك أمر في البرية واضح  
وله أيضاً:

حبيبي من يعادي من أعادي ويشفي ما بقلبي من أعادي  
ويعلي رايتي بين البرايا ويفنى عن هواه في مرادي  
وجاء في نوازل سيدي عبد الرحمن الجنتوري بعد أن اشتكى من حال  
أهل زمانه، قال: «ويرحم الله الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إذ قال:

صفة أهل الجهل في هذا الزمان التترك للحق وقلة الأمان  
إذا دعوا لله والعبادة قالوا بلى طريقنا بالعادة  
ويسمع الجور من أهل الظلم ويبغض الحق من أهل العلم  
والأمر بالمعروف عندهم غريب واتباع السنة عندهم صعب  
قلوبهم قاسية وغافلة عقولهم ذاهبة وذاهلة

---

(26) الجوزي، بدون، كله

وحالهم في البيع والشراء الغش والربا والافتراء  
قضاتهم على الهواء والطمع تجارهم على الكذب والبدع  
وزد إليهم حالة الشهود في الميل والكذب في العقود  
والعدل في زماننا قد انقطع لقلة الفسق وقلة الورع  
وهكذا العمال والولادة وكلهم حكمهم طغاة  
قراؤهم عقارب إذاية ليس لهم دين ولا هداية»<sup>(27)</sup>.

### المطلب الثاني: تعظيم آثاره المادية.

ومن معالم تعظيم أهل توات للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي  
محافظتهم على تلك الأماكن التي لها به اتصال بأي وجه من وجوه الاتصال،  
كآثار مادية تذكرهم به، وتجعله حياً في ذاكرتهم، وجزءاً من تاريخهم.

وبرغم مرور قرون عدة من الزمن، ومع ما تعرضت له المنطقة من الغارات  
والهجمات، وما مر عليها من الفتن والمحن، ظلت تلك الآثار قائمة يتبرك الناس  
بها، وظل الاحتفاظ بمعالمها والارتباط بها موجوداً متوارثاً جيلاً بعد جيل، كدلالة  
واضحة على الولاء والوفاء للشيخ ومكانته الاجتماعية التاريخية.

وهنا نقف مع بعض هذه الآثار التي تنسب إليه خارج القصر الذي دفن  
فيه<sup>(28)</sup>، وقفة مختصرة من باب الإشارة والتعريف، ونذكر منها:

#### 1. سوق المغيلي بأولاد اسعيد.

كانت إلى وقت غير بعيد بقصر (أولاد عبد اللي) أحد قصور (أولاد  
اسعيد)، بتيميمون، رحبة يطلقون عليها (سوق الشيخ المغيلي)، ويتناقلون  
فيما بينهم أن هذا المكان هو الذي أقام فيه الشيخ السوق التجاري الذي  
أشرف بنفسه على مراقبته، وضبط مكاييل وموازين التجار الذين يبيعون

<sup>(27)</sup> الجنتوري، بدون ص 26

<sup>(28)</sup> لأن هناك أثراً في قصر بوعلي ترتبط بالشيخ كمسجده القديم وخلوته.

فيه ويشترون، حتى يكون تعاملهم وفق الضوابط الشرعية، نظراً لكثرة تعامل الناس آنذاك بالربا أكثر من آثار الفساد الذي زرعه اليهود في معاملات المسلمين وتجارتهم.

وقد أقيمت اليوم بهذا المكان مدرسة ابتدائية، ومع ذلك فلا يزال الناس يطلقون على الموضع اسم (سوق الشيخ)، يقصدون بذلك الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي.

## 2. مقام الشيخ المغيلي بأولاد اسعيد.

وموضع هذا المقام عند مدخل سوق الشيخ بقصر (أولاد عبد اللي) المشار إليه قبل، ويتمثل في دكانة مرتفعة عن الأرض قدر مترين، داخل بناء مربع الشكل، عليه قبة، يقال إن الشيخ كان يجلس هناك لمراقبة معاملات الناس في السوق، ولا يزال المقام حتى يومنا الحاضر موجوداً يحتفي به.

## 3. مصلى الشيخ بأولاد أسعيد.

يقع هذا المصلى في قصر (آت باموسى)، قرب مقبرة مولاي يعقوب، كان المغيلي يؤم الناس فيه في الأعياد والمناسبات الدينية، وهو عبارة عن رحبة واسعة، بها منبر للخطابة، وتقع اليوم بجانب المتوسطة التي تحمل اسم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولا يزال الناس يقيمون حتى اليوم بها الأعياد<sup>(29)</sup>.

## 4. مسجد المغيلي بأولاد اسعيد.

يقع هذا المسجد في قصر (آت هارون)، وهو في حقيقة الأمر -حسب الروايات الشفوية- كان معبداً لليهود، فلما أجلاهم الشيخ حَوَّلَهُ إلى مسجد، وظل على هيئته كما تركه الشيخ إلى أوائل التسعينيات من القرن الماضي، تَمَّ هدمه وإعادة بنائه بالأسمنت، ولكنه لا زال حتى اليوم يحمل اسم الشيخ رحمه الله تعالى.

(29) اسماعيلي، بدون، ص 4

## 5. أسكلونالشيخ.

وهو مكان في قصر (أغام نهزوف)، بقرب سوق الشيخ، ليس بعيداً عنه، خصص للاستراحة والاستئناس من قبل أهالي القصر، يجتمعون فيه صيفاً وشتاءً للترويح عن أنفسهم وتبادل أطراف الحديث فيما بينهم، ولا زال هذا المكان حتى اليوم موجوداً، ويعرف بهذا الاسم.

## 6. رحبة المغيلي بكبرثن.

توجد رحبة بداخل قصر (كبرثن) الحالي، سميت باسم (رحبة الشيخ) يقصدون بذلك الشيخ المغيلي، ويقال في الروايات الشفوية أن هذا القصر كان واحداً من جملة قصور كثيرة تشكل واحة (كبرثن)، وكان يسمى (قصر أولاد أحمد)، وقد مر عليه الشيخ المغيلي فرحب به أهالي القصر، بعد أن رفض الترحيب به غيرهم من القصور المجاورة، فنزل الشيخ بهذا المكان أثناء إقامته، فدعا لهم بالخير والبركة، ومن ذلك الحين خصص المكان للتجمع في المناسبات الاجتماعية، وكان الناس إلى وقت غير بعيد يقومون بحمل أولادهم الصغار إلى هناك، وإقامة الختان فيه، من باب التماس بركة الشيخ.

## 7. مصلى الشيخ بقرب مراقن.

وهو المكان الذي صلى فيه لما أدركته الصلاة أثناء رجوعه من مهمة قتل اليهودي الذي خدع الناس بمظهره وتولى بهم الإمامة زمنًا طويلاً.

يقول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم التمنطيبي عن هذا اليهودي المسلماني: «حكي أنه كان يرش المسجد العظيم بالنجاسة، وكاشفه الشيخ المغيلي بذلك، حتى أقام الحجة عليه، فهرب، وتبعه الشيخ إلى قرب قرية لقرارة من أرض اسبع، فقتله نَمَّ، ولم يزل مضجعه مُعلماً برضم من الحجارة إلى الآن، ورجع من يومه، وصلى الظهر بموضع من المهوى يعرف بجامع الشيخ، وقد علمه بعض المتقدمين بتدوير الأحجار»<sup>(30)</sup>. ولا يزال هذا

<sup>(30)</sup> التمنطيبي، درة الاقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام، بدون، ص 40

المكان معلوماً لحد الآن، يقع بجانب الطريق الوطني لجهة القبلة، يقصده من المسافرين من أدركه وقت الصلاة ليصلي فيه، وربما قصده بعضهم للتبرك بآثار الشيخ.

يقول الشيخ سيدي عبد الكبير لمطاري في رحلته لطلب العلم: "ثم مررنا ببلاد لقرارة مسرعين، ثم توجهنا للمهواة، وزرنا بها مسجد الولي الصالح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي"<sup>(31)</sup>.

#### 8. مسجد الشيخ وخلوته بقصر بوعلي

وهما مسجدان، أحدهما يقع بربوة عالية كان الشيخ يصلي فيه في أيام قوته وصحته، والآخر في الأسفل بناه الشيخ حين كبر سنه، وضعفت قوته، وعجز عن تحمل مشاق الصعود إلى المسجد الأول، ولا زالت آثار المسجدين قائمة حتى اليوم الحاضر، يقصدهما الزائرون للتبرك بهما وبآثار الشيخ فيهما.

ويوجد أيضاً بهذا القصر آثار خلوة الشيخ، وهي المكان الذي كان يختلي فيه مع عبادة ربه، وينزوي في أحضانه لتزكية نفسه وترقية روحه، وذلك من خلال التقرب إلى الخالق بأنواع الطاعات والقربات، والمداومة على الذكر والدعاء والتضرع والمناجاة، ولا شك أن هذا الموضع قد شهد نزول كثير من رحمت الله وبركاته، فكان حقيقاً بأن يحفظ ويصان، ليظل معلماً من معالم الخير المرتبطة بالشيخ إلى ما شاء الله.

#### 9. قلنسوة الشيخ وعكازته بقصر زاوية كنتة

وقد توارث ذلك أفراد قبيلة الرقادة الكنتيين بزاوية كنتة، ويقال أنهم ورثوا ذلك عن جدهم الشيخ سيدي عمر الرقادي الذي كان تلميذ الشيخ ورفيقه في رحلة الدعوة، وقد لازمه ما يقرب من عشرين سنة.

<sup>(31)</sup> لمطاري، الرحلة في طلب العلم، بدون، ص 3



## الخاتمة

إن الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من أفراد العلماء الذين رسموا لأنفسهم مسلكاً فريداً في خدمة الدين الإسلامي ونصرة قضايا الشريعة المحمدية، فقد هجر ربوع وطنه، وتخلّى عن أهله وأقربائه، وحبس نفسه لله تعالى، فجال في بلاد شتى، وأقطار عدة، وخالط شعوباً مختلفة وأقواماً متباينة، فاستطاع أن يتكيف مع طبائع وعادات كل هذه الشعوب والأقوام، وأن يترك فيهم بصماته التي ظلت عصية على الزمن، فلم يستطع محوها أو طمس معالمها.

وقد نال إقليم توات الحظ الأوفر من جهود هذا العالم الكبير والمصلح العظيم، تشرف بقدمه وأقدامه، وسعد بحلوله وإقامته، وشهدت كل درة من درات ترابه على جهاده ونضاله، فترسخت مكانة الشيخ بذلك في الذاكرة التواتية، وظل اسمه يتردد مع الزمن كرمز من أهم رموز العلم والإصلاح في عموم هذا القطر.

وقد شاءت الأقدار الإلهية أن تكون وفاة الشيخ-بعد جولاته- بأرض توات، فتشرفت هذه الأرض بضم جسده الطاهر، وضريحه الظاهر، ليظل مزاراً يقصد، ومعلماً يعلى ويُنهّد، كما تشرفت كذلك باحتضان أثاره وشواهد أعماله، فتم تعليمها وتعظيمها والارتباط به من خلالها، إضافة إلى تعظيم ذريته من بعده، حيث حفظ الناس لهم مكانتهم، ورعوا لهم حرمتهم، وصانوا لهم قدرهم، وتلك كلها من الدلالات الرمزية لعلو مكانة المغيلي ورفعة منزلته عند أهل توات.

وقد وقفنا من خلال هذه المداخلة على نصوص عدة زخرت بها المخطوطات والوثائق، مما يؤكد لنا أن البحث في هذا الموضوع له أهميته العلمية الكبيرة، وهو بحاجة إلى مزيد من تسليط الضوء عليه من خلال تتبع جزئياته في مظانها، والوقوف على أكبر قدر من المعلومات المتعلقة به، حتى يكون أنضح وأتم وأكمل، والله من وراء القصد، والحمد لله أولاً وأخيراً.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

1. أحمد بن هاشم. (بدون). الرحلة الى المستور. أدغاغ: خزانة سليمان أدغاغ، .
2. سيد المحفوظ الجوزي. (بدون). تقييد على التسهيل لعلوم التنزيل. أولاد سعيد: خزانة آل الجوزي.
3. سيدي البكري التمنطيبي. (بدون). إعلام الإخوان. تمنطيط: خزانة أولاد القاضي تمنطيط،
4. عبد الرحمن بن ابراهيم الجنتوري. نوازل الجنتوري. كوسام: خزانة كوسام.
5. عبد القادر بن عمر المهداوي (بدون).. الدرّة الفاخرة بذكر المشائخ التواتية. أدرار: خزانة الوليد بن الوليد أدرار.
6. الرحلة الحجية. تمنطيط: خزانة خاصة تمنطيط.
7. عمر بن عبد القادر المهداوي (بدون). الرحلة الحجية. ادرار: خزانة سليمان أدغاغ، بدون.
8. عبد الكبير لمطارفي (بدون). الرحلة في طلب العلم. لمكارفة: خزانة العائلة الراشدية، لمطارفة، بدون.
9. مجهول. (بدون). نازلة مخطوط. أنزجمير: خزانة سيدي عبد الرحمن الانصاري انزجمير.
10. وثيقة صلح (بدون). أدرار: خزانة سيدي عبد القادر بن عبد الكريم أدرار.
11. وثيقة مخطوطة (بدون).. زاوية كنتة: خزانة الشرفاء بزاوية كنتة.
12. وثيقة من خزانة سيدي عبد الرحمن الانصاري إنزجمير. أنزجمير أدرار: خزانة سيدي عبد الرحمن الأنصاري أنزجمير.
13. وثيقة من خزانة سيدي عبد الرحمن الانصاري أنزجمير (بدون)..«أدرار: خزانة سيدي عبد الرحمن الانصاري أنزجمير».
14. وثيقة من خزانة كوسام (بدون).. أدرار: خزانة كوسام، أدرار.
15. محمد الطيب بن أمحمد الجوزي (بدون).. رسالة مخطوطة. أولاد سعيد: خزانة آل الجوزي أولاد سعيد.
16. محمد بن عبد الكريم المغيلي (بدون).. فتح الجليل على متن فرائض خليل. أولاد ابراهيم: خزانة مولاي علي قريشي.

17. محمد بن عبد الكريم المغيلي (بدون).. منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب. زاجلو: خزانة سيدي أمحمد العالم
18. محمد بن عبد الكريم التمنطيبي. درة الاقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام. تمنطيط: خزانة أولاد القاضي تمنطيط أدرار، بدون.
19. درة الاقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام(بدون). تمنطيط: خزانة أولاد القاضي، بدون.
20. محمد بن عبد الكريم المغيلي(بدون). رسالة في اليهود. تمنطيط: الخزانة البكرية، بدون.
21. فصل الخطاب في رد الفكر الى الصواب. تمنطيط: الخزانة البكرية، بدون.
22. قصيدة في المنطق. زاجلو: خزانة زجلو، بدون.

#### المصادر المطبوعة:

23. عبد الرحمن بن عمر التتلائي. الرحلة الحجية. بوسعادة: دار كردادة، 2014.
24. ضيف الله بن أب. الرحلة الى قبر الوالد. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2015.

#### الأطروحات:

25. عبد الرحمن بن عمر التتلائي. الفهرست. بشار: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009.

## «الإمام المغيلي وأثره بإقليم قورارة»

الأستاذ عبد الرحمان الجوزي،

إمام أستاذ معتمد وعضو المجلس العلمي بولاية بجاية.

### الملخص:

يُعد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الشخصية الرمزية التي كان لها الفضل الكبير في ترسيخ دعائم الدعوة والإصلاح بإقليم قورارة، وله تعود مبادرة تأسيس إمارة شرعية مبنية أساسا على مقومات الحضارة الإسلامية بالمعنى الكامل، ولبلدة أولاد سعيد وسكانها الحظ الأوفر في احتواء هذه الشخصية الفذة، ومنحها جميع المستلزمات المادية والمعنوية التي تؤهل القائد المصلح إلى تحقيق جميع غاياته النبيلة، وتكريس مبادئ الحضارة الإنسانية بمفهوم المواطنة تحت غطاء الحضارة والتمدن.

### Imam al-Maghīlī and His Works in the Region of Gurara

#### Abstract:

Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī is considered the symbolic figure who had a great credit for consolidating the pillars of *da’wah* and reform in the region of Gurara. He has the initiative to establish a religious Emirate based mainly on the foundations of Islamic civilization. The town of Ulad Saeed and its residents had the best luck in welcoming such a unique personality, and giving him all the material and moral requirements that supported this leader to achieve all his noble goals and to devote the principles of human civilization with the concept of citizenship under the shade of civilization and urbanization.

#### Keywords:

Imām al-Maghīlī, Gurara, *da’wah*, Religious Reforms

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(1)- الإمام المغيلي التلمساني بين مرحلة النشأة ومرحلة التكوين والنبوغ:

أ- مولده: ولد الإمام بتلمسان في حدود 820هـ/1417م اعتماداً على ما ذكره أبو العباس أحمد بن محمد الشهرير بابن القاضي المكناسي أثناء تعرضه لإسفاة أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي، حيث قال: «ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الرجل الصالح في حدودها»، والتاريخ الذي أشار إليه ابن القاضي رغم وروده في سياق وفاة الإمام المغيلي لكن جنحت طائفة من المؤرخين إلى أنه تصحيف منه ليس إلا، بل الصواب هو تاريخ الميلاد، بخلاف ما ذهب إليه الأستاذ رابح بونار في تحقيقه لمصباح الأرواح بأنه ولد عام: 790هـ/1388م وهو بعيد كل البعد عن الحقيقة؛ فلا يُعقل -على تقدير هذا التاريخ- أن يدخل إلى أولاد سعيد<sup>(1)</sup> بقرارة أول مرة عام 856هـ وهو ابن 66 عاماً، كما لا يعقل أيضاً أن يدخل بعدها تمنطيط في عام: 882هـ/1477م وهو ابن 92 عاماً، ولقد أشار "بابا حيدة" أثناء حديثه عن الشيخ سالم العصنوني إلى هذا الدخول بقوله: [...]وتقضى العالم الولي المشهور سيدي سالم بن السيّد محمد في حياة عمّه سيدي عبد الله المذكور عام أربعة عشر وتسعمائة، وولد عام اثنين وثمانين وثمان مائة (882هـ)، وفي تلك السنة جاء الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي لتمنطيط<sup>(2)</sup>. بل كيف يخوض حروبه مع اليهود تحت قيادته في ساح المعارك وعمره قد تجاوز القرن من الزمن.

(1) أولاد سعيد: تُعرف بصيغتها البربرية بـ "أت سعيد" وقديماً الشط الظهري (الشمالي) لبحيرة تجورارين، وهي بلدية سياحية تاريخية أثرية بالدرجة الأولى، واقعة شمال شرق مقر ولاية تيميمون الجزائرية، تبعد عن مقر الولاية حوالي: 18 كلم، يبلغ عدد سكانها حوالي: 12000 نسمة، ومساحتها حوالي: 650 كلم<sup>2</sup>

(2) انظر: محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم (بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط -مخطوط بلا ترقيم- خزينة كوسام بولاية أدرار الجزائرية.

وأماً بخصوص نسبه فيصل إلى سيّدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو إدريسي الفرع، وسليل عائلة علمية كريمة شهيرة بالفضل والصلاح.

ب- طلبه للعلم: أخذ الإمام بداية عن بعض شيوخ تلمسان منهم: والده، والفقير محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت سنة 875هـ/1470م)، وعن غيرهما، وبعد طلبه للعلم بمسقط رأسه تلمسان ارتحل الإمام المغيلي إلى بجاية عاصمة العلم والصلاح عام: 836هـ وهو ابن 16 عاماً، فمكث فيها ما يقارب 20 عاماً<sup>(3)</sup> ينهل من علوم وأسرار فحولها، فتضلع في سائر الفنون على يد شيوخ أجلاء، على رأسهم: الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوغليسي البجائي (ت سنة 840هـ/1434م) ومفتي بجاية الشيخ أبو علي منصور بن علي<sup>(4)</sup> بن عثمان الزواوي المنقلاطي (ت 846هـ/1442م بتونس) وكان لهذا الأخير أثرٌ كبير في تكوين شخصيته الدعوية والإصلاحية والجهادية، ولأزم عالم الجزائر الشيخ أبا زيد سيدي عبد الرحمان الثعالبي (ت 875هـ/1470م) خريج مدرسة بجاية أيضاً على يد والد الشيخ المنقلاطي المذكور بمسجد «عين البربر» المعروف اليوم بمسجد «سيدي صوفي»، فأخذ عنه التفسير وغيره، وزوّجه الشيخ المذكور بنته السيّدة (زينب).<sup>(5)</sup> وأمره الشيخ ألا يسكن إلا في بلاد العزة والكرامة، فقفل

---

<sup>(3)</sup> مدة طلبه للعلم ببجاية المذكورة هي مُستقاة من شريط فيديو قديم حول مسيرة الإمام المغيلي للمرحوم الشيخ امحمد الكنتي.

<sup>(4)</sup> من فقهاء وعلماء بجاية، ومن ذوي العصبية والقوة فيها، وكان من أصحاب الرأي والتدخل في الأحداث السياسية لمكانته المرموقة. قال عنه شمس الدين السخاوي في الضوء اللامع: «رأيت من قال أنّه مات بتونس عام: 846هـ/1442م».

<sup>(5)</sup> السيّدة زينب الثعالبية الجزائرية: هي المعروفة محلياً باسم «الأوت العليّ» زوجة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وهي مقبورة بقصر "باضها" من أولاد سعيد على حافة الطريق الرابط بين بلدة كالي وأولاد سعيد بولاية تيميون (الجزائر)

إلى بلاده تلمسان فلم يستقم له العيش هناك؛ لما رآه من جور الحكام وانتشار الفساد، فخرج منها ساخطاً مُعبراً عن حالها آنذاك بقوله:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا \*\*\* ولكن لطف الله نسأل في القضا  
وكيف يحبُّ المرء أرضاً يسوسها \*\*\* يهودٌ وفجائرٌ ومن ليس يُرتضى

قرّر الشيخ المغيلي البحث عن بلاد تحقق له غايته وتبلغه مُراد شيخه المذكور، فضرب الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً من أجل ذلك، فاستقر به المطاف في أولاد سعيد عام: 856هـ، وفيها ذاع صيته في العلم والتقوى والورع والصلاح والحسبة وانقاد له فيها جميع الناس طوعاً وكرهاً.

ونظراً لغيرته الشديدة على حى الشريعة؛ عزم على محاربة اليهود الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون في سائر إقليم توات الكبرى، فراسل في شأنهم علماء الحواضر والأمصار يستفتيهم في النازلة، وسانده في ذلك العلامة: الشيخ محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وغيره، وعارضه القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني أحد قضاة توات.

ويظهر من خلال بعض الاعتبارات بأنَّ شيخه أبا زكريا يحيى بن يدر التدلسي التلمساني أخذ عنه الإمام بتلمسان وليس بتمنيط؛ خصوصاً وأنَّ أول محطة حطَّ بها الرحال بالإقليم هي أولاد سعيد، دخلها وعمره يومها 36 عاماً عالماً داعية مُرشداً مصلحاً قاضياً أميراً حاكماً بالشريعة الإسلامية وليس طالباً للعلم، ولقد أثبت أسبقية نزوله بأولاد سعيد طائفة من المؤرخين والمحققين والكتّاب، منهم: الدكتور الصديق حاج أحمد الذي قال عن ذلك ما نصُّه: [ومما يمكن الملاحظة إليه مبدئياً أن تمنيط، قد عرفت حركة علمية مزدهرة، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن مناطق أخرى وفي نفس الفترة، قد شهدت حركة علمية مماثلة، وهي منطقة قورارة وبالخصوص مركزها العلمي الشهير ب: "أولاد سعيد" فقد نزل بها المغيلي أول ما نزل بتوات، وقد ظهر بها أعلام أمثال: سيدي محمد عبد الرحمان

العبد لأوي].<sup>(6)</sup> ويقول صاحب سلسلة النواة مُشيراً إلى تاريخ نزوله بأولاد سعيد: [ولما تمت الصحبة بينه وبين الإمام الثعالبي زوجه ابنته زينب، وأوصاه الإمام الثعالبي ألاّ يعاشر أهل سفاهة، وألاّ يستوطن مكان إهانة، وكان يريد الإقامة بين أقاربه وإخوانه بتلمسان فلم يستقم له الحال؛ لما رأى من جور الحكام، وسكوت العلماء في مقام الكلام، فغادر تلمسان وخرج يرسم الدعوة إلى الله والنصر والدفاع عن إقامة الحدود؛ إرضاء لله ورسوله، فطلب شاسع الأصحار، فتوطن قرية أولاد سعيد بنواحي تيميمون حوالي: 856هـ/ (1452م)، . ولدت له زينب بأولاد سعيد ثلاث أولاد، وهم: علي، وعبد الجبار، وعبد الله].<sup>(7)</sup>

وفي مجلة المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار ما نصّه: «سلك الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي طريقه إلى الدعوة بنشر العلم، فهو سلاحه الذي مكّنه من أنصاره، وحارب به أعداء الحق من الحكام ومَن شايعهم. ومن أهم الأسباب التي حالت دون إقامته بتلمسان بين أهله وذويه؛ ما رآه من جور الحكام، وسكوت العلماء، فغادرها متوجهاً إلى الصحراء، وبالتحديد نحو منطقة توات التي يطلق عليها اليوم ولاية أدرار، واستوطن بأولاد سعيد من ضواحي تيميمون، وبها أنجب أبناءه الثلاثة: عليّاً، وعبد الجبار، وعبد الله، عاش منهم: عبد الله وخلف نسلاً يرجع إليه كلُّ أبناء الشيخ بأراضي توات. ولم تتوقف رحلته في أولاد سعيد، بل اتخذها منطلقاً توجه منه لباقي قرى توات وقصورها التي أبدى بها إعجابه بقوله: (دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقرّ أكابر وأعلام، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا)، وعكر صفو ذلكم الإعجاب بتوات؛ اليهود الذين رأى منهم تجاوزاً لحدود

<sup>(6)</sup> انظر: الصديق حاج أحمد ص 54 -التاريخ الثقافي لإقليم توات- رقم الإيداع القانوني: 2210، 2003- ردمك 0223.7-0-9947، مديرية الثقافة لولاية أدرار.

<sup>(7)</sup> انظر: مولاي التهامي غيتاوي ص 40/ج1 "سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات"، منشورات: ANEP.



الشريعة الإسلامية، واستعلاءً على المسلمين، حتى أنّهم أكثرُوا من التمرد والطغيان على الحكام، فقرر محاربتهم، وقد ناظره في ذلك القاضي العصنوني، أحد قضاة توات آنذاك»<sup>(8)</sup>.

(2)- العوامل الأساسية لاختيار أولاد سعيد كمركز للمأوى والاستقرار:

أ- الأهمية الإستراتيجية (مادياً ومعنوياً): عُرف الشط الظهراني (الشمالي) لإقليم قورارة قديماً -أي ما يُسمى اليوم ب (أولاد سعيد) - كعاصمة تشريعية للسلطة القضائية لدى المؤرخين عبر العصور بعد انقراض أنظمة الدول عنها كبنو مريم وبنو زيان وبنو وطاس؛ من أجل ذلك قُيِّضت أولاد سعيد لدى الجماعة القورارية كمركز لإصدار الأحكام المسيّرة للإقليم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً...إلخ. وينبغي هنا القول بأنّ المدرسة السعيدية تستحق جدارة حمل اللواء المعرفي في إقليم قورارة برمّته رفقة تمنطيط في إقليم توات الوسطى، يقول الدكتور الصديق حاج أحمد في كتابه عن تاريخ توات: [لقد تبوأّت "أولاد سعيد" مكانة الصدارة في الإشعاع العلمي بالإقليم إلى جانب تمنطيط في القرن: 9هـ/10هـ]،<sup>(9)</sup> ويقول الباحث الأستاذ فرج محمود فرج في كتابه «إقليم توات»: [وإذا انتقلنا إلى مقاطعة القورارة برزت لنا مدينة تيميمون وقصر "أولاد سعيد" كمركزين نشطين للحياة الثقافية والأدبية]،<sup>(10)</sup> ويقول أيضاً في نفس الكتاب: «فقد اشتهرت بعض المدن والقصور التواتية بنشاطها الثقافي والتعليمي في ذلك

---

<sup>(8)</sup> انظر: ص 05 من مجلة الشيخ: محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولاية أدرار، تنظيم اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأوّل للتعريف بتاريخ منطقة أدرار (13-14 شعبان: 1405هـ / 03-04 ماي: 1985م)

<sup>(9)</sup> انظر: ص: 61 المرجع السابق.

<sup>(10)</sup> انظر: فرج محمود فرج "إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين" ص: 98، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون -الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب. أطروحة تقدم بها الأستاذ: لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ.

الوقت، فكانت كلُّ من تمنطيط وأدراو وبودة وملوكة وزاوية كنته تعدُّ أماكن تعليمية رئيسة بمنطقة توات، و"أولاد سعيد" وتيميمون بمنطقة قورارة، وأقبلي وعين صالح بمنطقة تيديكلت<sup>(11)</sup>. والحق أن التنافس الأكبر في الجانب العلمي والثقافي الذي شهده إقليم توات الكبرى في عصوره الخوالي، كان أكثر فعالية بين الحركتين العلميتين الكائنة إحداهما بتمنطيط، والأخرى بأولاد سعيد؛ حسبما أكدته التقايد المحلية، والملاحظ إحصائياً أنَّ أولاد سعيد شهدت الكثير من الزوايا العلمية والرباطات والكتاتيب ومعامل تعليم القرآن الكريم مع مثيلاتها من البلدان عبر كافة تراب الإقليم، واستطاع بفضلها الإقليم أن يضاهاى غيره من الأقاليم القريبة منه والبعيدة، خصوصاً في مجال العلوم الفقهية واللغوية والقضاء والفتوى، يقول عن ذلك الدكتور حوتية محمد: «ظهرت بإقليم توات مراكز حضارية عديدة ساهمت في إثراء الثقافة العربية، فكانت هناك زوايا عديدة نذكر منها: زاوية تمنطيط، بودة، ملوكة، زاوية كنته، رغان، أقبلي، أولاد سعيد»<sup>(12)</sup>. وتُعد أولاد سعيد أيضاً من أشهر الأقطاب الاقتصادية في توات، فقد أنشأ بها الإمام المغيلي سوقه الموازية لسوق اليهود، فذرتَ بنفعها على كافة تراب الإقليم، حتى وصف ليون الإفريقي "قورارة" حينها بقوله: «تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو 120 ميلاً شرق تسابيت، حيث يوجد بها ما يُقارب 50 قصراً، وأكثر من مائة (100) قرية بين حدائق النخيل، وسكانها أغنياء؛ لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان...ويأكلون لحم الجمال، ويستعملون في طعامهم الشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان»<sup>(13)</sup>. والحقَّ إنَّ الشهرة التجارية

(11) انظر: ص: 85 من المرجع نفسه.

(12) انظر: حوتية محمد -مقال للأستاذ- ص: 36 من كتاب: "طريق القوافل"،

م.و.ب.م.إت 2001.

(13) انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بالأسد الإفريقي «وصف إفريقيا»، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ص 134 -الجزء الثاني- دار الغرب الإسلامي لبنان.

لتيفورارين كانت حتى قبل إنشاء هذه السوق، حيث قال ابن خلدون في تاريخه: «وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب، مثل توات وتيكورارين ووركلان».<sup>(14)</sup> كما تشتمل أولاد سعيد على منطقة (ريغ) الشهيرة بملح الطعام الجيد والصحي على المستوى الإقليمي والذي شكل خطأً تجارياً ربط بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، فقد كانت تحول من (ريغ).<sup>(15)</sup> أطنان من الملح إلى تخوم إفريقيا لجلب الذهب والعبيد والجمال وريش النعام... إلخ بالإضافة إلى التجارة في تمور النخيل والخيول التي شهدت تعاملات خاصة مع إقليم الظهراء خصوصاً البيض، وعين الصفراء، وعسلة، ولبيض سيدي الشيخ... إلخ؛ وعليه كانت أولاد سعيد من أهم مراسي القوافل التجارية القادمة إلى الإقليم فهي تشكّل الطريق المتاحة من الشمال الوسط نحو إقليم توات (من بجاية إلى ورجلان إلى أولاد سعيد بقورارة)، وهي أيضاً المركز الرئيس الذي تحط به القوافل القادمة من الجزائر خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) كما أشار إليه المؤرخون وأصحاب الرحلات على رأسهم ابن بطوطة وغيره.<sup>(16)</sup>

ب- العلاقة القديمة بين قورارة وتلمسان: تُعد أولاد سعيد أكبر مستقر للشخصيات السياسية المضطهدة في شمال إفريقيا، فقد لجأ إليها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني<sup>(17)</sup> عام: 772هـ/1371م بأهله

<sup>(14)</sup> انظر: عبد الرحمان بن خلدون «العبر وديوان المبتدأ والخبر»- الجزء الأول- ص 93، دار الكتاب اللبناني (1980)

<sup>(15)</sup> ريغ: علم على موضع بين أولاد سعيد وتيميمون.

<sup>(16)</sup> انظر: مقدم مبروك، مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وأثار" ص: 168، 169 مطبعة القدس (في إطار تلمسان 2011 عاصمة الثقافة الإسلامية)

<sup>(17)</sup> السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني: هو أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، استلم مقاليد حكم الدولة الزيانية بتلمسان سنة: 760-791هـ/1359-1389م، ازدهرت تلمسان أثناء حكمه الممتد أزيد من 30 سنة، وأجره جيرانه الغزاة المرينيون على مغادرة تلمسان والتخلي

وحاشيته ووزيره (كاتب سره الخاص) أبو زكريا يحيى بن خلدون<sup>(18)</sup> أخو المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون صاحب المقدمة، بعدما أجبرهم السلطان عبد العزيز المريني على الفرار من تلمسان عاصمة الزيانيين، واحتلها في 10 محرم عام: 772هـ/1371م، ليلجأ في الأخير سلطان تلمسان المخلوع إلى إقليم قورارة، فيعيش بين: «أولاد سعيد» و«قصر قدور» و«تالة» من بلدان تلك المنطقة، ويجهز من خلالها جيشاً جراراً عرمرماً متكوناً من الزناتة وعرب المعقل وبني عامر وحميان، يزحف به إلى تلمسان؛ ليسترد ملكه وملك أجداده الضائع، فحقق به نصراً عظيماً ظل مفخرة له ولأنصاره. ومن بين قبائل أولاد سعيد التي خرجت مع السلطان الزياني إلى تلمسان واستقرت بها: قبيلة برّحال المقيمة بتلمسان إلى يوم الناس هذا، وهناك أيضاً قبائل زيانية تلمسانية تقطن قورارة إلى يوم الناس هذا كعائلة: سماري وباخلوف... إلخ من القبائل. وذكر المؤرخون أن هذا الحدث في زمانه كان من أعجب العجائب. يقول عن هذا اللجوء إلى إقليم قورارة وزير السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي في كتابه: «مناهل الصفا» العلامة المؤرخ أبو الفوارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي مانصه: «...فنجا بنفسه على (تيكورارين) وأقام بها إلى أن هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرين

---

عن عرشها أربعة مرات. قُتِل أبو حمو موسى الثاني في جمادى الأخيرة سنة: 791هـ/1390م وعمره ثلاث وخمسون سنة، في حرب بينه وبين ابنه وولي عهده: "أبي تاشفين الثاني" الذي انضم إلى صف أعدائه بني مرين.

<sup>(18)</sup> هو أبو زكريا يحيى بن خلدون شقيق مؤسس علم الاجتماع العلامة أبي زيد عبد الرحمان بن خلدون، له كتاب في التاريخ سمّاه: "بغية الرّواد"، في ذكر الملوك من بني عبد الواد" وموضوعه عن الدولة العبد الوادية (الزيانية) منذ نشأتها إلى عصر المؤلف، ويبدو أنّه قام بتصنيفه بطلب من السلطان أبو حمو موسى الثاني؛ بغرض تخليد أمجاد هذه الدولة، انتهت حوادثه في أواخر سنة 776هـ/1374م، توفي مقتولاً سنة 788هـ.

- انظر: عبد العزيز فيلالي "تلمسان في العهد الزياني، ص 467/ج2. ENAG/ EDITIONS.

القهقري لفاس فطير إليه النجيب أولياؤه من العرب فأغد السير إلى تلمسان  
فعاود بها سلطانه واقعد أريكته وكانت إحدى الغرائب»<sup>(19)</sup>.

ضاقت على سلطان تلمسان الأرض بما رحبت، فلم يجد بُدّاً للنجاة  
وترتيب الأوراق إلّا في النزول بأولاد سعيد بقرارة عام: 773هـ، وسكن  
القصر العتيق لأولاد القاضي الشهير بقصر "أولاد آدم" أو "تمدوين" بأهله  
وأبنائه وحفدته، فحظي عندهم بالعناية الكاملة والمساندة والدعم وبمبايعة  
تامة غير منقوصة؛ أفضت إلى استرداد أنفاسه، واسترجاع ملكه الضائع.  
يقول أبو زكريا يحيى ابن خلدون في كتابه بغية الرواد مُتحدثاً عن سلطان  
تلمسان: «ودخل بعده القوارير فحوصاً فيحاء منتسقة؛ تحيط بكل منها  
كثبان شواحق؛ وعند منتهاتها قصور تُعرف بالسواني»<sup>(20)</sup> يعمرها صنف من  
البشر يُعرفون ب: بني يالديز؛ أشباح خاوية؛ قد نشرت جلدأ على عظم؛  
لبرض القوت، فارتوى الناس بها ساعة من نهار، ثم استمر إلى تجوارين...  
فارتضى قصر «أولاد آدم»<sup>(21)</sup> من الشط الشمالي،<sup>(22)</sup> فأفرجوا له عنه،  
وأكرموا به مثواه، وذلك آخر السنة،<sup>(23)</sup> فاستقر به ولسان حاله ينشد قول  
السموئل بن عاديا حيث يقول:

<sup>(19)</sup> انظر: عبد العزيز الفشتالي "مناهل الصفا، في مآثر موالينا الشرفا"، تحقيق: د/

عبد الكريم كريم، ص 75. 76، مطبوعات وزارة الأوقاف -المغرب- (1972)

<sup>(20)</sup> السواني: مصطلح قديم يُطلق على ما يُسمى الآن بمنطقة قصر قدور وما جاوره من  
إقليم قورارة، كما يُطلق مصطلح الدغامشة على المطارفة وما جاورها، والزواى على  
دلدول وما جاورها والشط القبلي (الجنوبي) على تميمون وما جاورها، والشط  
الظهراني (الشمالي) على أولاد سعيد وما جاورها...إلخ.

<sup>(21)</sup> قصر أولاد آدم (تمدوين): من القصور التاريخية العتيقة لأولاد القاضي بإقليم  
قورارة شرق أولاد سعيد غمرته الرمال اليوم فلم يعد يظهر منه شيء.

<sup>(22)</sup> الشط الشمالي: يعني به الشط الظهراني وهو ما يُعرف اليوم بأولاد سعيد كما

تقدم.

<sup>(23)</sup> يعني سنة: 773هـ.

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه \*\*\* فكل رداء يرتديه جميل<sup>(24)</sup>.

وهكذا طاب مُقام سلطان تلمسان بين أحضان أهالي أولاد سعيد ستة أشهرٍ كاملة وهو يحمل في قلبه بصيصَ أملٍ في العودة إلى ملك أسلافه المسلوب، فلم يلبث طويلاً عندهم في قصر (أولاد آدام) بشورارة يتبوأ منه حيث يشاء بين جنابات رياضه المحفوفة بأشجار النخل الباسقات ذات الطلع النضيد وخيرٍ أنهار فقاقيره الجارية، وهو في غاية من التنعم بحفاوة الاستقبال وجليل الترحاب والإكرام وجميل النصرة والمساندة والإجارة والتأييد؛ حتى بشَّره الله برؤيا وضَّحَّت له معالم الطريق وحدَّت له موعد الرجوع إلى عاصمة الزينانيين تلمسان، فطار قلبه مُحَلِّقاً في سماء الفرحة والسرور؛ لما جاد عليه قصر "أولاد آدام" بشورارة من حسن الحظ وبركات السعادة وعلامات الظفر بالفرج القريب، وفي ذلك قال أبو زكريا يحيى بن خلدون في بغية الرواد ما نصُّه: [أهلَّ لأمير المسلمين -أيده الله- هلال محرم هذه السنة<sup>(25)</sup> المباركة بتجورارين؛ حسبما قلناه، وعلى الحال الذي وصفناه؛ إلا أنَّ الرجاء في الله قوي، وحسن الظن به من الظنة بري، وصراط الصبر لانتظار الفرج سوي، فكان مما خوطب به -أيده الله- في عالم النوم يومئذٍ: بعد ستةٍ تعود إلى ملكك، فعينها بتعبيره الصادق أشهراً؛ فكان كذلك دون نقص ولا زيادة سنَّة حلمه في الحادثات].<sup>(26)</sup> والتحق بسلطان بني زيان ب: قصر (أولاد آدام) بقورا نجله وولي عهده أبو تاشفين الذي استقر هو أيضاً بالقصر المذكور؛ من أجل إعداد الخطط مع أبيه لمحاربة المرينيين بتلمسان،

<sup>(24)</sup> انظر: أبو زكرياء يحيى بن خلدون - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- الجزء الثاني، تقديم وتحقيق وتعليق الأستاذ بوزياني الدراجي ص 471-473 دار الأمل الجزائر 2007.

<sup>(25)</sup> يعني عام: 774هـ.

<sup>(26)</sup> انظر: أبي زكرياء يحيى بن خلدون "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: تقديم وتحقيق وتعليق الأستاذ بوزياني الدراجي، ج 2 ص 484، دار الأمل الجزائر 2007.

فوضعا النقاط على الحرف في المكان المذكور، وانطلقت حملة الهجوم من هناك على الأعداء، فنظّموا صفوف الجيش، ودقّوا طبول الحرب؛ فتحقق لهما بذلك النصر المبين، وعاد السلطان أبو حمو موسى الثاني الزياني إلى تلمسان سالمًا غانمًا، يقول عن ذلك أبو زكريا يحيى بن خلدون مانصّه: [وفي السادس (06) جمادى الأولى<sup>(27)</sup> ورد على الخليفة نصره الله بالقصر المسّى بقصر "أولاد آدام" رسل عبد الله بن شقير بالبشارة فقدم معهم بين يديه الكريمتين خلد الله ملكه ولده الأمير الأعلى أبا تاشفين، ثم وصله بأولاد يغمور بن عبد المالك من أولاد خراج نصيحه الأوفي الشيخ الأكمل أبو عمران موسى بن موسى بن خالد أعزه الله، فارتحل -أيده الله- معه قاصدًا دار ملكه<sup>(28)</sup> العزيز].<sup>(29)</sup> وهكذا ظلت علاقة الزيانيين بأولاد سعيد متواترة أبا عن جد وكابراً عن كابر عبر العصور، وتكوّنت روابط سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وعلمية وقضائية بين الجانبين؛ ترجمها الواقع في قوافل طلب العلم من عائلة أولاد القاضي الذين كانوا يحجّون تلمسان للأخذ عن مشاهير أعلامها؛ فوفر لهم حكامها يومئذ كل الظروف وسخروا لهم جميع المستلزمات. وفي عصر الحافظ العلامة الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني بعث أحد ملوك بني زيان كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" إلى أولاد القاضي بأولاد سعيد، ولا تزال بعض الأوراق من مؤلف محتفظ بها بين رفوف خزنتهم العلمية العتيقة بإقليم قورارة تحت رقم: (175)، ولعل هذه العلاقة وغيرها هي السر في استمرارية التعايش بين تلمسان وقورارة التي سميت في مرحلة من مراحل تاريخها بصحراء تلمسان، ولقد عنون الونشريسي نازلة الإمام المغيلي مع

<sup>(27)</sup> يقصد جمادى الأولى من عام: 774هـ والسلطان يومها كان بقصر أولاد آدم بأولاد

سعيد من إقليم قورارة.

<sup>(28)</sup> يعني تلمسان.

<sup>(29)</sup> انظر: ص 486، المصدر السابق.

القاضي العصنوني بقوله: "نازلة في دور توات من قصور صحراء المغرب الأوسط"<sup>(30)</sup>.

وكانت فوراة وقتئذٍ أيضاً تشكل مفترق الطرق التجارية بين فاس وتلمسان والصحراء كما أشار إلى ذلك المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، وظلت عائلة أولاد القاضي بفوراة تذود عن حمى علاقتهما بتلمسان وعن آثارها وأماكنها التاريخية بالشط الشمالي (الظهري) من الإقليم؛ حتى بعد سقوط عرش بني زيان وتولي الحكم من طرف الأتراك العثمانيين، بل حتى في زمن الاستعمار الفرنسي، وظلت تلمسان -بكل ما تحمله الكلمة من معنى- هي المحطة العلمية التاريخية الرئيسة التي تضلع فيها كبار علماء عائلتهم المسعودية، وذلك كالفقيه العلامة القاضي الشيخ سيدي المسعود بن براهيم بن محمد بن يدر الجوراري الذي تنسب إليه جميع فروع العائلة والتي تعرف اليوم بـ: "أولاد القاضي" حيث عاصر هذا الأخير الإمام المغيلي وسانده قلباً وقالباً ومادياً ومعنوياً في حركته الإصلاحية، ويحتمل اجتماعهما أيام دراسته بتلمسان وتردده عليها، وبعد وفاة قاضي فوراة المذكور أوصى به الأولاد والأحفاد وحثهم عليهم وجوب طاعته والوقوف معه في السراء والضراء والسر والعلن، واستمرت العلاقة العلمية مع تلمسان حتى بعد وفاة الإمام المغيلي بتوات الوسطى في 15 من ربيع الأول عام: 909هـ/1404م، فقد شد الرحال إلى التعلم بتلمسان طائفة من حفدته: كالقاضي الشيخ سيدي امحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري، وشقيقه الفقيه القاضي الشيخ سيدي عبد الحكم كما ذكره ابن القاضي في درة الحجال،<sup>(31)</sup> وفي تلمسان أيضاً

---

<sup>(30)</sup> انظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي "المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" المخطوط محفوظ تحت رقم: (93)، خزينة آل الجوزي بأولاد سعيد -تيميمون- الجزائر.

<sup>(31)</sup> انظر: أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية بن القاضي المكناسي "درة الحجال في غرة أسماء الرجال" تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، الترجمة رقم: 1129 ص: 364.



أخذ الشيخان المذكوران عن الفقيه سيدي سعيد المقرئ وغيره، وبها أيضاً تخرَّج الشيخ سيدي عبد الصمد<sup>(32)</sup> بن عبد الرحيم المسعودي<sup>(33)</sup> على يد الشيخ سعيد المذكور كما بيَّنه الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التمنطيقي التواتي في رحلته<sup>(34)</sup> العلمية. دون أن ننسى العلاقات السياسية والاقتصادية والعلمية مع كبار العائلات التلمسانية الفعالة: كالسنوسية والمغراوية والمرزوقية والمغيلية والمقرية...إلخ، ولا تزال تلمسان إلى يوم الناس هذا دار استيطان لبعض فروع أولاد القاضي المعروفون هناك بـ: (عائلة فوزي، وعائلة بلعباس).

واليك هذا النموذج الذي يدخل تحت إطار المحافظة على تراث الأجداد القديم، والدفاع عن حرماته؛ من أجل تأمينه من أيدي المعتدين والانتهازين، وقفتُ عليه في بعض الأرسام المهمة المحفوظة عند المدير المتقاعد الأستاذ الحاج عبد الرحمان بن محمد الجوزي حفظه ورعاه؛ هذا النموذج المذكور يظهر لنا أهمية قصر "أولاد آدم" العتيق -عند حفدة العائلة- وبوره المحاط به من كل جانب، فهو عبارة عن حكم قضائي محلي تضافرت فيه جهود أرباب الثقافة القانونية لإقليم توات الكبرى برمته آنذاك، يقول فيه كاتبه ما نصُّه: «...الأرض المسماة ب: (تمدوين)<sup>(35)</sup> وبور "أولاد آدم" لفظان مترادفان، ...الحمد لله وحده. وبعدُ فالحكم الصادر أعلاه صحيح ماضي نافذ، لا يحيد عنه إلاَّ مَنْ لم يجد في الفهم مساعد، وبه

<sup>(32)</sup> انظر: عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي "الرحلة في طلب العلم" مخطوط بالخيرينة البكرية بتمنطيط -ولاية أدرار- الجزائر، ص 8، 9.

<sup>(33)</sup> انظر: ترجمة الشيخ في الفصل الثالث من كتابنا "ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي" مرقونة قيد الطبع.

<sup>(34)</sup> انظر: عبد الكريم بن أمحمد التواتي "الرحلة في طلب العلم" مخطوط بالخيرينة البكرية -تمنطيط- أدرار بالجزائر.

<sup>(35)</sup> "تمدوين" هو إسم آخر يُعرف به قصر أولاد آدم بأولاد سعيد وهو الذي نزل فيه سلطان تلمسان المخلوع أبو حمو موسى الثاني.

يقول: محمد<sup>(36)</sup> بن هاشم وفقه الله». وهذا حكم آخر مبني على سابقه تم وقوعه في زمن القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الحي بن أحمد الخضير الوجداوي، حيث كتب في ذلك أيضاً ما نصّه: «...حكم فيه بثبوت الأرض الملقبة: "تمدوين" و«آدام»<sup>(37)</sup> لأولاد القاضي ولا كلام فيها لخصمهم المذكور... وكتب عبیدُ ربّه تعالی: محمد بن هاشم»<sup>(38)</sup>.

ومن التلمسانيين المعاصرين للإمام المغيلي النازلين قبله بثورارة الإمام الأشهر الشريف السليمانى سيدي مولاي عبد الرحمان بن محمد بن سليمان الحسني المكني ب: "أبي يحيى الشريف" المعروف محلياً ب: "سيدي شريف" دفين تادلست بماسين من الشط القبلي لبُحيرة تيجورارين وهو جدُّ الأشراف الكلاويين والجننتورين وأشراف تالة بأوقروت هذا الأخير كان مُستشاراً للشيخ سيدي المسعود قاضي قورارة آنذاك وعضواً مهماً في مجلسه التشريعي وصاحب كلمة مسموعة لدرجة أن لقب فيها بالسلطان الأكبر، فهو يحظى لدي النخبة والأعيان والحكام والمحكومين بكلِّ تقدير واحترام، ولقد أشار إليه القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الله بن الجوزي الحفيد بقوله: «...وذلك في روضة البركة الشريف جدُّ الأشراف الجرارية والأوقروتية: وهو السلطان الأكبر سيّدنا ومولانا أبو يحيى التدلستي...»<sup>(39)</sup> وإليه أشار أيضاً نجله القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله بن الجوزي الحفيد بقوله: «...لمّا منّ الله بفضلته على خيرة عبیده،

---

<sup>(36)</sup> الفقيه العلامة سيدي محمد بن هاشم الودعاغي من شرفاء ودعاغ، هو الذي كُلف بمهمة احصاء أشراف توات ذكره أ ج ب مارتن وغيره من المؤرخين، ويُعد الرحالة الشيخ مولاي أحمد بن هاشم من أشراف المستور برقان ينتسبون إلى دفينها سيدي مولاي عبد الكريم.

<sup>(37)</sup> يعني بور "أولاد آدم" كما تقدم.

<sup>(38)</sup> انظر: الرسمين تحت يد السيّد الحاج عبد الرحمان بن محمد الجوزي مدير متقاعد في قطاع التربية بأولاد سعيد.

<sup>(39)</sup> انظر: الوثيقة بخط القاضي بخزينة أولاد لحسن بأولاد سعيد.

وجعل منهم حفيداً من حفدة نبيه الشاب الأبر المكرم الأشهر البركة سيّدنا مولانا عبد الله بن البركة سيّدنا مولانا عبد الرحمان بن سيّدنا مولانا محمد عبد الله حفيد الشريف سيّدنا عبد الرحمان المكّي بأبي يحيى الشريف المقبور بتدلست ومشهور فيها...»<sup>(40)</sup> ولقد عمل القاضي سيّدني الحاج محمد المسعود الجوراري وسيّدني أبو يحيى الشريف التدلستي التلمساني مع أعضاء المجلس القضائي الفوراري (الذي هو بمثابة السلطة التشريعية الحاكمة آنذاك) جاهدين بكل ما توفر لديهم من قوة وعتدة وعتاد؛ من أجل تمكين نظام حكم استثنائي فريد يهدف أساساً إلى ترسيخ مبادئ العدالة التامة وحقوق الإنسان، مع توفير أسباب حياة العزة والكرامة والعيش الرغيد الذي يحمل المعنى الكامل لمفهوم الحضارة والتمدن تحت لواء السياسة الشرعية الإسلامية الحنيفة الحقّة.

### ج- معاناة السلطة التشريعية والقضائية مع اليهود بإقليم فورايرة:

إنّ الضرورة الملحّة التي تفرض نفسها في هذا الفضاء؛ تدعونا إلى الاعتراف التام لنظام حكم تيجورارين المحلي بالدبلوماسية الاجتماعية الكاملة في إطار تمتين أواصر الانسجام والتماسك بين العشائر المحليّة، وفق مخطط شرعيّ بناءً يهدي إلى التي هي أقوم ويهدف إلى إصلاح ذات البين والدفاع عن حمى الشريعة الإسلامية السُنّية ويضرب غزاتها بيدٍ من حديد، ولكن غياب الوعي السياسي-في أغلب الأحيان- من قبل الرعية وعدم إدراكهم لحقوق وواجبات الحضارة والتمدن تحت غطاء مفهوم المواطنة؛ أفضى إلى تمزيق تلك اللّحمة الاجتماعية المعهودة للرأي العام وتكوينه البشري بإقليم توات بصفة عامة، وللأسف الشديد استغل هذا الوضع المتردّي من طرف رجال الأعمال والاقتصاديين من اليهود لبلوغ المآرب

<sup>(40)</sup> انظر: الرسم تحت يدي من مخلفات الفقيه محمد السالم بن عبد العي الأغلاذي - أولاد سعيد- ولاية تيميمون.

والغايات المادية والمعنوية، وتلكم هي رأس الحرّبة ومربط الفرس أو بيت القصيد الذي انبثق عنه مبدأ الولاء والبراء المبني على أساس غير شرعي، وأيضاً هذا ما صعب من مهمّة الدعاة والمصلحين في إقليم قورارة على وجه الخصوص، بل أذهب مجهودات حكامهم المبذولة -في أغلب الأحيان- أدراج الرياح. والثابت تاريخياً أنّ مكمن الخطر دائماً وأبداً يتجسد في العداء الخاص لكلّ من يريد الإصلاح والتغيير من القضاة والفقهاء والعلماء والدعاة، فقد ذكر (أ.ج.ب.مارتن) نصّاً منقولاً عن مؤرخ تواتي يُسمّى محمد بن الحاج بن عبد الله كُتب في عام: 1595م/1004هـ، يقول فيه المؤرخ مُحدثاً عن إقليم توات: «لما قدم سيّدي محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى الواحة، كان سكان هذه البلاد يعيشون تحت جهالة بعيدة الغور، لم يكونوا يعرفون أميراً ولا قوانين، وليس عندهم من المشاعر سوى الكبر واحتقار العلم».<sup>(41)</sup>

لم يكن المؤرخ الذي ذكره مارتن بدعاً فيما يدعيه وإتّما يظهر جلياً اعتماده على قول غيره ممن تقدمه كالإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في رسالته: (مصباح الأرواح) حيث وصف وضع أهل توات الذين منعوهم من مشروعه الإصلاحية بقوله: «رعية سائبة في آخر القرن التاسع في أطراف الأرض ببلد لا يخرج نباته إلا نكداً، فعمواً وصمواً بالجهل والهوى، وتقاطعوا وتدابروا كبراً وحسداً، حتى لا يكاد أن تجد منهم والداً ينصح ولداً، ولا أحداً يُوافق في مصلحة أحداً، وكيف لا ولا أمير لهم يردعهم، ولا شيخ يجمعهم، ولا حاكم يفصل بينهم، إلاً محكماً عاجزاً، وسيفاً ناجزاً».<sup>(42)</sup>

ويجب هنا القول بأنّ هذا الوضع تفاقم حتى وصل ضرره إلى الهيئات الحكومية على رأسها قاضي الإقليم القوراري نفسه، الذي قام اليهود بإذيته ومطاردته بغية إسقاط نظام حكم مجلسه المذكور؛ وهذا ما دفعه إلى

(41) انظر: أ.ج.ب.مارتن 1908م، ص: 121.

(42) انظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، مخطوط: "مصباح الأرواح، في أصول الفلاح"

الاستنجد والاحتماء بقبيلة أولاد عبد اللّبي<sup>(43)</sup> الهوارية الفلالية ذات الشوكة والقوة والصلوة والبأس الشديد، ولقد أشار إلى ذلك الدكتور رشيد بليل أثناء حديثه عن هذه القبيلة بقوله: «يقدم المأثور الشفهي بعض العناصر المضيئة على آت عبد اللّبي في نص الحاج يدا مُشيراً إلى الأصل الفيلاي». القصة رقم 49: أصول آت عبد اللّبي: "جاء جدنا من تافيلالت وكان يُدعى الشيخ أعراب، ذهب في البداية إلى أغام (أبحنوق)، وعندما أراد أن يبني القصر الذي ما زلنا فيه إلى اليوم، دعا أهل (أودغاغ) (تينركوك) لمساعدته. ثم جاء الشيخ سيدي المسعود، وهو شريف كان قد فرّ من بلده في العهد الذي كان فيه يهودي يطارده الشرفاء، لقد أتى لاجئاً عندنا».<sup>(44)</sup>

ونضيف بأنّ هذه القبيلة السعيدية العريقة بقيت على قوتها ونجدتها المعهودة إلى غاية حكم السعديين ودخول جيوش أحمد المنصور فحطمها شرّاً تحطيم، يقول عن ذلك الفشتالي في مناهل الصفا ما نصّه: «...وانقاد بانقياد "تينميمون" سائر قطر تيكورارين... فثنى عنانه إلى الشط الظهراني من تيكورارين، فنزلوا عليه بالعساكر، وأعدروا إلى أهله بالبراءة، وإيفاد الرسل عليهم من أهل الدّين يقدمهم الشيخ عمر رئيس "تمنطيط" يعظونهم

---

<sup>(43)</sup> هم سكان قصر أولاد عبد اللّبي بأولاد سعيد كانوا أشد قوة ووصولاً قبل دخول السعديين إلى الإقليم، وأثناء تولي السعديين للحكم اتفقوا كلهم على محاربة السلطان أحمد المنصور الذهبي ما عدا السيّد: أحمد الفيلاي الذي رأى في الأمر نوعاً من التهور والمجازفة، واستعمل منطق الحكمة والتعقل، فقرر مغادرة القصر قبل أن تطوّقه جيوش المنصور والتي حولته من وجود إلى عدم، وسمي القصر بالأمازيغية المحلية باسم: "أغام نُوبَحْنُوق" أي قصر "عِدّة الوفاة" إشارة منهم إلى الموت والهلاك، ونضيف بأنّ السيّد أحمد الفيلاي بنى مع حلفائه سكان ودغا - من بلدية قصر قدور حالياً - قصراً آخر قرب القصر الذي هدمته الجيوش سمّاه كسابقه بـ "قصر أولاد عبد اللّبي"، لا تزال إلى اليوم تسكنه ذريته الفلالية الهوارية المباركة المشهورة بالفضل والخير والكرم، والمعروفة محلياً بعائلة عَرّاب وبخاري.

<sup>(44)</sup> انظر: رشيد بليل "قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية" سلسلة جديدة عدد 3 (CNRPAH' Alger 2008) ص 268.

ويدعونهم إلى الطاعة، فَلَجُّوا في الإباية، وأصْرُوا في المعصية جهلاً وغباوة، وإيداناً أَنْ لهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وجمعوا للحصار في قصبة "أولاد عبد الله" (45) منهم، فحدقت عليهم الأجناد...» (46).

ولا تزال ذرية العائلة الهوارية الفلالية على بكرة أبيها منذ حوالي خمسة قرون تقريباً؛ تستعيد ذكرى لجوء القاضي سيدي المسعود إليها كل عام في 12 ربيع الأول تحديداً؛ وتستقبل بحفاوة عظيمة عائلة أولاد القاضي بقصر أولاد عبد اللّٰي بعد زيارة العائليّين لأضرحة أجدادهما لتقف عائلة القاضي سيدي المسعود على بكرة أبيها أيضاً على الكُثب المشرف على باب القصر تتلو قصيدة الإمام البوصيري التي تفتتحها بمسجد الكرامة ببلاد القاضي وتكون في قصر أولاد عبد اللّٰي قد وصلت إلى قوله:

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا \*\*\* من العناية رُكناً غير منهدم  
لما دعا الله داعينا لطاعته \*\*\* بأكرم الرُّسُلِ كُنَّا أكرم الأمم  
رَاعَتْ قلوبَ العِدَا أنباءً بعثته \*\*\* كنبأة أجفلت عُفلاً من النعم  
ما زال يلقاها في كلِّ مُعتركٍ \*\*\* حتّى حَكُوا بالقنا لحمًا على وضم.

فحينها يُستقبل الضيوفُ بجموع الرجال على أزقة القصر، والنساء يزغردن بالتباخير على شرفات قصر أولاد عبد اللّٰي وسطوحها، ويمضي الوفد جماعة في موكب مهيب إلى ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي الحاج بلقاسم التملّي صهر عائلة أولاد القاضي وشيخ العائلة الهوارية الفلالية فهناك يُختتم متن البردة ويُقرأ ما تيسر من القرآن ويُطعم الضيوف ويمضي بعد ذلك كلُّ إلى شأنه وسبيله.

(45) يقصد الهواريين الفلاليين ساكنة قصر أولاد عبد اللّٰي في الجهة الشرقية للشط الظهراني أو الشمالي لبحيرة فورارة وهي المعروفة حالياً بأولا سعيد.

(46) انظر: ص 75-78 من كتاب: "مناهل الصفا، في مآثر موالينا الشرفا" لأبي فارس عبد العزيز الفشالتي، تحقيق: د/ عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف -المغرب- (1972)

ويجب هنا القول بأنَّ في معاني الأبيات المذكورة استحضارا لقصة لجوء القاضي الشيخ سيدي المسعود الجوراري إلى العائلة الهوارية الفلالية بأولاد عبد اللّٰي هرباً من كيد اليهود المتغطرسين، وتوحي أيضاً بتنازل القاضي المذكور للإمام المغيلي التلمساني لتولي إدارة شؤون الإقليم في جميع الشؤون، ومن هنا بدأت قصة تأسيس الإمارة المغيلية وحركة إذلال الطغاة والمعتدين من اليهود بإقليم تيجورارين.

#### د- طلب النجدة بعد تفاقم الوضع:

سيطر اليهود سيطرة كلية على الوضع الاقتصادي، واستطاعوا احتكار التجارة بفضل سياستهم التي كانت تهدف إلى استغلال المسلمين بالهيمنة والقهر. هذه العوامل وغيرها كونت اشمئزازاً كبيراً في قلوب المسلمين حكاماً ومحكومين، وولّدت فيهم حبّ التطلع إلى غد أفضل يخلّصهم ويريحهم من مكر بني إسرائيل، ليجد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التربة الخصبة لاحتضان أفكار دعوته، ويُدرِك في أهالي أولاد سعيد الأهلية الكاملة لنُصرتِه واعتناق مذهبه الفضيل.

ولا نحتاج الآن إلى دليل إثبات حقيقة سكن الشيخ المغيلي واستيطانه في أولاد سعيد مع العلم بأنّه خَلَف فيها آثاراً كثيرة تدل عليه، بل لا نشك بتاتاً في طول مكثه ومقامه هناك، خصوصاً إذا علمنا أنّه ترك لنا فيها معالم يستحيل أن تقام في وقت زمنيّ قصير، وتشيد تلك المعالم -طبعاً- لا يتأتى إلاّ بملاءمة الظروف وموافقة أهل الحلّ والعقد لهذا البلد العتيق، وإلاّ كان الرفض وعدم القبول سيّد الموقف في دعوته التي تحتمل الوجهين: المساندة أو الاعتراض.

#### 3- مكانة الشيخ المغيلي عند سكان أولاد سعيد:

الحق إنّ أهالي أولاد سعيد تفانوا في محبّة الشيخ المغيلي إلى حدّ لا يُتصوَر؛ الشيء الذي دفعهم إلى أخذ العهود والمواثيق والضمانات على تولي حماية أهل

بيته (الزوجة والأولاد) في غيَّابه عن البلاد ومُطاردته لليهود في أقطار توات وغيرها وأيضاً أثناء نشره لدعوة الإسلام في تخوم إفريقيا وبلاد السودان، ولكنَّ ما وطَّد علاقته بالبلاد المذكورة بصفة أكبر وجعله يؤمن بإخلاصها إيماناً لا تشوبه شائبةٌ من شكٍّ أو وهم؛ هو ذلك الموقف الذي أجمعت عليه أهالي أولاد سعيد في تقديم إحدى بنات الأعيان فداءً لبنت الشيخ المغيلي مع الاعتراف لليهود بأنَّها البنت المطلوبة، وذلك عندما جاءت اليهود بجيوش لا قبل لأهل البلد بها تطلب البنت بتوعُدٍ وتهديد، بعد قتلهم لولده عبد الجبار في بلاد زاجلو من أرض توات، وهذه الأحداث حصلت أثناء غياب الشيخ عن توات في رحلة حجِّه إلى بيت الله الحرام، وخلال هذه الفترة بالذات أجمع اليهود كيدهم، وعاد الفارون منهم من سجلماسة والمتعاطفون معهم، واصطلحوا جميعاً على أخذ الثأر في غياب الشيخ المغيلي، وعقدوا العزم في إبادة أهل بيته عن بكرة أبيهم.

لقد بلغ الشيخ المغيلي في أولاد سعيد مكانة من الجلالة والتعظيم لم يبلغها أحد غيره من قبل ولا من بعد من أعلام المنطقة على وجه الإطلاق، حتى أنَّ المشيخة العامَّة المجردة من الإضافة بغرض التحديد إذا أُطلقت في أولاد سعيد -إلى يومنا هذا- لا تصرف إلاَّ له، فمتى قيل الشيخ، فمعناه: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، واستمرت هذه المكانة محافظاً عليها من قبل الأبناء والأحفاد، يعكس سرَّها اليوم قيامُ عائلة كثرح سكان أولاد سعيد بوعدة سنوية في 15 من ربيع الأول يختم فيها القرآن بأكمله ترخُّماً على روح هذا الشيخ، ويبقى اسمه عند أهالي البلاد شعار مفخرة واعتزاز؛ يسمون به المساجد والمؤسسات التربوية، والفرق الرياضية، وفي التراث اللامادي (فزة البارود الفلكلوري) لا يتميز شعار أهازيج أهالي أولاد سعيد عن غيرها إلاَّ بذكر الشيخ المغيلي؛ من أجل أن تكون قصته مع اليهود وشماً في ذاكرة الجميع طال الزمن أو قصر.

فسكناه في أولاد سعيد، ووجود قبر زوجته السيِّدة "زينب" بنت الشيخ أبي زيد سيِّدي عبد الرحمان الثعالبي دفين العاصمة (الجزائر)، وقبر نجله (علي)، وبنته (اللَّعفو) وأيضاً الآثار الموجودة له لحد الآن كشاهد عيان في



القصور اليهودية الثلاثة الآتي ذكرها -والمسماة بأسماء أنبياء اليهود- لأكبر دليل على تمتع الإمام المغيلي بالضوء الأخضر من قبَل السلطاتين: التشريعية والتنفيذية<sup>(47)</sup> (الجهاز القضائي + عمال الحاكم) في خوض غمار معاركه مع اليهود، بل شاهد عيان على المساندة والمؤازرة الفعلية بالقلب والقالب، ويتجلى لنا ذلك بوضوح أكمل في الآثار التالية:

(1)- في قصر أولاد هارون من أولاد سعيد حوَل الشيخ المغيلي معبد اليهود (البيعة أو الكنيسة) إلى مسجد جامع كان إلى عهد قريب تُقام فيه صلاة الجمعة، بل أدركناه على الحالة الهندسية التي شيدها الشيخ.

(2)- في قصر أولاد باموسى من أولاد سعيد أسس الشيخ المصلّى الخاصة بالعيدَيْن (الأضحى والفطر)، وهي أيضاً لا تزال إلى اليوم مستعملة من طرف سكان المنطقة، وقيل أنّه يوماً ضرب بها عصاه على الأرض مخاطباً الناس بقوله: [هنا الخير والبركة إلى يوم القيامة]، وفيها دعا للبلاد بسعة الرزق وبركة الكيل في تمور النخيل... إلخ من الدعوات والضمانات.

(3)- في قصر يوسف المعروف أمازيغياً باسم: (أغام انهزوف) بنى سوقه المشهورة والمنشودة، والتي شكلت قطباً اقتصادياً كبيراً أفضى إلى ربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان، مثل واد غير والساورة والمغرب وبجاية والسودان... إلخ، وظلت السوق عامرة إلى غاية: 1300هـ/1882م. ونضيف أنّ آثار أركان جدرانها لا تزال موجودة إلى اليوم قرب مقامه الذي ضُربت عليه قُبّة؛ لتحديد المكان الذي كان يجلس فيه مع الخاصة من أهل البلاد

---

<sup>(47)</sup> أعني قاضي الجماعة لإقليم فوراة الذي يمثل السلطة التشريعية، وأيضاً عامل الحاكم على إقليم المعروف بالقائد أو المقدم أو الكبير الذي يمثل السلطة التنفيذية. كما هو الشأن بالنسبة لإقليم توات الوسطى التي يمثل السلطة التشريعية فيها القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني، والسلطة التنفيذية يمثلها القائد الشيخ عمر بن عبد الرحمان. وأشار هنا بأنّ إقليم فوراة وتوات الوسطى كانا منفصلين عن بعضهما تشريعياً وتنفيذياً.

يتولى بنفسه إدارة شؤون التجارة من البيع والشراء، وهذا المقام أيضاً هو مجلس علم وفتوى يلتقي فيه مع كبار العلماء والفقهاء؛ من أجل المذاكرة والنقاش، وقد أبدى الشيخ إعجاباً بهؤلاء الأعلام وبغيرهم من أعلام توات عموماً، فأعرب عن ذلك قائلاً: [دخلنا "توات" فوجدناها دار علم وأكابر، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا].

وخلاصة القول هي أنّ سوق الشيخ المغيلي بأولاد سعيد رفعت معالم ثورة اقتصادية عظيمة بتوات كانت في وقتها يُشار إليها بالبنان، ومن خلالها قضى على السيطرة الاقتصادية لليهود بالإقليم، وشكّلت هذه السوق أحد أهم طرق القوافل التي ربطت شمال إفريقيا بالغرب السوداني عبر ثلاثة مراحل: انطلاقاً من بجاية، مروراً بورقلة، وصولاً إلى سوق المغيلي بأولاد سعيد، ومن أولاد سعيد إلى تخوم إفريقيا كما تقدم ذكره. ونضيف أيضاً بأنّ القبائل التي كُفّت في السوق المذكورة ببيع المواشي والحلي والزرع والأقمشة والأواني والتوابل... إلخ لا تزال الذاكرة الشعبية تتذكرها إلى الآن، بل تتذكر حتى مواقع تعبد الشيخ وجلوسه واستراحته، فهي كلّها معلّمة ومعروفة لدى الخاص والعام. وفي زمن ليس ببعيد كان البعير بأولاد سعيد لا يُنحر إلا في سوقه المذكورة تيمناً بماضيه التليد ولا يباع لحمه للناس حتى يُهدى منه مقدار معلوم لحفدته القاطنين بأولاد سعيد ذكراناً كانوا أو إناثاً.

#### 4- بعض آثار الشيخ المغيلي بخزينة أولاد القاضي بأولاد سعيد:

مما وجدته مُقيداً بخط الشيخ سيدي المحفوظ بن الجوزي (الحفيد)<sup>(48)</sup> بن الجوزي (الحفيد) على كتاب: "التسهيل لعلوم التنزيل" للإمام بن جزي الغرناطي قوله: [ولبعض أئمة أهل السنة:

وَدَكَّرْ بِحَسَنِي مَنْ يَخَافُ وَيُرْتَجِي \*\*\* وَعَظُّ كُلِّ مَنْ يَعْصِي وَلَوْ كُنْتَ عَاصِيَا

(48) انظر: أول ترجمة لاحقاً في الفصل الرابع برقم:.

قال السيّد الحاج عبد الحاكم<sup>(49)</sup> بن سيّدي الحاج عبد الكريم: أظن أنّ قائله الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمننا الله وإياه.<sup>(50)</sup> ومما وجدتُ بخط القاضي الفقيه سيّدي محمد عبد الله بن الجوزي (الحفيد) قوله: [الحمد لله وحده. وللشيخ بن عبد الكريم المغيلي نفعنا الله به آمين:

إذا قرب الإنسان أختيارَ قومِهِ \*\*\* وأعرض عن أشرارهم فهو صالحُ  
وإن قرب الإنسان أشرارَ قومِهِ \*\*\* وأعرض عن أختيارهم فهو طالحُ  
وكلُّ امرءٍ يُنبئك عنه قرينه \*\*\* وذلك أمرٌ في البرية واضحُ  
وله أيضاً:

حبيبي مَنْ يُعادي من أَعادي \*\*\* وَيَشْفِي ما بقلبي في الأَعادي.  
وَيُعَلِّي رأيتي بينَ البرايا \*\*\* وَيَفْنِي عن هواه في مُرادي].<sup>(51)</sup>

ولقاضي الواجدة الشيخ سيّدي محمد عبد الحي بن أحمد الخضير الوجداوي وهو من علماء أولاد القاضي قوله:

[...بل وعد التهم كما قال الشيخ بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله:

والعدل في زماننا قد انقطع \*\*\* لكثرة الفسق وقِلّة الورع  
فَمَنْ تأمل هذا؛ وجب عنه أن يزجر المشتري وشاهده عن مقصودهما  
الفاسد من أكل أموال اليتامى الضعفاء بالباطل، وهو من المنكر العظيم  
الذي يجب على كل مسلم تغييره بما أمكن، وَمَنْ أعان هذا المشتري ولو  
بشطر كلمة؛ فهو كعاقر الناقة، فإننا لله وإنا إليه راجعون على فساد الوقت  
وأهله، والله تعالى أعلم. وكتب: عبید الحي بن أحمد الخضير الوجداوي  
لطف الله به، وإلحاق ذلك القاضي في الطرة اليمنى حوله على السطر

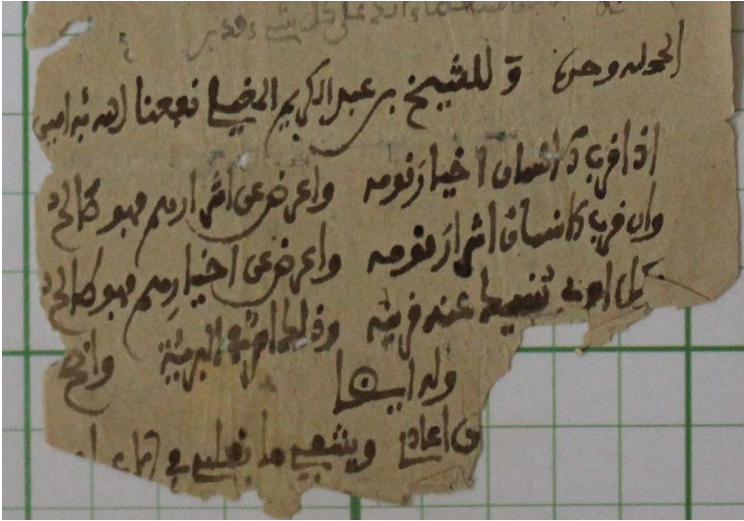
<sup>(49)</sup> انظر: ترجمته لاحقاً في هذا الفصل برقم: 11.

<sup>(50)</sup> انظر: التقييد على المخطوط المذكور، وهو محفوظ تحت رقم: (119) بخزينة - آل

الجوزي - أولاد سعيد.

<sup>(51)</sup> انظر: الأبيات بخزينة آل الجوزي - أولاد سعيد - تميمون.

الخامس والضرب في السطر الأخير حوله كل ذلك من كاتبه عبيد الحي المذكور لطف الله به].<sup>(52)</sup> ولقد وقفتُ على تقرير كتبي لعام: 1319هـ/1902م بخزينة آل الجوزي بأولاد سعيد كتب بخط الفقيه سيدي محمد الطيب بن امحمد بن محمد عبد الله بن الجوزي (الحفيد) حرر فيه مصاريف موكله على النفقة في البلاد عمه القاضي الشهيد سيدي الحاج عبد الكريم الذي كان يومها أسيرا في سجن قصر الشلالة بتيارت يقول فيه الكاتب حول ضيافة أحفاد الشيخ المغيلي مانصه: «...وموزونة لأهل الفقارة ثم صرفت منها أربعة عشر (14) موزونة لضيافة أولاد الشيخ بن عبد الكريم بل إحدى عشر (11) موزونة للضيافة...».<sup>(53)</sup>



أبيات للشيخ المغيلي بخط القاضي سيدي محمد عبد الله بن الجوزي الحفيد  
الأبيات بخزينة آل الجوزي بأولاد سعيد

<sup>(52)</sup> انظر: مجموعة من الوثائق التاريخية تحت يد الأستاذ: عبد العالي بابولا -مخلفات التزلاغيين- أولاد سعيد تميمون ولاية أدرار.

<sup>(53)</sup> انظر: الرسالة تحت يدي من مخلفات الفقيه محمد السالم بن عبد العي الأغلاذي بأولاد سعيد.

لا تدرى بها تيكه ارضيها  
 فحاشا لجمال النخ بعدد والفكر  
 اتفقوا وقرى القدر وحشي  
 الينجاب عن فليك الضم  
 موتوا حيث ينكشف العظام  
 وتذكر قولك حيث لا يبيع الذكر  
 يا صابرا والخفة حتمه الفضل  
 على كل روح ومفصلة انتمضي  
 وانا بغير الضم والعمى والرضاء  
 كأنك تسمع باعتبارهم مضي  
 ولم تنهوا الباقين ما يقطع الدهر  
 بنو الإفاضة بمدح ارضهم  
 ولم يغرسهم ما عليه مدارهم  
 وبنائة وأولاد ما إليه يد ارضهم  
 وباركت لا تدرى بها تيكه ارضهم  
 فحاشا لجمال النخ بعدد والفكر  
 أهل حاشا من رأس الهوى واقرب  
 الذكر وتذكر انما انت خاصه غدا  
 وقد عرفت انما هو منتمى  
 الفخر والتمسوا وقرى الجوار  
 وحشي الينجاب عن فليك الضم  
 وحشي للبلان تحت بك الضم  
 ومقلب الباقى نقص العظام  
 وانت لرى العظام الشكر والوكلا  
 بل صو وتجو حيث ينكشف العظام  
 وتذكر قولك حيث لا يبيع الذكر  
 انتم والتمسوا وقرى الجوار  
 والشكر له تلا هو العباد وصل الله على سيدنا محمد  
 وآله وسلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم  
 بعرض حشوات الشجر ابراهيم الخليل عليه السلام  
 وانتم انما فالتمسوا بغير الله على كل  
 قاضي من سمعت له لا يورثها من سنة وعنده كل الله عليه وسلم  
 انتم والتمسوا وقرى الجوار

تقايد للشيخ المغيلي بخط القاضي عبد الحاكم بن عبد الكريم الجوراي  
 بخزينة آل الجوزي بأولاد سعيد



أبيات للشيخ المغيلي بخط الشيخ المحفوظ بن الجوزي  
الأبيات بخزينة آل الجوزي بأولاد سعيد



# الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وعقيدته السنيّة

إعداد وتقديم: محمد سالم بن عبد الكريم

(إمام ومدرّس بقطاع الشؤون الدينيّة أدرار)

ملخص:

يحاول هذا المقال أن يقف عند حدود اجتهادات الإمام المغيلي في مجال الزود عن السنة المطهرة وهذا من خلال الوقوف على بعض خيارات الإمام في تمسكه بمذهب السلف الصالح تزيها وتفويضا وصولا إلى بعض إنتاجه الفكري في هذا المجال.

## Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī and His *Sunni* Doctrine

### Abstract

This paper attempts to explore the boundaries of the *ijtihad* (independent reasoning) of Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī in the field of supplementing the pure *Sunnah* (Prophetic Tradition). This is done by examining some of the choices made by the Imam in adhering to the doctrine of the righteous predecessors, whether in terms of purification, delegation, or some of his intellectual contributions in this field.

### Keywords:

Imām al-Maghīlī, *Sunnah* (Prophetic Tradition), *Ijtihad* (independent reasoning)



الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والتي من أجلها نعمة الإسلام وكفي بها نعمة، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيّدنا محمّد بن عبد الله، الذي أفلح من اتبع سنته ووالاه، وخاب وخسر من ترك هديه وعاداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ <sup>(1)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿العلق: 3-4. وأشهد أنّ سيّدنا ومعلّمنا محمّدا عبده ورسوله وهادي الخلق إلى طريق الحق. وآله وصحابه الذين ساروا على نهجه واستنّوا بسنته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّ علوم أصول الدّين من أجلّ العلوم وأشرفها، لكونه متعلّقا بذات الله، وذوات رسله، فهو أصل لما سواه، إذ كلّ أعمال الإسلام كالثمرة للتوحيد، ويطلق عليه أيضا علم العقيدة وعلم الكلام، ورحم الله الشيخ الأجهوري حيث قال في نظمه في العقيدة:

وبعد فالعلوم باليقين

... أشرفها علم أصول الدين<sup>(1)</sup>

وقال بعضهم:

أيها المقتدي لتطلب علما \* كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكما \* ثم أغفلت منزل الأحكام<sup>(2)</sup>

«وذلك لأنّ ما سواه من العلوم الشّرعيّة كالتفسير والحديث، والفقه وأصوله، كلّها مبنية عليه فهو أساسها، وإليه يؤول أخذها واقتباسها؛ لأنّه

(1) الشيخ محمد عليش كتاب الفتوحات الإلهية الوهبية على المنظومة المقرية (موريتانيا، مكتبة الإصلاح) ص 18.

(2) نفسه، ص 18.

إذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر ومكلف للعباد ومرسل للرسل، لم يتصور علم تفسير وحديث، ولا علم فقه وأصوله، فكلها متوقفة على علم الكلام. فالأخذ فيها بدونها كباب على غير أساس، وإذا سئل على ماهو فيه لم يقدر على برهان ولا قياس»<sup>(3)</sup>. ورحم الله العلامة إبراهيم اللقاني حيث قال: وبعد فالعلم بأصل الدين...محتّم يحتاج للتبيين<sup>(4)</sup>

• ومعناه كما ذكر شراح هذه المنظومة: إنّ هذا العلم قد حتم الشارع الحكيم تعلّمه وأوجبه على كل مكلف عاقل سليم الحواس، ولم يرخص بتركه لأحد، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup> فيجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى وجوباً عينياً معرفة كلّ عقيدة بدليل ولو إجمالياً. وأمّا التفصيلي ففرض كفاية<sup>(6)</sup>.

فالدليل الجمليّ: هو المعجوز عن تقريره وحلّ شبهه معاً، أو أحدهما. وأمّا التفصيليّ: فهو المقدور على تقريره وحلّ شبهه<sup>(7)</sup>. فعلم أصول الدين، أو ما يسمّى أيضاً بالتوحيد، وعلم العقيدة من أوّل ما يجب تعلّمه على المسلم البالغ والسليم الحواس، وأوّل ما ينبغي غرسه وترسيخه في قلوب أبناء المسلمين جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لما له من فوائد عديدة ومفيدة، ومنافع كثيرة وشهيرة، ومن أجل هذه الفوائد:

1. نفي الشكوك والشبهة: فدراسته وتعلّمه تعطي النفس راحة واطمئناناً في الحياة الدنيا.

<sup>(3)</sup> نفسه، ص 18.

<sup>(4)</sup> الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد (دمشق سوريا، 1391هـ) ص 31.

<sup>(5)</sup> سورة محمد الآية رقم 19.

<sup>(6)</sup> الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، سابق، ص 32.

<sup>(7)</sup> محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (، دار ابن كثير، دمشق سوريا، الطبعة السابعة سنة 1431هـ - 2010 م) ص 81-82

2. التَّقْوَى والطَّاعَة: لأنَّ التقوى سبب محبَّة الله تعالى لعبده المؤمن، وإذا أحبَّ الله عبده، فإنَّه يتولَّاه ويكلِّؤه بعنايته.
3. معرفة الله بالبراهين القطعيَّة.
4. صحَّة الأعمال في الدُّنيا.
5. الفوز برضا الرِّحمان ودخول الجنَّة.
6. السَّلامة من الخلود في النَّار<sup>(8)</sup>.

وقد جرَّأت هذه المحاضرة إلى خمسة عناصر:

- العنصر الأوَّل: عناية علماء الإسلام بعلم التَّوحيد وتدوينه.
- العنصر الثَّاني: دفاع علماء المغرب الأوسط عن عقيدة أهل السُّنَّة.
- العنصر الثَّالث: دفاع الإمام المغيبيِّ عن عقيدة أهل السُّنَّة.
- العنصر الرَّابع: اختيار الإمام المغيبيِّ وتمسُّكه بمذهب السلف في التَّنزيه والتَّفويض.

العنصر الخامس: مؤلَّفاته في أصول الدِّين. والله الموقِّق.

#### 1/ عناية علماء الإسلام بعلم التوحيد وتدوينه:

ولقد اعتنى علماء الأمة عناية فائقة بتدوين علم التَّوحيد وحفظه وضبطه وجمع مسائله على مذهب أهل السنة والجماعة منذ أن ظهرت البدع والفرق الضالة، فكان أوَّل ما يُعلِّم لأولاد المسلمين في الكتاتيب والمدارس والزَّوايا الدينية في جميع البقاع والدُّول الإسلاميَّة. وبالخصوص ببلادنا الجزائر، العامرة بالمدارس والمساجد والزَّوايا، التي تدرس فيها

(8). الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، سابق، 1391هـ) ص 05-06. أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد دار ابن كثير، سابق، ص 84. الشيخ محمد عlish، كتاب الفتوحات الإلهية الوهبية على المنظومة المقرية سابق، ص 40.

العقيدة السنّية وتدرجها ضمن برامجها التّعليميّة، وصنّفوا فيها التّصانيف  
العديدة نظماً ونثراً، مثل: متن الأوجلي، وهو منظوم في التّوحيد العلامة بن  
سليم الأوجلي<sup>(9)</sup>

ومثل: نظم عقيدة العوام، تأليف العلامة أحمد المرزوقي المالكي<sup>(10)</sup>.  
ومثل الرّسالة الموسومة ب: «عقيدة أهل السنّة مع نظمها» لمؤلّفها وجامعها  
محمد الهاشمي التّلمساني، والتي يقول في نظمها:

يقول راجي رحمة المّنان \* محمّد بن الهاشمي الرّحماني  
الحمد لله على الإيمان \* وغيره من نعم الديّان

صلّى وسلّم على المختار... وآله وصحبه الأخيار وبعد فالتّوحيد فرض  
عين... على المكلفين دون مين<sup>(11)</sup>

ومثل متن (أمّ البراهين) ويعرف ب: العقيدة السنّوسيّة الصّغرى،  
تأليف العلامة الشّيخ سيّدي محمّد بن محمّد بن يوسف السنّوسيّ  
الحسنّي، المشهود له بغزارة العلم والتّبحّر في العلوم، لاسيما علم التّوحيد  
السّنيّ حيث ألف فيه عدّة مصنّفات: أمّ البراهين. ويعرف بالصّغرى،  
والثّاني يعرف بالعقيدة الوسطى، وتسمّى السنّوسيّة الوسطى، وعقيدة أهل  
التّوحيد، وتسمّى: العقيدة الكبرى، ونصرة الفقير في الرد على أبي الحسن

---

<sup>(9)</sup> القاسم عبد الجليل بن عبد الرحمان البدياني، كتاب الأوجلي في توحيد الربّ العالّي  
(تيميمون الجزائر، 1983)

<sup>(10)</sup> العلامة السيد حمد المرزوقي المالكي، عقيدة العوام (الطبعة الأولى)

<sup>(11)</sup> محمد بن الهاشمي التّلمساني، رسالة عقيدة أهل السنة ونظمها، ورسالة سبيل  
السعادة فيم عنى لمّتي الشّهادة ونظمها، مطبعة التّرقّي الطبعة الأولى، 1929 م

الصغير، وشرح أمّ البراهين، وشرح كلمتي التوحيد، وكتاب المقدمات في العقائد وشرح كتاب المقدمات، وشرح صغرى الصغرى<sup>(12)</sup>

ومثل متن جوهرة التّوحيد: نظم وتأليف الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي الملقّب: برهان الدين. العلامة المتبحّر في علم الحديث والدّراية، وعلم الكلام، وكان إليه المرجع في الفتوى والمشكلات في وقته وقد ألف هذه المنظومة الموسومة بجوهرة التّوحيد في ليلة واحدة بإشارة من شيخه أحمد عرب الشّرنوبّي، وقد اشتهرت جوهرة التّوحيد في علم العقائد شهرة كبيرة وعمّ بها الانتفاع في جميع الأقاليم والبلدان، حتى حفظها الشّيخ والشّبان، والأطفال والنّسوان، لما احتوت عليه من السّهولة والجمع والاختصار، حيث قال في أولها:

وبعد فالعلم بأصل الدّين \* محتمّ يحتاج للتّبين  
لكن من التطويل كلّت الهمم \* فصار فيه الاختصار ملتزم

وقد زادها رونقا وبهاء في قلوب المتعلمين التقريرات والحواشي والشروح التي صنفت حولها، وكان ناظمها أوّل شارح لها بثلاثة شروح: كبير ووسط وصغير. عمدة المرید لجوهرة التوحيد، وهو الكبير. وتلخيص التجريد لعمدة المرید، وهو الوسط. وهداية المرید لجوهرة التّوحيد، وهو الصّغير.<sup>(13)</sup> وما أكثر شراحها.

---

(12) أبو عبد الله السنوسي، شرح أمّ البراهين تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989 م) ص 14-15، وانظر بقية مؤلفاته. مع ترجمة في، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج أحمد بابا التنبكتي، تحقيق عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، الجزء الثاني سنة 1424 هـ - 2004 م) القاهرة، مصر، ص 205-215.

(13) أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، دار إبن كثير، دمشق سوريا، الطبعة السابعة سنة 1431 هـ - 2010 م) ص 22-23.

ومثل المنظومة المسماة ب: إضاءة الدُّجَنَة، في اعتقاد أهل السنة، نظم العلامة الجزائريّ الشَّيخ أحمد بن محمد بن أحمد المقرِّي التَّلْمَسَانِيّ الجزائريّ نظمها بالحجاز، ودرسها بالحرمين الشَّريفين وأتمَّها بالقاهرة، وطبع عام 1304هـ\_1886 م. على هامش شرح العقيدة السنوسية الصَّغرى للشَّيخ عليش<sup>(14)</sup>.

وتقع هذه المنظومة في خمسمائة بيت (500) وقد ذكر هذا في آخرها. فقال في أولها:

يقول أحمد الفقيه المقرِّي \* المالكي المغربي الأشعري  
الحمد لله الذي توحَّده \* أَجَلُّ ما اعتنى به عبَّده  
العالم الحي القدير الباقي \* القادر الغني بالإطـلاق  
وفي ختامها:

وهاهنا نظم العقيدة ان تهى \* مبلغا لمن وعاه ما اشتهى  
وفاء عدّه بنصف الألف \* والرَّمز بالجمل فيهِ ألفي  
وكان إتمامي له بالقاهرة \* وفيه تاريخ جـلاه ظاهره<sup>(15)</sup>

ومثل كتاب الإبانة عن أصول الديانة، وكتاب اللّمع في الرّدّ على أهل الزَّيغ والبدع وغيرها من الكتب والمصنّفات الكثيرة والمتنوّعة لإمام أهل السنّة والجماعة أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعريّ<sup>(16)</sup>. إلى

<sup>(14)</sup> يعي مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر 2004 م، ص 276.

<sup>(15)</sup> محمد عليش، كتاب الفتوحات الإلهية الوهبية على المنظومة المقرية سابق، دمشق، سوريا، ص 04، ص 232.

<sup>(16)</sup> علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، كتاب تبين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (، دار الفكر، الطبعة الثانية 1399هـ) ص 128. وما بعدها

غير ذلك مما دبحته أنامل جهابذة العلماء السُّنِّيِّين تبييناً للعقيدة ورداً على أهل البدع، مثل العلامة الشيخ القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلانيّ الذي حمل لواء السنّة بعد الشيخ أبي الحسن الأشعريّ ودافع عن عقيدة أهل السنّة في عصره، وألّف فيها التّصانيف المتنوّعة، ومن أشهرها كتابه القيم: (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به) وكتابته (التمهيد)<sup>(17)</sup>، والقائمة طويلة. ولا يمكن اختصارها في هذه الصفحات من هذه المداخلة بغض النظر عن الإمام بهذه المؤلفات والردود لعلماء السنّة والجماعة، ولكن من باب: ما لا يدرك كلّ لا يترك كلّ.

## 2/ دفاع علماء المغرب الأوسط عن العقيدة السُّنِّيَّة:

لقد كان لعلماء المغرب الأوسط (الجزائر) دور كبير ومميز في نشر العقيدة السنية والتمكين لها والدفاع عنها، في ربوع الأقاليم التابعة له والمجاورة من الدّول الأفريقيّة والعربيّة مثل: تونس، وليبيا، وموريتانيا والمغرب، ومالي، والنيجر، ونيجيريا، ومصر. وذلك بانتشار مؤلّفاتهم وكتبهم بها ومدارسها وتدريسها في الجامعات والمعاهد والمدارس الدّينيّة. ومن أبرز المؤلّفات والمؤلّفين الذين ذاع صيتهم وانتشرت كتبهم وكثرت أتباعهم في هذه القارات هم كالتالي:

1. العلامة الجزائريّ محمّد بن أحمد بن مرزوق الحفيد: هو العلامة الشيخ محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني: قال عنه العلامة محمّد بن محمّد بن مريم في البستان بعد وصف طويل وثناء جميل: (الإمام المشهور العلامة الحجة، الحافظ المحقق الكبير الثقة الثّبت، المطلع التّظار المصنّف التّقي

<sup>(17)</sup> أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (بيروت لبنان، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1432هـ - 2011م، ص 33-34).

الصَّالِح الزَّاهِد...صاحب الكرامات والاستقامات، السُّبِّي الحريص على  
تحصيل السَّنَّة ومجانبة البدعة، السَّيف المسلول على أهل البدع والأهواء  
الزَّائِغَة<sup>(18)</sup>.

2.الإمام محمّد بن يوسف السَّنوسِيّ التَّوْحِيدِيّ: حيث يُعَدُّ هذا العالم  
الجزائريّ علما فذاً ونموذجاً نادراً ورائداً بارزاً في العالم الإسلاميّ في القرن  
التَّاسِع الهجريّ. لما له من جهود جبارة وكبيرة في الحفاظ على العقيدة  
الأشعرية السَّنِيَّة وتبسيطها وجعلها في متناول طلاب العلم، فألف فيها المتون  
ثم أعقبها بالشُّروح<sup>(19)</sup>. وقد وضع للمؤلف القبول لإخلاصه وتقواه وورعه  
وزهده، فتلقَى النَّاس كتبه بالقبول والحفظ والدراسة والتَّعليم والشُّروح،  
واعتمدتها دور العلم والمعاهد الإسلاميَّة في العالم الإسلاميّ شرقه وغربه،  
حيث اعتمدت مشيخة الجامع الأعظم بتونس دراسة السَّنوسِيَّة الصَّغرى  
بشرحها الموسوم ب طالع البشرى للإمام العلامة مفتي المالكيَّة بتونس  
ومدرّس بالمعهد الزيتونيّ: إبراهيم بن أحمد المارغني<sup>(20)</sup>.

كما اعتمدت أيضا العقيدة الوسطى بشرحها الموسوم الهبة والعطا  
في شرح العقيدة الوسطى لأبي إسحاق الأندلسيّ المعروف بالسَّرْقِسطِيّ<sup>(21)</sup>،  
كما ذاع صيت كتب الإمام السَّنوسِيّ في الأزهر الشَّريف حيث ألف شيخ  
الأزهر محمد بن عبد الله الخرشبيّ المالكيّ المتوفى عام 1101 هـ كتاباً أسماه:

---

<sup>(18)</sup> الشيخ العلامة محمد بن محمد بن أحمد الملقب بإبن مريم، البستان في ذكر

العلماء والأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 م، الجزائر، ص 202.

<sup>(19)</sup> أبو عبد الله السنوسي (تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري)، شرح أم البراهين

( الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989 م.

<sup>(20)</sup> الإمام العلامة إبراهيم بن أحمد المارغني، طالع البشرى على عقيدة السنوسية

الصغرى (تونس، دت) ص 47-48.

<sup>(21)</sup> أبو إسحاق الأندلسي السرقسطي، الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى، المطبعة

التونسية، 1345 هـ نهج سوق البلاط، (تونس)



الفرائد السنّية في شرح المقدّمة السنوسية<sup>(22)</sup>. وهاهو الشيخ محمّد المصري الذي ذهب إلى السّودان وانتشر علمه هناك يصحب معه في هذه الرحلة كتاب (أمّ البراهين) وكذلك الشّيخ محمد عدلان الشائقي الذي حج وحمل معه من الحج إلى وطنه السّودان كتب السنوسي<sup>(23)</sup>.

3. الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي: يعتبر شيخنا العلامة الصّالح المصلح محمّد بن عبد الكريم المغيلي من أكبر المدافعين عن العقيدة السنّية والرّدّ على أهل البدع والمخالفين بالتّدريس والتّأليف والتّدوين وخير دليل على هذا الكلام ما تركه هذا الإمام العلم من مصنّفات في علم أصول الدّين، والتي انتفع المسلمون بها في مشارق الأرض ومغاربها، ومن أشهر ما ألف في هذا المجال:

أ. مصباح الأرواح في أصول الفلاح: وهذا الكتاب من أنفس المؤلّفات التي وأشهرها اشتهرت وذاع صيتها في العالم الإسلاميّ عن الإمام المغيلي. قال عنه الإمام محمّد بن يوسف السنوسيّ مقرظا له: «الحمد لله والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله.

طالعت هذا التّأليف المسمى بمصباح الأرواح في أصول الفلاح، فوجدته تأليفا مشتملا على تحقيق علوم الشريعة وأصول الدين، وإبرازها لبصائر القلوب بطريق بديع لطيف، من به في هذا الزمان العسير المظلم المولى العظيم الخبير الملك الحق المبين، ورأيته كلاما غاليا لا يصدر إلا من قلب مستنير بأنوار الولاية والمعارف الدينية والمواهب القدسية والحكم الربانية، مع مشاركة صاحبه لعلماء الظاهر في التّبجّر في علوم المعقول

---

(22) الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1424هـ - 2003 م) ص 317.

(23) أبو عبد الله السنوسي (تحقيق مصطفى محمد الغماري)، شرح أم البراهين، سابق، ص 08 - 09.

والمنقول، والضرب معهم بسهم وافر في فنيّ الفروع والأصول، فنسأل الله تعالى أن يبارك في حياة مؤلفه وأن يحفظه وذريته من فتن هذا الزمان وان يمن على جميعهم بالنجاة والفوز مع المتقين بالنعم المفيدة في دار القرار والأمان. قال ذلك وكتبه عبید الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي تاب الله عليه وغفر له بفضلله»<sup>(24)</sup>.

وقال عنه الإمام محمد بن أحمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي مقرظا له بما يلي: «هذا كتاب جليل، صدر عن نصّ عليل وعلم بالصواب كفيل، وصاحبه غريب في هذا الجيل بيد أنه أطلق الكفر على التضليل»<sup>(25)</sup>. من خلال ما تقدم يتبين لنا جلياً أنّ هذا الكتاب مبحثه أصول الدين وعلم العقيدة وليس النصّ الذي حقّقه وقدم له الأستاذ رايح بونار سنة 1968 م، بل اسمه الحقيقي والصحيح: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمّة من الجزية والصّغار، وهو ما عليه يهود هذا الزمان من الجرأة والطغيان. وهو: رسالة في اليهود، أو كتاب الإمام المغيلي في اليهود، أو تأليف في الفقه»<sup>(26)</sup>. وقد انتشر هذا الكتاب في العالم انتشارا واسعا، وسيأتي لنا ذكر بعض كلامه في هذا المقصد منه إن شاء الله.

ب. رسالة الردّ على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة: وهذه الرسالة ألفها الإمام المغيليّ في الردّ على هذه الفرقة الضالّة عن نهج الصّواب والخارجة

---

<sup>(24)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1434 هـ - 2013 م، بوسعادة، الجزائر ص 42. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ( تقديم وتحقيق عبد الرحيم بن حادة وعمر بن ميرة)، رسالة في اليهود (دار رقرق للطباعة والنشر، الرباط المغرب، الطبعة الأولى 2005 م) ص 14.

<sup>(25)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح سابق، ص 44.

<sup>(26)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في اليهود، سابق، ص 13.

عن مذهب أهل السنّة، استجابة لطلب وسؤال سائل، وهذا نص كلامه في مقدمتها: «أمّا بعد: فيقول عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيليّ التلمسانيّ -لطف الله به -: أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنّك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من الرّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وذكرت لي أنّ طائفة من العزّابية ببلاد المغرب بينهم قوم من المالكيّة لا قوّة ولا علم عندهم، وطلبت منّي أن أذكر لك أدلّة تنصرهم»<sup>(27)</sup>.

وهذه الرّسالة لها أهميّة كبيرة وقيمة عظيمة، لما اشتملت عليه من بيان ضلال الفرقة الاعتزاليّة وفضحهم ومن بيان كيفية الرّد عليهم بردّ مقنع مبنيّ على الدليل، وأن من لا علم عنده لا يردّ عليهم حتى لا يزيدهم قوّة ومكانة عند العوام من النّاس. وأنّ الواجب على الحكام ومن ولاه الله أمور المسلمين أن يقوموا بردهم وعرضهم على التّوبة والسّيف أجمعين<sup>(28)</sup>. وفي هذه الرّسالة أيضا يقول شيخنا وإمامنا سيّدي محمّد بن عبد الكريم مبيّنا ضلالهم وزيفهم وأنّه لا ينظر إلى مظاهرهم الكاذبة: «وهذا مما لا شكّ فيه ولا ينكره إلا جاهل لا يعلم شيئا، وإذا علمت ذلك فلا عبرة بعلمهم ولا بعبادتهم، لما أسّس بنياتهم على البدعة، ألم تعلم أنّه لا عمل إلا بنيّة، ولا نيّة إلا بموافقة السنّة، فعباد أهل البدع وقراؤهم فح الشّيطان، يرغبهم في المسارعة في الخيرات، ليظنّ العامة أنّهم أهل الحقّ في دينهم، فيضلّهم بهم عن سبيل الله، فاللّعين شيخ صيّاد، ومن حبائله تلك العباد»<sup>(29)</sup>. وقد تمّ تحقيق هذه الرّسالة وطبعها من طرف بعض الأساتذة والدكاترة، مثل

---

<sup>(27)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الرّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، تحقيق سالم بن عبد الكريم المغيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2020 م، ص 74-73.

<sup>(28)</sup> نفسه، ص 75.

<sup>(29)</sup> نفسه، ص 89-90.

الأستاذ الدكتور عمار طالبي، والدكتور خضير (جامعة أحمد درايعية أدرار) والأستاذ مبروك مقدم، وأخيرا من العبد الضعيف المحاضر سالم بن عبد الكريم.

ج. مراسلاته مع الإمام محمّد بن يوسف السنوسي: كانت هذه المراسلات بين الإمام المغيليّ والإمام السنوسيّ التّوحيديّ علامة زمانه في المعقول والمنقول، وفنّ الأصول حول مسائل هامّة في العقيدة وأصول الدّين، وكلا العلمين من المدرسة السّنيّة، غير أن العلامة سيّدي محمّد بن عبد الكريم من خلال هذه المراسلات كان يسلك نهج السّلف الصّالح في مسألة الأسماء والصّفات وتعلّقاتها، ومنها صفة السّمع والبصر وتعلّقاتها. وأخاه وصديقه ومحاوره العلامة سيّدي محمّد بن يوسف السنوسيّ كان ينهج طريقة الخلف من الأشاعرة في ذلك، ومن سار على نهجهم من الماتريديّة. وقد دارت رحا هذه المحاورات والمراسلات في النّصف الأوّل من العقد العاشر للقرن التاسع الهجريّ حسب استنتاج الأستاذ أحمد العلميّ حمدان المحقّق لهذه المراجعات والمراسلات<sup>(30)</sup>، والتي كانت فيها ردود العلامة محمّد بن عبد الكريم تتسم بكثرة الاستدلال على أنّ نهج السّلف وطريقهم هو الصّحيح في الاعتقاد، والأسلم من السّقوط في معصية التّقوّل على الله بالظنّ وبما ليس مرادا له تعالى.

• الإمام العلامة الجزائريّ التلمسانيّ سيّدي أحمد بن محمّد بن زكري:

فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها. والذي اشتهر في زمانه بالولاية والعلم والتأليف الكثيرة منها في هذا الفنّ:

1. شرح عقيدة ابن الحاجب، وسماه: بغية الطالب.

<sup>(30)</sup> أحمد العلمي حمدان، في تباري العقيدة السنية: نص مراجعات كلامية بين السنوسي محمد بن يوسف (ت 895 هـ) والمغيلي محمد بن عبد الكريم (909 هـ)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 03، فاس المغرب، 1988 م، ص 239.

2. منظومة في علم الكلام تقع في أكثر من ألف وخمسمائة بيت. وتوفي سنة 900هـ تسعمائة هجري، وكان بينه وبين السنوسي نزاع ومشاحنة في عدة مسائل، كل واحد منهما ردّ على صاحبه فيها<sup>(31)</sup>. وعن منظومته في علم الكلام قال عنها الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف: (ومنظومة في علم الكلام، بها أكثر من ألف وخمسمائة بيت دلّت على فضل وتمكّن في العلوم<sup>(32)</sup>).

• العلامة أحمد بن محمد المقرّي الجزائري التلمساني الأصل الدمشقيّ حياة ووفاة: قال عنه الشيخ محمد بن مخلوف: «شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمد المقرّي، نسبة لقريّة، الحافظ الأثري التلمسانيّ المولد، نزيل فاس، ثم القاهرة، الإمام، علم الأعلام، آية الله الباهرة في الحفظ والذكاء والأدب والمحاضرة، المحدث الرواية، المتكلم المؤلّف الرّجال، العارف بالسير وأحوال الرّجال، المتفنن في العلوم، الحامل راية المنثور والمنظوم، المحقّق، المطّلع، الزّاهد الورع...». له مؤلفات كثيرة في شتى العلوم، ومنها في هذا الفن:

1. إضاءة الدّجّة في اعتقاد أهل السنة<sup>(33)</sup>

2. إتحاف المغرى في تكميل شرح الصغرى

3. حاشية على شرح أمّ البراهين (توفي سنة 1041 هـ بالشام مسموما)<sup>(34)</sup>.

---

<sup>(31)</sup> الشيخ العلامة محمد بن محمد بن أحمد الملقب بإبن مريم، البستان فيذكر العلماء والأولياء بتلمسان سابق، ص 41.

<sup>(32)</sup> الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1424هـ - 2003 م بيروت، لبنان، ص 267.

<sup>(33)</sup> محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الثانية سنة 1405هـ - 1985 م، بيروت، لبنان، ص 61.

• العلامة الجزائريّ التلمسانيّ محمّد بن أحمد الهاشميّ: قال معرّفًا بنفسه في مقدّمة مؤلفه عقيدة أهل السنّة: «يقول أفقر العبيد إلى الله الغنيّ الحميد، محمد بن أحمد الهاشميّ بن محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان بن أبي جمعة الجزيريّ السّاحليّ التلمسانيّ ثمّ الدّمشقيّ، الأشعريّ المالكيّ»<sup>(35)</sup>. هذا العلامة التلمسانيّ خدم العلم وقدم لنا الكثير من المؤلّفات، ومن أشهر ما صنّف في هذا الفن من العقيدة رسالتان ثمينتان:

### أ. الرسالة الأولى:

• عقيدة أهل السنّة: لخصّ فيه عقائد أهل السنّة بعبارات سهلة ومفهومة وواضحة، وباختصار كشف عن فكر ثاقب ورأي موفق سديد. وكان فراغه من تبييضها أوّل من جمادى الأولى سنة 1343 هـ<sup>(36)</sup>.

• نظم عقيدة أهل السنّة: وهو نظم للعقيدة السابقة الذكر. يقول في

أولها:

يقول راجي رحمة المئان \* محمّد بن الهاشمي الرّحمان  
 الحمد لله على الإيمان \* وغيره من نعم الدّيان  
 صلّى وسلّم على المختار \* وآله وصحبه الأخيار  
 وبعد فالتّوحيد فرض عين \* على المكلفين دون مين  
 أركانه قول رسول الله \* الإيمان أن تؤمن بالإله<sup>(37)</sup>

<sup>(34)</sup> نفسه، ص 61. وكذلك في الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، سابق، ص 267.

<sup>(35)</sup> محمد بن الهاشمي التلمساني، رسالة عقيدة أهل السنة ونظمها، سابق، ص 02.

<sup>(36)</sup> نفسه، ص 11.

<sup>(37)</sup> نفسه، ص 12.

ب. رسالة سبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة: ذكر فيها المؤلف ما يندرج تحت لا إله إلا الله محمد رسول الله. من عقائد الإيمان ووجه كونها ستاً وستين عقيدة.

- نظم سبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة: والتي قال في مطلعها:
- الحمد لله الغنيّ الصّمد \* يا ربنا صلّ على محمد
- وأله وصحبه الأئمة \* وتابع لهم وباقي الأمة
- وبعد إن كلمة الشهادة \* قد جمعت عقائد السعادة
- ستاً وستين عقيدة وما \* عداه راجع إليه فاعلم<sup>(38)</sup>

والقائمة طويلة... ولعلّ من لم نذكرهم في هذا المجال أكثر ممن ذكرناهم. فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجعل مشائخنا وعلماءنا الأفاضل خير خلق لخير سلف، وأحيا الله بهم السنّة النبوية، وأمات بهم كل بدعة وزيف وضلالة.

### 3/ دفاعه عن عقيدة أهل السنّة:

لقد كان لإمامنا وشيخنا محمد بن عبد الكريم المغيليّ جهد كبير وسعي مشكور في نشر العقيدة السنّية بالمغرب الأوسط وأفريقيا الوسطى، والوقوف في وجه أهل البدع والضلال، بما أوتي من علم وحكمة، ودفع شهيم وكشف عورهم وهتك أستارهم، بالتدريس والنصح والتأليف، حتى قال فيه العلامة أحمد بابا التنبكتي: «لقد كان متمسكا بالسنّة ومحبا لها، ومبغضا لأعدائها، وهذا ما نقف عليه ونجده واضحا جليا في كتبه ورسائله التي ألفها شأنه في ذلك شأن علماء السنّة المعاصرين له مثل العلامة سيدي

<sup>(38)</sup> محمد بن الهاشي التلمساني، رسالة عقيدة أهل السنة ونظمها، ورسالة سبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة ونظمها، سابق، ص 16-26.

محمّد بن يوسف السنوسيّ التلمسانيّ، والعلامة سيدي أحمد بن محمّد بن زكري التلمسانيّ كذلك، والعلامة جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطيّ (ت 911 هـ) والذي له كتاب سمّاه: (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع)، أو من لم يعاصرهم سواء كانوا في القرن الذي ولد فيه مثل العلامة أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد (766هـ \_ 842 هـ) (1364 \_ 1439 م). المولود بتلمسان والمتوفي بها. والذي كان آية في العلوم المعقولة والمنقولة، لما خلف من مؤلّفات كثيرة ومفيدة، ومنها كتابه في أصول الدّين المسمى (عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد)<sup>(39)</sup>. والذي قال فيه الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم: السني الأسنى، الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والأهواء الزائغة<sup>(40)</sup>. أو كانوا من القرن الذي قبل ميلاده مثل العلامة: أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيروانيّ الفقيه المالكيّ المتوفي سنة 386 هـ والذي له عدة تأليف في الاعتقاد السّنيّ. منها مقدمة مفيدة في العقيدة السنّية افتتح بها رسالته الشّهيرة في الفقه المالكي، وكتاب: مناقضة رسالة البغداديّ المعتزليّ، ورسالة في التّوحيد، ورسالة في الرّدّ على القدرية... إلخ<sup>(41)</sup>.

ومثل العلامة المقرئ أبو عمر بن عثمان بن سعيد الدّاني المتوفي سنة 444 هـ والذي كان له قدم راسخ في الدّفاع عن العقيدة السنّية والرّدّ على أهل الأهواء، له من المؤلّفات: (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنّة في الاعتقادات وأصول الدّيانات). وله أرجوزة مشتملة على أبواب العقيدة على

<sup>(39)</sup> يحيى بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سابق، ص 125-133.

<sup>(40)</sup> الشيخ العلامة محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، البستان فيذكر العلماء والأولياء بتلمسان سابق، ص 02 وما بعدها.

<sup>(41)</sup> ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مكتبة التراث، الطبعة الثانية سنة 1426هـ - 2005 م، القاهرة، مصر، ص 372-373. الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، سابق، ص 96.



طريقة أهل السنّة<sup>(42)</sup>. وغيرهم من علماء السنّة الكثيرين، وإليكم جملا من كلامه رحمه الله في هذا المذهب العقديّ السنّيّ، قال في رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح، بعد مقدمة في علم المنطق: «وأما وجوب وصف واجب الوجود بكلّ كمال، كامل التّزويه عن كلّ نقص وتشبيهه فواضح؛ لأنّه لو لم يكن كذلك لجاز أن يكون على غير ما هو عليه، وكلّ ما جاز أن يكون على غير ما هو عليه، جاز عدمه، والفرض أنه واجب الوجود»<sup>(43)</sup>. أي أنّ واجب الوجود وهو الله جلّ وعزّ يجب أن يتّصف بصفات الكمال، مما نصب عليه دليل من الشّارع، وهي الصّفات العشرون التي كلفنا بمعرفتها، وإلاّ فصّات كماله تعالى غير متناهية، فيجب على كلّ مسلم أن يثبت لله تعالى كلّ كمال، وينفي عنه تعالى كلّ نقص. قال العلامة أبو إسحاق إبراهيم الأندلسيّ المعروف بالسرقسطيّ في شرحه الموسوم ب: (الهبّة والعطا في شرح العقيدة الوسطى للعلامة التوحيدى محمد بن يوسف السنوسى)، قال فيه: «واعلم أن جملة ما تعرض له هنا من صفاته عشرون صفة، وهي ما انتهت إلى إدراكه القوى البشريّة، وإلّاّ فصّات كماله تعالى ونعوت جلاله مما يفوت العد، ولا يحيط به الحد لكنّا لسنا مكلفين بما لم ينصب عليه سبحانه دليلا يوصلنا إليه»<sup>(44)</sup>. ثم يقول الإمام الدّاعية المصلح محمّد بن عبد الكريم في نفس الرّسالة بعد الجملة السّابقة: «فمن فهم هذا المعنى، تيقّن معاني الأسماء الحسنى فلم يخف عليه أن المولى جلّ وعلا موجود، قديم، باقى، واحد، حي، عليم، قدير، مريد، سميع، بصير متكلم، وأنّه جلّ جلاله ليس كمثله شئ في شئ من ذلك وغيره، فليس بجوهر ولا عرض ولا محدود ولا معدود، ولا متبعّض، ولا ذي كيفية. لا يجري عليه زمان ولا يتّصف

(42) إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا الطبعة الأولى 1426هـ - 2005 م، ص 141.

(43) الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، سابق، ص 61.

(44) أبو إسحاق الأندلسي السرقسطي، الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى، سابق، ص 185.

بتمكن في مكان، وأن صفاته أزليّة قائمة بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي غيره، فعلمه لا يعزب عنه موجود ولا معدوم جملة وتفصيلا، وكلّ من قدرته وإرادته لا يخرج عنه ممكن كلّّي ولا جزئي وجودا وعدما، وكلّ سمعه وبصره وكلامه أخبر به عن نفسه، فوجب الإيمان به على مراده الله ورسوله، مع كمال التنزيه عن كل نقص وتشبيه، فهو السّميع لكل ما يمكن أن يسمع، البصير بكل ما يمكن أن يبصر، المتكلم بكل ما علم من حمد وغيره، بكلام أزليّ ليس من جنس الحروف والأصوات، عبر عنه بالنّظم المسّعى بالقرآن وليس الخبر كالعيان»<sup>(45)</sup>. ففي هذا النّصّ يقرّر فيه إمامنا المغيّليّ عقيدة أهل السنة وفيه رد على أهل الابتداع، حيث رد فيه على المشبهة والمجسّمة بقوله: (وأنّه جل جلاله ليس كمثله شئ في شئ من ذلك وغيره، فليس بجوهر ولا عرض، ولا محدود ولا معدود، ولا متبعّض، ولا ذي كيفية ولا يجري عليه زمان ولا يتّصف بتمكن في مكان» فهو مخالف لجميع مخلوقاته عزّ وجلّ، يوضّح لنا ذلك الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاّنيّ حيث يقول: «ويجب أن يعلم أن كلّ ما يدل على الحدوث أو على سمة النّقص فالربّ تعالى يتقدّس عنه، فمن ذلك أنّه تعالى متقدّس عن الاختصاص بالجهات والاتّصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحوّل والانتقال ولا القيام والعود»<sup>(46)</sup>.

ثم يذكر الإمام محمد بن الطيّب الباقلاّنيّ الدليل من النقل ومن العقل على مسألة (تنزيه الله تعالى عن الاختصاص بالجهات والاتّصاف بصفات المخلوقات:

<sup>(45)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيّلي، سابق، ص 61 – 62.

<sup>(46)</sup> أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاّني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1432هـ - 2011 م) ص 149.

• الدليل التقلي: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(47)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(48)</sup>.

• الدليل العقلي: ولأنّ هذه الصفات تدلّ على الحدوث، والله تعالى يتقدّس عن ذلك، فإن قيل قد قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(49)</sup> قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إنّ العرش له قرار ولا مكان؛ لأنّ الله تعالى كان ولا مكان، فلمّا خلق المكان لم يتغيّر عمّا كان<sup>(50)</sup>.

ولذا عمّم النفي في جميع وجوه المثلية عن جميع الأشياء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فأول الآية تنزيه يرد على المجسّمة وأضربهم، وآخرها إثبات يردّ على المعطّلة النافين جميع الصفات، وقدم النفي على الإثبات وإن كان الأليق في كثير من المواطن العكس، تحرّزا من إيهام التشبيه إذ لو بدأ بذكر السمع والبصر، تبادر إلى فهمهم ما يألّفون في السمع أنه بأذن ومخصوص بالأصوات على وجه خاص، وفي البصر أنّه بحدقة وخاص بالأجرام وألوانها وأكوانها على وجه مخصوص، فبدأ بالتنزيه لئلا يذهب الوهم إلى التشبيه<sup>(51)</sup>.

فإذا قيل للمخاطب: مثلك لا يبخل، وأريد بالمثل ممن هو على أخصّ وصفه لزم من ذلك أنّه أيضا لا يبخل، وهذا اللازم هو المقصود. ولذا قال:

<sup>(47)</sup> الآية رقم 11 من سورة الشورى.

<sup>(48)</sup> سورة الإخلاص الآية رقم 4.

<sup>(49)</sup> الآية رقم 5 من سورة طه.

<sup>(50)</sup> أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، سابق، ص 149 – 150.

<sup>(51)</sup> الشيخ محمد الطيب بن كيران، شرح الطيب بن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر مع تعليقات دقيقة من حاشية الوزاني وغيرها، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان الطبعة الأولى سنة 1441هـ - 2020 م) ص 231-232.

مِثْلِكَ يَثْنِي الْمَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ \* وَيَسْتَرِدُّ الْجَفْنَ عَنْ غَرْبِهِ  
وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ \* غَيْرَكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبَّهِه<sup>(52)</sup>

كما نجده - رحمه الله - تحدّث على الصّفات الواجبة لله تعالى وأنها ثابتة لله تعالى ويجب الإيمان بها وهو ردّ على أهل الاعتزال المعطلين للصفات، فقال: «وإنّ صفاته أزليّة قائمة بذاته لا يقال هي هو، ولا هي غيره. فعلمه لا يعزب عنه موجود ولا معدوم جملة وتفصيلا وكل من قدرته وإرادته، لا يخرج عنه ممكن كليّ ولا جزئيّ وجودا وعدما، وكل من سمعه وبصره وكلامه أخبر به عن نفسه، فوجب الإيمان به على مراد الله ورسوله، مع كمال التنزيه عن كل نقص وتشبيهه»<sup>(53)</sup>.

قال العلامة أحمد الصّاوي في شرحه على جوهرة التّوحيد: «وأجمع أهل الأديان والعقلاء على أنّه تعالى سميع بصير متكلم، والمشتقّ يدلّ على المشتقّ منه خلافا للمعتزلة التّافين للمعاني، حيث قالوا: سميع بلا سمع، بل بذاته وهكذا»<sup>(54)</sup>.

#### 4/ اختياره وتمسّكه بمذهب السّلف في التّزيه والتّفويض

• السّلف: وهم من كانوا من أهل العلم قبل نهاية القرن الثالث الهجريّ، وهم من الصّحابة والتابعين وتابعيهم والأئمّة الأربعة وكبار علماء مذاهميم.

• الخلف: وهم من كان من العلماء بعد نهاية القرن الثالث الهجريّ، وهؤلاء هم علماء أهل السّنة والجماعة، وكلهم متّفقون على صرف التّصوص المتشابهة عن ظواهرها المستحيلة واعتقاد أنّ هذه الظّواهر غير

<sup>(52)</sup> نفسه، ص 232.

<sup>(53)</sup> الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، سابق، ص 61-62.

<sup>(54)</sup> أحمد بن محمد المالكي الصّاوي، شرح الصّاوي على جوهرة التّوحيد، سابق، ص 188.

مرادة للشّارع قطعاً<sup>(55)</sup>. وقال ملا علي القاري: «والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكنّ تأويل السلف إجمالي، لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيليّ لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين»<sup>(56)</sup>.

وقال العلامة السبكي رحمه الله: «ثمّ بعد اتّفاقهم على صرف النّص عن ظاهره، ذهب السلف إلى تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله تعالى وحده، بعد تنزيهه عن ظواهرها المستحيلة، وذهب الخلف إلى حمل اللفظ على معنى يسوغ في اللغة ويليق بالله». «وطريقة الخلف لم تشتمل على مزيد إيضاح، ولا يلجأ إليها إلا عند الضرورة بأن نخشى على عقيدة إنسان من الدّهَاب»<sup>(57)</sup>. وبناء على ما تقدم، نجد شيخنا العلامة سيدي محمّد بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله كان يرجّح مذهب أهل السلف في الأسماء والصفّات، ويدين الله تعالى به، للسّلامة من الوقوع في القول بالظنّ بالله والتّخمين في العقيدة، وهو ما صرّح به في رسالته مصباح الأرواح: «وكلّ من سمعه وبصره وكلامه أخبر به عن نفسه، فوجب الإيمان به على مراد الله ورسوله مع كمال التّزيه عن كل نقص وتشبيه»<sup>(58)</sup>. ونجده بعد هذا في هذه الرسالة مصباح الأرواح والتي ألفها في عقيدة أهل السنّة يصرح بعبارة أوضح من السّابقة في ترجيح مذهب السلف، حيث يقول معلّقاً على كلام الإمام مالك رحمه الله لمن سأله عن الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة». قال شيخنا رحمه الله: «يعني أنّه من المعلوم لغة إطلاق الاستواء على القصد

(55) الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، سابق، ص 153.

(56) يوسف بن علي العصري، البدعة الإضافية: دراسة تأصيلية تطبيقية، دار الفتح

للدراسات والنشر، الأردن، الطبعة الثانية، 2015 م، ص 344.

(57) الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، سابق، ص 153-154.

(58) الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح سابق، ص

والاستيلاء، والآية تحتل كلا منهما، ولم يقد دليل من السنة على تعيين أحدهما، فلم يبق إلا الترجيح بمحرك للظن وذلك إنما يفيد في الأحكام العملية لا الاعتقادية؛ لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فطالب الترجيح به في أسماء الله وصفاته مبتدع؛ لأن السنة أثار هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال بحسب الأحوال<sup>(59)</sup>. كما أنه رحمه الله لقوة قناعته بعقيدة أهل السنة على طريق السلف الصالح نجده ينصح باتباعها والسير على نهجها لجميع المسلمين، بل حتى المتخصصين في هذا الفن، مثل خله ومناصره وأخيه من الدراسة العلامة التوحيدى محمد بن يوسف السنوسى، كقوله في رسالته: « ولم أر في شئ مما ذكرتم من الأدلة العقلية والتقليدية دليلاً سالماً، وإن سلم لم يفد إلا ظناً، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾<sup>(60)</sup>. فأعرض يا أخى عن التوغل في أحكام الذات العلية والصفات الأزلية، فإنه عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(61)</sup>، ليس كمثل شئ في ذاته، ولا شئ في صفاته، فلا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، فيعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>(62)</sup> ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه: «إذا تنازعت عقول العقلاء في التوحيد، تناهت إلى الحيرة. فعليك يا أخى في تقرير العقائد التوحيدية بالطريق النبوية التي درج عليها السلف الصالح من الأمة، فإنها أقرب ما يكون للأفهام وأسلم من كل ظلم وظلام، وأرجى الأسباب لمواهب ذي الجلال والإكرام، وأعرض يا أخى عن كثرة نصوص الكتب الكلامية، فإنها من حرب وطعن وضرب بحسب الإمكان»<sup>(63)</sup>.

(59) نفسه، ص 72.

(60) سورة النجم الآية 28.

(61) سورة الشورى الآية 11.

(62) سورة البقرة الآية 255.

(63) الرسالة الثانية من المراجعة مع السنوسى ص 238 – 239.

هكذا كان سلوكه ومنهجه في العقيدة السنيّة؛ لأنّ مذهب السلف أسلم من تعيين معنى قد يكون غير مراد لله. قال إمام الحرمين في النّظاميّة: «اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها وذهب السلف إلى عدم التّأويل والتّفويض إلى الله تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقدا أتباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على التّعريض لمعانها»<sup>(64)</sup>.

### 5/ مؤلفاته في علم أصول الدّين:

مع كثرة مؤلّفات شيخنا العلامة سيّدي محمّد بن عبد الكريم، والتي تجاوزت الخمسين مؤلّفاً ورسالة والتي تم إحصاؤها مؤخّراً، وربّما تزيد في المستقبل. لم نعثر له في علم العقيدة وأصول الدّين إلّا على ثلاثة رسائل، والتي انتشرت وذاعت في شتى بقاع العالم، وقد طبعت والحمد لله وهي

1. رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح: وقد حقّقه أخيراً أخونا الأستاذ عبد الله حمادي الإدريسيّ، وطبع بدار بوسعادة للنّشر والطّباعة، طبعته وزارة الثّقافة سنة 2013 م.

2. الرّدّ على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة: وقد حقّقه عدة دكاترة وأساتذة، منهم الدكتور عمار طالبي الجزائريّ، والأستاذ مبروك مقدم المقيم بوهران، والأستاذ الدكتور خضير من آل المغيليّ جامعة أدرار. وتمّ تحقيقه أخيراً من طرفنا، وطبع بدار الكتب العلميّة ببيروت لبنان سنة 2020 م.

3. مراسلات ومراجعات حول مسائل في العقيدة السنيّة بين الإمام المغيليّ والإمام السنوسي: وقد قدّم لها وحقّقها الأستاذ أحمد العلمي حمدان، ونشرها في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بفاس. عدد 03 سنة 1988 م.

<sup>(64)</sup> الإمام العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، سابق، ص 154.

## المصادر:

1. المصحف الشريف برواية ورش عن نافع.
2. بن عساكر الدمشقي علي بن الحسن، كتاب تبين كذب المفتري في ما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ (دمشق سوريا، دار الفكر، الطبعة الثانية 1399هـ)
3. الدكتور التّهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنّة (دمشق سوريا، مؤسسة الرّسالة ناشرون، الطبعة الأولى 1426هـ - 2005م)
4. الشّيخ المغيليّ بن عبد الكريم محمّد (تقديم وتحقيق عبد الرّحيم بنحادة وعمر بنميرة)، رسالة في اليهود (الرباط المغرب، دار رقرق للطباعة والنّشر، الطبعة الأولى 2005)
5. السنوسيّ أبو عبد الله (تحقيق وتعليق الغماريّ محمّد مصطفي)، شرح أمّ البراهين (الجزائر، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1989 م).
6. الدّكتور العصريّ بن علي يوسف، البدعة الإضافة: دراسة تأصيليّة تطبيقية (الأردن، دار الفتح للدراسات والنّشر، الطبعة الثّانية 2015 م).
7. الشّيخ العلامة ابن مريم محمّد بن محمّد بن أحمد، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1986 م).
8. التلمسانيّ بن الهاشميّ محمّد، رسالة عقيدة أهل السنّة ونظمها، ورسالة سبيل السّعادة في معنى كلمتي الشّهادة ونظمها، مطبعة التّرقّي الطبعة الأولى، 1929 م).
9. الإمام العلامة المارغنيّ إبراهيم بن محمّد، طالع البشرى على عقيدة السنوسية الصّغرى (تونس، دت).
10. الباقلاّتيّ أبو بكر محمّد بن الطّيّب، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (بيروت لبنان، دار مكتبة المعارف للطباعة والنّشر، الطبعة الأولى سنة 1432هـ - 2011م).
11. الإسفراينيّ أبو المظفر (إخراج محمد زاهد بن الحسن الكوثريّ)، التّبصّر في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين (مصر، المكتبة الأزهرية للتّراث، الطبعة الأولى سنة 1419هـ - 1999م).



12. الشَّيْخُ المَغِيلِيُّ بن عبد الكريم محمَّد (تحقيق سالم بن عبد الكريم المغيلي)، الرَّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة (بيروت لبنان، دار الكتب العلميَّة، 2020 م).
13. السَّرْقَسْطِيُّ الأندلسيُّ أبو إسحاق، الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى (تونس، المطبعة التَّونسيَّة نهج سوق البلاط، 1345هـ).
14. الدكتور الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيليّ (الجزائر، مكتبة الرِّشاد للطَّباعة والتَّوزيع، الطَّبعة الأولى سنة 1433 هـ - 2012 م).
15. الدكتور بوعزيز يحيى، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط (وهران الجزائر، دار الغرب للنَّشر والتَّوزيع، 2004 م).
16. الشَّيْخُ المَغِيلِيُّ بن عبد الكريم محمَّد، مصباح الأرواح في أصول الفلاح (بوسعادة الجزائر، دار بوسعادة للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة الأولى سنة 1434 هـ - 2013 م).
17. الشَّيْخُ عليش محمد، كتاب الفتوحات الإلهيَّة الوهيَّة على المنظومة المقرَّبة (موريتانيا، مكتبة الإصلاح).
18. الإمام العلامَّة الباجوريِّ إبراهيم، شرح جوهرة التَّوحيد (دمشق سوريا، 1391هـ).
19. المالكيِّ الصَّواوي بن محمَّد أحمد، شرح الصَّواوي على جوهرة التَّوحيد (دمشق سوريا، دار ابن كثير الطَّبعة السَّابعة سنة 1431 هـ - 2010 م).
20. العلامَّة السَّيِّد أحمد المرزوقيِّ المالكيِّ، عقيدة العوام (الطَّبعة الأولى، د ت).
21. التَّنْبُكْتِيُّ بابا أحمد (تحقيق الدكتور عمر علي)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (القاهرة مصر، مكتبة الثَّقافة الدِّيَّنيَّة، الجزء الثَّاني سنة 1424 هـ - 2004 م).
22. الشَّيْخُ بن مخلوف بن محمَّد محمَّد، شجرة النور الزكيَّة في طبقات المالكيَّة (بيروت لبنان، دار الفكر للطَّباعة والنَّشر، الطَّبعة الأولى سنة 1424 هـ - 2003 م).
23. الحفناويِّ محمَّد، تعريف الخلف برجال السلف (بيروت لبنان، مؤسسة الرِّسالة ناشرون، الطَّبعة الثَّانية سنة 1405 هـ - 1985 م).

24. المالكيّ ابن فرحون، الدّيباج المذّهّب في معرفة أعيان علماء المذّهب (القاهرة مصر، مكتبة التّراث، الطّبعة الثّانية سنة 1426هـ - 2005 م).
25. الشّيخ بن كيران محمّد الطّيب، شرح الطّيب بن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر مع تعليقات دقيقة من حاشية الوزانيّ وغيرها (بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى سنة 1441هـ - 2020 م).
26. البدريانيّ بن عبد الرّحمان عبد الجليل، كتاب الأوجليّ في توحيد الرّبّ العالي (تيميمون الجزائر، 1983).
27. حمدان أحمد العليّ، في تيار العقيده السّنيّة: نصّ مراجعات كلاميّة بين السّنوسيّ محمّد بن يوسف (ت 895 هـ) والمغليّ محمّد بن عبد الكريم (909 هـ)، العدد 03 (فاس المغرب، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، 1988 م).



# التكامل المعرفي وأثره في بناء شخصية المصلحين وصلها الإمام المغيلي أنموذجا

د. مصطفى أحمد قنبر

أستاذ مساعد.وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي دولة قطر

## الملخص:

يسعى هذا البحث إلى بيان أثر التكامل المعرفي في بناء شخصية المصلحين وصلها؛ حيث تخضع شخصياتهم إلى تكوين من نوع خاص يناسب الأدوار التي تنتظرهم في أمتهم، خاصة إذا كانت الأمة في حاجة إلى من يجدد لها دينها، ويحفظ لها هويتها، ويأخذ بها نحو النهوض، ومواجهة أعدائها. وهذا ما نجده في سيرة ومسيرة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)؛ حيث شهدت إنجازاته على المستوى العلمي والعملية، بشخصية متفردة جمعت بين كثير من علوم عصره، ومآزته من غيره في سيرة المصلحين.

## الكلمات المفتاحية:

الإمام المغيلي؛ الأمة؛ تجديد الدين؛ التكامل المعرفي؛ المصلحون.

## The Cognitive Integration and Its Impact in the Building and Refinement of the Reformers's personality - Imām al-Maghīlī as Model

### Abstract:

This research seeks to clarify the impact of cognitive integration on building and refining the personality of reformers, where their personalities are subjected to a special kind of formation suitable for the roles awaiting them in their nation, especially if the nation needs someone to renew its religion, preserve its identity, and take it to rise and confront its enemies. This is what we find in the biography and career of Imām Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī (909 AH). His achievements witnessed scientifically and practically, with a unique personality that combined many sciences of his era and distinguished him from others in the lives of reformers.

### Keywords:

Imām al-Maghīlī, Ummah, Renewal of religion, Cognitive Integration, Reformers

## توطئة:

لا تقاس حياة المصلحين في الأمم، بأعمارهم التي قضوها، وإنما بمنجزاتهم التي سهرروا من أجلها، وكدّوا وتعبوا محاولين أن يحدثوا تغييرا، ولم يعبؤوا بما واجهوا من مصاعب، أو بما وُضعت في طريقهم من عراقيل، بل استعذبوها؛ وذلك لأنهم آمنوا بفكرة؛ ومن ثم بذلوا من أجلها كل شيء، هذه الفكرة تتمثل في رسالتهم الإصلاحية التي لن يقوم بها سواهم، ودورهم الذي أصطنعوا له من قبل رب العالمين، ومن ثم فرسالتهم من ميراث الأنبياء.

وما دامت رسالة المصلحين من ميراث الأنبياء، وهي العلم الذي ورثوه، كما أخبر صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأُورِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»<sup>(1)</sup> فإن عليهم بالعلم أتمن ميراث أن يجددوا للأمة دينها، ويحفظوها من الزيغ بعد الهدى، قابضين على إرثها الحضاري من التفلّت والضياع، مفعلين لدورها الشريف الذي أنيط بها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة آل عمران: 110. وهؤلاء رسالتهم مستمرة، ودورهم ممتد، ومددهم لا ينقطع، ولا ينحسر؛ فلا تقف رسالتهم عند حدود مجتمعهم الصغير، أو الكبير؛ إنما تمتد وتتسع لتشمل الأمة بأسرها، متخطية حدود المكان، ومتجاوزة أيضًا حواجز الزمان؛ لتصبح زادًا لا ينتهي، ومعينا لا ينضب، يمد روافد حياة الأمة كلما نضبت، أو بعدت الشُّقة بينها وبين دورها الحضاري الذي أسنده لها رب العزة جل في علاه. ولذا ليس غريبا أن يخسر المسلمون، بل والعالم كله كثيرا بانحطاط الدور الحضاري للمسلمين.

<sup>(1)</sup> الهيثمي: صحيح موارد الظمان على زوائد ابن حبان، دار الصميعي، الرياض (1442هـ) 1/121.

لذا كان إعداد المصلح لهذه الأدوار مختلفا عن إعداد غيره من الفاعلين في المجتمع من قادة ومعلمين وأطباء...، وهذا الإعداد يقوم على أن يتسلح من يخضع له بمجموعة من علوم عصره إن لم يكن معظمها، إذ لا يتصور وجود فواصل أو حدود تعطي استقلالية لمعرفة ما، تنأى بنفسها عن الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، ومن ثم فإن الولوج إلى ساحة علم ما من العلوم في الثقافة العربية الإسلامية يتطلب الإحاطة بما يتصل به من علوم أخرى، إن لم يكن التعمق فيها وسبر أغوارها، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما عُدي من متطلبات يلزم توافرها في من يقبل على تفسير القرآن الكريم، أن تكون عدته الإحاطة بخمسة عشر علمًا، هي: اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبدیع، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول والقصص، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث المبنية لتفسير المجمل والمهم، وعلم الموهبة، هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.<sup>(2)</sup>

ولم يكن هذا التصور المنهجي للدرس التفسيري، إلا للثورة الكبرى التي أحدثها القرآن في الفكر العربي والثقافة العربية، إذ وقع أرباب الثقافة العربية على نصٍّ معجز بلسان عربي مبين، سما بتشكله المهبر فوق مستوى صناعة البشر؛ ومن ثمَّ كان ولا يزال النموذج الأسمى للنظم العربي، لكل من يريد أن يبدي ويرتقي. وقد أجاد السيوطي حين عبر عن هذه الثورة بقوله: إِنَّ كِتَابَنَا الْقُرْآنَ لَهُوَ مُفَجِّرُ الْعُلُومِ وَمَنْبَعُهَا وَدَائِرَةُ شَمْسِهَا وَمَطْلَعُهَا، أَوْدَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَبَانَ فِيهِ كُلَّ هَدْيٍ وَغِيٍّ، فَتَرَى كُلَّ ذِي فَنٍّ مِنْهُ يَسْتَمِدُّ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ فَالْفَقِيه يُسْتَنْبِطُ مِنْهُ الْأَحْكَامَ وَيَسْتَخْرِجُ حُكْمَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَالنَّحْوِيُّ يَبْنِي مِنْهُ قَوَاعِدَ إِعْرَابِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ خَطِّ الْقَوْلِ

<sup>(2)</sup> ابن عقيلة المكي: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات (1427هـ) ص 440.

مِنْ صَوَابِهِ. وَالْبَيَانِيُّ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى حُسْنِ النِّظَامِ وَيَعْتَبِرُ مَسَالِكَ الْبَلَاغَةِ فِي صَوْنِ الْكَلَامِ. وَفِيهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ مَا يُدَكِّرُ أُولَى الْأَبْصَارِ. وَمِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ مَا يَزِدُّ جُرِّ بِهِ أَوْلُو الْفِكْرِ وَالْإِعْتِبَارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومٍ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهَا إِلَّا مَنْ عَلِمَ حَصْرَهَا، هَذَا مَعَ فَصَاحَةِ لَفْظِ وَبَلَاغَةِ أُسْلُوبِ تَبَهَّرُ الْعُقُولَ وَتَسْلُبُ الْقُلُوبَ وَإِعْجَازُ نَظْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ.<sup>(3)</sup>

وقبل السيوطي عرف حملة مشاعل النور من العرب والمسلمين بعض مفهومات التكامل المعرفي وأكدوا عليه، وعملوا بمقتضاه، وكانت البدايات الأولى عند الشافعي (ت 204هـ) في كتابه (جماع العلوم)، وبرزت الفكرة كذلك في كتاب «إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي»،<sup>(4)</sup> ولعل من أوضح ما يعبر عن فكرة التكامل المعرفي، وأهميته للمتعلم ما نص عليه الإمام الغزالي (ت 505هـ) في كتابه "ميزان العمل" بقوله: للمتعلم أن لا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقه. ثم إن ساعده العمر وأتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض، ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معادياً لذلك العلم بسبب جهله به. فإن الناس أعداء ما جهلوا. قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.<sup>(5)</sup>

لذا ليس غريباً أو عجيبة أن نرى التكامل المعرفي يتجلى في أظهر صورهِ في التراث التفسيري الضخم، بمدارسه المختلفة، ومذاهبه المتباينة، وكيف كان ساداتنا ممن أقبل على تفسير القرآن على وعي بأهمية وضرورة الجمع

<sup>(3)</sup> السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1974) ص 17.

<sup>(4)</sup> جمال بلفردى: تأصيل نظري مفهوم التكامل المعرفي "قراءة في الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد (7)، العدد (1) (جوان 2022م) ص 43 - 60.

<sup>(5)</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، دار المعارف، مصر (1964) ص 348

بين العلوم المختلفة قراءة، ثم إبداعاً، ثم إسهاماً في صرح الحضارة الإنسانية، ويكفي أن نعلم أن الواحد منهم لم يكن ليقنع بالتبحر في علم أو علمين تدريسيًا وتأليفاً، إذ نجدهم يجمعون بين: التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والنقد، الكلام، والتاريخ.<sup>(6)</sup>

### مفهوم التكامل المعرفي:

تجلت صور التكامل المعرفي في التراث العربي الإسلامي كما حفظت كتب التراجم والطبقات، فكانت الشمولية والموسوعية في المعرفة والعلم من أبرز سمات من ذكر فيها، حتى وإن كان إماماً من باب الثقافة العامة، وليس المعرفة المتخصصة، وليس من الغريب أن تتوافر خاصية الموسوعية هذه لدى بعض مفكري وفلاسفة المسلمين؛ حيث نجد بأنهم قد كانوا على درجة كبيرة من الإلمام بمجالات وحقول معرفية كثيرة؛ في اللغة والأدب، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث والتاريخ، والفلك، والطب، والرياضيات. فالإمام الطبري مثلاً هو مفسر ومؤرخ، وفقه، وعالم باللغة، والشعر. وابن خلدون مؤرخ، وقاضٍ، وعالم اجتماع. وابن سينا فيلسوف، وطبيب. وابن رشد فقيه، وأصولي، وطبيب، وفيلسوف. وابن تيمية كتب في الفقه، والأصول، والسنة، والتصوف، والمنطق، ... وهكذا.<sup>(7)</sup> ولم يكن وصفهم للعالم بأنه مت وامتداداً لهذا الإرث العظيم والتلديد، فلا غرابة ولا عجب أن يُفسر التكامل المعرفي بمعنى التكامل في المناهج التعليمية بين العلوم الطبيعية والإنسانية "الحديثة"، والعلوم "الإسلامية"<sup>(8)</sup>

<sup>(6)</sup> مصطفى قنبر: صفحات في سير اللغويين والنحاة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا (2019) ص 63.

<sup>(7)</sup> فتحي ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية (2011) ص 25

<sup>(8)</sup> سمير أبو زيد: تاريخ فلسفة العلم من منظور إسلامي بوصفه أساساً لتحقيق التكامل المعرفي، ضمن كتاب التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته



ضلعٌ في فنِّ ما، إلا لبلوغه الغاية فيه؛ بما يجعله من الأئمة المشهود لهم.

وتتسع صور التكامل من نطاق الفرد، لتدخل في دائرتها تكامل جهود الأفراد من العلماء ليس في تخصص واحد، وإنما من تخصصات مختلفة لأجل التطوير العلمي والتكنولوجي المعاصر في مجالات متعددة، كالطب وغزو الفضاء، وقد يتعلق أحد الجوانب الأساسية في هذا النوع من التكامل بإدارة المشروع العلمي، وتنظيم أدوار العاملين فيه، لتوفير المعلومة الضرورية لكل خطوة من خطوات المشروع، وفي الوقت المناسب إضافة إلى مواجهة الطوارئ والمستجدات<sup>(9)</sup>

ولا يقف مفهوم التكامل المعرفي عند بعده الآني والتخصصي، ولكنّه يمتد ليدخل البعد التراكمي أو التاريخي، ليشمل تكامل جهود العلماء في الأجيال المختلفة؛ إذ يبني كل جيل على خبرة الجيل الذي سبقه، وكذلك الأمر في تكامل جهود الشعوب والأمم؛ إذ ينبئنا التاريخ أن حضارة أية أمة كانت في الغالب نتيجة التفاعل والاستيعاب الثقافي والحضاري من الأمم الأخرى، المعاصرة لها أو السابقة عليها.<sup>(10)</sup> لتضيف هذه الجهود التفاعلية أو الاستيعابية منجزات جديدة تشيّد في صرح الحضارة الإنسانية.

### الإمام المغيلي، النشأة والتكوين:

الشيخ المصلح المجدد، محمد بن عبد الكريم بن محمد، أبو عبد الله، محيي الدين، المغيلي، التلمساني، التواتي، الجزائري. يتصل نسبه بالدوحة النبوية الشريفة؛ فهو: محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي

---

الحضارية، الولايات المتحدة الأمريكية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي (2012) ص 113.

<sup>(9)</sup> فتحي ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص 58.

<sup>(10)</sup> فتحي ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص 58.

بن الحسن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناذ بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الله بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم محمد عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم.<sup>(11)</sup>

والمغيلي: بفتح الميم والغين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها واللام المخففة في آخرها، هذه النسبة إلى مغيلة، وهي قبيلة من البربر.<sup>(12)</sup> قداستوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفارقة البيض.<sup>(13)</sup> ومغيلة مدينة صغيرة، أسسها الرومان، ولهذه المدينة أرض طيبة في الجبل، وأرض جميلة في السهل.<sup>(14)</sup>

إذا نحن أمام شخصية فريدة من نوعها، شخصية تنماز بطيب الأزومة، وشرف المحتد، فماذا عساها أن يناط بها من أدوار؟ وما الذي جعلها مؤهلة كي تقوم بما يجب عليها تجاه مجتمعها وأمتها؟ لقد قيَّضَ الله للشيخ مجموعة من العوامل ساهمت في تشكل شخصيته الإصلاحية التجديدية، وهي في جملتها، تكشف عن مظهرٍ للتكامل المعرفي أسهم في تكوين هذه الشخصية، وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في جملة مؤلفاته التي أثرت المكتبة العربية الإسلامية، وتُرجمت في سلوكات عملية في معاصري الشيخ من الحكام والمحكومين فضلا عن تلاميذه.

---

<sup>(11)</sup> إدريس بن لخويا: الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن المغيلي - من المهد إلى اللحد - مجلة الذاكرة، العدد السابع، (2016) ص10.

<sup>(12)</sup> عبد الكريم السمعاني: الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (1962) ص73.

<sup>(13)</sup> القاضي كعت: تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وتكلمته تذكرة النسيان، دار الكتب العلمية، بيروت (2012) ص49.

<sup>(14)</sup> إدريس بن لخويا: الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن المغيلي، ص 10.

وقد أجمعت المصادر التي تناولت سيرة ومسيرة الشيخ المغيلي على أن الرجل تلقى أساسيات علوم عصره على أيدي أسرته، ثم انفتح ينهل من علوم عصره فقتلها بحثاً، مع كثير الخبرات التي أفادها من رحلاته المتعددة؛ لينعكس ذلك كله في بوتقة مؤلفاته التي تعد أبرز دليل عملي على التكامل المعرفي الذي انطبعت به عمليات التلقي طوال مسيرة الشيخ العامرة.

نشأ الشيخ في عائلة ذات شرف باذخ، وقد تلقى دراسته الأولى بتلمسان، حيث حفظ القرآن على يد السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما أخذ عنه أمهات الكتب الفقهية، كالرسالة، مختصر خليل وابن الحاجب وبعض كتب يونس، كما تتلمذ على يد يحيى بن بدر، وتربي على يد أبي العباس الوغليسي.<sup>(15)</sup> الذي لقنه مجموع العلوم العربية الإسلامية العقلية والنقلية، وعلى يد الشيخ منصور بن علي بن عثمان الزواوي، أحد كبار علماء وفقهاء بجاية، والإمام محمد بن محمد اليحصبي البروني التلمساني.<sup>(16)</sup>

والرجل كما يبدو كان شغوفاً بتحصيل العلوم والمعارف في شتى المجالات، وهذا ما يبرز ما ذهب إليه الباحث من إدراكه لمبدأ التكامل بين العلوم، وأن بعضها يأخذ بأعناق بعض، فضلاً عما حباه الله به من نفس تواقدة للعلم والتعلم، راغبة في معالي الأمور، زاهدة في الدنيا ومتاعها، مبتغية وجه الله العظيم في كل مسعى، الشيء الذي دفع به إلى مغادرة تلمسان باتجاه بجاية) طالبا العلم من علمائها وزواياها المنتشرة، التي كانت تعج بالطلاب من كل الأقطار العربية وغير العربية، فقد كانت بجاية آنذاك

---

<sup>(15)</sup> مبروك الإمام محمد عبد الرحمن المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران (2003) ص 27.

<sup>(16)</sup> حموعبد الكريم: الجهود الفكرية واللغوية للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي قراءة في مضامين الكتابة والتأليف، مجلة جسور المعرفة، مجلد 5، عدد 1، الصفحات (2019) ص (56)

حاضرة العلم والثقافة العربية الإسلامية، غير أنّهم يبقّ بها كثيرا فخرج منها في طريقه إلى الجزائر، مُدركا من بعض زملائه الطلاب شهرة الإمام عبد الرحمان الثعالبي ومدرسة؛ فنزل عنده لطلب العلم والمعرفة، وأخذ عنه التفسير والتصوف والقراءات.<sup>(17)</sup> ولما رأى فيه شيخة التلميذ المجدّ والرجل الصالح، اختاره زوجا لابنته زينب، التي أنجبت له ثلاثة أولاد هم: علي وعبد الجبار وعبد الله<sup>(18)</sup>

وقبل عودة الشيخ المغيلي إلى مسقط رأسه تلمسان أوصاه الشيخ الثعالبي وصية قيّمة دعاه فيها بأن «لا يُعاشر أهل سفاهة، ولا يستوطن مكان إهانة»<sup>(19)</sup>، وبالفعل عمّل بنصيحة شيخه فما إن وطأت قدماه أرض (تلمسان) حتى بدت له «توات»؛ لأنه وجدّ فسادا مستشرياً بين ساسة تلمسان وحكامها فخرج منها ساخطا على فسادها، فغادرها عازما على إقامة حدود الله ورسوله، والدفاع عنها بنشر الدعوة إلى الله تعالى؛ فقصّد أعماق الصحراء و«استقر لدى أولاد يعقوب في واحة (تمنطيط) التي كانت يومها مدينة علمية بالمعنى الكامل، ثم انتقل بعدها إلى واحة (بوعلي)، وأسس هناك زاويته الدينية التي ما تزال حتى اليوم تحمل اسمه».<sup>(20)</sup>

الشيخ المغيلي؛ إنتاج علمي متنوع: انعكست هذه الحياة العلمية الحافلة بتعدد روافدها المعرفية، وتنوع مصادرها الثرية بشتى علوم العصر الذي نشأ فيه الشيخ المغيلي، وعمق التجارب التي خاضها إثر الحواضر

<sup>(17)</sup> إدريس بن لخويا: الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن المغيلي، ص 13.

<sup>(18)</sup> حمو، عبد الكريم: الجهود الفكرية واللغوية، ص 56.

<sup>(19)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، قسم أصول الدين، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر/باتنة، الجزائر (2011) ص 28.

<sup>(20)</sup> إدريس بن خويا: الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن المغيلي، ص 13.

والبوادي التي وطئتها قدماه؛ إمَّا رغبة في الاستزادة من المعارف، أو نشرًا لها تعليمًا وتطبيقًا يفيد المجتمع ويعمل على تنميته.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن مؤلفات الشيخ التي خلفها وصلت إلى (48) ثمانية وأربعين مؤلفًا، شملت علومًا عديدة، مثل: التفسير والحديث، والفقه، واللغة، والسياسة، ... محققا وغير محقق، منها:

1. البدر المنير في علوم التفسير.
2. الأربعون المغيلية، أو أربعون حديثا.
3. تفسير سورة الفاتحة.
4. عمل اليوم والليلة.
5. كتاب لبّ اللُّباب في ردِّ الفكر إلى الصواب.
6. مفتاح النظر في الحديث.
7. إفهام الأجل احكام الأجل.
8. إكليل المغني.
9. إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل.
10. تأليف في المنهيات.
11. حاشية على المختصر.
12. شرح بيوع الأجل من ابن الحاجب.
13. مصباح الأرواح في أصول الفلاح.
14. مفتاح الكنوز.
15. أجوبة أسئلة الأمير أسكيا للإمام المغيلي.
16. هدية المسترشدين ونصيحة المهتدين.
17. الرد على المعتزلة.
18. مناظرة المغيلي للسنوسي.
19. مجموعة من القصائد، كالميمية على وزن البردة ورومها، في مدح النبي ﷺ، نسجها وألقاها عند دخوله الروضة الشريفة، ومطلعها:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبِي هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ.  
20. الوصية. (21)

ومن مؤلفاته كذلك، منظومة في المنطق وقد سماها "منح الوهَّاب"، وثلاثة شروح عليها. وله أيضا: "تنبيه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين" (22) ومنها كتاب: "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين" الذي حققه وقَدَّم له محمد خير رمضان يوسف. (23)  
ومن مؤلفاته أيضا: شرح خطبة المختصر، ومقدمة في العربية وفهرسة لمروياته، وكتاب الفتح المبين، وجملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام. (24)

المكانة العلمية للشيخ: كشف التراث العلمي للشيخ، عن شخصية علمية فريدة، نالت احترام معاصريه ومن جاء بعده واحترامهم، ممن أرخوا للتراث العلمي الجزائري خاصة والإسلامي عامة، ومن ثم فقد أسبغوا عليه من الصفات التي قلما تتوفر فيمن يتصدى لمثل المهام التي حملها الشيخ على عاتقه، بعضها يذهب إلى التخصص العلمي الذي تبحر فيه، فهو الفقيه المفسِّر...، وبعضها يذهب إلى مجمل ما انطبعت به شخصية وعرف بها بين معاصريه فهو: خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة، أحد الأذكياء، من له بسطة في الفهم والتقدم، متمكن المحبة في السنة. (25)

---

حمو، عبد الكريم: منهجية التفسير القرآني في سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، العدد3(2019) ص57.  
(22) عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، دار ابن حزم، بيروت (1994) ص11.

(23) عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، ص5.  
(24) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت(1995) ص157.  
(25) عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، ص10.

قال عنه الشيخ عثمان بن فودي: كان فقيها حافظا، أصوليا، ومحدثا فرضيا، محققا كبيرا، نقادا، مؤلفا قدوة، نبيا مجتهدا، عارفا بالقرآن، مضطلعا في الأدب، صوفي المسالك، متخلقا بأخلاق الصالحين، وكان آية الله في تحقيق العلوم، بالاطلاع المفرط، والباع الطويل، في علم المعقول، والمنقول، والسهر على تحصيل القبول.<sup>(26)</sup>

ووصفه محمد بن عسكر الشفشاوني صاحب «دوحة النشر»، بالفقيه الصدر الأوحده، من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء، شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.<sup>(27)</sup>

ومن أظهر ما وُصف به الشيخ، ويُدلل به على التكامل المعرفي الذي تمتعت به شخصيته العلمية تلقياً وإنتاجاً، بأنه فقيه حافظ، ترجع إليه الفتوى، وأصولي ماهر، نظارا محققا كبيرا، نقادا ثبوتا، معدودا للمشاكل العويصات، مشاركا في التفسير، مشهودا له في الحديث وعلومه، مؤلفا قدوة نبيا، عارفا بعلم القراءات، متضلعا في علوم الأدب.<sup>(28)</sup>

### معالم التكامل المعرفي في مؤلفات الشيخ:

فضلا عن التنوع في العلوم التي امتلك الشيخ ناصيتها، والتي أمارت اللثام عنها سيرته الندية، وبرهنت عليها مسيرته الإصلاحية، وما خلفه للأمة من مجموعة مؤلفاته؛ فإن التناول الذي انتهجه الشيخ في أكثر من مؤلف يشهد له بذلك. ويكفي ما سطره يراعه في تفسير سورة الفاتحة، ولا يخفي أن الولوج إلى تفسير القرآن العظيم والوقوف على النكات الجليلة في أي الذكر الحكيم لا يتحقق إلا من تكاملت لديه أدوات التفسير، وهي في جملتها تتلخص في الإحاطة الكاملة بمجموعة من العلوم تتعلق باللغة، وأصول

<sup>(26)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، ص 43.

<sup>(27)</sup> محمد الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن

العاشر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط (1977) ص 130.

<sup>(28)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي ص 35.

الدين، والفقه، والحديث، فضلا عن علوم التاريخ والسّير... وغيرها من العلوم التي ذكرها بالتفصيل وأكّد على لزوم توافرها رجالات هذا العلم الشريف.

وقد كشف أحد الباحثين في قراءته لمخطوط الشيخ المغيلي في تفسير الفاتحة<sup>(29)</sup> وباحث آخر في موطنين، تناول في أحدهما الجهود الفكرية واللغوية للشيخ المغيلي،<sup>(30)</sup> وفي الآخر عرضَ منهجية التفسير القرآني في سورة الفاتحة عند الشيخ،<sup>(31)</sup> عن التكامل المعرفي في تناول الشيخ لتفسير سورة الفاتحة، حيث كان الشيخ بارعًا في استمداد علوم العربية، وعلم الآثار(الحديث)، وأخبار العرب، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وعلوم القراءات، دقيقًا في استحضارها. إذ وقف في تفسيره للسورة المباركة على سبب تسميتها، وبيان مكان نزولها، واعتنى بالجانب المصطلحي للفظة القرآنية، وعرض لبعض أوجه القراءات، فضلا عن قضايا صرفية وبلاغية...

### مظاهر التكامل المعرفي في أدوار الشيخ الإصلاحية:

لم تكن المهام الملقاة على عاتق المصلحين، والأدوار التي تنتظرهم في سواء أكانت في المجتمع المحلي أم في المجتمعين الإقليمي والدولي، أمرًا سهلاً، يمكن لأي شخصية أن تقوم بها، فطريق الإصلاح والتجديد دائما غير معبد المسير: المعوقات تكتنفه، والصعوبات تعتره، والمتريصة يحيطون به، والمرجعون يتأهبون له... لذا كان أمرًا لازماً أن يكون الإعداد والتكوين لمن يسير في طريق الإصلاح يرتكز على التسليح بمجموعة من العلوم العقلية والنقلية فضلا عن

<sup>(29)</sup> محمد أو سالم: قراءة في مخطوط للعلامة الشيخ بن عبد الكريم المغيلي التلمساني "تفسير الفاتحة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، (2014) المجلد10، العدد11، ص43.

<sup>(30)</sup> حموعبد الكريم: الجهود الفكرية واللغوية، ص 53.

<sup>(31)</sup> حموعبد الكريم: منهجية التفسير القرآني في سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، العدد3(2019)ص42.



الخبرات الحياتية حتى يمكن القيام بالدور الإصلاحي والتجديدي، ومجابهة كل من يحاول أن يثنيه عن أهدافه.

برز التكامل المعرفي في شخصية الشيخ الإصلاحية من خلال مجموعة الأدوار التي قام بها، فقد كان الشيخ المغيلي واحدًا من علماء تلمسان القلائل، الذين جمعوا بين العلم والعمل، وما يتعلق به من تحصيل وتدرّيس وقضاء وفُتيا، وبين ممارسة السياسية، ومحاولة الإصلاح، بالرجوع إلى تعاليم الدين من منابعه الأصلية.<sup>(32)</sup>

ومنها الدور الدعوي الذي تُرجم بكثرة رحلاته وتنقلاته بين عدة أماكن من تلمسان إلى بجاية ومنها إلى الجزائر، ثم إلى أرض توات التي بقي بها مدة طويلة في الدعوة والإصلاح والتعليم، وتوجه إلى السودان الغربي، الذي مكث فيه قرابة العشرين عامًا في التدريس والإفتاء والدعوة، وخلال هذه الفترة من عمر الشيخ الدعوي سمحت له الفرصة أن يرافق (الأسقيا محمد الكبير) في رحلة الحج، حيث طاف بعواصم وحواضر إسلامية عديدة منها القاهرة. ولا يخفي ما تضيفه ثقافة الرحلة والترحال إلى المكون المعرفي للشخصيات الدعوية، وخبرات بأحوال البلاد والعباد، وفي جانب شخصية المغيلي فقد أكسبت هذه الثقافة الرجل رصيدًا معرفيًا واجتماعيًا كبيرًا، وساهمت في التأثير المباشر في تكوينه العلمي والدعوي والإصلاحي.<sup>(33)</sup>

ولا شك أن هذا التنوع من الثقافة مثلت للشيخ المغيلي زادًا لا ينقطع ومعينًا لا ينضب، استمر يمدّه بزخم يزيد من عزمه على المضي في أداء رسالته التي نذر نفسه من أجلها، ولا يقبل التراجع عنها؛ ومرد ذلك أن هذه الثقافة تشكلت لديه من خبرات شخصية عملية، عاشها الشيخ بأمر عينيه وتفاعل معها.

<sup>(32)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، ص أ.

<sup>(33)</sup> فاطمة فيلاي: منهج وأسلوب العالم محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني في التأليف من خلال كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مجلة الاستيعاب، عدد 2، الصفحات (2019) ص158.

ومن أبرز خصائص المنهج الدعوي العملي عند الشيخ المغيلي، تطبيق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يكن يستقر في موضع إلا أقام هذه الفريضة الدعوية، وكانت ظاهرة للعيان أثناء تنقلاته بين مختلف الأماكن والأوطان. فقد طبق هذا المنهج أثناء مكوثه بتوات، وجهاده ضد اليهود، إذ لم يستطع السكوت عن تدخل اليهود في الأمور السياسية والاجتماعية، للمجتمع التواتي، حيث لا تتوفر فيهم شروط أهل الذمة، ولم يحترموا حقوق المواطنة.<sup>(34)</sup>

كان الشيخ نموذجًا يقتدي به كل من تنفذ الدعوة إلى قلبه، كيف لا؟ وهو لا يتراجع قيد أنملة عن فريضة الدعوة من أمر بالمعروف متى تحقق أنه معروف، تظهر آثاره الجلية في الفرد وفي المجتمع، ونهي عن المنكر متى تحقق أنه منكر، تصطلي بنيرانه الأفراد والمجتمعات، وتراجع خططها التنموية، وتصير مطمئنًا ولقمة سائغة لأعدائها.

ولعل من أظهر الوقائع على ذلك، موقفه من اليهود الذين سيطروا بغيثهم المعهود على جل قرى توات ونواحيها، والتي ضمنها رسالته "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، حيث استبدلوا بعبادات المسلمين وتقاليدهم عادات يهودية زيادة على احتكارهم المادي والاقتصادي؛ ما مكن لليهود من السيطرة السياسية والتدخل في شؤون الحكم؛ ومن ثم رأى الشيخ أن الوضع الديني والاجتماعي والاقتصادي في منطقة توات لا يخدم مصالح السكان، وإنما يخدم مصالح فئة اليهود، فحمل لواء محاربتهم والقضاء على كنائسهم، وأفتى بقتالهم وطردهم؛ الأمر الذي أثار ضجة بينه وبين بعض العلماء، مما ألجأه إلى استفتاء علماء القيروان وفاس. وما إن بلغ الشيخ آراء جمع من العلماء الذين يعتد بهم؛ حتى أمر أنصاره بالاستعداد لهدم بيع اليهود ثم إجلائهم عن توات؛ عملاً بنصوص كثيرة من القرآن الكريم، منها

<sup>(34)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، ص 187.

قوله تعالى: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" التوبة: 29.<sup>(35)</sup>

إن هذا المنهج الذي اعتمد عليه المغيلي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصر على توات فقط، وإنما طبقه في جميع رحلاته وأسفاره، ومن ثم فإنه يعتبر من العلماء الذين يوظفون العلم في الواقع، ويطبّقون الأحكام الشرعية التي تستمد من الوحي في شكل نظام دستوري وقوانين اجتماعية وسياسية تعالج قضايا الواقع، وذلك لصبغ المجتمع والحياة بصبغة إسلامية محضة، وهذا هو الهدف الأسمى الذي كان يصبو إليه، ومن ثم لا يكون الانفصال النكد بين القول والفعل.<sup>(36)</sup>

وقد كان تأسيس الشيخ لزاويته في توات، أكبر الأثر في ممارسة مهامه الإصلاحية، التي حملها على عاتقه، وكانت هذه الزاوية تجمع إلى جانب النشاط العلمي أنشطة تخدم المجتمع وتؤمنه، إذ كانت هذه الزاوية قبلة طلبة العلم من مختلف النواحي والجهات؛ الأمر الذي زاد من أتباع الشيخ الذين جندوا أنفسهم لمساعدة شيخهم في عمله الدعوي والإصلاح، خاصة في حربه ضد اليهود وأنصارهم.<sup>(37)</sup> فضلا عن الأدوار الأخرى التي سنشير إليها، والتي كان محورها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد كانت رسالة الزاوية رسالة شاملة شمولية هذا الدين الخاتم، إنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، إذ لم يقتصر دورها على التربية والتعليم فقط، بل كانت وظائفها أشمل، وأعمالها أعم وأوسع. فهي معقل تربية وجهاد، ومعهد علم وعمل، وموطن تلاوة

<sup>(35)</sup> فاطمة فيلاي: منهج وأسلوب العالم محمد عبد الكريم المغيلي، ص 163.

<sup>(36)</sup> حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي ص 144.

<sup>(37)</sup> المرجع السابق، ص 47.

وذكر، ومجلس إصلاح وقضاء، ومكان رأي ومشورة، وملتقى تعاون، وتضامن وتكافل.<sup>(38)</sup>

وتشهد زاوية الشيخ المغيلي على التطبيق العملي لرسالة الزوايا المتكاملة في الحضارة الإسلامية التي أفادت من التكامل المعرفي بين العلوم، وعلى إيمان الشيخ المغيلي ومدرسته الإصلاحية بالدور الحضاري الذي يجب أن تلعبه الزوايا، حيث كان لها كبير الأثر في تجديد الدين، وإحياء علومه نظرًا وتطبيقًا.

وتتلخص أهم الأدوار التي قامت بها زاوية الشيخ المغيلي في عنايتها بالأمر التالية:

1. كانت الزاوية مركزا للعبادة والتعليم والتربية، حيث قصدها الكثير من الطلاب والمريدين، وقد استطاعت في ظرف وجيز بسبب تميزها منافسة المراكز والزوايا التي كانت بتوات آنذاك، وعلى رأسها زاوية الشيخ المنيارى.
2. كانت الزاوية مقرًا لثاني أكبر دار للقضاء بتوات بعد مركز تمنطيط، وقد كانت تختص في الفصل في القضايا والخصومات والنوازل، التي كانت تشغل الأفراد والعشائر المنتمية إلى الجهة الشرقية من المجتمع الواحي التواتى.
3. أولت الزاوية عنايتها بالجانب الاجتماعي على عادة جميع زوايا توات حيث كانت مركزا لنزول المسافرين وإيواء الفقراء وابن السبيل.
4. عملت الزاوية على توفير الأمن والاستقرار للقوافل التجارية المارة بها، خاصة تلك الآتية من أسواق الجنوب من السودان الغربي، حيث كانت ملاذًا آمنًا لأخذ نصيب وافر من الراحة والتزود بالماء والغذاء.
5. كانت زاوية المغيلي مركزًا عسكريًا لتجيش الجيوش واستنهاض الهمم حيث كانت مركز الحرب الأولى والثانية ضد اليهود، فأصبح للزاوية صيت في جهات عديدة، داخل وخارج الوطن.

<sup>(38)</sup> عبد الله رزوقي: جوانب من النشاط الاجتماعي والأدبي للزوايا في إقليم توات عبد الكريم بن محمد البلبالي أنموذجا، مجلة الأثر، العدد 29(2017) ص 211.

6. عملت الزاوية على نشر الفكر الصوفي القادري من خلال نشر الطريقة القادرية، التي أخذها الشيخ المغيلي عن شيخه عبدالرحمان الثعالبي، ووصَّاه بنشرها في توات والسودان الغربي.

#### خاتمة:

وهكذا بدا واضحًا أثر التكامل المعرفي في بناء شخصية المصلحين وصلبها، مما أهلهم لأن يقوموا بالأدوار الحضارية الجسام على مستوى المجتمع والأمة، ولم تكن تأثيرات هذه الأدوار أو توابعها، مقتصرة على المدى الزمني أو الطرف التاريخي الذي عاشته شخصية المصلحين ومنهم الشيخ المغيلي، بل إن الأمة الآن في أشد الاحتياج لمُدَارة الفكر الإصلاحية لهذا المُجدد من كافة جوانبه الدعوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكيف يمكن الإفادة من ذلك في مواجهة الأزمات التي تعيشها الأمة، حتى يمكن انتشالها من وهديتها؛ لتقوم بدورها الحضاري الذي أنيط بها وشُرِّفت به كما جاء في التنزيل الحكيم.

وأحسب أنَّ هذا المؤتمر الذي يجسد التكامل المعرفي في مساءلته لتراث الشيخ المغيلي، يمثل نقطة البداية، التي أوصي بأن تتجسد في صورة أكثر شمولية وعملية في تأسيس مخبراً ومركز علمي، يعنى عن طريق فرق بحثية ذات كفاءة بالوقوف على سيرة ومسيرة الشيخ الإصلاحية والتجديدية، وإعادة قراءتها في كل مراحلها، بما يساعد على تقديم قراءة صحيحة، أو فنقل قراءة حضارية شاملة لمؤلفات الشيخ المتعددة والمتنوعة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، والحمد لله أولاً وآخراً.

## قائمة المراجع

\*/ الكتب:

1. حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، قسم أصول الدين، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر/باتنة، الجزائر (2011).
2. سمير أبو زيد: تاريخ فلسفة العلم من منظور إسلامي بوصفه أساسا لتحقيق التكامل المعرفي، ضمن كتاب التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، الولايات المتحدة الأمريكية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي (2012).
3. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1974).
4. عبد الكريم السمعاني: الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (1962).
5. عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، دار ابن حزم. بيروت (1994).
6. ابن عقيلة المكي: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات (1427هـ).
7. أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، دار المعارف، مصر (1964).
8. فتحي ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية (2011).
9. القاضي كعت: تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وتكملته تذكرة النسيان، دار الكتب العلمية، بيروت (2012).
10. مبروك الإمام محمد عبد الرحمن المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران (2003).
11. محمد الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط (1977).
12. مصطفى قنبر: صفحات في سير اللغويين والنحاة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا (2019).
13. الهيثمي: صحيح موارد الظمان على زوائد ابن حبان، دار الصميعي، الرياض (1442هـ).

14. يحيى بوعزيزي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1995)

**\*/المجلات والدوريات العلمية:**

15. إدريس بن خويا: الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن المغيلي من المهدي إلى اللحد مجلة الذاكرة، العدد السابع، (2016) الصفحات (9-26).
16. جمال بلفرددي: تأصيل نظري مفهوم التكامل المعرفي "قراءة في الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد (7)، العدد (1) (جوان 2022م) ص 43 60.
17. حمو، عبد الكريم: الجهود الفكرية واللغوية للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي قراءة في مضامين الكتابة والتأليف، مجلة جسور المعرفة، مجلد 5، عدد 1، الصفحات (2019) (53 71).
18. حمو، عبد الكريم: منهجية التفسير القرآني في سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، العدد 3 (2019) الصفحات (42 62).
19. عبد الله رزوقي: جوانب من النشاط الاجتماعي والأدبي للزوايا في إقليم توات عبد الكريم بن محمد البلبالي أنموذجا، مجلة الأثر، العدد 29 (2017) الصفحات (211 218).
20. فاطمة فيلاي: منهج وأسلوب العالم محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني في التأليف من خلال كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مجلة الاستيعاب، عدد 2، الصفحات (2019) (153-184).
21. محمد أو سالم: قراءة في مخطوط للعلامة الشيخ بن عبد الكريم المغيلي التلمساني "تفسير الفاتحة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، (2014) المجلد 10، العدد 11، الصفحات (43 68).

## مَكَانَةُ الْمُنْطِقِ فِي مُؤَلَّفَاتِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغْلَبِيِّ

أ.د. عبد القادر بوعرفة\*

جامعة وهران- الجزائر

### ملخص:

هذا التقديم يُعد تمهيدًا ضروريًا للوصول إلى المنطق كمنتهى النظر، حيث إن لكل نظر عتبة يقف عندها وقوفًا إبستيميًا، ويبدو أن المغلبي يريد القول إن النظر فعل سابق، وأن المنطق فعل لاحق، أي أن المنطق يأتي ليحكم على التصور بالسلب أو الإيجاب، الصدق والكذب، بمعنى أن المنطق حسبه هو عبارة عن: "الحق أو تحقيقه حين جهله."

ناصر المغلبي المنطق عكس السيوطي، واعتبره علما لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية، أنه علم يُفرق بين الصدق والكذب، وهذا مبتغى كل إنسان عاقل. بينما نرى السيوطي يُكفر كل من يشتغل بالمنطق، وأنه علم لا حاجة للمسلمين به، فهو لا ينفعهم بل يؤدي إلى الزندقة والكفر.

### كلمات مفتاحية:

المنطق؛ الفكر؛ المغلبي؛ الإسلام؛ الحقيقة.

---

\* - أستاذ بجامعة وهران 2، مدير مختبر الأبعاد القيمية. له مجموعة من المؤلفات أشهرها: الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي (الجزائر)، الحضارة ومكر التاريخ (الجزائر)، المدينة والسياسة (مصر)، العرب وأسئلة الماضي والحاضر والمستقبل (لبنان)، موسوعة الفرق والمذاهب والنحل (لبنان)، التجربة الجمالية في الفن الإسلامي (ألمانيا)، (Paris) Malek Bennabi، Epistemological Reflection on ...، the Social Sciences (LAP LAMBERT)



## **The Position of Logic in the Works of Imām al-Maghīlī**

### **Abstract**

This introduction serves as a necessary prelude to understanding logic as the ultimate perspective, as each perspective has a threshold at which it stands epistemically. It seems that Imām al-Maghīlī wants to suggest that perception is a prior act, while logic is a subsequent act. In other words, logic comes to judge the concept negatively or positively, truth or falsehood, meaning that logic, according to him, is "truth or its realization when it is unknown."

Imām al-Maghīlī defended logic unlike al-Suyuti, and he regarded it as a science that does not contradict Islamic belief. He believed it to be a science that distinguishes between truth and falsehood, which is the goal of every rational person. On the other hand, we see al-Suyuti denouncing anyone who engages in logic and considering it a science that Muslims do not need. He believed that it not only does not benefit them but also leads to heresy and disbelief.

### **Keywords:**

Logic, Thought, Imām al-Maghīlī, Islam, Truth.

صُنِفَ المغربُ الكبير والأندلس في أدبيات المشاركة على أنه «ذيل طائر الشرق»، وهو نوع من الاستخفاف بالمنتوج المغربي الأندلسي في ظل الصراع السياسي والثقافي وحتى الجغرافي، مما جعل كثير من المغاربة يردون ردا على هذه النزعة الاستعلانية المشرقية، ومن أطرف الردود تلك التي سجلت حضورها تاريخيا ما وقع في بلاط هارون الرشيد، حيث يسرد أحمد المقري التلمساني في كتابه (نفع الطيب) ما يأتي: «حُكِيَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ رَجِمَهُ اللَّهُ لَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قَالَ الرَّشِيدُ: يُقَالُ: إِنَّ الدُّنْيَا بِمَثَابَةِ طَائِرٍ ذَنِبِهِ الْمَغْرِبُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: صَدِّقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ طَاوُوسٌ. فَضَحِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَأَنْتَصَرَهُ لِقَطْرِهِ»<sup>(1)</sup>.

لقد حاول علماء المغرب الكبير والأندلس ألا يكونوا «ذيلًا» للمشرق، وإن كان الأمر كذلك فالطائر الموصوف هو الطاووس، عندئذ يستقيم الأمر لأن أجمل ما في الطاووس ذيله.

اتسم الفكر المغربي والأندلسي عمومًا بالنزعة العقلانية والمنطقية عكس المشرق تماما، حيث سادت النزعة الغنوصية، واتجه صوب العرفانية والبيانية أكثر من انزياحه للنزعة البرهانية، وهنا نحن نتحدث عن سمة عامة، حيث أن هذا الحكم لا ينفي وجود مفكرين بالمشرق مجدوا العقل والمنطق، خاصة المعتزلة، وبعض الفلاسفة كالكندي. لكن الغالب هو الانتصار للعرفان والبيان على البرهان، فالفارابي بالرغم من اعتماده على كتب المنطق وشرحها إلا أنه كان غنوصيا، ولعل مذهبه الشيعي هو الذي أثر على توجهه. والأمر ذاته سنجد عند الغزالي الذي كتب عن المنطق وعظّمته، بيد أنه كان هو نفسه عرفانيا، يؤمن بالإشراق والفيض الرباني أكثر من النور العقلي والبرهان المنطقي.

<sup>(1)</sup> المقري، التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار صادر- بيروت، 1968، ص: 243، 244.

نجد في المغرب الكبير والأندلس أيضا أن بعض العلماء انساقوا نحو النزعة العرفانية، كمحي الدين بن عربي المتصوف، بيد أن أغلب علماء المغرب والأندلس غلب عليهم الميل نحو العقلانية والمنطق، كابن حزم الأندلسي، وأبو الوليد ابن رشد.

وهذا التباين والتمايز بين الغرب الإسلامي والشرق له مبررات عديدة ومسوغات متنوعة، تعود إلى طبيعة النظر، وإلى بنية الفكر، وأيضا إلى عوامل موضوعية كالعالم الجغرافي، والبنية الثقافية للأمم الجوار. ونستحضر في هذا المقام ما كتبه الجابري في كتابه «نحن والتراث» و«التراث والحداثة»، حيث دافع عن الخصوصية المغاربية والأندلسية، معتبرا أن علماء المغرب والأندلس منذ نشأة الحضارة الإسلامية شكلوا قطيعة معرفية بينهم وبين المشاركة، فلم يصبحوا مجرد تلامذة تابعين لهم، بل شقوا لأنفسهم طريقا يختلف إبتيميا عنهم، يقول الجابري: «لأنهم [المشارقة] كانوا يحتاجون إليها في التوفيق بين الدين والفلسفة في علم الكلام. أما في المغرب والأندلس فقد أخذوا الرياضيات والطبيعات والفلك والطب والمنطق، وأصبح أرسطو هو الأصل وأصبح الفكر الفلسفي أرسطيا محضًا خاليا من الأفلاطونية المحدثه والتأثيرات المشرقية من فارسية وغنوصية وهرمسية وغيرها».<sup>(2)</sup>

إن محاولة الاتصاف بالعقلانية واستخدام المنطق تبدو ظاهرة حتى في التصوف المغاربي والأندلسي، فابن باجة مثلا حاول عقلنة الخطاب الصوفي وتخليصه من نظرية الفيض والجدب الغنوصي، بل حاول جاهدا إضفاء السمة العقلية عليه، حيث يقول: «إتنا لا نراه بذاته، بل نراه مع غيره، كما نرى الشمس مثلا ونحن في الماء، ثم نراها ونحن في الهواء، والهواء قد يغلظ ويكدر ويكون أصفي، فإن هذا العقل لا نقدر أن نراه بذاته بل نرى أثره في

<sup>(2)</sup> الجابري، محمد (عابد)، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991، ص: 328.

غَيْرِهِ، فَلِذَلِكَ نَرَاهُ فِي بَعْضِ الْمَعْقُولَاتِ رُؤْيَةً هِيَ أَقْرَبُ مِنْ ذَاتِهِ، وَفِي بَعْضِهَا رُؤْيَةً هِيَ أَبْعَدُ، وَيَرَاهُ الرَّأُوُونَ بِرُؤْيَةٍ مُتَفَاوِلَةٍ عَلَى بَصَائِرِهِمْ كَمَا تَرَى الشَّمْسُ عَلَى تَفَاوُلِ الْأَبْصَارِ. فَأَمَّا رُؤْيَتَهُ بِذَاتِهِ، وَهِيَ مُمَكِّنَةٌ، فَكُرْوِيَةُ الشَّمْسِ بِدُونِ مُتَوَسِّطٍ إِنْ أَمَكَّنَ ذَلِكَ، أَوْ بِمُتَوَسِّطٍ لَا يُؤَيَّرُ فِي رُؤْيَتِهَا إِنْ وَجَدَ ذَلِكَ».<sup>(3)</sup>

ويبدو هذا التمايز جلياً في المناظرة الكبرى بين عبد الكريم المغيلي وجلال الدين السيوطي، حيث انبرى المغيلي مدافعاً عن المنطق وألياته، بينما طفق السيوطي ذاماً له ولكل أشكاله. ومما سبق، سنتعرض في هذه الدراسة إلى مكانة المنطق في فكر المغيلي. منطلقين من الإشكالية الآتية: المنطق آلة تعصم العقل من الزلل، يحتاجها كل اللبيب لصون النظر.. فهل المنطق فعلاً ضرورياً للفكر؟ ولما دافع عنه المغيلي؟ وكيف يمكن توظيفه في بعض العلوم التي بنيتها الأساس الإيمان والتسليم؟

\*\*\*

## 1- المنطق: الأصل، الماهية، الوظيفة.

ينطلق المغيلي في تقديم المنطق من البحث عن أصله، فإذا عرف أصله علمت ماهيته، ويفرض البحث عن الأصل التطرق أولاً إلى طبيعة النظر ذاته، حيث يرى المغيلي أن النظر هو إعمال العقل والمدارك في موضوع ما، وينجر عنه أما نظر مصيب أو نظر مخطئ، فهو لا يصيب أبداً كما أنه لا يخطئ أبداً<sup>(4)</sup>، وإنما الأمر أن صواب النظر يتوقف على مدى صدق معيارية أداة الصدق والكذب. والناس تتباين في معياريتهما للصدق والكذب بناءً على اختلاف المدركات، فهناك من يعتمد على التجربة والعادة، وهناك من يعتمد الحس والمشاهدة، وهناك من يعتمد على العقل والمنطق.

<sup>(3)</sup> ابن باجة، رسالة ابن باجة الإلهية، تحقيق: ماجد فخري، دار النهار للنشر، ط3، 1991، ص: 139.

<sup>(4)</sup> المغيلي، لبُّ اللُّباب في رد الفكر إلى الصَّواب، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006، ص: 23.

إن النظر المصيب هو بالضرورة النظر الصحيح؛ لأنّ النظر الصحيح هو: «ترتيب معلومين فصاعداً على جهة يتوصل بها إلى المطلوب».<sup>(5)</sup>

ويصحّ الترتيب هو جعل الأشياء (الموضوعات) في المنازل والمراتب، بناءً على أن العلم في مجمله هو حصول صورة أمر ما في الذهن، فتتحول بعد التيقن إلى معلوم بالضرورة (الصورة الحاصلة). ويحدث الزلل والخطأ غالباً في عملية تحصيل الصورة، خاصة من حيث مقولة الجهة؛ لأنّ الخطأ يحدث بإدخال ما ليس بداخله وإخراج ما ليس بخارج أو بهما.<sup>(6)</sup>

إنّ مقولة التحصيل تقودنا إلى الوقوف على معنى المطلوب، الذي هو مجهول طلب علمه وأمكن فهمه. وهو ينحل إلى قسمين: مطلوب تصوري وآخر تصديقي، فالتصور إدراك حقيقة الشيء في الذهن من غير حكم بالإيجاب أو بالسلب، أما التصديق فهو حصول صورة الشيء في الذهن مع الحكم عليه إيجاباً أو سلباً. يقول المغيلي: «مَطْلُوبٌ تَصَوُّرِيٌّ وَمَطْلُوبٌ تَصْدِيقِيٌّ، لِأَنَّ السَّيِّئَةَ تَارَةً يَجْهَلُ تَصَوُّرَهُ، كَمَا فِي قَوْلِكَ (مَا زَيْدٌ)، وَتَارَةً يَجْهَلُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ (هَلْ زَيْدٌ عَالِمٌ)، فَإِنَّ جَهْلَ تَصَوُّرِهِ وَطَلَبَ عِلْمِهِ، فَذَلِكَ مَطْلُوبٌ تَصْدِيقِيٌّ، وَأَمَّا الْفَنُّ الْمُتَكَفَّلُ بِبَيَانِ ذَلِكَ التَّرْتِيبِ، فَهُوَ الْمُنْطِقُ».<sup>(7)</sup>

إن هذا التقديم يُعدّ تمهيداً ضرورياً للوصول إلى المنطق كمنتهى النظر، حيث إنّ لكل نظر عتبة يقف عندها وقوفاً إبستيمياً، ويبدو أن المغيلي يريد القول إنّ النظر فعل سابق، وأن المنطق فعل لاحق، أي أنّ المنطق يأتي ليحكم على التصور بالسلب أو الإيجاب، الصدق والكذب، بمعنى أن المنطق حسبه هو عبارة عن: "الحق أو تحقيقه حين جهله".

(5) المصدر والصفحة نفسه.

(6) نفسه، ص: 24.

(7) نفسه، ص: 24.

مما تجدر الإشارة إليه، أنّ المغيلي في تعريفه للمنطق لم يقع في جدلية هل هو علم أم آلة، والتي وقع فيها علماء المسلمين، بل ذهب مذهباً معتدلاً، إذ يعتقد أن المنطق هو علم من حيث النظر لنفسه، وآلة بالنظر إلى غيره. بمعنى، أن المنطق يصبح علماً حين يتحول هو ذاته إلى موضوع (النظر): «الْمُنْطِقُ عِلْمٌ يَتَعَلَّمُ فِيهِ كَيْفِيَّةُ الْأَنْتِقَالِ مِنْ أُمُورٍ حَاصِلَةٍ فِي الذِّهْنِ لِأُمُورٍ مُسْتَحْصَلَةٍ فِيهِ»<sup>(8)</sup> ويصبح المنطق علماً حين يتحول إلى دراسة البرهان وطرق الاستدلال، والبحث عن المفارقات والمغالطات، ودراسة بناء الجمل والدلالات، والبحث في الحدود والإشارات. وهو بذلك يشبه الميزان الذي توزن به الأشياء. لكنه يتحول من علم إلى آلة حين يتحول إلى آلة لترتيب النظر، وقانون يعصم الذهن من الوقوع في الزلل والخطأ، قال في هذا الصدد: "وَعَلَى الثَّانِي: قَالُوا الْمُنْطِقُ آلَةٌ قَانُونِيَّةٌ تَعْصِمُ مُرَاعَاتَهَا الذِّهْنَ مِنْ الْخَطَأِ فِي الْفِكْرِ".<sup>(9)</sup>

ومما سبق، تبدو وظيفة المنطق واضحة وضوح الشمس، فهي عصمة الذهن من الوقوع في الخطأ، والعصمة ليست بالمعنى المطلق، وإنما هي عصمة نسبية ما دام الإنسان مُدرِّكاً للعلاقة الموجودة بين التصور والتصديق.

وضّح المغيلي وظيفة المنطقة عبر الاستناد على مقولة لأبي حامد الغزالي مفادها أن المنطق مقدمة للعلوم كلها، ومن لم يحط به علماً لا ثقة له بفهمه أصلاً.<sup>(10)</sup>

وفي رسالته الشهيرة (منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب) حدد وظيفة المنطق تحديداً دقيقاً، فهي رد الفكر إلى جادة الصواب، ولنتأمل الأبيات الشعرية الآتية:<sup>(11)</sup>

<sup>(8)</sup> نفسه، ص: 25.

<sup>(9)</sup> نفسه، ص: 25.

<sup>(10)</sup> نفسه، ص: 25.

- وبعد لما كان علم المنطق \* رعيّة للذهن من غيّي يقي  
 نظمت نظمًا شاملاً قواعد \* راج من الله الكريم مددا  
 وحفظ حافظ له وناظرا \* متخذ الإنصاف ثوبا ساترا

إنّ الأبيات تجعل من المنطق آلة قانونية تقي الذهن من الغي، وتوجه الفكر نحو الصواب، وتزن حمولة الذهن وزناً، فينكشف الصدق والكذب، فتتجلى الأحكام خالية من الالتباس الذي غالباً ما يأتي من الأوهام والعادة، وامتزاج الحواس مع المدركات العقلية، فلا يستطيع الإنسان التمييز بينها إلا عبر هذه الصناعة النظرية والعلم المعياري.

كان المغيلي يوظف المنطق للرد على خصومه، وخاصة المعتزلة، حيث ألف رسالة وسمها «الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة» حيث يلاحظ القارئ مدى استعماله للمنطق في الرد، ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره في سؤال الدليل على إثبات ضلال المعتزلة وبيان خروجهم على مذهب أهل السنة، حيث يسوق مثالا تجريديا بناه بناءً منطقياً، يقول: «وَلِكَيْ سَأَذْكُرَ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى دَلِيلًا وَاضِحًا لِكُلِّ أَحَدٍ»، وَذَلِكَ أَنْ تَضْرِبَ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ مَثَلًا، فَتَقُولُ لَهُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ كَيْفَ بِكَ إِذَا كُنْتُ فِي رُكْبٍ عَظِيمٍ مَعَ خَلْقٍ كَثِيرٍ، فِي أَرْضٍ كَثِيرَةٍ الْمَهَالِكِ، وَفِي الرُّكْبِ أَمِيرٌ عَارِفٌ أَمِينٌ، لَا حَيَاةَ لِلرُّكْبِ إِلَّا بِمُتَابَعَةِ أَثَرِهِ، فَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ الرُّكْبِ وَدَعَا النَّاسَ لِمُتَابَعَتِهِ، وَحَدَّرَهُمْ مِنْ خُرُوجِ طَرِيقَةٍ، وَفِي الرُّكْبِ خُبْرَاءٌ يُفْصُونَ أَثَرَهُ وَيَدْعُونَ النَّاسَ لَهُ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَسِيرُ فِي الرُّكْبِ مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، إِذَا بَآثَرَ الرُّكْبِ قَدْ افْتَرَقَ فَرَأَيْتُمْ أَثَرًا كَثِيرًا ذَهَبَ يَمِينًا، وَأَثَرًا كَثِيرًا ذَهَبَ شِمَالًا، فَوَقَفْتُمْ وَقُلْتُمْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى أَيِّ الطَّرِيقَيْنِ ذَهَبَ أَمِيرُنَا، إِنَّ ذَهَبَ عَلَى الْمُيْمَنَةِ هَلَكَ أَهْلُ الْمُيَسَّرَةِ، وَإِنْ ذَهَبَ عَلَى الْمُسَّرَةِ هَلَكَ أَهْلُ الْمُيْمَنَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ طَائِفَةً هَلَكَتْ، وَطَائِفَةً سَلِمَتْ، فَعَلَى أَيِّ الطَّرِيقَيْنِ نَذَهَبُ؟»<sup>(12)</sup>

(11) مخطوط (منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب)، ص: 01.

(12) المغيلي، الرد على المعتزلة، تحقيق: محمد سالم بن عبد القادر التواتي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020، ص، ص: 78، 79.

استعمل المغيلي آلية المماثلة القياسية والتي كان يستعملها المعتزلة أنفسهم للرد على خصومهم، وتقوم هذه الآلية على وضع المقدمات على شكل أمثلة افتراضية، ينتجها عنها في الأخير حكم متضمن في إحدى المقدمات السالفة. وفي هذا المثال، ضرب أمثلة كلها مترابطة من حيث البنية العضوية، فالركب هو جماعة المسلمين الأولى، والأمير هو النبي محمد، والميمنة هي طريق أهل الحق، والميسرة طريق أهل البدع. والركب المتخلف هم من أتى بعد الجيل الأول، والخبراء هم العلماء.

إنه من المنطقي أن يجد المتخلف عن الركب بعد نقطة ما اختلاف الطرق، فعليه أن يتلمس الطريق الذي ذهب عبره الأمير (النبي)، لأنه هو النَّجاة لكون العارف. ويبدو أن المغيلي كانت غايته الوصول إلى النتيجة الآتية: الاعتزال بدعة لمخالفتهم حجة النبي العارف العالم.

ويستدل في مقام آخر بالقياس أيضا، على فساد معتقد المعتزلة، ما أورده أبو الحسن الأشعري في مناظرته الشهيرة، حيث قال الأشعري: ما تقول في ثلاثة إخوة: مات أحدهم مطيعاً، والآخر عاصياً، والثالث صغيراً؟ الجبائي: الأول يُثاب، والآخر يُعاقب، والثالث لا يُثاب ولا يُعاقب.

فقال الأشعري: فإن قال الثالث: يا رب لم أمتني صغيراً، وما أبقيتني إلى أن أكبر، فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة؟

فقال الجبائي: يقول له الرب، إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فتدخل النار، فكان الأصح لك أن تموت صغيراً. فقال الأشعري: فإن قال الثاني يا رب، لم لم أمتني صغيراً ليلاً أعصي فأدخل النار. فما يقول الرب؟ فهت الجبائي.<sup>(13)</sup>

## 2- قضايا المنطق و آفاقه

قضايا المنطق كثيرة ومتنوعة، حاول المغيلي أن يعرضها وفق الطريقة

الآتية:

<sup>(13)</sup> الرد على المعتزلة، ص: 89.



## 2.1- مبادئ التصورات.

عرض المغيلي التصورات ضمن ثلاثية معلومة، ويعرفها جل المناطقة المسلمين، وتتمثل في:

أ- العلم: هو معرفة حاصلة من التصورات والتصديقات، حيث أن التصور هو الإدراك بينما التصديق هو الحكم، والعلم ينشأ حين ينتقل العقل من مقام التصور إلى مقام التصديق، أي من مقام الإدراك إلى مقام الحكم. بيد أن التصور ينقسم إلى قسمين، تصور ضروري، وآخر نظري، فالضروري من حيث هو إدراك، لا يتقدمه نظر، يتوقف هو بنفسه عليه. أما النظري فهو إدراك يتقدمه نظر يتوقف هو نفسه. عليه<sup>(14)</sup>. ومما سبق يمكن القول إن العلم هو نتاج الإدراك قبل الحكم؛ لأن الحكم هو مجرد لإثبات أو نفي الإدراك. وهذا الأمر هو الذي ذكره في رسالته "منح الوهاب" إذ يقول عن العلم:

العلم إن حكما فتصديق وما \* عدا تصوّرو وكان لازما  
لكنّ ما حصوله بالنظر \* ليس ضروريا ولكن نظري

ب- الدلالة: هي إفهام يحصل من خلال إدراك العلاقة بين الشيء ومدلولاته وتجلياته، وتتخذ في المنطق ستة أقسام: أولها أن تكون دلالة لفظية وضعية وهي إفهام معنى بواسطة الوضع. (الفرس = حيوانا صاهلاً). وثانيها دلالة لفظية طبيعية وهي لفظ معنى لا بواسطة الوضع مع احتمال النقيض عقلا. (الأنين = الوجع).

وقد جمع أنواع الدلالات في قوله:

دلالة اللفظ لوضعه له \* مطابقاً ثم لما شمله  
تضمن ثم لما ألزمه \* هو التزام إن حجا ألزمه

(14) لب اللباب، ص:33.

## 2.2- مقاصد التصورات.

إنّ مبدأ التصورات له مقاصد كثيرة، تتجلى من خلال ما قدمه المغيلي في كتابه، وقد حصرها في المُعرف، الذي هو معرفة الشيء ما معرفته لسبب في معرفته عند حمله عليه.<sup>(15)</sup> وله شرطان: الأول أن يكون مساويا للمعرف ليكون مانعا كل ما يطالب إخراجها جامعا، كل ما يطالب إدخاله، فيكون مطردا بالمنع أي كلها صدق الحد صدق المحدود منعكسًا بالجمع أي كلها صدق المحدود، صدق الحد.

وثانيها: أن يكون ظاهرا له لدلالة عن ذلك بالنسبة للسامع، فلذا من شرطه أن يكون غير المعرف وغير متوقف تعلقه على تعلقه سابقا عليه في المعرفة. وقد حُوصل مقاصد التصورات في قوله<sup>(16)</sup>:

- عرف بحد وبرسم وهما \* للنقص والتمام كل قسما
- فدو التمام ما بجنس قد دنا \* والحد منهما بفصل بيننا
- وشرط كل أن يكون جامعا \* وظاهرا للسامعين مانعا

## 2.3- مبادئ التصديقات

إن التصديق هو الحكم الذي نطلقه على الحد، ويكون عبر أربع صور مشهورة في المنطق، وهي على النحو الآتي:

1- قضية حملية: خبر حكمه غير منتظر، يصلح غير مغلق ولا متردد فيه، ويتركب الحكم من حركة الموضوع والمحمول. وللقضية الحملية عدة توابع حصرها في قوله:

- ما احتمال الصدق لذا خبرٌ \* حملي إذا الحكم به لم ينتظر
- كصالح يصلح فالموضوع ما \* كان على محموله مقدا
- فانسبه في الكل وفي الجزء لما \* له أتى موضوعه قد انتما

<sup>(15)</sup> لب اللباب، ص: 41.

<sup>(16)</sup> منح الوهاب (مخطوط ص3)

وإن على الكليّ سورّد خلا \* فهُوسورّوإلا مهمّلا  
وسوره كل وبعض ثم لا \* شيء وليس بعض أو ما مثلا  
وإن يكن منتظرا كإن سما

2- قضية شرطية: هي كل قضية خبر حكمها منتظر أي معلق على شيء أو متردد فيه، وتتكون دوما من الشرط وجوابه. وقد جمعها في قوله:

جئت فشرطي وجزءاه هما \* مقدم فتالي ثم إن جعل  
بينهما تنافر فمفصل \* إما بوضع أو برفع أو هما  
وذا الحقيقي أخص منهما

3- التناقض: هو اختلاف الحاصل بين قضيتين في الكم والكيف، والسلب والإيجاب، ويكون التناقض بين قضية كلية سالبة وأخرى جزئية موجبة (كس & جم) وبين كلية موجبة وجزئية سالبة (كم & س). وهو يختلف عن التضاد. جمعه في قوله:

إن التناقضَ اختلاف حقا \* لذاته في خبرين اتفقا  
فيما عدا كم وكيفٍ لهما \* كذب واحد فحسب منهما

4- العكس: هو أحد صور التفاعل بين حدود القضية، حيث هو تبديل كل واحد من طرفي القضية ذات الترتيب الطبيعي بغير الآخر على أخص وجه به الأصل مستلزما ما لعكسه فيلزم من صدق القضية صدق عكسها. وجمع ذلك في قوله:

عكس الخبر تحويل جزئيه كما \* تجعل تالي المنطبع مقدا  
مع بقاء ما به قد فرضا \* إلا ككل فلبعض عوضا  
والعكس لازم لكل ما عدا \* ما فيه جمع الخستين وُجدا

## 2.4- مقاصد التصديقات.

إن الغرض من مبحث التصديقات الوصول إلى مبحث القياس، الذي هو عبارة عن بناء يتكون من مقدمتين ونتيجة، بحيث أن إحدى المقدمتين تكون كبرى والأخرى صغرى. ويقسم القياس إلى:

أ- القياس الاقتراني: وهو كل قياس يشتمل على نتيجة بالقوة من خلال حركة المقدمتين، وقد جمع ذلك في قوله<sup>(17)</sup>:

- قياسنا من القضايا يركبا \* وخبر لذاته قد وجبا
- لكنّ بالقوة ذكره بما \* كان اقترانيا كما قد علما
- فضع له ما اختصت الصغرى به \* وهي التي تقدمت بضربه
- واحمل له ما اختص بالكبرى وما \* كرر جامعاً فطرّحه الزما
- فصل مجموع قضيتيه \* يطلق شكل دائماً عليه
- لكنه أربعة حسبما \* يرتب الجامع مهما نظما
- فاحمله في الصغرى وفي الكبرى ضعاً \* بأول الأشكال واعكس رابعاً
- واحمله فيهما بثان دائماً \* كما بثالث تضعه بهما
- فاضرب الأول أعنتي المنتجا \* أربعة وغيرها لن ينتجا
- كل فكل ثم كل يله \* لا شيء ثم البعض كلا أوله
- ورابع بعض فلا شيء وقد \* ينتج أول بكل وورد
- للثاني لا شيء وثالث له \* بعض وفي الرابع ليس قبله
- والثاني قل ضروره كالأول \* كل فلا شيء وعكسه يلي
- بعض فلا شيء ورابع أتى \* بليس بعض ثم كل مثبتاً
- فنتج لا شيء لأوليّه كما \* ينتج ليس بعض ما تلاهما
- وثالث الأشكال ستة له \* كل فكل ثم بعض يتلّه
- كل وعكسه وكل بعده \* لا شيء ثم البعض لا شيء له
- كل فليس بعض بعضاً ينتج \* نصف ونصف ليس بعض منتج

(17) منح الوهاب (مخطوط: ص 2)

ورابع بخمسة قد رويَا \* كلُّ فكلِّ وِبِعضِ ثانيا  
 لا شيء كل ثم عكسُهُ ثم لا \* شيء لبعض قد تلا فكملاً  
 فنتج لا شيء لأوسطٍ كما \* أخّر ليس بعض والبعضُ لما  
 ب- القياس الاستثنائي: وهو كل قياس اشتمل على نتيجة أو نقيضها  
 بالفعل. وقد جمع ذلك في قوله<sup>(18)</sup>:

أنسب للاستثناء من القياس ما \* شمل للنجا أو نقيضه فما  
 فإن يك الشرطيّ فيه اتصلا \* أنتج وضع أول ما قد تلا  
 أرفع تال رفع ما تقدما \* والنتج في عكسهما لن يلزما  
 وإن يكن منفكاً فما وضع \* من وضعه رفيقه لقد رُفع  
 كأن يكن مانع جمع واعكسا \* كأن يكن من الخلود أيسا  
 وقد وفي ما رمته مبيّنا \* والحمد لله الذي قد أحسنا

#### 4- المناظرة الشهيرة بين المغيلي وجلال الدين السيوطي.

تعتبرُ هذه المناظرة الشعرية من أشهر المناظرات في علم المنطق، خاصة أنها جاءت في زمن كثر فيه تكفير المشتغلين بالمنطق، والرد عليهم بطريقة غير علمية. وكان تقيُّ الدين أبو العبّاس المشهور بابن تيمية (661هـ - 728هـ / 1263م - 1328م) قد شن هجوماً على المنطق والقياس الحملي عبر كتابه "نقض المنطق" حيث تبني حكماً مفاده أن المنطق لا يستفيد منه الغبي ولا يحتاجه الذكي، مبرراً أن النتائج المُتحصّل عليها متضمنة في إحدى المقدمتين السابقتين، وهذا معناه أنه مجرد تحصيل حاصل. حيث جاء في فتاويه: «مَا تَقُولُونَ فِي الْمُنْطِقِ؟ وَهَلْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فَرَضُ كِفَايَةِ مُصِيبٍ أَمْ مُخْطِئٍ؟ فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا الْمُنْطِقُ: فَمِنْ قَالَ: إِنَّهُ فَرَضُ كِفَايَةٍ، وَإِنْ مَنْ

<sup>(18)</sup> المخطوط نفسه، ص: 3.

لَيْسَ لَهُ بِهِ خِبْرَةٌ فَلَيْسَ لَهُ ثِقَّةٌ بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِهِ، فَهَذَا الْقَوْلُ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ التَّعْدَادِ، مُشْتَمِلٌ عَلَى أُمُورٍ فَاسِدَةٍ، وَدَعَاوَى بَاطِلَةً كَثِيرَةً، لَا يَتَسَعُّ هَذَا الْمَوْضِعُ لِاسْتِقْصَائِهَا، بَلِ الْوَاقِعُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا: أَنَّكَ لَا تَجِدُ مَنْ يُلْزِمُ نَفْسَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِي عُلُومِهِ بِهِ، وَيَنْظُرَ بِهِ إِلَّا وَهُوَ فَاسِدٌ النَّظَرِ وَالْمُنَاطَرَةِ، كَثِيرُ الْعَجْزِ عَنِ تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَبَيَانِهِ، فَأَحْسَنُ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمُتَكَلِّمِ فِي هَذَا: أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ فِي غَايَةِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ، وَقَدْ فَقَدُوا أَسْبَابُ الْهُدَى كُلِّهَا، فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَزُدُّهُمْ عَنْ تِلْكَ الْجَهَالَاتِ إِلَّا بَعْضُ مَا فِي الْمُنْطِقِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ صَحِيحَةٌ، فَإِنَّهُ بِسَبَبِ بَعْضِ ذَلِكَ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ عَنْ بَعْضِ بَاطِلِهِمْ، وَإِنَّ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ حَقٌّ يَنْفَعُهُمْ، وَإِنْ وَقَعُوا فِي بَاطِلٍ آخَرَ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَصِحُّ نِسْبَةُ وُجُوبِهِ إِلَى شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِوَجْهِهِ مِنْ الْوُجُوبِ؛ إِذْ مِنْ هَذِهِ حَالُهُ فَإِنَّمَا آتَى مِنْ نَفْسِهِ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ حَتَّى إِحْتِجَ إِلَى الْبَاطِلِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَوْلَ بِوُجُوبِهِ قَوْلٌ غَلَاتِهِ وَجْهَالِ أَصْحَابِهِ، وَنَفْسُ الْحُدَّاقِ مِنْهُمْ لَا يَلْتَزِمُونَ قَوَانِينَهُ فِي كُلِّ عُلُومِهِمْ، بَلْ يَعْضُونَ عَنْهَا، إِذَا لَطُولُهَا، وَإِذَا لَعَدَمَ فَايْدَتِهَا، وَإِذَا لَفَسَادِهَا، وَإِذَا لَعَدَمَ تُمَيِّزِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِجْمَالِ وَالِاشْتِبَاهِ، فَإِنَّ فِيهِ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً هِيَ لَحْمٌ جَمَلٍ غَبَّتْ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرِيٍّ، لَا سَهْلَ فَيَرْتَقِي، وَلَا سَمِينَ فَيُنْتَقَى، وَلِهَذَا مَا زَالَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْمَةُ الدِّينِ يَدْمُونُهُ وَيَدْمُونَ أَهْلَهُ، وَيُنْهَوْنَ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِهِ؛ حَتَّى رَأَيْتُ لِلْمُتَأَخِّرِينَ فِتْيًا فِيهَا خُطُوطٌ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ زَمَانِهِمْ مِنْ أُمَّةٍ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فِيهَا كَلَامٌ عَظِيمٌ فِي تَحْرِيمِهِ وَعَقُوبَةِ أَهْلِهِ»<sup>(19)</sup>.

ويبدو أن كلام ابن صلاح وابن تيمية شاع وانتشر في أرجاء العالم الإسلامي، وأصبح المنطق مرادف للزندقة، والمشتغل به مذموم الجانب، مطعون في علمه وعقيدته.

<sup>(19)</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط 3، 1426 هـ / 2005، السعودية، مج 09، ص: (7-5)

وقد تبنى جلال الدين السيوطي (849 هـ/1445 م - 911 هـ/1505 م) هذه الفتاوى كما هي، ويبدو للناظر مدى تطابقها مع ما جاء في آيياته المرسلة إلى المغيلي.

وقد نقل بعض المغاربة رسالة السيوطي (القولُ المُشْرِقُ فِي تَحْرِيمِ الإِسْتِغَالِ بِالْمُنْطِقِ) للمغيلي، والتي قال فيها السيوطي: «فَرَأَيْتُ مِنَ النُّصُحِ لِلدِّينِ الإِعْلَامَ بِأَنَّ الإِسْتِغَالَ بِهِ حَرَامٌ، وَأَنَّهُ صَرَخَ بِتَحْرِيمِهِ أَيْمَةً الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُبْجِلْهُ أَحَدٌ إِلاَّ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ...»<sup>(20)</sup>، فتعجب المغيلي من الحكم، وأرسل له أبياتاً شعريةً يستنكر فيه حكم تجريم المنطق وتحريمه، مما دفع السيوطي أيضاً للرد برسالة شعرية يدافع فيها عن حكمه، وقد كتب أبو القاسم سعد الله في ذلك فقال: "وَمِثْلِهِ المُنَاسَبَةُ نُشِيرُ إِلَى المُرَاسِلَةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ السُّيُوطِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ المَغِيلِيِّ حَوْلَ الأَخْذِ بِعِلْمِ المُنْطِقِ وَأَخْذِ عُلُومٍ غَيْرِ المُسْلِمِينَ، إِذَا كَانَتْ حَقًّا. فَقد كَانَ السُّيُوطِيُّ نَهَى عَنِ عِلْمِ المُنْطِقِ وَأُورِدَ مَا قَالَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي ذِمَّةِ.

كَمَا أُورِدَ أَخْبَارًا فِي ذِمِّ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِعُلُومِ المَؤُودِ وَالنَّصَارَى- وَنَهَى أَيْضًا عَنِ تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ فِي عُلُومِهِمْ.

لَكِنَّ المَغِيلِيَّ رَدَّ حُجْجَهُ وَقَالَ إِنَّ المُنْطِقَ هُوَ الحَقُّ أَوْ هُوَ المُوَدِّي إِلَى الحَقِّ، وَأَنَّ أَخْذَ الحَقِّ يَجُوزُ مِنْ غَيْرِ المُسْلِمِينَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ بِالحَقِّ هِيَ المَبْدَأُ المُعْتَمَدُ وَلَيْسَ مَعْرِفَةُ الحَقِّ بِالنَّاسِ.

وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ لَنَا مِنْ جَدِيدٍ تَحَرُّرَ عَقْلِ المَغِيلِيِّ وَبُعْدَ نَظَرِهِ فِي عَصْرِ سَيَطَرَتْ فِيهِ آرَاءُ السُّيُوطِيِّ وَأَمْثَالِهِ."<sup>(21)</sup>

<sup>(20)</sup> السيوطي، جلال الدين، القولُ المُشْرِقُ فِي تَحْرِيمِ الإِسْتِغَالِ بِالْمُنْطِقِ، تحقيق: محمد سيد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص: 132.

<sup>(21)</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 119.

ويبدو جلياً أن المنطقَ المغاربية على العموم كان تجنح نحو العقل والمنطق، وترى أنه لا تعارض بين العقل والنقل، وأن العقلَ أحياناً يكون سابق عن النقل، وفي مسائل أخرى يكون العكس.

وسنعرض أبيات المغيلي، لنرى كيف دافع عن المنطق واحتج بضرورة اعتماده في تصويب النظر:

- سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ \* وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ  
 وَدِدْتُ وَرَبِّ الْبَيْتِ أَنِّي حَاضِرٌ \* وَإِنْ لَمْ فَوَادِي أَنْ أَجِيدَ لِأَهْلِهِ  
 أَيْمُكِنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ \* وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ  
 هَلِ الْمُنْطِقُ الْمُعْنَى إِلَّا عِبَارَةٌ \* عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقُهُ حِينَ جَهْلِهِ  
 مَعَانِيَهُ فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَهَلْ تَرَى \* دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يَرُدُّ لِشَكْلِهِ  
 أَبْنُ لِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ \* عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ تَنْفِهَا عَنْ مَحَلِّهِ  
 وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَبْدَى كَفُورٌ وَدَمَهُ \* رَجَالٌ وَإِنْ أَثْبَتَ صِحَّةَ نَقْلِهِ  
 خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مَن كُفُورٌ وَلَا تُقِمِ \* دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ  
 عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لَا الْعَكْسُ فِاسْتَيْنِ \* بِهِ لَا يَهُمُّ إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ  
 لَيْنُ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَّرْتَ فَكَمْ هُمْ \* وَكَمْ عَالِمٌ بِالشَّرْعِ بَاحٌ بِفَضْلِهِ  
 وَإِلَّا فَرُمُ بُرْهَانَ تَضْلِيلٍ بَعْضِهِمْ \* عَلَى مَنْهَجٍ يُنْجِيكَ عَنْ سُمْ نَبْلِهِ

حين نقوم بتشريح القصيدة، نجد أن المغيلي ركز على ما يأتي:

1- استغرابه من حكم تحريم المنطق من قبل عالم كالسيوطي، رغم أن عصرهما شاع فيه استعمال المنطق، مقارنة بالعصور المتقدمة التي كان الاشتغال به حذرا. ويعرض في الوقت نفسه مغالطة وقع فيها السيوطي، فكيف يتكلم في المنطق وهو يحرمه وهذا ما نجده في عبارته: " وَكُلُّ حَدِيثٍ



حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ". أي كل حديث حكمه يكون من جنس موضوعه، وما دام السيوطي تحدث في المنطق فحكمه باطل بناءً على حكمه الموثق في كتابه (القول المشرق). بمعنى أن السيوطي وقع في الحرام بناءً على حكمه هو نفسه.

2- إنَّ المغيلي يرد المنطق إلى الإباحة، والتي تجعل منه مندوبا وواجبا، وهذا لا يخالف الأصول ولا مقاصد الشريعة، مما جعل المغيلي يتعجب من الحكم.

3- لا يستقيم أن يكون الإنسان حجةً في العلم (يقصد السيوطي) ويقر في الوقت نفسه فساد ميزان العلم وألته القانونية.

4- إنَّ جوهر المنطق ليس علما بل هو مجرد آلة يُعرف به الصدق والكذب، وعليه فهو ميزان الحق، وهو يشبه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، فالمنطق لا يعطينا معرفة بقدر ما يعطينا حكما إما بالصواب أو الخطأ.

5- يطالب المغيلي السيوطي أن يبني قضية منطقية (أبْنِ لِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ \* عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ تَنْفِيهَا عَنْ مَحَلِّهِ) تُبين بعمق مدى هشاشة المنطق وضعفه وتناقضه، ويبدو أن المغيلي يتهم السيوطي بجهله للمنطق، حيث أن الذي يشتغل بالمنطق عن دراية يجده منسجما مع مقدماته ونتائجه. بينما الذي يجهله يُحرمه دون روية ولا تفكير.

5- يرى المغيلي أنَّ المنطق وإن أنتجه كافر فهذا لا يستوجب التَّحريم، فلو كان الكفر يستوجب التحريم لحرمت كثير من العلوم المستخدمة من قبل المسلمين، والتي أنتجها الكفرة كعلم الحساب، الفلك، الطب، والهندسة وغيرها....

6- إنَّ الحق يُعرف بالحق فقط، ولا يُعرف بمنتجه ولا بحامله، فكم من حامل للحق هو مخالف له، وأنَّ الله ذاته جعل الحق يتجلى على العموم،

ويظهر فيما لا نعتقد أنه حق أصلاً، ولذا جعل الحجة تكمن في الحق لا في حامله.

7- يدعو المغيلي السيوطي إلى الرشاد وطلب البرهان، واتباع النهج السليم الذي يقود الإنسان إلى معرفة الحق كحق.

ولما وصلت الرسالة إلى السيوطي رد مُدافعاً عن رأيه وحكمه، ومتعجباً من رأي المغيلي ونهجه:

حَمَدَتْ إِلَهَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِفَضْلِهِ \* وَأَهْدَى صَلَاةً لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِيهِ  
عَجِبْتُ لِنُظْمِ مَا سُمِعَتْ بِمِثْلِهِ \* أَتَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرَبُ بِنْبُلِهِ  
تَعَجَّبَ مِنْ حِينَ أَلْفَتْ مُبْدِعًا \* كِتَابًا جُمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ  
أَقْرُرُ فِيهِ النَّهْيَ عَنْ عِلْمِ مَنْطِقِي \* لِمَا قَالَهُ الْأَعْلَامُ مِنْ ذَمِّ شَكْلِهِ  
وَسَمَاهُ بِالْفُرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَقُلْ \* فَذَا وَصَفُ قُرْآنٍ كَرِيمٍ بِفَضْلِهِ  
وَقَالَ فِيهِ فِيمَا يُقَرِّرُ أَيْهُ \* مَقَالًا عَجِيبًا نَائِيًا عَنْ مَحَلِّهِ  
وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَبْدَاهُ كَفُورٌ وَبَعْدَ ذَا \* خُذْ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كَفُورٍ بَخْتَلِهِ  
وَقَدْ جَاءَتْ الْأَثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى \* عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ  
يُعَزِّزُ بِهِ عِلْمًا لَدَيْهِ وَآئَهُ \* يُعَذِّبُ تَعَذِّبًا يَلِيْقُ بِفِعْلِهِ  
وَقَدْ مَنَعَ الْمُخْتَارُ فَارُوقَ صَحْبَهُ \* وَقَدْ خَطَّ لَوْحًا بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ  
وَقَدْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ إِتْبَاعٍ لِكَافِرٍ \* وَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ حَقًّا بِأَصْلِهِ  
أَقَمْتُ دَلِيلًا بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقِمُ \* دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ  
سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ \* لَدَيْ ثَنَاءٍ وَاعْتِرَافٍ بِفَضْلِهِ

لم يأت السيوطي بشيء جديد عما ورد في كتابه (القول المشرق)، فقد كرر الحكم نفسه، وهو وجوب تحريم المنطق لأسباب الآتية:

1- أنه تم تحريمه من قبل العلماء قبله، كابن صلاح، والإمام النووي، ابن تيمية، وغيرهم كثير... وهذه في رأيه حجة دامغة.

2- أنه يعيب على المغيلي استعمال لفظة "فرقان" كتسمية للمنطق، محتجا أن الفرقان اسم من أسماء القرآن، ولا يجوز وصف المنطق به.

3- أن المنطق حتى في حالة عدم تحريمه لا يفيد العلوم الشرعية، فهي علوم قائمة بذاتها.

4- أنه يحتج بما فعله عمر بن الخطاب، حين منع صحبه وأهله من النظر في كتب النصارى واليهود، واعتبر فعله ملزما للمسلمين.

من خلال قراءة كتاب السيوطي (القول المشرق) نستنج أن الغرض من تحريم المنطق ليس المنطق في ذاته، بل هو تجريم الاشتغال بالفلسفة أصلا باعتباره هي المدخل إليه، فقد ذكر السيوطي في كتابه (القول المشرق) كلاما لابن صلاح جاء فيه: «فَالْوَاجِبُ عَلَى السُّلْطَانِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَزَّهُ بِهِ الْإِسْلَامُ - أَنْ يَدْفَعَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ شَرَّ هَؤُلَاءِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْمَدَارِسِ، وَيُبْعِدَهُمْ مِنْ ظَهَرَ مِنْهُ إِعْتِقَادِ عَقَائِدِ الْفَلَسَفَةِ عَلَى السَّيْفِ وَالْإِسْلَامِ، لِتَحْمُدِ نَارِهِمْ، وَتَنْمِجِي آثَارِهِمْ، يَسُرَّ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَجَلَهُ، وَمَنْ وَاجِبِ عَزْلِ كُلِّ مَنْ كَانَ مُدْرِسُ مَدْرَسَةٍ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّصْنِيفِ فِيهَا، وَالْإِقْرَارُ بِهَا، وَانْتِصَابِ مِثْلِهِ مِنَ الْمُظَالِمِ، وَسَجْنِهِ وَالزَّامُهُ مَنزَلُهُ، وَإِنَّ زَعَمَ زَاعِمٍ أَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَقِدٍ لِعَقَائِدِهِمْ، فَإِنَّ حَالَهُ يُكْذِبُهُ، وَالطَّرِيقُ فِي قَلْعِ الشَّرِّ قَلْعُ أُصُولِهِ»<sup>(22)</sup>.

ومن خلال المقارنة بين النصين الشعريين، نصل إلى أن الفكر المغاربي كان فكراً متحرراً من السطوة المشرقية، حيث خط لنفسه طريقاً ينتهج فيه

<sup>(22)</sup> القول المشرق، ص: 137.

نهجين، نهج ما أتت به الشريعة السمحاء، ونهج ما أبدعه العقل البشري، حيث أن القاعدة الإستيمية تقوم على أن النقل حين يفهم فهمًا سليمًا لا يتعارض مع العقل، وأن العقل حين يستخدم استخدامًا سليمًا لا يتعارض مع النقل. وأن الخلاف قد يكون من قبل الأعراض والأحداث لا من قبل الجوهر والماهية.

والأمر الثاني، أن المنطق لا يُعطى معرفة تقودنا إلى الضلال أو غيره، بل هو مجرد ميزان يوزن به الفكر، فإما يُفند أو يُثبت القضية. مثله في ذلك مثل اللجوء إلى الصائغ لمعرفة معدن من ذهب هل هي سليمة أم مزيفة، فالصائغ مهمته فقط هي الحكم على المعدن، وكذلك المنطقي وظيفته إثبات عدم التعارض بين الفكرة ونظيرتها، ولا بين الفكرة وواقعها.

#### خاتمة

بعيدا عن لعبة المفاضلة بين المشرق والمغرب، يجب القول بكل أمانة علمية إنَّ الجغرافيتين مختلفين فكرا ومنهجًا وأنَّ وحدهما المصدر الذي هو الإسلام، ذلك أنَّ طبيعة المكان تفرض على ساكنتها طبيعة التفكير، كما أنَّ أمم الجوار تؤثر في البنية المعرفية... ولعل هذه الشروط كلها شكلت لنا مناخًا مغاربيًا له خصوصياته الثقافية والاجتماعية، كما أنَّ سمة التَّمَيُّز عن الآخر تلعب دورًا في بروز خصائص مختلفة عن الآخر.

ولم يمنع المغاربة من تعلم المنطق والاشتغال به الهجمة الشرسة من قبل كثير من العلماء، ولا التحريم الذي طاله، فالأخضري البسكري تعلمه واختص فيه، وألف "السلم المرونق في علم المنطق"، والذي لحد الساعة لا زال يُدرس في الجامعات والمعاهد، وهو ذاته قال في أرجوزته:

والخُلف في جواز الاشتغال \* به على ثلاثة أقوال

فابن صلاح والنَّواوي حرَّما \* وقال قوم ينبغي أن يُعلِّمًا

كان ابن حزم في كتابه (التقريب لحد المنطق) قد جعل المنطق من العلوم المساعدة على فهم العلوم الشرعية، وأن الاشتغال به ليس أمراً مُحَرَّمًا كما أن عدم الاشتغال به ليس أمر مُحْتَمًا، وإنما من تعلمه وحذق فيه أعانه على الفهم واليقين، وأن من أنصرف عنه لم يمنعه من الفهم واليقين: "وَلْيَعْلَمَ مَنْ قَرَأَ كِتَابَنَا هَذَا أَنَّ مَنَفَعَةَ هَذِهِ الْكُتُبِ لَيْسَتْ فِي عِلْمٍ وَاحِدٍ فَقَطُّ، بَلْ فِي كُلِّ عِلْمٍ، فَمَنَفَعَتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَدِيثِ نَبِيِّهِ (ص) وَفِي الْفُتْيَا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْوَاجِبِ وَالْمُبَاحِ مِنْ أَعْظَمِ مَنَفَعَةٍ."<sup>(23)</sup>

ولعل السؤال الذي نطرحه اليوم: ماذا نستفيد من عبد الكريم المغيلي؟

يبدو واضحًا أنّ أكبر استفادة نركز عليها، هي أنّ العلم ملك الإنسانية جمعاء، ولا يجوز نسبته لعرق أو مكان، بل هو تركة وإراث الإنسانية جمعاء. وهذا ما أراد المغيلي أن يُثبته للمسلمين آنذاك، حيث رفض أن يُنظر للمنطق أنه يونانيا ولا أنه من إنتاج أرسطو (الكفور)، بل هو علم ساقه الله كما يسوق الغمام من أي مكان شاء، فلا يجوز منع الاستفادة منه لمجرد أن كافرا ما أبدعه.

والدرس الثاني، يتمثل في ضرورة طلب علوم العصر كلها، وعدم الاقتصار على العلوم الشرعية، فإن الحضارة لا تكون إلا بالعلوم الشرعية والدينية معا.

والدرس الثالث، أنّ ما يجمع الإنسانية أكثر مما يُفرقها، وإن كان الافتراق حاصل بالسياسة فإن الاجتماع والتشارك حاصل بالعلم والمعرفة.

ويمكن القول آخر الأمر، إنّ عبد الكريم المغيلي شكل منعطفًا حضاريًا في تاريخ المغرب الكبير، لا من حيث علمه وجهاده بل أيضا عبر رسمه معالم التمكن للمسلم بواسطة رسائله لملوك أفريقيا خاصة، وردوده على علماء عصره الذين بعضهم انجروا نحو سمات عصر الانحطاط.

<sup>(23)</sup> ابن حزم، التقريب لحد المنطق، دار ابن حزم، بيروت، 2007، ط1، ص: 322.

## 1- المصادر.

1. المغيلي، الرد على المعتزلة، تحقيق: محمد سالم بن عبد القادر التواتي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020.
2. المغيلي، لبُّ اللُّبَاب في رد الفكر إلى الصَّواب، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006.
3. المغيلي، مخطوط (منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب).

## 2- المراجع.

1. ابن باجة، رسالة ابن باجة الإلهية، تحقيق: ماجد فخري، دار النهار للنشر، ط3، 1991.
2. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الوفاء، السعودية، مج 09، ط 3، 1426هـ / 2005.
3. ابن حزم، التقريب لحد المنطق، دار ابن حزم، بيروت، 2007، ط1، ص: 322.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
5. الجابري، محمد (عابد)، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991.
6. السيوطي، جلال الدين، الْقَوْلُ الْمَشْرُقُ فِي تَحْرِيمِ الْإِسْتِغَالِ بِالْمَنْطِقِ، تحقيق: محمد سيد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، 2008.
7. المقري، التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار صادر- بيروت، 1968.



# تراجم المغيليين عند المشاركة. الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أنموذجاً

إبراهيم باجس عبد المجيد

باحث دراسات تراثية

## ملخص:

ونحن بصدد الحديث عن علماء الجزائر، وعن واحد من أشهر أعلامها وعلمائها، فإننا لا نجد من جهد المشاركة وإنتاجهم إلا القليل في التعريف بعلماء الجزائر، كمثال الذي صنعه المؤرخ عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر، الذي يشتمل في صفحاته "على تراجم معظم المؤلفين والكتاب والأدباء والشعراء والفقهاء والقضاة". وهذا بعكس شهرة علماء المشرق العربي والإسلامي عند المغاربة.

وفي بحثي عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وعن الأسرة المغيلية عامة، لم أجد إلا التزر اليسير من المعلومات في كتب المشاركة، فضلاً عن أن كثيراً من المعلومات المتوفرة يشوبها كثير من الوهم والخطأ. وقد حاولت في بحثي هذا تسليط الضوء على هذا الجانب، وهو شح المعلومات المتوفرة لدى المشاركة عن علماء المغاربة وأعلامهم، وبيان أسباب ذلك، ثم ذكرت السبل الكفيلة بنشر (المعارف المغاربة) في بلدان المشرق العربي.



## **The Biographies of the of Maghīlīs at Arab East (Mashriq) Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī as a model**

### **Abstract**

As we speak about the scholars of Algeria and one of the most famous icons and scholars, we find that the efforts and productions of the Arab East historians are little to introduce the Algerian scholars. As an example, we mention what the historian Adil Nuwayhid did in his book “Glossary of Algeria’s icons” that includes within its pages the biographies of most of the authors, writers, poets, theologians, scholars and judges. Nevertheless, the Arab East scholars are reputable and well known in the Arab West region.

In this research on Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī and on the Maghīlī’s family, I could not find but little information in the Eastern books. Nevertheless, many of the information available were inaccurate and erroneous. I attempted in my research to shed light on the scarcity of information available in the Arab East about the scholars and icons of the Arab West and stating the reasons for it, then stated all means that enable publishing “the Moorish knowledge” in the Arab East countries.

### **Keywords:**

Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī, the Arab East, Biography, Algerian Scholars

تراجم المغيليين عند المشاركة.

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أنموذجاً.

ابتداءً أقول: لستُ ممَّن أتى لبيع التمر إلى أهل هَجَرَ، بل جئتُ من بلاد المشرق أقتبس بعض علم أهل الجزائر عن عَلم من أعلامها. ولا أقول هذا القول ادِّعاءً أو تصنُّع التواضع فيه، بل هي حقيقة أعيشها أنا وكثير من المشاركة. وفي ثنايا مداخلتي توضيح ما أقول.

فَمَنْ مِنْ أهل المغرب لا يعرف العزَّ بن عبد السلام، سلطان العلماء وبائع السلاطين؟

وَمَنْ منهم لم يسمع باسم ابن تيمية وعلمه وجهاده مع المماليك ضد التتار؟

وَمَنْ منهم لم يسمع باسم جلال الدين السيوطي، المتوفي سنة 909هـ، أو يقرأ شيئاً من كتبه ورسائله؟

هؤلاء بعضٌ من رجال المشرق: الأول والثاني اشتهرا بعلمهم وجهادهم، كما عُرف عن إمامنا المغيليِّ رحمه الله. والإمامُ السيوطي، ذائع الصيت بكتبه ورسائله.

ولكن ما هي حدود معرفة أهل المشرق بالإمام العالم المغيلي، مقارنةً بمعرفة أهل المغرب لصنوه الجلال السيوطي، وإطلاعهم على علمه ومؤلفاته؟

أظن الإجابة واضحةٌ عندكم، يا علماء المغرب.

فقد عاش الإمام المغيلي رحمه الله "في عصر سيطرت فيه آراء السيوطي وأمثاله"، كما يقول مؤرخ الجزائر أبو القاسم سعد الله، رحمه الله<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، 1/119.

وبسبب هذه السيطرة (السيوطية) إن جاز التعبير، فإننا لا نجد، على سبيل المثال، كبير ذكر في الدراسات والكتابات المشرقية، قديماً وحديثاً، لتلك المناظرة الشعرية التي جرت بين الإمامين السيوطي والمغيلي حول إباحة علم المنطق أو حضره، بينما أسهبت المصادر المغربية في ذكرها ودراستها.

ومن هنا أقول: إن عتبي على أهل المغرب أنهم لم ينشروا علم علماءهم في مشرق العالم الإسلامي كما ينبغي نشره، ولم يسعوا إلى التعريف بهم كما ينبغي التعريف، ففي ظني أن أهل الغرب يملكون سلعة ثمينة ومعدناً نفيساً، لكنهم لم يسعوا إلى عرضه كما ينبغي أن يُعرض.

وهذه الشكوى قديمة، شكا منها المؤرخ اللبناني عادل نويهض، وعتب فيها على أهل الجزائر (ضئهم) بمدّه بمعلومات عن علماءهم وأعلامهم، لما أراد تأليف كتابه معجم أعلام الجزائر، ويقول في ذلك: «فكاتب عددًا من زملائي الباحثين والمحققين، ورجوت آخرين مشافهة، أن يزودوني بتراجم بعض شعراء وكتاب العصر الأخير، فضنُّوا علي - مع الأسف الشديد - بما يملكون من معلومات، باستثناء اثنين، هما الدكتور محمد ناصر والأستاذ الهادي الحسني»<sup>(2)</sup>.

والعتب لا يخلو منه أيضاً أهل المشرق، لعدم سعيهم الجاد للتعرف إلى علماء الغرب، وما أسهموا به في رفد الحضارة الإسلامية والثقافة العربية والإسلامية بمئات الكتب، بل الآلاف منها، وكذلك إسهامهم في المشاركة في مناحي الحياة السياسية والجهادية والاجتماعية في بلدانهم.

وهذا ما شكّت منه الكاتبة والمفكرة الموريتانية مكفولة بنت أكاط، حيث قالت: «نحن في موريتانيا نعتبر أننا نعاني من ظلم إعلامي مشرقي صاحب موريتانيا منذ نشأتها إلى اليوم، فرغم الحضور الثقافي اللافت في

<sup>(2)</sup> نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والتأليف والنشر، بيروت - لبنان، 1980، ص 307.

بعض الأحيان، من كتابة ونشر وتأليف ورواية وشعر وفكر، فإن كل ذلك ظل مجهولاً ومُتجاهلاً من النخب والشعوب العربية»<sup>(3)</sup>.

ونحن بصدد الحديث عن الجزائر، وعن واحد من أشهر أعلامها، فإننا لا نجد من جهد المشاركة وإنتاجهم إلا القليل في التعريف بعلماء الجزائر، كمثل الذي صنعه المؤرخ عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر، الذي يشتمل في صفحاته "على تراجم معظم المؤلفين والكتاب والأدباء والشعراء والفقهاء والقضاة".

وقد حاولت الاستعانة لكتابة هذا البحث بما يتوفر من مصادر في المكتبات العامة في بلدي الأردن، ومن أكبرها مكتبة الجامعة الأردنية، لكن مع شديد الأسف، لم أجد فيها كبير شيء يعينني في إثراء ما أكتب فيه، مع أن هذه الجامعة هي أعرق جامعات الأردن وأقدمها وأكبرها، وقد احتفلت هذا العام بالذكرى الستين لتأسيسها، كما تحتفل الجزائر بالذكرى الستين لاستقلالها.

والعتب هذا ممتد إلى السابقين من العلماء المشاركة؛ ففي بحثي في كتب ومؤلفات العلماء الذين عاصروا الإمام المغيلي أو من أتوا بعده، لم أجد ذكراً له عندهم، ومن هذه الكتب: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي (ت 902هـ)، الذي ترجم فيه لأعيان القرن التاسع الهجري، ممن عاصروهم، وكذلك الأمر في كتابي "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة" لنجم الدين الغزي (ت 1061هـ)، و"النور السافر عن أعيان القرن العاشر" لمحيي الدين العيدروس (ت 1038هـ). وهذه الكتب الثلاثة هي مظنة الترجمة لإمامنا المغيلي رحمه الله.

---

<sup>(3)</sup> بنت آكات، مكفولة، ثقافتنا الموريتانية لا تزال مجهولة لدى القارئ العربي، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 2022/10/25.

بل ومن سبق من هؤلاء العلماء الأجلَاء من المشاركة، لا نجد كثيرَ ذكر في تواريخهم أو كتبهم في التراجم والأنساب للعلماء المغيليين. علاوة على ذلك، فقد تخبَّط كثير منهم في تحديد النسبة الصحيحة للمغليين: هل هم منسوبون إلى موضع أو قبيلة. ناهيك عن عدم معرفتهم برجالاتهم وعلمائهم. فهذا الإمام المؤرخ النَّسَّابة أبو سعد السمعاني (ت 562هـ)، يقتصر في ذكره للمغليين على إيراد معلومة مختصرة جداً في التعريف بهم وبعلمائهم، لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً كما يقولون، فيقول: «هذه النسبة إلى مغيلة، وهي قبيلة من البربر، قاله أبو محمد بن أبي حبيب الأندلسي فيما ذكر عنه ابن ناصر الحافظ، والمشهور بهذه النسبة أبو بكر المغيلي، شاعر أندلسي، كان في أيام الحُكْم المستنصر، مشهور، لا يُعرف اسمه، قال ابن ماكولا: قاله لنا الحميدي»<sup>(4)</sup>. وهذا النقل عن الحميدي، ذكره في جذوة المقتبس<sup>(5)</sup>. والحافظ المنذري يترجم في كتابه «التكملة لوفيات النقلة» لأبي زكريا يحيى بن علي بن موسى المغيلي، ويقول: «والمغيلي: نسبة إلى مغيل، وهي قبيلة من البربر»؛ هكذا من غير تاء<sup>(6)</sup>!

ونقرأ عند الفيروزآبادي في قاموسه: «مَغِيلٌ، كَأَمِيرٍ: مدينة قُرْبَ فاسَ منه محدِّثُونَ»<sup>(7)</sup>. ومثله السخاوي من بعده، يترجم لأحد علماء (المغليين)، فيقول: «حسن المغيلي، نسبة لقريّة مغيلة من أعمال فاس، المالكي. كان عالماً

<sup>(4)</sup> السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، حيدر آباد - الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962، 373/12.

<sup>(5)</sup> الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966، ص392.

<sup>(6)</sup> المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، بيروت - لبنان، التكملة لوفيات النقلة، مؤسسة الرسالة، 1981، 98/3.

<sup>(7)</sup> الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، 2005، ص1058.

مدرّساً. مات في سنة خمس وستين «يقصد وثمانمئة». ذكره لي بعض أصحابنا المغاربة<sup>(8)</sup>.

فانظر كيف نسبه إلى موضع أو قرية، وليس إلى القبيلة، والعجب أنه أخذ المعلومة من «بعض أصحابه المغارب» ولا أدري كيف فات هذا المغربي أن المغيلي نسبة إلى قبيلة لا إلى قرية!

ويأتي الزبيدي بعد ذلك، فينقل في تاج العروس (مغل) قول صاحب القاموس، وينقل أيضاً عن الصّغاني قوله في العُباب الزاخر "بَعْدُوَةِ الأَنْدَلُسِ على مرحلةٍ من فاس، في بلادِ البربر". وينقل أيضاً عن أحد مشايخه تعريف مَغِيلَةَ أنها بلدٌ قربَ زَرْهون. وتَعَمِّمُ جميعاً بقوله: "والصحيحُ أَنَّ مَغِيلَةَ: قبيلةٌ من البربر، سُمِّيَ البَلدُ بهم، كَمَا حَقَّقَهُ ياقوتُ وابنُ السَّمْعَانِيِّ، ففي كلامِ المصنّفِ [يقصد الفيروزآبادي صاحب القاموس] محلُّ نظرٍ<sup>(9)</sup>.

وسنرى في هذه المداخلة كذلك مدى الخلط في ترجمة الإمام المغيلي عند المعاصرين من أصحاب التراجم والأدب عند ذكرهم له. وأنا أزعّم أننا لو سألنا كثيراً من طلبة العلم في بلدان المشرق، فضلاً عن عوامهم، عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو عن غيره من العلماء المنسوبين إلى (مغيلة)، لما عرفهم إلا القليل منهم، بل أقل مما نتوقع.

ومن هنا أردت أن يكون حديثي في هذه المداخلة عن إمامنا المغيلي خاصة، وعن غيره من المغيليين، وما ورد عنهم في كتب المشاركة قديماً وحديثاً؛ علّني أكون قد أسهمت أو فتحت باباً نلج فيه، نحن أهل المشرق، للتعرف على علّم، بل أعلام، من مغربنا العربي.

<sup>(8)</sup> السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د.ت، 134/3.

<sup>(9)</sup> الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (1965-2001م)، 411/30.

فأنا أرى أن هذا الإمام الفذ جدير بأن تُفرد سيرته في مصنف، بل مصنفات، وأن تُعقد من أجله الندوات والمؤتمرات، ولعل هذا المؤتمر فاتحة خير لذلك.

فالإمام المغيلي من العلماء المجاهدين، الذين جمعوا بين (السيف والقلم). ولا أجد ما أبدأ به في التعريف به خيراً مما بدأ به العلامة خير الدين الزركلي عندما ترجم له في موسوعته (الأعلام)، حيث قال: «مفسر، فقيه، من أهل تلمسان. اشتهر بمنأواته لليهود... ورحل إلى السودان وبلاد التكرور، لنشر أحكام الشرع وقواعده، وتوفي في توات. له كتب، وله نظم»<sup>(10)</sup>. وكأنه يقول: هو العالم، وهو المجاهد، وهو الداعية، وهو المؤلف، وهو الشاعر، وهو المهاجر... صفات قلماً اجتمعت في غيره من علماء زمانه وغير زمانه.

وممن ترجم للإمام المغيلي من المعاصرين: عمر رضا كحالة في كتابه الشهير «معجم المؤلفين»، فيقول: «فقيه، مفسر، محدث، متكل منطقي. رحل إلى السودان وبلاد التكرور لنشر أحكام الشرع وقواعده». ثم يقول: «وتوفي بتوات بقرب تلمسان»<sup>(11)</sup>. فانظروا كيف اختلط عليه الأمر، فجعل (توات) قرب (تلمسان)، وبينهما ما بينهما من المسافة التي تزيد على 1200 كم. وأظن سبب الوهم عنده في ذلك أن الإمام المغيلي أصله من تلمسان، كما هو معلوم، فظن كحالة أنها قريبة من توات، حيث توفي المغيلي رحمه الله.

ولعله استقى هذه المعلومة، المجانبة للصواب، من الأستاذ عادل نويهض، كما سأذكر كلامه بعد قليل.

ومن قبل هؤلاء العلماء المعاصرين، لو تصفحنا كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، وهو كتاب موسوعي وعمدة في إيراد أسماء الكتب ومؤلفيها، لمّا وجدنا كثير ذكر لمؤلفات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو المغيليين

<sup>(10)</sup> الزركلي، خير الدين، 2002، الأعلام، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، 216/6.

<sup>(11)</sup> كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت - لبنان مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، دت، 191/10.

عامة؛ فهو لا يذكر من مؤلفات الإمام إلا «رسالة في استعمال اليهود والنصارى»<sup>(12)</sup>. ويذكر من مؤلفات عالم آخر من المغيليين، وهو أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي، كتاب "قلادة التسجيلات والعقود، وتصرف القاضي والشهود»، وذكر أنه فرغ من تأليفه: في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة<sup>(13)</sup>.

ومثل حاجي خليفة نجد إسماعيل البغدادي لا يذكر إلا كتابين من مؤلفات الإمام المغيلي: الأول: «إمناح الأحاباب في منح الوهاب» أورده في كتابه إيضاح المكنون، وقال: "محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن خلف الأشعري المغيلي التلمساني المالكي، كان في حدود سنة ست وستين وثمانمائة"<sup>(14)</sup>. والثاني: كتاب «رسالة في استعمال اليهود والنصارى»، وذكر أن مؤلفها توفي سنة عشر وتسعمائة<sup>(15)</sup>.

ويُلاحظ أنه حدد هنا سنة وفاته [وإن كانت لا تطابق الصواب تماماً]، بينما لم يذكرها عندما أورد كتابه الكتاب الآخر، بل خَمَّنَهَا تخميناً، وهو تخمين بعيد عن الصواب، إذا الفرق بين وفاة المغيلي وما خَمَّنَهُ البغدادي يزيد على أربعين سنة.

وذكره من المعاصرين الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، وتحديدًا في الجزء الذي خصه لعصر الدول والإمارات (الجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا والسودان)، وقال إن له ثلاثة أعمال في المنطق، أشار فيها إلى قصيدته التي يرد فيها على قول السيوطي بتحريم هذا العلم<sup>(16)</sup>.

---

(12) حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون، بغداد مكتبة المثنى، 1941، 845/1.

(13) نفسه، 1353/2.

(14) البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، وكالة المعارف الجلية، 1951، 1353/2.

(15) نفسه، 224/2.

(16) ضيف، شوقي، مصر، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، 1995، 89/10.



ثم ذكره مرة أخرى، وذكر أن من مصنفاته كتاب «البدر المنير في علوم التفسير»<sup>(17)</sup>، ذلك الكتاب الذي ذكره أيضاً أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي، وقال فيه: "ولكننا لا نعرف أنه وصل إلينا منه شيء"<sup>(18)</sup>.

كما ذكره عادل نويهض في كتابه «معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، فقال: «فقيه مالكي، مفسر، متكلم، له نظم. نسبته إلى مغيلة، قبيلة من البربر. نشأ بتلمسان. وقع نزاع بينه وبين الإمام جلال الدين السيوطي في علم المنطق. وناوأ اليهود في "توات" بقرب تلمسان(!)، وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم. زار بلاد السودان واجتمع بسطان «كنو» وكتب له رسالة في أمور السلطنة، ومنها ارتحل إلى بلاد التكرور. وكان في سفره ينشر أحكام الشرع ويحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي في توات. من تصانيفه «البدر المنير في علوم التفسير»<sup>(19)</sup>. وقال مثل ذلك في كتابه معجم أعلام الجزائر، لكنه أضاف كتباً أخرى من تأليف المغيلي<sup>(20)</sup>.

وهنا أُذكّر بالخطأ الذي وقع فيه كحالة حينما ذكر أن توات تقع بالقرب من تلمسان. وكما قلت لعله اعتمد في ذلك على كتاب عادل نويهض، فأخطأ الأول وتبعه من نقل عنه.

وإذا بحثنا في قاعدة خزانة التراث التي أعدها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، وهي تحوي معلومات بليوجرافية عن أكثر من مائة ألف مخطوط، فإننا لا نجد فيها إلا عناوين بضعة

<sup>(17)</sup> نفسه، 98/10.

<sup>(18)</sup> سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، 121/1.

<sup>(19)</sup> نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، بيروت - لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والتأليف والنشر، 1988، 553/2.

<sup>(20)</sup> نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والتأليف والنشر، بيروت - لبنان، 1980، ص 308.

مخطوطات لمؤلفين (مغيليين)، منهم إمامنا محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث ذكرت قاعدة البيانات من كتبه ورسائله: «رسالة فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار»، و«رسالة تعريف فيما يجب على الملوك»، و«مصباح الأرواح في أصول الفلاح»، أو «الرسالة المنصورية»، و«مناظرة بين المغيلي والشيخ السنوسي»، و«شرح التبيان في العلم والبيان».

ولو توسعنا في دائرة الأسرة (المغيلية) وما كُتِب عنها وعن علمائها ورجالاتها في كتابات المشرقيين، فإننا لا نظفر بكثير من المعلومات، وإن وُجِدَت، فإنها تكون مستقاةً من المصادر المغاربية. وأنا أضرب لذلك أمثلة وأسوق نماذج للتدليل على ذلك.

• الشيخ العالم أبو الأصبغ عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي، المتوفي سنة 746هـ. ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة، فقال: "قال ابن فرحون: كان من فضلاء المالكية وأعيانهم بالديار المصرية، ولي القضاء بها؛ فحمدت سيرته. مات سنة ست وأربعين وسبعمائة". ولم يزد على ذلك<sup>(21)</sup>. وهذه المعلومة نجدها بنصها عند ابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب<sup>(22)</sup>. والعجيب أننا لا نجد إلا إشارة عابرة لهذا العالم عند ابن حجر العسقلاني في كتابه الذي خصصه لعلماء القرن الثامن الهجري، وهو الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مع أنه من شرطه، أي إنه كان من علماء القرن الثامن الذين ترجم لهم ابن حجر، كما أنه كان في مصر، موطن الحافظ ابن حجر نفسه، وولي القضاء بها، فكان مشهوراً ولم يكن مغموراً حتى يجهله ابن حجر.

(21) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1967، 460/1.

(22) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، 74/2.

فقد اكتفي في ترجمته أن قال: «عيسى المغيلي: من أقران الشيخ ناصر الدين العراقي»<sup>(23)</sup>. وكان قد أورد اسمه في ترجمة كمال الدين أبي الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي، حيث قال: «أنشدنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني من لفظه أنشدنا الكمال جعفر لنفسه: عيسى المغيلي والعراقي بعده بينهما أيوب وابن الصيرفي»<sup>(24)</sup>. وإن كان يغلب على ظني أن عيسى المغيلي هنا هو صاحب الترجمة التي نحن بصدها، لكني لا أستطيع الجزم بذلك، لشُحِّ المعلومة التي أوردها ابن حجر. مع أن شهرته تعدت مصر إلى غيرها من الأقطار، فقد زار أيضاً بغداد وحدث بها ودرّس... وأجدني مضطراً للاتكاء على ما كتبه عالم من علماء المغرب في الدلالة على ذلك، لأنني لم أجد ما يسعفني في كتابات المشاركة.

فقد ذكره أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي في كتابه "تاج المفرق في تحلية علماء المغرب"، وأنا أقتبس باختصار مما قاله فيه: "ومما سمعت منه وأخذت عن الشيخ العالم الأوحى أبو الأصبع عيسى بن مخلوف المغيلي أحد الأعلام الجلة، وعلماء الإسلام والملة، إمام الأنام وعلم الأعلام، سيما في الفروع والأصول وعلم الكلام... رحل إلى آفاق العراق، فأحرز بما اجتلب خصال السباق... لقيته بالمدرسة الناصرية من القاهرة المعزية، فسمعت فوائده من لفظه، وقيدت شوارده من حفظه، وقرأت عليه تفقُّهاً بعض مختصر التفريع لابن الجلاب اختصار قاضي القضاة ببغداد عز الدين حسين بن أبي القاسم النيلي، وهو المختصر الأكبر، وأذن لي في روايته عنه، وحدثني أنه قرأه قراءة تفقُّه وبحث على مؤلفه المذكور ببغداد وأجازته إياه، وأذن له في تدريسه وتبيينه إجازةً تامةً مطلقاً عامةً"<sup>(25)</sup>.

(23) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر أباد الدكن، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972، 248/4.

(24) نفسه، 85/2.

(25) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المغرب، المغرب، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، 1970، 41/1.

أقول: فهذا المغيلي رحل إلى الآفاق المشرقية: العراق ومصر، ولا بد أنه زار الديار الحجازية حاجاً أو معتمراً. ولم يقتصر في رحلاته العلمية هذه على طلب العلم، بل كان مدرساً ومعلماً ومحدثاً ومجيزاً في رواية الكتب أيضاً. ومع ذلك لا نجد له في كتب التراجم المشرقية شيئاً.

• عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف، أبو القاسم ابن السراج، المغيلي الفاسي، نزيل غرناطة.

ترجم له الذهبي في وفيات سنة 619هـ من كتابه "تاريخ الإسلام"، فقال: "عارف بالقراءات والعربية، معتنٍ بالرواية، مكثر عن أبي محمد بن عبيد الله الحجري. أخذ العربية عن أبي الحسن نَجَبَةَ، وأخذ القراءات عن أبي الحسن بن النقرات. وأجاز له جماعة"<sup>(26)</sup>.

كما ترجم له السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة بأطول مما هنا قليلاً<sup>(27)</sup>. إلا أننا نجد الترجمة الأطول عنه في كتاب واحدٍ من علماء المغاربة، وهو ابن الأَبَّار القضاعي الأندلسي، الذي ترجم له في كتاب التكملة لكتاب الصلة، فأورد من المعلومات ما لم يرد عند الذهبي ومن بعده السيوطي<sup>(28)</sup>.

• أبو زكريا يحيى بن علي بن موسى، المغيلي:

ترجم له المنذري ترجمة مختصرة جداً في وفيات سنة عشرين وست مئة، من كتابه التكملة لوفيات النقلة، ولم يزد على أن قال: إنه توفي بثغر

---

<sup>(26)</sup> الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2003، 44/448.

<sup>(27)</sup> السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، صيدا، لبنان، المكتبة العصرية، د.ت، 2/85.

<sup>(28)</sup> ابن الأَبَّار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة، 1995، 3/54.

الإسكندرية، ثم قال: «والمغيلي: بفتح الميم وكسر الغين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام؛ نسبة إلى مغيل، وهي قبيلة من البربر، وقد نُسب إليها غيره»<sup>(29)</sup>.

وذكره عرضاً ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب<sup>(30)</sup>، وتقي الدين الفاسي في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين<sup>(31)</sup>، وعز الدين أحمد بن محمد الحسيني في صلة التكملة لوفيات النقلة؛ ضمن شيوخ مخلص الدين أبي محمد راجح بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد القرشي العبدري، المتوفي سنة 643هـ، وأنه سمع عليه موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي بثغر الإسكندرية<sup>(32)</sup>.

• يحيى بن عبد الله بن محمد، أبو بكر القُرطبي، المعروف بالمغيلي (ت سنة 362هـ).

ترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام، وقال: «كان بارعاً في الآداب، بليغاً ذا فنون والله أعلم»<sup>(33)</sup>.

كما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، وقال: «وكان بصيراً بالعربية». ولم يزيدا على ذلك<sup>(34)</sup>.

---

<sup>(29)</sup> المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، بيروت - لبنان، التكملة لوفيات النقلة، مؤسسة الرسالة، 1981، 98/3.

<sup>(30)</sup> ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، بيروت - لبنان، دار الفكر، د.ت، 3547/8.

<sup>(31)</sup> الفاسي، محمد بن أحمد الحسيني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1988، 77/4.

<sup>(32)</sup> الحسيني، أحمد بن محمد عز الدين، صلة التكملة لوفيات النقلة، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2007، 152/1.

<sup>(33)</sup> الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2003، 210/8.

• محمد بن أبي سليمان بن حارث، أبو عبد الله، المغيلي، القرطبي، القسام: ترجم له المقرئ في المقفي الكبير، وقال في ترجمته: «قدم مصر حاجاً، فسمع بالقلزم من أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الإمام، وبمكة من أبي العباس أحمد بن إبراهيم الكندي. وعاد إلى الأندلس فكان أحد عدولها. وكان حسن الخلق كثير الدعاة متصلاً بالسلطان». وأرخ وفاته سنة 377هـ<sup>(35)</sup>.

### التوصيات:

وأخيراً، علني أكون قد ألقيت حجراً في بحر علم المغيلين والجزائريين، والمغاربة عموماً، وعسى أن تتسع دوائر ما ألقيت لتصل إلى المشرق، وأن يصل صدى صوتي هناك أيضاً، لا أن يتردد في هذه قاعة هذا المؤتمر فحسب.

وإن كنت قد ألقيت هذا الحجر الصغير، بهذا البحث المتواضع، فقد سبقني إلى ذلك أستاذنا الدكتور محمد زمري بكتابه القيم "الأعلام المغاربة في مصنفات المشاركة"؛ الذي أورد فيه مجموعة من أعلام المغاربة من أهل الحكم والسياسة، والأدب والمعرفة، ممن وردت لهم تراجم في كتب المشاركة. وفي ختم كلمتي هذه، ومن الإشارة إلى كتاب الدكتور زمري، وعلى ضوء ما قدمته في بداية حديثي عن شح المعلومات لدينا نحن المشاركة عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وعن غيره ممن يُنسب إلى المغيلين، وكذلك عدم المعرفة الكافية بالعلماء المغاربة عامة، فإنني أقدم بعض التوصيات لاستدراك هذا القصور:

---

<sup>(34)</sup> ابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد بن علي، تبصير المنتبه بتحرير المشته، بيروت - لبنان، المكتبة العلمية، دت، 382/4.

<sup>(35)</sup> المقرئ، تقي الدين، المقفي الكبير، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2006، 366/5.

- 1- عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية حول الثقافة والعلوم المغربية في بلدان المشرق نفسها.
- 2- تخصيص أعداد من المجلات الثقافية المحكمة في بلدان المشرق، مثل مجلة العرب التي تصدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي بالرياض، أو مجلة دراسات التي تصدرها الجامعة الأردنية، للحدوث عن عالم من علماء الجزائر، أو عن ماضي تاريخ الجزائر وحاضره.
- 3- التنسيق مع الجامعات المشرقية لتشجيع طلبة الدراسات العليا للكتابة عن أعلام الجزائر، قديماً وحديثاً، وإسهاماتهم العلمية والثقافية والفكرية.
- 4- وكذلك التنسيق مع هذه الجامعات لأن تكون بعض بحوث الترقية لهيئات التدريس فيها لدراسة جوانب معينة من العلماء المغربية.
- 5- انتداب أساتذة مغاربة لتدريس التاريخ المغربي في الجامعات المشرقية.
- 6- اصطلاح الملحقيات الثقافية في السفارات المغربية في دول المشرق العربي بدورها في التعريف بعلمائها وأعلامها، من خلال عقد الندوات والمؤتمرات، وعرض الأفلام الوثائقية.

## مصادر البحث:

1. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، بيروت-لبنان، دار الفكر للطباعة، 1995.
2. البغدادي، إسماعيل بن محمد، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1399هـ.
3. البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، وكالة المعارف الجلية، 1951.
4. البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المغرب، المغرب، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، 1970.
5. حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون، بغداد مكتبة المثنى، 1941.
6. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد بن علي، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه، بيروت - لبنان، المكتبة العلمية، د.ت.
7. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر آباد الدكن، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972.
8. الحسيني، أحمد بن محمد عز الدين، صلة التكملة لوفيات النقلة، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2007.
9. الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966.
10. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2003.
11. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (1965-2001م).
12. الزركلي، خير الدين، 2002، الأعلام، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين.
13. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د.ت.
14. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007.



15. السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، حيدر آباد - الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962.
16. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، صيدا، لبنان، المكتبة العصرية، د.ت.
17. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1967.
18. ضيف، شوقي، مصر، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، 1995.
19. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، بيروت - لبنان، دار الفكر، د.ت.
20. العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1405هـ.
21. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1997.
22. الفاسي، محمد بن أحمد الحسيني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1988.
23. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
24. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط، بيروت - لبنان مؤسسة الرسالة، 2005.
25. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت - لبنان مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
26. المقرئ، تقي الدين، المقفي الكبير، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2006.
27. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، بيروت - لبنان، التكملة لوفيات النقلة، مؤسسة الرسالة، 1981.
28. نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والتأليف والنشر، بيروت - لبنان، 1980.
29. نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، بيروت - لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والتأليف والنشر، 1988.

## نازلة يهود توات من خلال موسوعة إلمعيار إلمعرب

أ.د/ معند أو إدير مشنان

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1

### ملخص:

تعتبر قضية يهود توات ومعابده، من القضايا الحساسة التي تضمنتها كتاب النوازل في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، لا سيما موسوعة المعيار «نازلة يهود توات»، وقد تابنت المواقف الفقهية في تكييفها وبيان الحكم الشرعي فيها، بين مؤيد لهدم المعابد اليهودية لما لاحظوا من استعلاء يهود توات وتمدد نفوذهم وخروجهم عن بنود عقد أهل الذمة، وبين رافض لهدم تلك المعابد لما تبين لهم من أن اليهود في توات ما يزالون ملتزمين بمقتضيات عهد الذمة، فلا بد على المسلمين أن يفوا بذلك العهد أيضا.

وفي ثنايا هذه الطرح الفقهي بعد أمني استراتيجي، أدركه الإمام المغيلي ومن معه، يتمثل في التوسع اليهودي في تلك منطقة توات جنوبا، متزامنا مع الهجمات الأوروبية على السواحل الشمالية.

وهذه الورقة محاولة لعرض هذه القضية، من حيث الإطلال على الواقع الذي أفرزها، والنظر في الفتاوى والاجتهادات التي ظهرت على ميدان الفقه، متفاعلة مع البعد الأمني الاستراتيجي.

## Nazilet Yahud Tuat through the Encyclopedia al-Mi'yar al-Mu'rib

### Abstract

The issue of the Jews of Tuat and their temples is considered one of the sensitive issues addressed in the book "*Al-Nawazil*" during the ninth and tenth centuries AH, especially in the encyclopedia of al-Mi'yar "*Nazilet Yahud Tuat*". The jurisprudential positions varied in adapting to this issue and expressing the religious ruling regarding it. Some supported the demolition of Jewish temples due to the perceived dominance of the Jews of Tuat, their expansion of influence, and their deviation from the terms of the covenant of protection. Others opposed the demolition of those temples because they observed that the Jews in Tuat still adhered to the obligations of the covenant of protection, and thus it is incumbent upon Muslims to fulfill that covenant as well.

Within the context of this jurisprudential discussion, there is also a strategic security aspect that Imām al-Maghilī and those with him realized, which is represented by the Jewish expansion in the southern region of Tuat, coinciding with European attacks on the northern coasts.

This paper is an attempt to present this issue, in terms of examining the reality it has produced and considering the religious rulings and jurisprudential opinions that have emerged in the field of jurisprudence, taking into consideration the strategic security dimension.

### Keywords:

Imām al-Maghilī, Tuat, al-Mi'yar al-Mu'rib, *Nazilet Yahud Tuat*

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، وعلى من اقتفى أثره واستنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد،

فإن للفتوى في المجتمع الإسلامي أهميةً كبيرة، لأنها إخبار عن حكم الشرع في تصرفات المكلفين، يضطلع بذلك العلماء الأكفاء الذين تبّحروا في علوم الشريعة، وخبروا أوضاع المجتمع وظروفه.

وللفتاء أهمية علمية وفقهية، وأهمية اجتماعية، ؛ لأنها مؤثر عن اهتمامات المجتمع، وتعطي للباحثين صورة حقيقية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، باعتبارها مظهرا من مظاهر التفاعل الواقعي بين الدين والحياة.

ولم يألُ علماءنا رحمة الله عليهم جهدا في أداء هذه مهمة الفتوى، والنهوض بهذه الخطة الشرعية، فكانوا يتلقون أسئلة الناس واستفتاءاتهم، ويبينون فيها حكم الشريعة من أصولها ومصادرها وقواعدها ومدوناتها، حتى تكونت ثروة فقهية غزيرة، انبرى لتدوينها وجمعها ثلة من العلماء الراسخين الذين لم يكتفوا بالرواية الشفهية، بل دونوا تلك الفتاوى والاجتهادات وخلّدوها لتستفيد منها الأجيال المتعاقبة.

ولا يخفي على الباحثين المهتمين بشؤون الفقه أن موسوعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي الموسومة بـ «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب» تعدّ من أهم مصادر النوازل والفتاوى، وقد احتوت كما يظهر من عناونها جملة معتبرة من فتوى علماء الغرب الإسلامي.

ومن القضايا الحساسة التي تضمنتها موسوعة المعيار «نازلة يهود توات»، التي تباينت المواقف الفقهية في تكييفها وبيان الحكم الشرعي فيها، بين مؤيد لهدم

المعابد اليهودية لما لاحظوا من استعلاء يهود توات وتمدد نفوذهم وخروجهم عن بنود عقد أهل الذمة، وبين رافض لهدم تلك المعابد لما تبين لهم من أن اليهود في توات ما يزالون ملتزمين بمقتضيات عهد الذمة، فلا بد على المسلمين أن يفوا بذلك العهد أيضا.

وهذه الورقة محاولة لعرض هذه القضية، بيان الواقع الذي أفرزها، والفتاوى والاجتهادات التي ظهرت على ميدان الفقه، لاسيما في موضوع هدم كنائس يهود توات. وسأعرضها وفق الخطة الآتية:

### المبحث الأول: الإطار الشرعي والمكاني والزمني للنازلة.

#### المطلب الأول: الإطار الشرعي للنازلة.

تأتي هذه النازلة الحساسة في إطار الأحكام الشرعية المتعلقة بالحريات الدينية لأهل الكتاب في المجتمعات المسلمة، ولا يخفى أن أحكام الشريعة الإسلامية كفلت الحقوق والحريات الدينية لغير المسلمين، كما دلّت على ذلك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وعملُ الخلفاء الراشدين، مما يدل على ضمان الحريات المختلفة، ومنها حرية المعتقد، وهذا ما يمكن بيانه باختصار فيما يأتي:

1. من القرآن الكريم: أثبتت نصوص القرآن الكريم على حرية المعتقد

ومنها:

قوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة البقرة/256.

(2) سورة يونس/99.

(3) سورة الحج/40.

2 السنة النبوية: أكدت السنة النبوية المبادئ التشريعية القاضية بحرية المعتقد، ومن أمثلة ذلك:

أ. قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(4)</sup>.

ب. قوله عليه الصلاة والسلام: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(5)</sup>.

ج. وثيقة المدينة التي ضمنت لليهود حقوقهم، وجعلت لهم النصرة والأسوة بالمسلمين ما داموا معهم، وقد وفي النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعهودهم، إلا أن اليهود لم يحترموا بنود الوثيقة وما فيها من العهود<sup>(6)</sup>.

د. معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود خبير بعدما أخضعهم لحكمه وأقرهم في أرضهم يعملون فيها بالخراج للدولة، فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: «أَعْطَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ الْمُؤَدَّ: أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»<sup>(7)</sup>، ونفس الأمر سرى على يهود فدك وتيماء ووادي القرى<sup>(8)</sup>.

هـ. عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران بتأمينهم على أموالهم وأعراضهم ومعابدهم، ومما جاء في ذلك العهد: «وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَبَيْعِهِمْ، وَأَنْ لَا يُغَيَّرُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ

<sup>(4)</sup> أخرجه (99/4، رقم 3166)

<sup>(5)</sup> حديث صحيح، أخرجه أبو داود (170/2، رقم 3052)

<sup>(6)</sup> انظر نص الوثيقة في: سيرة ابن هشام (501/1)

<sup>(7)</sup> أخرجه البخاري (140/5، رقم 4248)

<sup>(8)</sup> انظر: البيهقي، دلائل النبوة (271/4)

حُقُوقِهِمْ وَلَا مَلَّتِهِمْ، وَلَا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفِيَّتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ...  
وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دِينَةٌ وَلَا دَمٌ جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا  
يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ، وَمَنْ سَأَلَ فِيهِمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمْ  
النِّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ بِنَجْرَانٍ...»<sup>(9)</sup>.

وهذه الحريات مقرّرة في عقد الذمة، هو عبارة عن (التزام تقريرهم في بلاد المسلمين، وحمايتهم والذبّ عنهم، بشرط بذل الجزية والاستسلام منهم)<sup>(10)</sup>.

ولعقد الذمة شروط منها:

1. أداء الجزية.
2. أداء عشر ما يتجرون به في غير بلادهم التي يسكنونها.
3. أن لا يبنوا كنيسة ولا يتركوها مبنية في بلدة بناها المسلمون أو فتحت عنوة، فإن فتحت صلحا واشتروطوا بقاءها جاز، وفي اشتراط بنائها قولان.
4. أن لا يَعْشُوا المسلمين ولا يأووا جاسوسا.
5. أن يخفوا نواقيسهم، ولا يظهرها شيئا من شعائر دينهم.
6. أن لا يَسُبُّوا أحدا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يظهرها معتقدهم<sup>(11)</sup>.

### المطلب الثاني: الإطار الزماني والمكاني للنازلة.

أولا الإطار المكاني الذي وقعت هذه النازلة يبدو من عنوان النازلة الذي اشتهرت به، أن إطارها المكاني هو في جزء صحراء الجزائر العميقة الكبيرة،

<sup>(9)</sup> انظر: المصدر نفسه (389/5)

<sup>(10)</sup> انظر: القرافي، الذخيرة (451/2)

<sup>(11)</sup> انظر: ابن جزى، القوانين الفقهية ص 161

التي يضم ثلاثة مناطق هي:منطقة توات (أدرار، ورقان)، ومنطقة قورارة (تميمون، أوقروت)، ومنطقة تيديكلت (عين صالح، أولف، أقبلي).

وقد عاشت المنطقة وتقلّبت أحوالها في ظل السلطات الإسلامية المتعاقبة، وتمتعت بشيء من الاستقلال الإداري عن مراكز تلك السلط (المرابطين، الموحدين، ثم الزيانيين)، وذلك بحكم بعدها الجغرافي، وصعوبة الوصول إليها، وليس الأمر بدعا حيث لا نجد في كتب الفتوح الأولى ومصادر التاريخ ما يفيد بأن جيوش الفتح الإسلامي وطئت المنطقة، وإنما أسلم أهلها طواعية بإسلام من في جوارهم في الشمال، ولكن الارتباط الروحي والعلائق الحضارية كانت كبيرة جدا مع حواضر الشمال<sup>(12)</sup>.

ثانيا الإطّار الزمّاني لهذه النازلة، هو المنتصف الأخير من القرن 9هـ القرن 15م، في وضع متخلف سماه فقيه الحضارة مالك بن نبي بعصر ما بعد الموحدين، حيث بدأت مؤشرات سقوط الدول الثلاث التي ورثت الموحدين، وهي دولة الحفصيين في تونس، ودولة الزيانيين في الجزائر، ودولة المرينيين في المغرب الأقصى، وبدأت معها تلك التحرشات الأوروبية بدول المغرب عقب سقوط غرناطة<sup>(13)</sup>.

وفي هذه الظروف نشطت هجرة المسلمين، وكذلك اليهود من الأندلس، فرارا من الاضطهاد ومحاكم التفتيش الإسبانية، وذلك بعد تلك الحروب الطاحنة الطويلة التي سقط فيها طليطلة (478هـ/1086م)، ثم قرطبة (633هـ/1236م)، ثم غرناطة (897هـ/1492م)، ثم تلاها احتلال وهران سنة (1509م) لمدة فاقت ثلاثة قرون متوالية<sup>(14)</sup>.

<sup>(12)</sup> انظر: بيثي، عبد الحليم، يهود توات في كتب النوازل الجزائرية، ص 409.

<sup>(13)</sup> انظر: المرجع نفسه ص 410. 411.

<sup>(14)</sup> المدني، توفيق كتاب الجزائر، ص 45.



### المطلب الثالث: الأوضاع العامة لتوات إبان النازلة.

رغم ضعف الارتباط السياسي والإداري بين منطقة توات والسلطة الزيانية في دولة بني زيان، فقد كانت الروابط الثقافية والعلمية قوية، وكذلك الحركة الاقتصادية التي انتظمت بتجارة القوافل من مدن الشمال كالجائر ووهران وتلمسان، وتواصلت بالأعماق الإفريقية في «غاو» و«تمبكتو» في مالي وسلطنة «كانو» بنجيريا.

وفي هذه الفترة وفي ذات الظروف والملابسات التي سبقت الإشارة إليها باقتضاب، ظهر الوجود الظرفي لليهود بتوات، إثر الهجرة من الأندلس، حيث تسلت مجموعات من اليهود، وعملت على الاستقرار والتغلغل والتمكن، مستفيدة ضعف وجود السلطة المركزية، ومستغلة الوضعية المالية لتجارة القوافل، وهو ما هيأ لهم وضعاً مالياً مريحاً دفع بهم إلى السيطرة على المقدرات المالية للوحدات عن طريق اللعب على التناقضات المحلية، والتحلل من التزامات عقد الذمة، والتطلع إلى إبراز هوية دينية مخالفة لهوية المجتمع.

وقد قوّوا ذلك بنسج علاقاتهم مع الدوائر المؤثرة، كالحكام والأعيان وكبار التجار، للحفاظ على وجودهم ومصالحهم، وقد سطع نجمهم في كثير من البلاطات، ووصل البعض منهم إلى المناصب التنفيذية، مما أدى إلى ثورة أسقطت الدولة المرينية وقيام الدولة الوطاسية سنة 869هـ 1465م، ولم يختلف الأمر في الدولة الزيانية حيث عمل بعض اليهود في الدوائر المالية والإدارية<sup>(15)</sup>.

وهذا ما نبه إليه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) في توصيفه لوضعية يهود توات وما جاورها، قائلاً: «فصل في ما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية

(15) انظر: بيشي، عبد الحلیم، يهود توات في كتب النوازل الجزائرية، ص 411. 413.

بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان، فاليهود المذكورون كهود توات، وتيجرايز (أي تيگورارين)، وتافيلالت، ودرعة، وكثير من الأوطان بإفريقية وتلمسان قد حلت دماؤهم وأموالهم ونساؤهم ولا ذمة لهم...»<sup>(16)</sup>.

ولم تسلم النواحي الأخلاقية من التأثير السلبي للوجود اليهودي، حيث شاركوا في ترويح الخمر والموبقات والربا والنقود المغشوشة. وشهادة الرحالة محمد بن الحسن الوزان الشهير بليون الإفريقي (ت1550م) تبين أن اليهود نقلوا داء الزهري من إسبانيا إلى مدن المغرب، حيث قال: (عندما طرد الدوق «فيرديناد» ملك إسبانيا اليهود من بلاده جاء كثير منهم إلى بلاد البربر، فظهر فيها هذا الداء، وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال جنسي بنساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا قليلا في ظرف عشر سنوات، حتى لم تعد تسلم منه أية أسرة)<sup>(17)</sup>.

### المبحث الثاني: التكييف الفقهي لنازلة يهود توات.

طرحت هذه القضية على بساط النظر الفقهي، واستُكْتِبَ الفقهاء فيحكم هدم الكنائس والبيع في البلاد المسلمة، وفي حكم بنائها واستحداثها، وكان تلهم آراؤهم واجتهاداتهم مختلفة بل متباينة، يمكن اختصارها في اتجاهين اثنين نبيينهما فيما يأتي:

#### المطلب الأول: الاتجاه المانع لهدم الكنائس.

اختار هذا الرأي أو هذا الاتجاه عدد من الفقهاء منهم: أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني قاضي توات (ت927هـ)، وأبو العباس أحمد بن زكري مفتي تلمسان وعالمها (ت900هـ)، أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي الفاسي (ت896هـ)، وأبو عبد الله محمّد بن قاسم الرصاع الأنصاري

<sup>(16)</sup> المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ص 40.

<sup>(17)</sup> انظر: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا (84/1)

التونسي(ت894هـ)، وأبو البركات بن أبي يحيى الغماري التلمساني  
(ت910هـ)، وعبد الرحمن بن سبع<sup>(18)</sup> التلمساني<sup>(19)</sup>.

وهو اجتهاد فقهي مؤسس على جملة من الأدلة والاعتبارات، يمكن  
عرضها فيما يأتي:

### 1 تحقيق المناط بالتزام يهود توات بمقتضيات عهد الذمة

وصف المغيلي يهود توات بما يفيد أنهم ناقضون لعهد الذمة، وخالفه  
معاصره العصنوني ووصفهم بأنهم:

ضعفاءً أضرَّ بهم العدم، واستدل على ذلك بشهادة التجار الوافدين  
على توات.

متضامنون مع السكان في الفتن والنواب.

يسكنون في درب خاص بهم، وكنيستهم في منازلهم.

لم يبدر منهم العصيان والخروج أو نقض العهد.

وأجاب عن عدم دفعهم الجزية أحياناً، فقال: «واعلم سيدي أنّ [عبد  
الجبار] الفجيجي (ت945هـ) وصف في سؤاله أهل الذمة بأوصاف توجب أن  
يكونوا ناقضين للعهد، ونحن يا سيدي لا نعرفها، لاسيما يهود مدينة توات؛  
وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف<sup>(20)</sup> لهم ما يوجب الزجر أو الأدب، بل  
هم عند تفتنهم وزجرهم في غاية الدّلة والصّغار. وأمّا الجزية فلمهم عوائد  
من قديم الزّمان مع الأشياخ في الأعياد وسائر التّوائب من الفتن وغيرها من

<sup>(18)</sup> في المعيار [بن سعيد]، والتصحيح من مصباح الأرواح. ولم أقف على ترجمته.

<sup>(19)</sup> الونشريسي، المعيار المغرب (214/2، 217، 225، 229، 232)، المغيلي، مصباح  
الأرواح، ص 47، 48.

<sup>(20)</sup> الغلائف: اسم لبعض الجالية اليهودية التي كانت تقطن بتوات وقتئذ، كما أفاد  
أحدُ الأساتذة المهتمين بدراسة هذه الفترة من تاريخ الجزائر.

ضيافات العرب وغيرهم؛ ومرة لو فضّ ذلك زاد على القدر الواجب، ومرة ينقص، ومرة يساوي، ويظلمون كثيرا، ولو وجدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر منه.

وكلّ ما قلناه من وصف أهل الدّمة يتحقّقه كلّ تاجر قدم توات من أهل بلدكم، بل ضعفوا في هذا الزّمان وأضرّ بهم العدم»<sup>(21)</sup>.

ومن ثمّ يرى هؤلاء الفقهاء أن اليهود في توات وقتئذ أهل ذمة وعهد، ملتزمون بذلك غير ناقضين لعقدهم، فلا موجب لهدم معابدهم.

فابن زكري التلمساني الذي طرحت عليه هذه النازلة لا يرى لهدم الكنائس المسؤول عنها وجها، وعلل ذلك بأنهم (لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك، ولا يسوغ منعهم على أيّ وجه فرضت من اختطاط أو إحياء، إذ هم أهل ذمة على ما علم من حال اليهود في بلد المسلمين، إذ لا يعلم لهم فيها حرب، فعقد الدّمة لهم قديم؛ فقد نصّ مشايخ المالكية على جواز نقل الدّميّ جزيته من بلد لغيره من بلد الإسلام)<sup>(22)</sup>.

وبين ابن زكري أن قتال أهل الذمة الذين لم ينقضوا العهد يعتبر من قبيل الحراة والسعي في الأرض بالفساد وهو منهي عنه، حيث قال: «وقد اتّفق العلماء على تحريم قتال الدّميين، وهم لم ينقضوا العهد، فلمهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلّا أن ينقضوا عهد الدّمة، وحيث لم ينقضوا عهد الدّمة يكون قتالهم حراة، ومن باب السّعي في الفساد في الأرض، فالسّاعي في ذلك مندرج في آية الحراة»<sup>(23)</sup>.

<sup>(21)</sup> انظر: الوثريسي، المعيار المعرب (217/2)

<sup>(22)</sup> المصدر نفسه (219/2)

<sup>(23)</sup> المصدر نفسه (224/2)

2 جريان العمل على إقرار تلك الكنائس وعدم هدمها، فقد استدل الفقيه ابن أبي البركات بما جرى عليه عمل السابقين، وعدم إنكارهم وجود هذه الكنائس فقال: «إن سكوت أهل زمان على أمر حجة، فكيف بأزمة لا يدرك لها مبدأ، .. والحاصل الذي عليه الاعتماد وإليه الاستناد في هذه القضية أن لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال من الأحوال»<sup>(24)</sup>.

وعليه العمل، وعمل الناس أجمعين، لا ينبغي التتبع والتعمق والتشديد والتشغيب على الناس فيما أقره العلماء وعمل به السلف، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾<sup>(25)(26)</sup>.

وأيد ذلك ابن زكري هذا الطرح والاستدلال بأن الكنائس الموجودة قديمة، وملك الحائز تام بالتقادم، فهدم الكنائس القائمة الموصوفة ظلم لأهل الذمة لا يجوز شرعا، ولا يتعرض لها، ولو كانت مبنية في أرض يمنع فيها الإحداث، لأنه لا يستقيم الاستدلال على وجوب الهدم بمنع الإحداث، فما دل بعمومه وإطلاقه مخصوص ومقيد بغير المعاهدين والذميين إذا انتقلوا في بلد الإسلام من موضع إلى موضع ولم يخرجوا عن العهد والذمة فسكنوا فيه وأرادوا إحداث كنيسة لإقامة دينهم، فإنهم يمكنون من بنائها ولا يمنعون منها، وإنما يمنعون من إظهار ما لا يجوز إظهاره كالقراءة وضرب النواقيس<sup>(27)</sup>.

ثم لخص ابن زكري موقفه قائلا: «وأما كنائس البلاد الصحراوية، فأقرب شيء في تلك البلاد أنها مملوكة لأهلها بالإحياء والاختطاط، ويبعد فيها أن تكون عنويّة أو صلحية، ولا سبيل إلى هدم ما وجد فيها من كنائس»<sup>(28)</sup>.

<sup>(24)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (231/2)

<sup>(25)</sup> سورة المائدة/101.

<sup>(26)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (232.231/2)

<sup>(27)</sup> المصدر نفسه (218/2)

<sup>(28)</sup> المصدر نفسه (228/2)

وهو ما ذهب إليه الفقيه أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي الفاسي، الذي قال: (ومدن الصحراء ونحوها كلها راجعة إلى الاختطاط، فإن شرط الذميون اتخاذَ كنيسة لهم جاز، إن كانت مصلحة ذلك أعظم من مفسدته، ويُؤوَّف لهم بذلك، كما قال مالك وابن القاسم رضي الله عنهما)<sup>(29)</sup>.

واختار هذا المسلك أيضا الإمام الرّصاع، الذي سئل عمّا يشتره اليهود من أراضي المسلمين، فأجاب بأنه «ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبيعوا المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، ولا مانع لهم من شراء ما بينونه لسكناهم، إذ هم يؤدون الجزية، وهم تحت ذمة المسلمين...، وإذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يُعبَدُ فيها غيرُ الله تعالى، فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يُحبُّون»<sup>(30)</sup>.

3 العمل بأصل اعتبار المصالح: لاحظ الإمام ابن زكري أن هذه المسألة يمكن أن تُكَيَّفَ بأنها من قبيل إجازة الحاكم وإذنه في إحداث تلك الكنائس لمصلحة رآها، ومثله الجماعة القائمة مقام الإمام، وذلك من قبيل أن حكم الحاكم الذي يرفع الخلاف، وقرر ذلك بقوله: (وممّا يحتمل:

إذا جماعة المسلمين للذمّيين في الإحداث، وهي قائمة مقام الإمام في الموضوع الذي لا إمام فيه.

أو تكون الأرض محياة، فملك الذمّيون بالإحياء، على القول بصحة إحياء الذمّي في غير جزيرة العرب، وهو مختار الباجي (ت494هـ).

أو تكون الأرض مختطّة وأذنت الجماعة لمصلحة في الإحداث هي أرجح من المفسدة، ويصير ذلك كحكم من حاكم في محلّ الخلاف فيرفعه.

<sup>(29)</sup> المصدر نفسه (227/2)

<sup>(30)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (229/2)

أو قدم الذمّيون على الموضوع للسكّنى فيه عن عهد معتبر سابق، كما تقدّم.

وقد لاح في أصول الفقه أنّ وقوع واحد من شيئين فأكثر أقرب من وقوع واحد بعينه<sup>(31)</sup>.

4 الاعتماد على أصول تشريعية مهمة، مثل سد الذرائع، واعتبار المآلات، خوفا من حصول فتن أو حدوث، مع التأكيد على مبدأ عدم الإنكار في مسائل الخلاف، لأن المسألة مختلف فيها.

ولذلك أكّد ابن زكري في خاتمة فتواه على التذكير بشروط تغيير المنكر، من العلم، والإجماع، والأمن من حصول مفسدة أو منكر أكبر منه، ثم بين أن هدم الكنائس قد يؤدي إلى مفسدة القتل والقتال بين المسلمين للخلاف<sup>(32)</sup>.

وعلى أبو زكريا ابن أبي البركات العُمَارِيّ منع هدم الكنائس اليهودية، ب (ما تقرر من أن درء المفسد أولى من جلب المصالح...، كما هو المقرر في تغيير المنكر إذا كان مؤديا إلى منكر أعظم منه، ولو كان تغيير المنكر الذي أريد تغييره مجمعا عليه، وأي مفسدة أعظم مما يثير الهرج ويحدث الفتنة المؤدية إلى قتل النفوس وسلب الأموال، واشتعال نار الحرب بين الخلق في سائر الآفاق....، فكيف بما يراد بناؤه على أصل ديني، ولاسيما بين القلوب المشحونة بالضغائن، حتى يَبَيّن العلماء المتعاطين للكلام في ذلك، إذ لا امتراء في عدم اتفاقهم، واختلافهم آيل إلى التعرض للأخذ في أعراض بعضهم بعضا، والغيبة والتكذيب حسبما يقتضيه الاختلاف والجدال)<sup>(33)</sup>.

<sup>(31)</sup> المصدر نفسه (222/2)

<sup>(32)</sup> المصدر نفسه (224.223/2)

<sup>(33)</sup> المصدر نفسه (231/2)

وفي هذا السياق يأتي ما جاء في خاتمة فتوى عبد الرحمن بن سبع المؤيدة لرأي أبي البركات الغماري، حيث اعتبر هذه المسألة مما لا يجوز الخوض فيه<sup>(34)</sup>، للنهي الوارد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾<sup>(35)</sup>.

5 الاستشهاد بنصوص أئمة المذهب المالكي: جاء في المدونة في كتاب الجعل والإجارة: (سألت مالكا: هل لأهل الذمة أن يتخذوا الكنائس في بلاد الإسلام؟ فقال: لا، إلا أن يكون لهم شيء أعطوه، وأما ما سكن المسلمون عند افتتاحهم، وكانت مدائنهم التي اختطوها مثل الفسطاط والبصرة والكوفة وإفريقية وما أشبه ذلك من ممالك الشام فليس لهم، إلا أن يكون لهم شيء أعطوه فيؤيهم.

وقال مالك: «أرى أن يمنعوا من أن يتخذوا في بلاد الإسلام كنيسة، إلا أن يكون لهم عهد فيحملون على عهدهم»<sup>(36)</sup>.

ومحل الشاهد هو قول الإمام مالك رضي الله عنه: «إلا أن يكون لهم شيء أعطوه فيؤيهم»، وقوله: «إلا أن يكون لهم عهد فيحملون على عهدهم». عليه فإن كنائس اليهود داخلية فيما ثبتت به الفتوى داخل المذهب، ولا يعد صاحبها مفتيا بخلاف المنقول.

6 الاعتماد على الفتاوى السابقة لعلماء المذهب: استند أصحاب هذا الاتجاه المانع لهدم الكنائس بفتاوى سابقة لعلماء المذهب المالكي، تجيز بناء الكنائس لأهل الكتاب إذا كان لهم عهد سابق، ومن أمثلة ذلك:

أ فتوى العلامة ابن الحاج (ت529هـ) التي يستفاد منها جواز بناء الكنائس النصرانية، بناء على عقد الذمة الثابت لهم، فقد استفتي في شأن

<sup>(34)</sup> المصدر نفسه (2/232)

<sup>(35)</sup> سورة المائدة/101.

<sup>(36)</sup> انظر: المدونة الكبرى لسحنون (3/435)



النصارى الذين طلبوا بناء كنائس في موضوع استقرارهم بعد أن نلقهم المرابطون من الأندلس إلى العدو المغربية فأجاب: (إن هؤلاء النصارى وصفوا بالمعاهدين، وذلك يقتضي ثبوتهم على ما سلف لهم من العهد والعقد والذمة، والوفاء لهم واجب، مباح لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم، ويمنعون من ضرب النواقيس)<sup>(37)</sup>.

ب نازلة تونس، وذلك في نصارى أحدثوا كنيسة في فندقهم، وأقرهم القاضي بموجبات عهدهم في أن لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لتعبدهم<sup>(38)</sup>.

وبناء على هذا المسلك في الاستدلال قال العصنوني: «وهؤلاء أهل الذمة يغلب على الظن أنهم إنما انتقلوا إلى البلاد الصحراوية من مكان لهم فيه عهد، إما لظلم أو غير ذلك»<sup>(39)</sup>.

7 أن الجهاد ضد اليهود ليس من صلاحية الأفراد، بل هو من صلاحية الدولة، وهذا ما نبّه إليه أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي (ت902هـ) في نوازله التي جاء فيها: «بل ذلك للإمام العدل الغالب الذي تؤدى إليه الطاعة، وقهر الناس، وأمن اختلاف الكلمة وإراقة الدماء، ومقابلة فتنين للقتال، وأما المغيلي فليس في شيء من ذلك، لأنه من آحاد الرعية، فالواجب عليه الجهاد في ذلك وفي غيره باللسان، وإلا فلا يجوز له القتال»<sup>(40)</sup>.

8 الجواب على الخلط بين مبدأ محبة اليهود ومولاتهم، وبين إقرارهم على دينهم، وفي هذا السياق قال العصنوني: (إن المغيلي يرى أن إقرارها

<sup>(37)</sup> الوثنريسي، المعيار المعرب (215/2)

<sup>(38)</sup> المصدر نفسه (216.215/2)

<sup>(39)</sup> المصدر نفسه (215/2)

<sup>(40)</sup> نوازل باز النوازل لابن هلال السجلماسي (1068.1067/2)

الكنائس محبة لهم ولما هم عليه من الكفر، وضرب المثل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ينقّر بها من تقريرها، واستنزل بها أكثر أهل البلد إلى حب الكفر وأهله، والمسلمون براء من ذلك بحمد الله تعالى<sup>(41)</sup>.

وقد لخص الإمام ابن زكري موقف أصحاب هذا الاتجاه بقوله: (هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية، والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية)<sup>(42)</sup>.

كما لخصه الفقيه ابن أبي البركات بقوله: «والحاصل الذي عليه الاعتماد وإليه الاستناد في هذه القضية أن لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال من الأحوال، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعا، ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين، والمعتز كذا عاص، وإن كانت المفسدة مأمونة في الموضوع الذي منه السؤال، إذ لا يؤمن وقوع الفساد في غيره»<sup>(43)</sup>.

#### المطلب الثاني: الاتجاه المؤيد لهدم كنائس اليهود في توات.

وهو اتجاه تبناه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي رأى ضرورة وضع حد لما رآه من نفوذ يهودي في منطقة من أرض إسلام بعيدة من السلطة المركزية الحاكمة، وسار معه في ذلك تلميذه عبد الجبار الفجيجي (ت945هـ)، وأيده عدد من العلماء على رأسهم الإمام محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ)، وأبو عبد الله السنوسي (ت895هـ)، وأحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ)<sup>(44)</sup>.

<sup>(41)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (216/2)

<sup>(42)</sup> المصدر نفسه (218/2)

<sup>(43)</sup> المصدر نفسه (231/2)

<sup>(44)</sup> انظر: الونشريسي، المعيار المعرب (232/2، 235، 249، 252)، المغيلي، مصباح الأرواح ص 47، 48..

وهو اتجاه مستند إلى جملة من الأدلة والمؤيدات الشرعية والواقعية،  
يمكن بيانها فيما يأتي:

1 الاستناد إلى الأدلة القاضية بعدم موالاته من حاد الله ورسوله، وعدم محبته، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(45)</sup>.

وعلى المؤمن التحقق بالحب الكامل للنبي صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه، ومنهم اليهود، وقد انتقد المغيلي علماء زمانه ونزهم ووصفهم بعلماء السوء، قائلا: (فما أكذب قوما يزعمون أنهم يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويحبونه، وهم مع ذلك يقربون من أنفسهم وأهلهم أعداءه، ويتولون أشد الناس عداوة له، ويقاطعون لأجله أحباءه، حتى إنهم يؤوون اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(46)(47)</sup>.

2 الأحاديث والآثار الدالة على منع من إحداث الكنائس في بلد الإسلام<sup>(48)</sup>،

ومنها:

أ. ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لَا تُرْفَعُ فِيكُمْ يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ»<sup>(49)</sup>.

<sup>(45)</sup> سورة المجادلة/21.

<sup>(46)</sup> سورة الرعد/5.

<sup>(47)</sup> المغيلي، مصباح الأرواح ص 27.

<sup>(48)</sup> المصدر نفسه ص 38.

<sup>(49)</sup> لم أقف عليه في كتب الحديث، وإنما ورد ذكره في بعض كتب الفقه المالكية. كابن أبي زيد القيرواني في النوادر والزيادات (3/376)، ونسبه إلى كتاب ابن حبيب. وهو الواضحة في السنن والفقه. وقد ذكر أهل الحديث أن ابن حبيب لا يميز صحيح الحديث من سقيمه ويحتج بالمناكير، ولعل هذا منها.

ب. ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَكُونُ قِبْلَتَانِ فِي بَلَدَةٍ وَاحِدَةٍ»<sup>(50)</sup>

ج. ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُحَدَّثُ كَنِيْسَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُجَدَّدُ مَا هُدِمَ مِنْهَا»<sup>(51)</sup>.

د. حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اهْدِمُوا الصَّوَامِعَ، وَاهْدِمُوا الْبَيْعَ»<sup>(52)</sup>.

هـ. حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا إِخْصَاءَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا بُنْيَانَ كَنِيْسَةٍ»<sup>(53)</sup>.

وهذه الأحاديث ضعيفة لا يصح الاستدلال بها في هذا الموضوع.

و. ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لَا كَنِيْسَةٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا إِخْصَاءَ)<sup>(54)</sup>.

ز. ما جاء في عهد نصارى الشام: «وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدِيْنَتِنَا وَلَا فِيْمَا حَوْلَهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيْسَةً وَلَا قَلَائِيَّةً وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْهَا، وَلَا نُحْيِي مَا كَانَ مِنْهَا فِي خُطَطِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(55)</sup>.

<sup>(50)</sup> ضعيف، أخرجه أبو داود (165/3، رقم 3022)

<sup>(51)</sup> أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (403/4)، وإسناده واه.

<sup>(52)</sup> ذكره السبكي بسنده في فتاويه (374/2)، وقال: إسناده ضعيف.

<sup>(53)</sup> أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (41/10، رقم 19793)

<sup>(54)</sup> أخرجه ابن زنجويه في كتاب الأموال (ص 268، رقم 399)

<sup>(55)</sup> أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (339/9، رقم 18717)، وابن عساكر في تاريخ

دمشق (176/2)

وذكر بعض المحققين أن أثر ضعيف، وسنده واه، وخصوصا مع غياب شواهد تاريخية في تمييز أهل الذمة باللباس في زمن عمر ذاته، ولمخالفته عهد الفاتحين مثل عهد أبي عبيدة وخالد وعمرو بن العاص.

3 نقل الإجماع على عدم جواز إحداث الكنائس في بلاد المسلمين، قال المغيلي: «وقد انعقد الإجماع على ذلك بين المسلمين، فلا خلاف بين علماء الأمة أجمعين، أنه لا يحل إحداث كنيسة في شيء من بلاد المؤمنين، ولا إقامة بيت لصلاتهم...»، ثم فرع على ذلك بقوله: «فإن أذن في ذلك سلطانٌ أو قاضيٌ أو غيرهما من ولاة الأمر وجب نقض إذنه وهدم ما بنوه.... وإن طال الزمان»(56).

4 الحرص على علو الإسلام وعزته وعدم تمكين اليهود من السيادة في بلاد الإسلام، اعتمد الإمام التنسي في حكمه بمنع إحداث الكنائس في توات، بأن في ذلك من مقتضيات عزة الإسلام، الذي يعلو ولا يُعلَى عليه، والذي تدل عليه النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾<sup>(57)</sup>. وهي حالة تدعو إلى الالتزام بنظام الدولة وقوانينها، ومن ثم فمعنى الصغار لا يعني بالضرورة الإكراه أو الإذلال، أو انتهاك الكرامة الإنسانية.

وقد توارد عليه كلام علماء المذهب المالكي على ضرورة علو الإسلام وعزته، وعدم تمكين غير المسلمين كاليهود من السيادة والريادة، ومنهم ابن الماجشون (ت212هـ) وابن حبيب (ت238هـ) وابن رشد الجد (ت520هـ).

والتنسي الذي اعتبرت فتواه تأييدا واضحا لموقف المغيلي قد خالف ابن عرفة الورغي (ت803هـ) في فهمه لكلام اللخمي (468هـ) في ذكر الخلاف في العنوية، حيث نقل اتفاق شيوخ المذهب على منع الإحداث في الأراضي التي اختطها المسلمون، وأيد هذا بعمل أهل قرطبة، وكلام الأئمة المعول عليهم في الفتوى والشورى مثل نوازل ابن سهل (ت486هـ) وابن عبد البر (ت436هـ) في الكافي.

(56) المغيلي، مصباح الأرواح ص 39.

(57) سورة التوبة/29.

وأيد رأيه هذا بنصوص عدد من فقهاء المالكية، منهم القرافي (ت684هـ) في الذخيرة، ومنهم خليل (ت772هـ) في التوضيح شرح جامع الأمهات لابن الحاجب، ومنهم قاسم بن سعيد العقباني (ت871هـ) في رسالته «تحفة الناظر في تغيير المناكر»، الذي استهجن إخلال يهود توات بواجبات عقد الذمة كالضيافة والجزية والأرزاق، ومنهم أبو القاسم العبدوسي (ت837هـ) في فتواه التي اعتبر فيها إحداث الكنائس من اليهود في بلاد الإسلام أمراً موجبا لنقض عقد الذمة، وإذا لم ينتهوا عنه يصيرون في حكم أهل الحرب<sup>(58)</sup>.

وفي هذا الشأن قال المغيلي: «فإن نحن غلبناهم في دينهم فنحملهم على إخفائه وهم صاغرون، وإن ملكوا مع ذلك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة، لأننا إذا غلبناهم على ذلك غلبناهم على الصغار في الدين ونحوه، وإن لم نغلبهم على ذلك، وكانت شعائر كفرهم قائمة اختل من صغارهم بقدر ما أقاموه من دينهم»<sup>(59)</sup>.

5 تحقيق المناط بعدم التزام يهود توات بعهد الذمة، فقد تحدث أصحاب هذا الرأي على ما ظهر من استعلاء اليهود وتعدبهم في هذه المنطقة، وتمردهم على الأحكام الشرعية، ونتج ذلك عن تولية أرباب الشوكة والمال لهم واصطناعهم في حوائج المسلمين، وهو ما رفع عقيرتهم بإظهار بيعهم وشعائرهم في ديار المسلمين<sup>(60)</sup>.

ومن مظاهر ذلك الوضعية الأخلاقية المشينة لليهود في بلاد المغرب، وانتهاجهم طرق المكر والخداع، لتجاوز الأحكام الشرعية المتعلقة بعقد الذمة، وقد ذكر المغيلي أمثلة على ذلك منها:

<sup>(58)</sup> الوثنريسي، المعيار المعرب (2/236، 240.249)

<sup>(59)</sup> المغيلي، مصباح الأرواح ص38.

<sup>(60)</sup> المصدر نفسه ص27.

أ. أنّ يهوديا كلف بغسل ثياب القاضي، فرآه القاضي يبول عليها.

ب. أنّ يهودية تعجن خبز مسلم وهي تمخط بيدها وتعجن قبل أن تغسلها.

ج. أنّ يهودية تعجن خبز مسلم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظفارها، وتعجن قبل أن تغسلها<sup>(61)</sup>.

ويرى المغيلي أنّ يهود توات قد نقضوا هذا العهد فتعين حرهم وإخراجهم، وعبر عن ذلك بقوله: «ككيف بيهود لم يأتوا ولا بواحدة، بل تمردوا على الأحكام الشرعية بسكنى البلاد السائبة، والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب من العلماء بإذلالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم»<sup>(62)</sup>.

ورأى أن دخول اليهود في خدمة ذوي السلطان فعلا موجبا لنقض عهد الذمة، فقال: «فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض كبير، فقد انتقض عهده، وحلّ ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة من الصغار والذلة»<sup>(63)</sup>.

وبناء على ذلك فقد انتهى المغيلي إلى أن هذا الحكم يسري على يهود ذلك الزمان، وذكر أن (يهود توات وتيگورارين وتافيالنت ودرعة وكثير من الأوطان بإفريقية وتلمسان، قد حلّت دماؤهم وأموالهم ونساءؤهم، ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الجاهلية)<sup>(64)</sup>.

6 نصوص المذهب المالكي في منع إحداث الكنائس في بلاد الإسلام، ومنها ما نقل عن الإمام مالك في المدونة، وجرى عليه شراحها أمثال الصرصري

<sup>(61)</sup> المصدر نفسه ص 29. 30.

<sup>(62)</sup> المصدر نفسه ص 43.

<sup>(63)</sup> المصدر نفسه ص 43.

<sup>(64)</sup> المصدر نفسه ص 40.

واليزناسني والشوشاوي والطنجي (734هـ)، في أن إحداث الكنائس إنما هو في أرض العنوة لا في أراضي المسلمين، وبشرط أن يكون الإذن في مبتدأ الفتح لا بعده؛ وأراضي توات مختطة للمسلمين، وليست من قبل العنوة في شيء، وبالتالي فإن إحداث الكنائس بها باطل<sup>(65)</sup>.

وقد يستثنى من هذا البطلان ما رجّحته المصلحة كما لو كانت لهم خبرة في البناء والغرس والإحياء، كما حصل من إقرار النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر بالبقاء فيها مع مناصفتهم في غلتها الفلاحية، فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: «أَعْطَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ الْيَهُودَ: أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»<sup>(66)</sup>.

أو كان الغرض تحصيل منفعة اقتصادية، أو توهين جبهة الحرب للعدو، كما فعل المرابطون بنقل نصارى الأندلس إلى العدو المغربية، وافتاهم ابن الحاج بالجواز.

أما يهود توات فلا مصلحة راجحة في إقرارهم (إذ أن مسألة السؤال كان فيها التزام ذلك لهم بالنزول ما جاز ذلك، إذ ليس فيهم مصلحة تغلب على مفسدة إظهار شرائعهم الموجب للثلم في الشريعة الإسلامية والمعرفة على المسلمين)<sup>(67)</sup>.

7 النصوص الفقهية في المذاهب الفقهية الأخرى، فقد عضد التنسي وغيره هذا الرأي بالفتاوى من المذاهب المغايرة كالقنوري من أئمة الحنفية الذي نص في مختصره على أنه: (لا يجوز إحداث بيعة ولا كنيسة في دار الإسلام)، ابن المنذر (ت309هـ) وأبي حامد الغزالي(505هـ) من الشافعية، وابن حزم من الظاهرية (ت456هـ).

<sup>(65)</sup> الوثنريسي، المعيار المعرب (240/2)

<sup>(66)</sup> سبق تخريجه.

<sup>(67)</sup> الوثنريسي، المعيار المعرب (241/2)



وكلامهم يقضي هدم الكنائس والبيع المحدثة في بلاد الإسلام.

ونقل التنسي عدم اختلاف المسلمين في ذلك، وكنائس بلاد توات تدخل في هذا الحكم، وخلص إلى أن المسألة إجماعية، والواجب على كل من له قدرة من المسلمين أن يسعى في هدم الكنيسة المسؤول عنها أي كنائس توات قدر طاقته ويبدل جهده في ذلك ما استطاع، إذ ذلك من أكبر الجهاد<sup>(68)</sup>.

وقد أيد الإمام السنوسي ما قرره التنسي، وكتب إلى المغيلي قائلاً: «إلى الأخ الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها، لاسيما في هذا الوقت...، فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية، والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلهم الله تعالى وأحمد كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين، وأنكم حرضتم أهل "تمنطيطت" على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء.

فاعلم يا أخي إنني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد، وبذل وسعه في تحقيق الحق، وشفي غليل أهل الإيمان في هذه المسألة، ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقانه إلى ما يشير إليه الوهم الشيطاني من مدهانة بعض من تتقى شوكته ويخشى أن يقع على يده أضرار، أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي»<sup>(69)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن صاحب المعيار الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي الذي نقل تفاصيل هذه النازلة، قد تبني رأي القائلين بإزالة بيع اليهود المستحدثة في بلاد توات، وقال في هذا الشأن: (الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامطة

<sup>(68)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (2/238، 245، 246)، المغيلي، مصباح الأرواح ص 39.

<sup>(69)</sup> الونشريسي، المعيار المعرب (2/252.253).

لتلول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال الملتهبة التي لا تنبت زرعا ولا  
ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرر للملاعين اليهود

### الخاتمة.

إنّ هذه النازلة الفقهية المتعلقة بحكم بيع اليهود الذين حلّوا في منطقة  
توات بالصحراء الجزائرية، لاسيما إثر سقوط الأندلس، حيث تعرض  
المسلمون واليهود لأصناف الاضطهاد والتهجير بل الإبادة، وقد أفرز تحقيق  
المناطق في هذه النازلة اتجاهيين متباينين في النظر الفقهي.

أمّا الاتجاه الأول الذي تبناه العصنوني ومن وافقه، فقد توصل إلى منع  
هدم المعابد اليهودية، اعتمادا على أصول الشريعة وقواعدها، واستئناسا  
بنصوص فقهية واجتهادات سابقة في مثل هذه المسألة، وقد رأى أصحاب  
هذا الاتجاه أن يهود توات كانوا ملتزمين بمقتضيات عقد الذمة، ومن ثم  
فلا بد أن تضمن لهم حقوقهم ومن ذلك حرية أداء شعائرهم وعباداتهم، في  
وقت قد بلغ فيه الاضطهاد الديني في أوروبا إلى أشده بعد سقوط الأندلس.

وأمّا الاتجاه الثاني الذي تبناه المغيلي ومن وافقه، فقد رأى أنه التكييف  
الفقهي يقتضي هدم البيع اليهودية في منطقة توات، بالنظر إلى جملة من  
الأدلة الشرعية أيضا، وخصوصا أن أصحاب هذا الاتجاه في توصيفهم  
للواقع تبين لهم أن يهود توات لم يحترموا مقتضيات عهد الذمة، وقد  
لاحظوا ما ظهر من استعلاء اليهود وتعدّيهم، وتمردهم على الأحكام  
الشرعية.

ويبدو أنّ الإمام المغيلي قد أدرك بنظره الفقهي وحسه السياسي أن تلك  
الممارسات المستفزة من يهود توات، يشكل محاولة لبسط نفوذهم في هذه  
المنطقة النائية البعيدة عن السلطة المركزية في تلمسان، مما يمثل خطرا  
مزدوجا في تلك الفترة الحرجة، ففي الوقت الذي لوحظ فيه تمدد اليهود في  
الصحراء بشتى السبل والطرق التي سبق بيانها، فقد كانت السواحل في

الشمال عرضة للهجومات الإسبانية والبرتغالية، وبذلك تصير المنطقة المغاربية بين كماش؛ طرفه الأول هو النصارى المتربصون في الشمال، وطرفه الثاني هم اليهود المتربصون في الجنوب.

يبدو أنّ الدافع الحقيقي للإمام المغيلي في مشروعه هو ما أدركه من محاولة يهودية لسيط نفوذهم في هذه المنطقة النائية البعيدة عن السلطة المركزية في تلمسان، مما يمثل خطرا مزدوجا في تلك الفترة الحرجة، ومن ثم فإن مشروعا هذا ليس مؤسسا فقط على نظرة فقهية بحتة للمسألة، ولكنه كان مشروعا ذا بعد استراتيجي لحماية المنطقة، من حركة كانت تستهدف الاستيلاء على المنطقة كلها.

إنّ تحليل تلك الأحداث وما أعقبها من التفاعل الفقهي والسياسي، قد يظهر لنا أنّ أسلافنا كأمثال الإمام المغيلي وما يحمله من مشروع متعدد الجوانب قد نجحوا فيه إحباط محاولة يهودية للاستيلاء على تلك المنطقة، وهو ما لم يتمكن منه الخلف بعد نحو ثلاثة قرون أمام المكر اليهودي المستمر بمختلف الأشكال في مختلف المناطق، حيث تمدد الوجود اليهودي في فلسطين، حتى جاء وعد بلفور سنة 1917م، وحلت نكبة بفلسطين سنة 1948م، وتبعتها نكسة 1967م. ولله عاقبة الأمور.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المصادر والمراجع

1. ابن أبي زيد، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي (ت386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق د/عبد الفتاح محمد الحلو، ود/محمد حجي، ود/محمد حجي، وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1999م.
2. ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المعروف الغرناطي (741هـ)، القوانين الفقهية، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر.
3. ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني (ت251هـ)، الأموال، تحقيق د/شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط1: 1406هـ - 1986م.
4. ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1418هـ 1997م.
5. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ 1995م.
6. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ 1955م.
7. ابن هلال، أبو إسحاق إبراهيم السجلماسي (ت902هـ)، نوازل باز النوازل، دراسة وتحقيق مجموعة من الرسائل الجامعية، إشراف وتنسيق أ.د/عبد الله الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، ط1: 1437هـ 2016م.
8. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
9. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1: 1422هـ.

10. بيشي، عبد الحليم، يهود توات في كتب النوازل الجزائرية، محاضرة ضمن أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي (فقه النوازل في المذهب المالكي) من تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، وولاية عين الدفلى، 1431هـ 2010م.
11. البيهقي، أبو بكر أحمد بن أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ)، السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3: 1424هـ 2003م.
12. البيهقي، أبو بكر أحمد بن أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ)، دلائل النبوة، تحقيق د/عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، بيروت، لبنان، ط1: 1408هـ 1988م.
13. السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت756هـ)، فتاوى السبكي، دار المعارف.
14. سحنون بن سعيد التنوخي المالكي (ت240هـ)، عن ابن القاسم عن الإمام مالك، المدونة الكبرى، دار صادر بيروت، (د.ت.ط)، وطبعة دار الكتب العلمية، ط1: 1415هـ 1994م.
15. القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت684هـ)، الذخيرة، تحقيق الأستاذ سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1994م.
16. ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية د/محمد حجي، د/محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2: 1983م.
17. المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ANEP، 2010/
18. المغيلي، محمد بن عبد الكريم التلمساني (ت909هـ)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، طبع ضمن «رسالتان في أهل الذمة»، تحقيق أ/عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1421هـ 2001/
19. الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ 1981م.

# اهتمام الخريين بترارث اامغلي: مدارسة ترجمة هونوك لأجوبة اامغلي على أسئلة أسكيا

د. محمد حافظ

محاضر وباحث بشعبة اللغة العربية، قسم اللغات الحديث، جامعة غانا

## ملخص

عالج البحث ترجمة هونوك لرسالة المغلي إلى السلطان أسكيا محمد، مركزا على المنهجية والإستراتيجية التي اعتمدها المترجم، سعيا إلى تحديد مدى نجاح الترجمة في نقل الأفكار والمعاني، وتحديد العقبات الرئيسة التي واجهها المترجم وكيفية تعامله معها، بما في ذلك كيف مكّنه المنهج والإستراتيجيات من الترجمة، وأثر ذلك بصفة عامة على النص المترجم. وعموما، توصل البحث إلى نتائج عديدة، ومن أهمها:

1. إن النسخة التي حققها هونوك واستخدمها كالنص المصدر لترجمته كانت مقروءة وسليمة من الأخطاء إلى درجة كبيرة، وتبرهن ذلك جودة الترجمة في النص المستهدف.

2. قام المترجم بتطبيق المنهج المعتمد بدقة، مما أدى إلى ترجمة قياسية للغاية تُمكن جمهور القراء المستهدفين من فهم المضمون وتذوقه ومقارنته بالمضمون الأصلي.

3. استكمل المترجم المنهج المعتمد بإستراتيجية الإيضاح وتقنياته من إطناب وإضافة المعلومات بين القوسين داخل النص، وحاشية المترجم في معظم الحالات.

4. استطاع هونوك من خلال تقديم ترجمة دقيقة ومفهومة أن يوسع دائرة جمهور القراء لرسالة المغلي، ومن بينهم عدد ضخم من الأكاديمين، ولولا الترجمة، ربما لم يعرفوا شيئا عن الرسالة.

The Interest of the West in the Legacy of Imām al-Maghīlī  
Reading in the Translation of Hunwick in the Answers  
of al-Maghīlī on the Questions of Askiya

**Abstract**

The paper examined John Hunwick's translation of the letter composed by Imām al-Maghīlī for Askiya Mohammed, seeking to uncover the inherent challenges and the approach and strategies used in addressing them. This necessitated a close reading of the source and target text, and a review of the adopted approach. Primarily, the study sought to determine how the approach and the strategies reflected in the quality of the translations, thus, the extent to which the original thoughts had been conveyed to the target audience. In general, the study revealed among others that:

1. The translator had diligently applied the academic translation methodology, resulting in a standard translation that enables the target reader to appreciate the content and to compare it to the original.
2. The translator complemented his methodology with explicitation strategy using elaboration and footnotes techniques in most cases to clarify issues and minimize foreignation.
3. The target-oriented translation Hunwick produced had exposed al-Maghīlī treatise, resulting in wider readership and appreciation by many academics who would not have known about it at all.
4. There appeared to be variations in the quality of translation due to the types and skopos of texts being considered at any given time.

**Keywords:**

Imām al-Maghīlī, Askiya Muhammad, Legal Policy, Treaty

الحمد لله الذي خلق الإنسان بقدرته، واختاره ليكون في الأرض خليفة، وجعل له لسانا يترجم لبني جنسه وجلدته ما يدور من أفكار وتصورات في قلبه وضميره، وما يجيش من خواطر وأخيلة في صدره وداخله، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة إلى الناس كافة، المترجم والمفسر لأي الذكر الحكيم بأقواله وسلوكه، وعلى آله وأصحابه الذين عزروه على أداء الأمانة وإبلاغ الرسالة، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد كان للعلماء العاملين الريانيين في غابر الزمان دور ملموس ومهمة خطيرة في إمرة الدولة وتسيير أمورها ومراعاة الشأن العام فيها، حيث عني بعض أصحاب السلطة بمشاورتهم تارة والرجوع إليهم فيما يقطعونه من أمر الدين والدنيا، وفي التاريخ الإسلامي المجيد صور حية ونماذج فذة تجسد التعاون المنشود بين السلاطين والأمراء لصالح المجتمع، وقد جمع الفياض (ت: 1416هـ) من عيون الأدب العربي الإسلامي ومظاهرها مجموعة من النصائح المؤثرة التي وجهها نخبة من الأئمة الفضلاء في ظروف مختلفة ومواقف متعددة إلى بعض الأمراء والسلاطين في أحقاب متعاقبة. والملفت للنظر أن هذه النصائح منقسمة إلى نوعين رئيسين: قسم يمثل مبادرة شخصية من عالم رباني ينطلق من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقسم بمثابة مناصحة؛ أي: استجابا لما طلبه السلطان من النصيحة في أمر ملمّ أو طارئ ملح تقتضيه الظروف، وذلك امتثالا لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «وإذا استنصحتك فانصح له»<sup>(1)</sup>، وقوله أيضا: «... وأن تناصحوا من ولاد الله أمركم»<sup>(2)</sup>.

ومن أقدم الأمثلة لمبادرة الأئمة في توجيه النصيحة إلى السلاطين ما حرره أبو الحسن الماوردي (ت. 450هـ) في «نصيحة الملوك»، ومنه أيضا ما

(1) رواه أبو هريرة، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم 2162.

(2) رواه أبو هريرة، مؤطأ مالك، كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال، وذو الوجين، رقم 1820.



دونه الإمام أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) في «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي باللغة الفرنسية وترجمه إلى العربية أحد تلاميذه، وكذلك كتاب «الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء» للجذبي (ت: 843هـ) جمع فيه مجموعة من النصائح القيمة للسلطان الطاهر أبي سعيد جقمق وهلم جرا.

ويأتي في طليعة الصنف الثاني ما ألفه القاضي أبو يوسف (ت: 183هـ) في كتاب سماه «الخراج» استجابة لطلب هارون الرشيد (ت: 198هـ) حيث يقول: «إنَّ أمير المؤمنين، أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي، وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته ولصالح المجتمع»<sup>(3)</sup>، وتمثل رسالة العلامة عبد الكريم المغيلي إلى السلطان أسكيا محمد (ت: 934هـ) قامة في هذا الباب، ويبرهن ذلك تصريحه بعد الحمدلة والتصلية المتلازمتين: «أما بعد؛ أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه؛ فإنك قد سألتني عن مسائل: أولها...»<sup>(4)</sup>.

وقد حظيت رسالة المغيلي إلى السلطان أسكيا محمد باهتمام كوكبة من الباحثين العرب والأفارقة والغربيين؛ تحقيقا ودراسة وترجمة. ومن أبرز من عني بدراسة هذه الرسالة وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية الباحث المؤرخ المشهور، جون هونويك في كتابه: «الشريعة في صنغاي: أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير الحاج محمد أسكيا»، وانطلاقا من النظريات الترجمية المعاصرة، تسعى الورقة إلى مدارس ترجمة هونويك لرسالة المغيلي الموجهة إلى السلطان أسكيا محمد؛ للتعرف على صحة نقله للمعارف والأفكار

<sup>(3)</sup> يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف، كتاب الخراج (لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979)، ص 3.

<sup>(4)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي، أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، تحقيق وترجمة جون هونويك (أكسفورد: دار جامعة أكسفورد للنشر، 1985)، ص 2-3.

والوقوف على نقاط القوة والضعف في الترجمة، وعليه تقود الورقة أربعة تساؤلات رئيسية:

1. ما الذي دفع المترجم على اختيار هذه الرسالة للدراسة والتحقيق والترجمة؟

2. ما الأسلوب الذي اعتمده المترجم؟ وما أثر ذلك على النص؟

3. وما الإستراتيجيات الركيزة التي وظفها للتغلب على الصعوبات المرتبطة؟

4. كيف أسهم أسلوب المترجم وإستراتيجياته في نقل مضمون النص من العربية إلى الإنجليزية؟

وقد أدت هذه التساؤلات إلى تنظيم الورقة في ثلاثة مباحث؛ تتصدرها مقدمة وتعقبها خاتمة فيها أبرز النتائج والتوصيات. وهيكّل البحث كما يلي:

المبحث الأول: اختيار المخطوط وتحقيقه للترجمة والدراسة.

المبحث الثاني: أسلوب المترجم وإستراتيجياته وخطواته في الترجمة.

المبحث الثالث: مقارنة النص المترجم ومقارنته بالنص الأصلي، وفيه مطلبان؛

المطلب الأول: تعليق عام على ترجمة مقدمة الرسالة.

المطلب الثاني: مقارنة المسألة الأولى فيمن يلزم تقليدهم من العلماء وما يترتب عليه.

## المبحث الأول: اختيار المخطوط وتحقيقه للترجمة والدراسة.

يعد جون هونويك من الباحثين الذين قاموا بترسيخ أسس البحث الموضوعي عن الإسلام في القارة الإفريقية في الأوساط الأكاديمية الغربية، وهو من المستعربين الذين دعوا وشجعوا المؤرخين على استعمال المخطوطات العربية كمصدر تاريخي رئيسي، وقد اشتهر أكثر بدوره التحريري لسلسلة المصادر العربية في أفريقيا التي أصدرها في أربعة مجلدات، إلا أن إنتاجه العلمي الفردي الدال على قريحته الفكرية وموهبته البحثية هو كتابه الموسوم «الشرعية في صونغاي»؛ عني فيه برسالة المغيلي إلى السلطان أسكيا محمد بالتحقيق والترجمة والدراسة. وقد أشار في المقدمة إلى أنه قضى عشرين عاما ونيفا على العمل؛ قدمها أولا كأطروحة إلى جامعة لندن في 1974م للحصول على درجة الدكتوراه، ثم لزمها وطوّرها؛ كي تخرج في رداء قشيب يليق بالمضمون. ومن التساؤلات التي يمكن طرحها هنا مرة أخرى؛ ما الذي دفع هونويك على اختيار هذه الرسالة للدراسة بالضبط؟ ولماذا قضى هذه الفترة الطويلة عليها؟ ولماذا لم يعتمد ما تم تحقيقه سابقا للترجمة والدراسة؟

والملفت للنظر أن هونويك لم يصرح بدوافع العمل وحوافزه، ولكن يتجلى في ثنايا حديثه الفياض عن المغيلي والظروف المؤدية إلى كتابة الرسالة أن الدافع الأساسي عائد على القيمة الفكرية والتاريخية لهذه الرسالة، ولا شك في أنه كان متيقنا أن تجشمه العناء والتجهد والاستمرار على العمل قد يقوده إلى نص محقق يفوق ما سبقه، فيعتمدها للترجمة والدراسة.

ويلزم القول إنّ عمل هونويك يمتاز عن سابقه في كونه دراسة وتحقيقا وترجمة، وقد عني بإيفاء حق كل منها، فلم يدّخر جهدا في وصف المخطوطات الخمسة التي حشدها من ثلاثة مراكز مرموقة. أما المخطوطان الأول والثاني فكلاهما محفوظ في مستودع المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء، إفان (IFAN) بجامعة دكار في السنغال.

والمخطوط الأول مرقم ب 23 يحوى ثلاثا وعشرين ورقة بمقياس 21×16 سم، في كل صفحة سبعة عشر سطرا، والورقة لونها بني وملطخة جدا، ولا سيما في منطقة الاستطلاع السفلية اليمنى من كل ورقة لدرجة أن كثيرا من نصها غير مقروء. ونظرا لقدم العمر وأثر الرطوبة، غالبا ما يعكس المكتوب من جانب الصفحة في الجانب الآخر، مما يزيد من معاناة في القراءة. وخط المخطوط أشبه بالخط المغربي مع قلة الزخارف، إلا أن شكل الكاف (ك) يميل إلى الخط الكوفي<sup>(5)</sup>. وحسبما ورد في بيانات النسخ (colophon) قام بنسخ المخطوط أبو العباس القائد أحمد بن كبارا- الفرما؛ عبد الرحمن بن علي بن المبارك الدرعي في يوم الاثنين 28 من جمادى الأول 1127 هـ الموافق ب 1 يوليو، 1715م، وهو من النخبة الحاكمة في تمبكتو حينذاك<sup>(6)</sup>. ولغة المخطوط ذاته سليمة إلى حد ما؛ إلا أنها لا تخلو من سقطات متعددة وعدد من الأخطاء النسخية. ولكونه أقدم نسخة، رمز هونويك له ب (أ) وفق التسلسل التاريخي.

والمخطوط الثاني في مستودع إفان (IFAN) مرقم ب 22 يتضمن أربع عشرة ورقة بمقياس 21×16 سم، وفي كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا، وأوراقه ملطخة بالرطوبة في الزاوية العلوية اليسرى من جميع الأنحاء، وهناك تلوخ أكثر عمقا على النصف العلوي بأكمله من أول ورقتين، ولكن الكلمات التي لا يمكن قراءتها ضئيلة جدا نسبيا. ويمكن وصف نوع خط المخطوط بالخط الأندلسي كما صنفه بنفار<sup>(7)</sup>، بل هو أشبه بما سماه بنفار أيضا بخط الجهاديين؛ لكونه أكثر كثافة وتماسكا من خط النسخة (أ). وقد تم نسخ المخطوط في اليوم الخامس من شوال 1222 هـ الموافق ب 25 يونيو

<sup>(5)</sup> جون هونويك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 50

<sup>(6)</sup> A.D.H. Bivar, "Arabic Calligraphy of West Africa", African Language Review, 6 (London: Routledge, 1968), p. 9.

<sup>(7)</sup> Bivar, "Arabic Calligraphy of West Africa" p. 12

1822م، ولكن لم يرد في بيانات النسخ اسم الناسخ ولا مكان النسخ. وعموماً ينسجم نص هذه النسخة مع نص النسخة (أ)، إلا أن وضع الأخيرة لا يسمح بإجراء مقارنة دقيقة شاملة، ولكن نسبة الأخطاء والسقطات في النسخة المكتوبة في 1822م ضئيلة جداً، ومن المحتمل أن يكون كلا المخطوطين تم نسخهما من نفس الأصل، أو على الأقل من نسخ تنتمي إلى أصل واحد. وقد استعمل هونويك حرف (ب) رمزاً لهذه المخطوطة.

والنسختان الثالثة والرابعة كلتاهما مودعتان في المكتبة الوطنية بباريس، وهما تشكلان جزءاً من المخطوطات المركمة عنونها "المخطوطات العربية، رقم 5259. والنسخة الثالثة تتضمن ثماني عشرة ورقة، تبدأ من الصفحة 47 إلى 64. وهي خالية تماماً من بيانات النسخ، ومن المرجح أنها نسخت في مؤخر القرن التاسع الهجري، ربما هي نسخة مصممة خصيصاً لدبويس (Dubois)، حيث إن ورقتها تتميز عن سابقتها؛ لم تتأثر بالرطوبة أو الشيخوخة، وعلاوة، لها خطوط عريضة على شاكلة الدفاتر المستخدمة في أوروبا، أو دفتر النسخ كما يطلق عليه. وخطها واضح ومقروء، ولكنه يميل ميلاً إلى الأمام، ويمكن وصفها بالنوع الأفريقي لخط المخطوط (أ). وفي الأوراق المسبقة من النسخة بشكل خاص، يوجد نوع ما من الاستنزاف لخصائص الخط الكوفي [على سبيل المثال شكل الكاف (ك)، والراء (ر)، والشين (ش) المزينتان]، ولكن هذه الخصائص تتمظهر أكثر في الأوراق اللاحقة جنباً بجنب مع الزخارف الواضحة على الشين والسين واللام. والنسخة فيها نسبة كبيرة من السقطات والأخطاء، كما بها إضافات لا توجد في النسختين (أ) و(ب). وقد رُمز لها ب(ج).

والنسخة الرابعة نسخة ناقصة تتوفر في المخطوط المتراكم رقم 5259 المشار إليه آنفاً، وهي مكونة من ثلاث أوراق تبدأ من الصفحة 39 إلى 44؛ ويبدأ المخطوط من بداية النص وينتهي في ثنايا معالجة المسألة الثانية. وفيما يبدو أنه تم نسخه بخطين مختلفين متقاربين؛ لأن الخط المستخدم

من 40 إلى 42، على الرغم من التشابه الشديد بما يسبقه، فإنه يتميز بزخارفه المتكلفة كالمعهد من الخط المغربي، وكذلك الكاف المشبه بالكاف الكوفي، ويتم تعيين هذه النسخة ب (د).

والنسخة الأخيرة مودعة في المكتبة الوطنية بالجزائر برقم مؤقت ك. 37ج، وهي من المخطوطات التي اكتنفها ابن حمودة الجزائري من تمبكتو وحملها إلى الجزائر، وكان قد أمضى الفترة من 1911 إلى 2020 كمدرس في المدرسة التي أسسها الفرنسيون وقتئذ. وبعد وفاته في عام 1966م قدّم ابنه المجموعة للمكتبة الوطنية الجزائرية، وهي تتألف من إحدى عشرة ورقة من سبعة وعشرين سطراً في كل صفحة، وقد تم نسخها في تاريخ غير محدد من قبل ناسخ يدعى العربي بن محمد بن العربي الفلاحي، ولا يخفي من نسبته أنه من أصول مغربية. وعموماً، ينسجم نص هذه النسخة بالنسختين؛ (ج) و(د) ولكنها محشوة بإضافات توضيحية، وقد تم تعيينها بالرمز (ت).

وكان من المتوقع أن يعتمد هونوك النسخة (أ) للتحقيق والترجمة والدراسة؛ فهي أقدم نسخة وأقرب إلى تاريخ كتابة الرسالة، ثم إنها نسخت في تمبكتو- مكان قريب لا ينفصل عن الموقع الجغرافي الذي تم فيه إعداد الرسالة، ولكن وضع النسخة (أ) حال بينه وبين اتخاذه نصاً أساسياً للتحقيق كما أشار، فكان مضطراً إلى أن يلجأ إلى النسخة اللاحقة (ب) فاعتمدها ولزمها مع مراعاة ما يلي:<sup>(8)</sup>

1. كل متغيرات النسخة - إن أمكن قراءتها وكل سقطاتها إن تمكن إدراكها ومعرفتها - يثبت في الحاشية.

2. يتم الرجوع إلى النسخ؛ (ج) و(د) أو(ت) فقط إذا كان نصها أوضح من النص (أ) أو (ب)، أو إذا توفر فيها ما يمكن به سد ثغرات النص (أ) أو (ب). وفي الحالة الأخيرة يتم سرد النصوص أو الثغرات المسددة في الحاشية.

<sup>(8)</sup> جون هونوك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 51

3. لا يتم تدوين متغيرات أو بدائل النسخ (ج، د، وت) في الحواشي إلا إذا كانت توفر قراءة بديلة حقًا أو إضافة قد يكون من المفترض أن تكون موجودة في النص الأصلي.

4. لم نلزم أنفسنا بإثقال الحواشي بذكر جميع الأخطاء والسقطات في النسخ التي تم جمعها.

5. النسخ الخمس كلها خالية من الفقرات والتشكيل، إلا ما ورد عفو خاطر في النص (أ) أو النص (ب)، فكان لزاما توزيع النص المحقق في فقرات متعددة فضلا عن تشكيله، بغية تمكين القارئ من متابعة النص بسهولة وقراءته بشكل لا لبس فيه.

وبهذه الضوابط والمعايير استطاع هونويك أن يحقق المخطوط ويتوصل إلى نص صالح للدراسة والترجمة، وكما جعل نصب عينيه شروطا أحكم بها التحقيق، كذلك اعتمد أسلوبا وإستراتيجيات تعينه على ترجمة المخطوط. وسوف يقدم المبحث الثاني التفاصيل عن ذلك.

المبحث الثاني: أسلوب المترجم وإستراتيجاته وخطواته في الترجمة.

إنّ ترجمة النصوص العلمية أو الأدبية من أصعب الأنشطة الأكاديمية؛ فهي ليست مجرد السعي الحثيث وراء الألفاظ والمعاني في لغة لنقلها إلى لغة أخرى فحسب، بل تشمل التفكير والمقارنة والترجيح بين خيارات لسانية وفكرية وثقافية متعددة، فالترجمة مهمة شاقة مضنية تتطلب بذل الجهد والطاقة والتضحية بالوقت والراحة، ومع ذلك كله فقلما يكسب النص المترجم أو المترجم له ما يستحقه من التقدير<sup>(9)</sup>. وعلى كل حال، يجدر لمن يعزم على القيام بترجمة أي نص معتدل الطول التأكد من

<sup>(9)</sup> وقد وضّح فينوتي هذه الظاهرة مشيرا إلى أنه كلما كان النص المستهدف واضحا وسليما كلما ازداد القارئ إعجابا بالكاتب الأصلي دون المترجم، ينظر: Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility: The History of Translation* (London: Routledge, 1995), p. 9-10.

قيمه وأمس الحاجة إليه قبل الشروع، كما يستحسن ذلك في التحقيق أيضا. ومن المسلم به أن المترجم مهما أوتي من قوة الذوق والأداء في اللغة الأصل واللغة الهدف معا، فالغالب على النص المترجم أن يقل نسبة الإنجاز عن المائة؛ لأنه من الصعب جدا وربما شبه مستحيل ترجمة بعض جوانب النص الأصل، مع أنه أحيانا قد يفوق بعض جوانب النص المستهدف النص المصدر جودة الصياغة وعمق المعنى. وعليه قبل الخوض في الحديث عن أسلوب المترجم في هذا المبحث، سوف يتم تقديم فكرة عامة عن ظاهرة الخسارة والربح في الترجمة بشكل عريض.

وتشكل الترجمة جسر التواصل بين الأشخاص المتحدثين بلغات متباينة والمنتمين إلى ثقافات مختلفة، وترجمة النص أو القطعة من لغة إلى أخرى في أبسط شكلها مبنية على نظرية التكافؤ أو التماثل التي طوّرت على يد عدد من المنظرين كفييني وداربلنبي (Vinay and Darbelnet)، وبيكار (Baker) وبيم (Pym)، بغض النظر عن بعض المعارضين كجنتزلا (Gentzler) وسنيل هورنبي (Snell-Hornby) اللذين يرفضان اعتماد مفهوم التكافؤ لوصف العلاقة القائمة بين النص الأصل والنص الهدف؛ لما يتعلق بالمفهوم نفسه من لبس وغموض من زاوية واضطراب بين أنواعه ومستوياته لدى المنظرين المؤيدين من زاوية أخرى. وأيا كانت نوعية العلاقة الجارية بين نصين، فإن الممارسين والمحترفين متفقون على أنه لا يوجد تكافؤ أو تماثل لغوي تام على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي بين لغتين مختلفتين ولو كانتا من فصيلة واحدة، وأن العملية الترجمية ليست إلا محاولة جادة لتقريب المعنى بين لغتين أو نصين؛ يستخدم المترجم من خلالها أساليب وإستراتيجيات شتى، بل يرى بيقار (Baker) أن التكافؤ ذاته أسلوب من أساليب تقريب المعنى بين نصين، وأنه أكثر ملاءمة من غيره بالرغم من أنه يفتقر إلى إطار نظري جلي.<sup>(10)</sup>

<sup>(10)</sup> Mona Baker, In other words: A coursebook on Translation (London and New York: Routledge, 1992), p. 11.



وعادة ما يرجع التفاوت الملموس بين نصين بعد عملية الترجمة إلى الأساليب والخطوات التي استوظفها المترجم في تقريب المعنى، فإذا لُوْحظ قصور معنوي في النص الهدف يعد ذلك انتقاصاً أو خسارة (loss)، وإذا تميز النص الهدف بوضوح أكثر من النص الأصل، فذلك يعد كسباً أو ربحاً، ثم المحالات التي يقوم بها المترجم للبحث عن بدائل عند عدم توفر التكافؤ اللغوي والثقافي في النص الهدف لتقليل خسارة أو ربح ما يسمى تعويضاً (compensation). وهذه المبادئ الثلاثة المرتبطة رهن ترجمة النصوص على مختلف أنواعها، كما يوضح نيدا (Nida) قائلاً: <sup>(11)</sup> «وجميع أنواع الترجمة عرضة لثلاث حالات؛ 1. فقدان أو نقصان المعنى 2. كسب أو زيادة المعنى أو 3. تحريف المعنى»، ويشير باسنيت-ماكغواير (Basnett-McGuire) إلى هذه الظاهرة أيضاً: <sup>(12)</sup> إذا تم القبول بالمبدأ الشائع بأنه يستحيل التطابق التام بين لغتين، فإن ذلك يقتضي توقع خسارة أو كسب ما أثناء القيام بالترجمة، وكذلك تطرق إليه ر.ت. بيل (R.T. Bell) بقوله: عادة ما يُخسر شيئاً في عملية الترجمة، وقد يُكسب شيئاً أحياناً. <sup>(13)</sup> ومضيباسنيت-ماكغواير مفسراً بأن الكسب أو الربح يكون من خلال توضيح نص لغة المصدر، وأن ما يعد خسارة أو ضياع أو من لغة الأصل يمكن استبداله أو تعويضه بطريقة أو أخرى في اللغة الهدف. <sup>(14)</sup> ويرى ساليس (Sallis) أن الربح المكتسب يأتي نتيجة إضافة إلى النص المستهدف مادة لغوية أو ثقافية غير متوفرة في النص المصدر، أو التعبير عن المعنى بدرجة أكثر وضوحاً بالمقارنة إلى الأصل. <sup>(15)</sup>

<sup>(11)</sup> E. Nida, *Language Structure and Translation* (California: Stanford University Press, 1975), p. 27

<sup>(12)</sup> S. Basnett-McGuire, *Translation Studies* (New York: Methuen & Co. Ltd, 1991), p. 30.

<sup>(13)</sup> R.T. Bell, *Translation and Translating: Theory and Practice* (London: Longman, 1991), p. 27.

<sup>(14)</sup> Basnett-McGuire, *Translation Studies*, p. 30.

<sup>(15)</sup> J. Sallis, *On Translation*, (Bloomington: Indiana University Press, 2002), p. 89.

وفي ضوء ما تقدم فإنه يلزم المترجم تحديد منهج أو أسلوب معين يتضمن إستراتيجيات وخطوات تعين في سد الثغرات الترجمية وتؤدي إلى ترجمة عالية الجودة وموفية بالغرض، وجدير بنا في هذه المناسبة استعراض ومدارسة الأسلوب والإستراتيجيات التي استعان بها المترجم في نقل رسالة المغيلي إلى اللغة الإنجليزية.

إن دور المترجم في عملية الترجمة له أهمية بالغة؛ فهو بمثابة مُفاوضٍ - وفق نظرية إيكو (Eco) - يبذل قصارى جهده ليسوي بين مقتضيات لغة الأصل ولغة الهدف وبين ثقافتيهما المختلفة وبين وظيفة النص الأصل والنص الهدف وما يتعلق بهما، ولا بد له أن يعتبر هذه الأبعاد في اختيار الأسلوب والإستراتيجيات.<sup>(16)</sup> ويصرُّ فيرمير (Vermeer) على أن الغرض من الترجمة هو المعيار الرئيس لتحديد الأساليب والإستراتيجيات الناجحة لإخراج نص تتحقق به الوظيفة المنشودة، وينبغي للمترجم الخبير أن لا يتغافل وظيفة النص الأصل الذي كتبه صاحبه في فترة معينة لفئة معينة، كما يلزمه أن يراعي في الوقت نفسه وظيفة النص الهدف والمستهدفين به، ولا سيما إذا كان ثمة مفارقة كبيرة في وظيفة النص الأصل والنص الهدف وفي تنظيم المضمون لكل منهما.<sup>(17)</sup> وبوعي تام لهذه الظواهر المعقدة، يستطيع المترجم أن يتفاوض بين النص المصدر والنص المستهدف ويفي بالغرض، وبه يقرر إلى أي مدى يتمسك بالنص المصدر أو ينأى عنه.

ولا يخفي لمن ينعم النظر في الأسلوب الذي استعمله هونويك أنه كان ملما بالمسائل الفنية المتعلقة بعملية الترجمة، وقد أنزلها على أرض الواقع قدر الطاقة، فقدم وصفا عاما لأسلوبه:

---

<sup>(16)</sup> U. Eco, Mouse, or Rat? Translation as Negotiation (G.B: Phoenix, 2003)

<sup>(17)</sup> H.J. Vermeer, Skopos and Commission in Translational Action (Helsinki: Oy Finn Lectura Ab, 1989), p. 192.

تم بذل جميع المحاولات لإنتاج ترجمة وفية للأصل وممتعة من الناحية الأسلوبية ومنسجما مع طبيعة المادة المترجمة. ونادرا ما تسمح الكتابة القانونية بصنع الجماليات والأناقة، وأسلوب المغيلي رسمي ومقتضب بشكل عام، ويميل أحيانا إلى الغموض، وعليه تم إثثار الوضوح والإبانة على الجمال والأناقة كلما تعذر الجمع بينهما، وربما أسلوب اللغة الإنجليزية المرهقة قد يعجز أحيانا عن نقل المجازات العربية بشكل تام، إلا أن ذلك أحيانا يوحى بإشكاليات ما في أسلوب المغيلي، وبغية عدم التضحية بالدقة وسهولة القراءة، كان من الضروري أحيانا اللجوء إلى استخدام الأقواس المعقوفة [ ]؛ لتوضيح كلمات أو تعبيرات تجسد المعنى وتوضحه، وهذا ينطبق بشكل خاص على مصطلحات قانونية، كما تم استخدام الأقواس المنحنية ()؛ للإشارة إلى مواد إضافية معتمدة من نص آخر غير النص (ب).<sup>(18)</sup>

ويبدو أنّ المترجم وظّف الأسلوب العلمي أو الأكاديمي كما يعرف أحيانا، مع أن المترجم لم يصرح بذلك. والأسلوب العلمي أسلوب متوازن يجمع بين سمات التكافؤ الرسمي والتكافؤ الديناميكي، وهما من أنواع التكافؤات التي يتطرق إليها نيدا (Nida)،<sup>(19)</sup> ومع أن نيدا يفضل التكافؤ الديناميكي زعما أن ذلك قد يقرب المعنى المراد من النص الأصل أكثر من التكافؤ الرسمي،

---

<sup>(18)</sup> جون هونويك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 53.  
<sup>(19)</sup> E. A. Nida, *Towards a Science of Translating: With Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating* (Leiden: Brill, 1964) p. 165-6.

والصحيح أن مدار الترجيح بينهما يرجع إلى طبيعة النص ووظيفته والهدف من الترجمة، ولكن المشهور لدى الممارسين أن التكافؤ الرسمي ينتج ترجمة حرفية والتكافؤ الديناميكي يصدر ترجمة حرة، ولكل منهما مزاياه ومآخذه، وعلى سبيل المثال يرى ليونادي (Leonardi) أن التكافؤ الرسمي أنجح أسلوب لترجمة النصوص الدينية كالإنجيل والقرآن الكريم لقداستها،<sup>(20)</sup> والجمع بين التكافؤ الرسمي والتكافؤ الديناميكي يؤدي إلى الترجمة الأكاديمية أو العلمية، التي يقام بها أساسا لإتاحة الأبحاث العلمية القيمة لجمهور أوسع، داخل الحقل الأكاديمي وخارجه، وهي مهمة تتطلب بُعد الروية وإدراكاً عميقاً للنص المصدر في سياقه الأدبي والثقافي. وهو نوع من الترجمة أو الأسلوب الذي يهدف إلى نقل مضمون النص الأصل وإحداث تأثير على الجمهور المستهدف مشابه للتأثير المنشود من الجمهور الأصل، وذلك يقتضي إبقاء غرابة النص الأصل في النص الهدف؛ لكي تظل العلاقة قائمة بينهما بطريقة لا تضحى بالمعنى عند جمهور القراء المستهدفين<sup>(21)</sup>.

وهذا الذي عناه هونويك بقوله: «إنتاج ترجمة وفية للأصل وممتعة من الناحية الأسلوبية»، ويقصد ب(وممتعة من الناحية الأسلوبية)؛ أي مقروءة ومجذبة لأذهان الجمهور المستهدفين، وقوله: «وعليه تم إثارة الوضوح والإبانة على الجمال والأناقة كلما تعذر الجمع بينهما» يشير إلى ضرورة التأكد من فصاحة لغة النص المترجم أيضا. ومن مزايا الترجمة العلمية أنها تخدم النص الأصل فتكسيها شهرة لدى الناطقين بلغة متغايرة عن لغة النص الأصل، كما تخدم القارئ المستهدف؛ تسهل القراءة وتعزز الفهم والاستيعاب، وتسمح بالمقارنة والمقابلة لمن يتقن اللغتين وثقافتهما على

---

<sup>(20)</sup> V. Leonardi. "Equivalence in Translation: Between Myth and Reality" Translation Journal, 4(4):2000.

<sup>(21)</sup> K. Reiss, Translation Criticism-the Potentials & Limitations: Categories and Criteria for Translation Quality Assessment. (Manchester: St. Jerome Publishing, 2000)E. F. Rhodes, Trans. (Original work published 1971)

مستوى الكلمة والصرف والتعبير والدلالة ثم إن هونويك يدرك جيدا أن مجرد اتخاذ هذا المنهج العلمي وحده قد لا يضمن له تحقيق الغرض، فواكبه وأيده بالإستراتيجيات والخطوات اللازمة؛ سعيا إلى تذليل الصعوبات المرتبطة، ومن الخطوات التي ذكرها إحداث الفقرات في النص الهدف، مع أن النص الأصل يخلو منها تماما، يقول:<sup>(22)</sup>

وعلى غرار معظم المخطوطات العربية، لم يوزع مضمون المخطوط المعتمد في فقرات؛ بل حتى الأسئلة التي أجاب عنها المغيلي لم تفصل بمسافات إضافية، مما جعل بعضها يدخل في بعض، فكلفت نفسي بتوزيعه في فقرات كما قمت بتشكيل النص في المخطوط المحقق... ويلاحظ أن فقرات الترجمة غير منسجمة مع فقرات المخطوط المحقق؛ لأن فقرات التوقف الطبيعية تحدث على فقرات أطول في اللغة العربية. ومع ذلك، لمساعدة القارئ الذي يرغب في مقارنة النص المحقق بالنص المترجم، تم وضع علامة على فقرات كليهما.

ولم يجد هونويك الجدوى من تحديد الإستراتيجيات الإضافية المتعددة التي استعملها كالتكييف والتطبيع والتدجين والتبسيط والحذف وإعادة الصياغة وغيرها بشكل دقيق، فكان يعتبرها خطوات لازمة لبلوغ المرام وتحقيق الغاية، إلا أن إستراتيجية الإيضاح بالضبط شكلت ركنا أساسا في أسلوبه، فاضطر إلى أن يذكرها مقتضبا في سياق حديثه العام عن الأسلوب. وقد تعددت مسميات إستراتيجية الإيضاح (explicitation) عند المختصين بالإنجليزية كالإضافة (addition) والتأويل (interpretation) والتوضيح (elaboration) وكلها منصبة إلى نفس العملية؛ الإضافة إلى النص

<sup>(22)</sup> جون هونويك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 53.

الأصل معلومة لم يصرح بها في النص الهدف ولكن يمكن استنباطها من السياق<sup>(23)</sup>. وهو أربعة أنواع على تقسيم كلاودي (Klaudy, 2008):<sup>(24)</sup>

1. الإيضاح الإلزامي: ناتج عن الاختلافات التركيبية والدلالية بين اللغة الأصل واللغة الهدف، بحيث يُجبر المترجم بإضافة معلومة توضيحية لنقطة ضمنية في النص الأصل، وسي إلزاماً؛ لأن اللغة الهدف لا تستقيم بدونها.

2. الإيضاح الاختياري؛ صادر عن جراء التباين في إستراتيجيات بناء النصوص في اللغتين؛ أي: قوانين الوضع التي تحكم الصياغة في اللغتين، وسي اختياريًا؛ لأن النص الهدف يمكن أن يستقيم بدونها، إلا أنه قد لا يبدو طبيعياً.

3. الإيضاح البراغماتي: ينشأ من تباين الثقافات بين اللغتين، بحيث يكون المترجم مضطراً إلى إضافة معلومات إلى النص الهدف لتوضيح عنصر ثقافي في النص الأصل كالملايس والطقوس والأعياد وغيرها.

4. الإيضاح الملازم لعملية الترجمة: عائد إلى قيود تفرضه عملية الترجمة في حد ذاتها، أو أساليب خاصة يستعملها المترجم للتغلب على صعوبات الترجمة، وقد صنفت دميتروفا (Dimitrova) الحالة الثانية فيما أطلقت عليه الإيضاح الإستراتيجي.<sup>(25)</sup>

---

<sup>(23)</sup> Vinay, J.P. and J. Darbelnet. *Stylistique Comparée du Francais et de l'Anglais: Méthode de Traduction*. Paris: Didier. (Transl. and ed. by Sager, J.C. and Hamel, M.J. (1995) as *Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

<sup>(24)</sup> Klaudy, K. "Explication", In Mona Baker (ed.), *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*(London: Routledge, 1998) p. 80–85.

<sup>(25)</sup> E. B. Dimitrova, "Combining Product and Process Analysis: Explication as a Case in Point", *Bulletin suisse de linguistique appliquée*, 81:(2005a): 25–39.

وتتجلى هذه الإيضاحات في ترجمة هونويك لرسالة المغيلي، وكذلك استعان المترجم بأهم مصنفات تقنيات الإيضاح أيضا كالتميم والإكثار والتفسير والتدوين والتوسيع والتفصيل وإعادة البناء والإبدال وحاشية المترجم. وسوف يتم التطرق إلى أثر بعض هذه التقنيات على الترجمة في المبحث الثالث، ولكن قبل ذلك، لا بد من التنبيه إلى أن حاشية المترجم من التقنيات الرئيسة التي وظفها هونويك لإضفاء مزيد من المعلومات التي يعتبرها ضرورية في تذوق رسالة العلامة المغيلي، وقد أقر بذلك: "تم استخدام الحواشي في الترجمة الإنجليزية بشكل أساسي لشرح المصطلحات العلمية في التوحيد والفقه أو لتوفير مراجع مزودة بمعلومات تفتح الآفاق للنقاش والمقارنة"<sup>(26)</sup>.

### المبحث الثالث: مدارس النص المترجم ومقارنته بالنص الأصل.

تناول المبحث الثاني أسلوب المترجم وإستراتيجياته، وكلها مجرد وسائل ومسالك سلكها المترجم كي يقدم لجمهور القراء المستهدفين نصا واضحا مقبولا، ينقل من خلاله أفكارًا قيمة ومعاني نبيلة من لغة الأصل إلى لغة الهدف، وتساؤلات تلزم إثارتها مرة أخرى؛ إلى أي مدى وفق هونويك في نقل الأفكار والمعاني المتوفرة في رسالة المغيلي إلى القارئ الإنجليزي؟ وكيف ساعده الأسلوب المعتمد والإستراتيجية ذات الصلة؟ وما أثر ذلك في النص المترجم؟

يرنو هذا المبحث إلى الإجابة عن هذه التساؤلات في مطلبين، حيث تتم مدارس ترجمة المقدمة في المطلب الأول، ومدارسه مضمون المسألة الأولى في المطلب الثاني، وقد تم اختيار المسألة الأولى والاكتفاء بها؛ لضيق المجال أولا، وثانيا؛ لتباين نصوصها؛ الوقائع التاريخية، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر العربي، والقواعد الفقهية الكلية، والأحكام

جون هونويك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 52<sup>(26)</sup>

الشرعية وما شابهها، وثالثا: لأن مضمون المسألة الأولى يعكس بعضنصوص بقية المسائل، ولا تخفيالقضايا المشتركة التي تم تكرارها في المسائل السبع كما ذكر هونويك<sup>(27)</sup>. والأمل أن تسمح مدارس المسألة الأولى بإصدار أحكام عامة عن قيمة الترجمة في خاتمة الورقة.

### المطلب الأول: تعليق عام على ترجمة مقدمة الرسالة:

للمقدمة دور مهم في تمهيد ما يعقبها من حديث، وقد جاءت مقدمة رسالة المغيلي بالعربية وجيزة للغاية في تسعة سطور، بينما ترجمت في خمسة عشرسطرا فضلا عن عدة حواشي توضيحية، وذلك يدل على أن هونويك أدرج معلومات إضافية ليتمكن من نقل المضمون نقلا دقيقا، وقد كان موفقا؛ فقلما يفوت القارئ الإنجليزي معنى أساسي من المقدمة، ومما أعانه على ذلك مبادرات جريئة وإبداعات فائقة قام بها في بعض المواطنين. ومن أهمها ترجمة ﴿والعاقبة للمتقين﴾ حيث أدرج الحسنى (happy) في وصف العاقبة، وهو من قبيل الإيضاح الاختياري؛ لأن المعنى يستقيم بدونه، إلا أن الترجمة لا تبدو طبيعيا للقارئ الإنجليزي، لأن كلمة (outcome) التي استعملها هونويك ل(العاقبة) تعنى نتيجة أو نهاية، وعادة ما توصف بالحسنة أو السيئة، وأحيانا بالإيجابية أو السلبية في الإنجليزية، ومنها أيضا عنايته الشديدة بترجمة صيغة اسم التفضيل في قول المغيلي (الأتمان)، وكان يكفيه أن يترجمه بإضافة ضمير عائد إلى لفظ الجلالة في (الحمد لله رب العالمين)، فيقول: (May His complete blessing...)، فالإضافة تفي بالغرض المقصود من اسم التفضيل، إلا أن تقنية هونويك أوفر حظا من حيث نقل المعنى الأصلي بالرغم من أنه يؤدي إلى ترجمة حرقية.

<sup>(27)</sup> جون هونويك، ترجمة أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا، ص. 96.



ومنها تكرار ترجمة (رب العالمين) ب (Master of Lords of the Worlds) مرتين بالصيغة ذاتها من غير أن يلجأ إلى التنوع في الأسلوب كالعادة، فإن ذلك قد منح الترجمة الموثوقية والرسمية، ومنه إصراره على ترجمة دعوة المغيلي في ذيل المقدمة للسلطان أسكيا بالتوفيق والنصر والفتح: "وفقه الله ونصره نصرًا عزيزًا وفتح له فتحًا مبينًا" ترجمة كاملة دقيقة، وكان بوسعه أن يحذف طرفًا من هذا الدعاء أو يجمع بينها بفعل واحد فقط؛ فإن المعهود في التركيب الإنجليزي تحاشي التكرار بشتى أنواعها إلا في حالات استثنائية جدًا<sup>(28)</sup>، ولكن المترجم كان يعتقد أن لكل دعوة دعا بها المغيلي للسلطان أسكيا مغزى تاريخيا واقعيًا لا بد منه، فراح يعكسها في النص المستهدف بارعا مبدعا، بطريقة لا يشعر القارئ بالملل الناتج من التكرار؛ كان أسكيا في أمس الحاجة إلى التوفيق في سعيه لمراعاة حقوق الرعية، كما يحتاج النصر على الأعداء لاستقرار السلطة، ويبغي الفتح المبين في معاركه وغزواته. المطلب الثاني: مدارس المسألة الأولى فيمن يلزم تقليدهم من العلماء وما يترتب عليه:

تمت ترجمة السؤال المتعلق بمن يلزم للحاكم أن يستنصحهم من العلماء ويتقلد بهم، والإجابة عنها بطريق مباشر ومفهوم، وذلك يرجع إلى نوع النص المصدر ووظيفته؛ فالنص المصدر بطبيعته يتضمن تعبيرات إخبارية عن الأشخاص والأحداث والوقائع مع سوق الدلائل، إلا في حالات ضئيلة، وثمة في عملية الترجمة قضايا معجمية وتركيبية ودلالية وفنية تلفت النظر وتستدعي التأمل والتدقيق.

---

<sup>(28)</sup> Ibrahim Najjar, "Repetition' in Arabic-English Translation: The case of Adrift on the Nile", International Journal of Foreign Language Teaching & Research. 3(2015), p 24-34.

وانطلاقاً من المستوى المعجمي، قام هونوك بترجمة كلمة (مسائل) في قول المغيلي: "فإنك سألتني عن مسائل" بـ "problems" أي: مشاكل أو إشكالية؛ استناداً إلى خلفية تاريخية عالجهما بالدقة في التمهيد والتعقيب، فلم يجد ضرورة توضيح ذلك في الحاشية كعادته، ولو عدل عنها بـ (issues) ربما كان أنسب للمقام، فإنه يشمل القضايا التي ناقشها المغيلي وإن لم تكن في أصلها مشاكل. وأيضاً استعمل المغيلي كلمة (القراء) في السؤال والجواب في الوقت نفسه، يقصد بها العلماء كما ترجمها هونوك بالضبط، ولكنكلف نفسه بتوضيحها في الحاشية، مشيراً إلى أنها في الأصل تطلق على قراء القرآن، ثم استعملت مجازاً؛ انطلاقاً من قولهم: قرأ فلان على فلان؛ أي: تتلمذ على يديه.

وبخصوص المستوى التركيبي شرع هونوك بترجمة السؤال الأول بصيغة الرواية كما جاء في النص المصدر، حتى إن القارئ يلمس أثر أسلوب النص المصدر في النص المستهدف، ولعل ذلك يعود إلى الرغبة الشديدة من أن يخرج نصاً يشبه الأصل إلى مدى بعيد، فتجده يكوّن جملاً طوالاً متداخلة على شاكلة الجمل العربية، مع أن الجمل القصار هي المفضلة في سرد الحقائق والوقائع في الإنجليزية، فعلى سبيل المثال إذا قُورن بين النص المصدر والنص المستهدف في المقطع التالي:

#### النص الأصل:

ومن صفتهم أنهم عجم لا يفقهون من كلام العربية إلا قليلاً من كلام عرب بلادهم على تصحيف وتحريف وعجمة عظيمة، بحيث لا يعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف...

#### النص الهدف:

One of their characteristics is that they are non-Arabs, understanding nothing of the Arabic language save a

little of the speech of the Arabs of their land, in so distorted, corrupted, and barbarous a fashion that they do not understand the arguments of the scholars nor yet are they aware of the distortion and corruption.

فيلحظ أن النص الهدف ينسجم انسجاما مع النص الأصل من حيث الصياغة والمضمون؛ وذلك لأن المترجم استهدف التكافؤ الرسمي، وفي النص الهدف غرابة ما أحدثت شبه غموض غير متوفر في النص الأصل؛ لأن هونويك استفتح الجملة التفسيرية بعد (عجم)، ب (understanding) اسم المصدر (gerund)، وكان الأليق أن يضع فاصلة منقوطة بعد (عجم)، ويُنشئ جملة جديدة بالضمير (they)، كما يلي:

One of their characteristics is that they are non-Arabs; they do not understand anything in Arabic except...

وكذلك تظهر الغرابة في النص الهدف عند: ( save a little of the speech of the Arabs of their land ) أي: "إلا قليلا من كلام عرب بلادهم"، ويقصد المغيلي بالكلام هنا لهجة، ولكن لشدة تمسك المترجم بالنص الأصل وتقيدته به، قدّم ترجمة حرفية فأوشك أن يحدث تناقضا أو غموضا؛ فإن هؤلاء العلماء إذا كانوا يتحدثون بشيء من لسان عرب بلادهم فذلك يعنى أنهم يعرفون شيئا عن العربية، إلا إذا كان ذلك اللسان من اللغات الدارجة التي تتسم بالعجمة والتصحيف والتحريف، ولكن ترجمته كلام ب (speech) فيه غموض لا يسمح بالجزم على أية حال.

وعلى الصعيد الدلالي، فإن هونويك قد أبدى براعة فنية في تذوق مدلولات كلمات اللغة الأصل وفحوى مضمونها، ثم في حُسن اختيار الكلمات في اللغة الهدف واستخدامها بطريقة رائعة في صوغ العبارات، وقد ساهم ذلك في نقل المعاني والأفكار من النص المصدر إلى النص الهدف

بدقة، حتى وإن بدت أحيانا حرفية ومرهقة، ومما يبرهن إبداعاته الدلالية طريقة تعامله الدقيقة مع بعض المجازات اللغوية والعبارات الاصطلاحية في النص المصدر. ومن أمثلة ذلك ترجمة الجملة الأخيرة من السؤال الأول:

النص الأصل:

ثم أطلب منك أيضا أن تشفي غليلي بترتيب الأجوبة على هذه الأسئلة الأخرى، وبزيادة ما تيسر لكم من النصيحة أيضا.

النص الهدف:

I further ask you to quench my thirst by setting forth the answers to these other questions and by giving what further sound advice you are able.

فالتعبير الاصطلاحي (أن تشفي غليلي) تم ترجمته ب (to quench my thirst)، وهو من قبيل ترجمة التعبير المجازي في اللغة الأصل بما يماثله في اللفظ والمعنى في اللغة الهدف حسبما اقترحه بيكار<sup>(29)</sup> إن وجد، وقلما يجد ذلك، ولكن له نظير أيضا في ترجمة هونويك لحديث أورده المغيلي في الإجابة عن السؤال الأول:

النص الأصل:

"لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم..."

النص الهدف:

"You will most surely follow the practices of those who have gone before you, inch by inch and foot by foot..."

---

<sup>(29)</sup> Baker, In other words: A coursebook on Translation, P. 72.

استخدم هونويك التعبير المصطلح عليه بالإنجليزية ( inch by inch and foot by foot ) يكافئ النص العربي (شبرا بشبر وذراعا بذراع)، ولكنه وضّح في الحاشية أن الترجمة الحرفية للتعبير: ( span by span and cubit by cubit )، ولو استعمل ذلك لا يساوي شيئا في اللغة الإنجليزية، لأن المعبر في التعبير الاصطلاحي المعنى الكلي للتركيب، وليس معاني مكوناته كما نص عليه مارك-موديو (McMordiew) وبيكار (Baker)<sup>(30)</sup> وبالمقابل نفاجا بما يشبه الترجمة الحرفية من هونويك لحديث منسجم في المعنى مع الحديث المذكور آنفا:

النص الأصل:

"والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة، ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القُدة بالقُدة والنعل بالنعل..."

التص الهدف:

"By Him in whose hand is my soul, there will most surely come people who will bury religion thus, as I have buried this pebble. You will most assuredly follow the path of those who have gone before **you just as a strap is [cut] on the pattern of [another] strap and one sandal on another.**"

فلجأ هونويك إلى الإيضاح محاولا تفسير (حذو القُدة بالقُدة) بدلا من أن يبحث لها عن مصطلح مشابه كما فعل من قبل، ومع أن طريقتة هذه من

---

<sup>(30)</sup> J.S. McMordiew, English Idioms and how to use them (Moscow: Vyschaja Shkola, 1983), p. 4 and Baker, In other words, p. 63.

الإستراتيجيات المستخدمة كما وضح موللاناذر (Mollanazer)<sup>(31)</sup>، ولكن الغرابة التي غلبت على النص منذ الجملة الأولى، حيث قام بترجمة القسم (والذي نفسي بيده) ترجمة حرفية، وبالتالي الجمل اللاحقة، وكذلك ترجمته (النعل بالنعل)؛ أي: (one sandal on another)، كل ذلك أفقد النص الهدف طبيعته الأصلية، مع أن هذا كله لم يكن له أثر سلبي على المعنى، كما حذر عن ذلك فيرنندو وفلافيل<sup>(32)</sup> (Fernando and Flavell) حيث نبهنا بأن ترجمة التعبير الاصطلاحي عادة تنبثق من السياق، ولكن كثيرا من المترجمين مشغوفون بالبحث عن البدائل في اللغة الهدف، فلا يهتمهم إذا كان البديل صحيحا أو لا، وربما قد يؤدي ذلك إلى فساد المعنى المنشود في اللغة الأصل. ومن أمثلة ترجمة المجازات اللغوية والتعبير البياني بوجه خاص، قول المغيلي وهو يحدد صفات العلماء السوء:

النص الأصل:

ومن أيبن علامة العلماء السوء أنهم لا يصلحون ولا يتركون من يصلح، ومثلهم كمثل الصخرة بباب النهر لا تشرب ولا تترك من يشرب، فكل واحد منهم أضر على الناس من ألف شيطان، وليس الخبر كالعيان.

النص الهدف:

And one of the clearest signs of the venal scholars is that they do not set matters aright nor do they leave [in peace] those who do set matters aright. **Their likeness is that of a rock [blocking] access to a river—it drinks not,**

<sup>(31)</sup> H. Mollanazer, (Principles and methodology of translation, Tehran: Samt, 2004), p. 52.

<sup>(32)</sup> C. Fernando and R. Flavell (On Idiom: Critical Views and Perspectives. Oxford: Oxford University Press, 1981)

**neither does it let others drink!** Each one of them is more harmful to people than a thousand devils; and **hearsay is not the same as being an eye-witness.**

يتضمن النص الأصل تشبيها تمثيليا ومثلا شائعا، وكان هونوك موقفا جدا في ترجمة التشبيه التمثيلي المشار إليه، وكذلك النص بأكمله، إلا أن هناك نظرا في ترجمته للمثل، ويمكن القول بأن ترجمة هونوك أكثر وضوحا وأوفر معنى من النص العربي، وذلك يرجع إلى إضاعة مادة لغوية في الإنجليزية للتوضيح، ويشكل هذا نموذجا لمفهوم الريح أو الكسب في الترجمة كما سبق الحديث في المبحث الثاني. وعند المثل قدم هونوك ترجمة حرفية مع إضافة مادة لغوية (being)، ولسبب ما هذه المرة - فيما يراه الباحث - أدنا لإيضاح إلى الغرابة وأفقد الترجمة الإبانة، ولهذا المثل نظير مشهور بالإنجليزية (Seeing is believing)، ولكنه فيما يبدو لغة دارجة، فيصالح فقط للخطاب بين الشبان والأقران ولا يصلح للتحرير الرسمي، وربما هذا ما حمل المترجم على أن يرغب عنها، ثم هناك مقولة أخرى توضحها: ليس من رأى كمن سمع (An eyewitness is better than a hearsay)، ويمكن صوغ عدة تعبيرات منه، مثل: (To witness something is better to hear about it)

والتعبير الاصطلاحي والمثل كلاهما مرتبطان ارتباطا متينا بثقافة الأمم وتقاليدها، وهذا سبب جسيم من أسباب صعوبتها، وعليه يستعمل ترجمتهما أحيانا لتقييم نجاح المترجم ومعرفة مدى غرابة النص الهدف أو طبيعته كما أشار فرحاني.<sup>(33)</sup>

ويبقى المستوى الفني، ويقصد به هنا القدرة ومهارة التعامل بالنص المصدر العربي معتبرا أنواعه، وكذلك التنقل السريع من نوع إلى آخر مع

---

<sup>(33)</sup> Farahani, A. A. Khomeini "A Framework for Translation Evaluation", Translation Studies, 3(2005): 75-86.

مراعاة الإستراتيجيات المناسبة، ومن أكثر أنواع النصوص ورودا في النص الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والتعابير المنطقية للإقناع، والنثر المسجوع، والشعر العمودي، والقواعد الكلية الفقهية وغيرها. أما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فلن يتم التطرق إليها؛ لقلّة الإشكالية المتعلقة بهما، تقريبا من حيث المعنى، وواضح جدا أن هونوك استعان بالترجمات المتوفرة لديه، ولكن تلزم الإشارة إلى أن ثمة في النص بعض آيات وردت مقتبسة أو عن طريق التضمين، كقول المغيلي:

#### النص الأصل:

ومن حكمته-جل وعلا- أن جعل ذلك البيان على لسان البشر، من الأنبياء في الأولين وأهل الذكر في الآخرين. وجعل لكل هاد منهم عدوا من المجرمين وهم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا

#### النص الهدف:

It is also of His wisdom—Sublime and Exalted is He—that He set this explanation on the tongues of human beings? —the prophets among former generations and the people of the Reminder among latter generations. **To each guide among them He appointed an enemy from among the evildoers; they are “the devils of mankind and jinn’s, who inspire one another with embellished words to deceive.”**

ويلاحظ أن الطرف المقتبس من الآية ينسجم تماما مع ما صاغه المغيلي من فكرة ومعنى، وقد عكست الترجمة ذلك، إلا أن المترجم قام بوضع المقتبس



من القرآن بين علامتي التنصيص مشيراً في الحاشية إلى أنه في سورة الأعراف، الآية 116.

ومما يلفت الانتباه في ترجمة التعابير المنطقية حسن تعامل المترجم مع مضمون النص وتمكنه الخاص على الحفاظ بالتسلسل المنطقي بطريقة طبيعية مؤثرة كحالة النص الأصل، ومثال ذلك:

#### النص الأصل:

فإذا علمت ذلك أيها الأمير، فعليك بأمرين: الأول؛ أن تبعد عنك أهل الشر، وأن تقرب منك أهل الخير؛ لأن من الغالب على الإنسان التأنس بقريته والميل إلى طبعه وتزيينه، فمن قربت من نفسك فقد مكنته من أذنك، ومن مكنته أذنك فقد مكنته من قلبك؛ لأن الأذن زمام القلب.

#### النص الهدف:

The first is to keep evil people far away from you and to draw close to you people of goodness, for generally a man associates intimately with his companion and inclines towards him in character and appearance. So whomever you draw close to yourself, him have you given power over your ear, and to whomever you give power over your ear, the same do you empower over your heart, for the ear is the rein of the heart.

ومثال ترجمة النثر المسجوع الوارد في النص قوله:

#### النص الأصل:

فأنت في جميع مملكتهك راع لا مالك، وكل راع مسؤول عن رعيته، فانظر لنفسك قبل الفوت، فإنه لا بد من الموت...

## النص الهدف:

So, over the whole of your domain, you are a shepherd, not a master, and every shepherd is responsible for his flock. **Look, then, to yourself before you pass away, for unto death you'll surely come one day.**

فقد استطاع هونويك أن ينقل المعنى نقلا كاملا، ولكنه لم يتمكن من انعكاس السجع اللطيف الجميل بين (الفوت) و(الموت) مع أنه غير المعنى في هذا الجانب تغييرا طفيفا، حيث إن قصد المغيلي بالفوت؛ أي: قبل فوت الأوان، ولكن هونويك نسب الفوت إلى المخاطب، وكان بوسعه أن يترجم التركيب كما يلي:

Therefore, examine yourself before time **passes away**, for surely death will come **your way**...

أو بطريقة أخرى كي يلمس القارئ الإنجليزي هذا السجع كما ثبت بين (away) و(way). ومثال آخر للنثر المسجوع من النص حديث نبوي شريف أورده المغيلي:

## النص الأصيل:

إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، فقام عوف بن مالك ونادى بأعلى صوته ثلاثا: وما هي يا رسول الله؟ قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل، فكيف يعدل مع قريبه؟

## النص الهدف:

'If you wish I will tell you about being a ruler (al-imara) and what it involves.'" Then 'Awf b. Malik stood up and called at the top of his voice three times, 'And what

does it involve, O Messenger of God?' He said, 'The first [stage in it] is censure, second regret and the third punishment on the Day of Judgement, except for those who act with equity; and how shall one be equitable with one's kinsman?'

أوصل المترجم الفكرة كعادته ولكن يفقد القارئ الإنجليزي السجع المنمق المؤثر بين (ملامة وندامة وقيامة)، مع أن هناك إستراتيجيات لو استُعملت بدقة وعناية لتم تعويضها بشكل ما، وذلك يتطلب بذل الجهد، وإعمال الفكر، وشأن ترجمة النثر المسجوع كشأن ترجمة الشعر، بل الشعر أشد؛ لخصائصه الفنية المتميزة، حتى عدّه بعض أهل التنظير الترجمي مغامرة أو مستحيلا، ولكن المترجمين لا يفتؤون يجربون فيصيبون طورا ويخطئون. وإليكم نماذج لترجمة الأشعار الواردة في المسألة الأولى من الرسالة:

النص الأصيل:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه \* فكلّ قرين بالمقارن يفتدي  
النص الهدف:

Of a man ask not but ask of his friend

For every companion will model his friend

عني المترجم هذه المرة بالمضمون والشكل معا، فحاول قدر الإمكان إنشاء نص مماثل للأصل، فنجده يعوّض للجناس الناقص (لا تسأل وسل) من صدر البيت بقوله (ask not but ask of) كما قصد نقفية الشطرين مستخدما نفس التعبير (his friend) مع أن البيت تصریح، ولكنه تعويض مقبول مشعر بأن النص الأصيل شعر، فقط لو أنه قصّر من طول الشطر الثاني: (For every companion models his friend) لكان أجمل، وفيما يلي نموذج آخر:

النص الأصل:

قُضَاءُ زَمَانِنَا أَضْحَوْا لُصُوصاً \* عموماً في البرية لا خصوصاً  
فَلَوْ عِنْدَ التَّحِيَةِ صَافِحُونَا \* لَسَلُّوا مِنْ خَوَاتِمِنَا الفصوصاً

النص الهدف:

The judges of our age have all turned thieves.

Common is this, not rare among all living things

Were they to shake our hands in greeting us,

They'd slip the stones out from our rings.

يتجلى من النص المصدر والنص المستهدف، أن هونويكعني بالحفاظ بشعرية النص الهدف أكثر من اهتمامه بالمعنى، فاضطر إلى أن يضحّي بالمضمون لصالح الشكل، ولعل-من باب الإنصاف-التعقيد المعنوي في البيت الأول يقتضي إستراتيجية التفسير (interpretation) كما أطلق عليه ليففيري (Lefevere)<sup>(34)</sup>، بدلا من التكافؤ. ولكن قد يقرأ القارئ النص المترجم هنا فلا يشعر بأن هناك خلافا معنويا ما؛ لأن نهاية النص الهدف في نغمه وموسيقه يحاكي النص الأصل، حيث ينتهي كل منهما بالروي، صوت (s).

وعند مقارنة جودة الترجمة للأشعار في المسألة الأولى بما ورد فيه من النثر المسجوع، يمكن القول إن هونويك لم يلق للنثر المسجوع بالا ولم يتعمد ترجمتها كما صنعمع الأبيات الشعرية. ويبقى السؤال: وكيف كان صنيعته مع القواعد الفقهية الكلية؟ وذلك يقود الدراسة إلى النظر في نموذج يتضمن القواعد الفقهية الكلية:

---

<sup>(34)</sup>A. Lefevere, *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint* (Amsterdam: Van Gorcum. 1975), p. 20.

## النص الأصل:

وإن شككت في أمر هل هو حرام أو واجب، فاتركه أيضا؛ لأن  
الحرام من باب المفسد والواجب من باب المصالح، ودرء  
المفسد مقدم على جلب المصالح...

## النص الهدف:

If you are doubtful whether a certain act is obligatory or forbidden, then shun it also. **For the forbidden comes under the heading of things evil and the obligatory comes under the heading of things beneficial, and avoidance of things evil takes precedence over acquisition of things beneficial**

يُلاحظ أن المترجم تمكن من نقل معنى الجملة الافتتاحية بمتانة ووضوح، وبالرغم من أنه أضاف كما هائلا من المادة اللغوية في النص الهدف لم تظهر القاعدة الفقهية الكلية بصورة يرتاح لها البال، ثم إن الترجمة بدت طويلة ومبتذلة وقاصرة عن أداء دورها. وضياح المعنى عند ترجمة القواعد العلمية متوقعة؛ لأنها مثل التعبيرات الاصطلاحية والمجازية التي لها ضوابط خاصة تحكمها، حيث إن المعنى لا يتأتى من مكوناتها ومفرداتها المجزأة، بل على ما اصطلحت عليه جماعة لغوية معينة، والقاعدة الفقهية الكلية التي شكلت معوقا في ترجمة النص الهدف (درء المفسد مقدم على جلب المصالح) يمكن أن تترجم بصيغ متعددة، منها:

- Warding off injuries precedes or supersedes procuring benefits
- Repelling injuries takes precedence over seeking benefits

وإذا ما قورن هذا النص الذي يشتمل على القواعد الفقهية الكلية بالنص الذي يعقبه، وهو نص طويل نسي كما يلي:

## النص الأصل:

وإن تعارض أمران مستويان في نظرك فأعرضهما على نفسك، ثم افعل أثقلهما عليهما، فإن الغالب على النفس في حال الحياة والصحة أن لا تكره إلا الحق. وإن عرضتهما على نفسك فاستويا عندها فانظر أيهما أحب إليهما أن تموت عليه ثم افعله، لأن الغالب على النفس في حالة الانتقال من الدنيا إلى الآخرة ألا تحب إلا الحق. فعليك بهذه القاعدة في كل ما يعرض لك من الأمور، فإنها نافعة لكل من ليس بعالم ولم يجد عالما تقيا حاضرا.

## النص الهدف:

If there is a conflict between two courses of action which you deem to be equally sound then put them to your soul, and take whichever is more burdensome for it, for generally the soul in life and good health dislikes only the right. If after putting them your soul they both seem equal to it, see which of them it would prefer to die while following and do that, for generally the soul when in the state of passing from this world to the next loves only the right. Then apply this rule to all courses of action which come before you, for it is useful to everyone who is not a scholar and who cannot find a godly scholar at hand.

ويلاحظ أن هذا المقطع بالرغم من طوله واحتوائه على بعض الأحكام أيضا لم يشكل صعوبة للمتروجم، وذلك لخلوه التام من القواعد الفقهية الكلية والمصطلحات الفنية، وهذا يسوق الباحث إلى ذكر ملاحظات عامة عن الترجمة في خاتمة البحث.

## الخاتمة:

تناول البحث ترجمة جون هونويك لرسالة المغيلي إلى السلطان أسكيا محمد، مركزا على المنهجية والإستراتيجيات التي اعتمدها المترجم وكيف أثرت على الترجمة. وقد دفع هونويك إلى القيام بتحقيق نص الرسالة وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، قيمتها التاريخية — حيث يساهم مضمونها على الفهم الدقيق لبعض الأحداث التي شكلت الوقائع التاريخية في أفريقيا؛ غربها وشمالها، في القرن السادس عشر وما بعده. وعلى الرغم من أن بعض الباحثين سبقوه إلى تحقيق النص، إلا أنه كان مصرا على إنجاز هذه المهمة الصعبة والشاقة، فقد كان يعتقد اعتقادا جازما أن النسخ التي جمعها من هذه المخطوطة من مراكز دولية مرموقة، إذا أجرى عليها دراسة مستفيضة ومقارنة دقيقة، سوف يؤدي ذلك إلى إخراج نسخة متميزة ومتفوقة. وفعلا أسفرت جهوده المتضافرة والعناء الطويل إلى مادة قيمة اتخذها نصا مصدرا لترجمته.

ولم يصح المترجم منهجيته وإستراتيجياته الدقيقة، ولكن وفق وصفه للترجمة، وبإمعان النظر ومقارنة النص المصدر بالنص المستهدف تجلى أنه اعتمد المنهج الأكاديمي مدعوما بإستراتيجيات الإيضاح وتقنياته، فتم استعراض هذا المنهج في ظل النظريات الترجمية المعاصرة، سعيا إلى تحديد مدى نجاح الترجمة في نقل الأفكار والمعاني، وتحديد العقبات الرئيسة التي واجهها المترجم وكيفية تعامله معها، بما في ذلك كيف مكّنه المنهج والإستراتيجيات من الترجمة، وأثر ذلك وتجليته بصفة عامة على النص المترجم. وعموما، توصل البحث إلى نتائج عديدة، ومن أهمها:

1. إنّ النسخة التي حققها هونويك واستخدمها كالنص المصدر لترجمته كانت مقروءة وسليمة من الأخطاء إلى درجة كبيرة، وتبرهن ذلك جودة الترجمة في النص المستهدف.
2. قام المترجم بتطبيق المنهج المعتمد بدقة، وهو منهج يتوسط بين التكافؤ الرسمي والتكافؤ الديناميكي، مما أدى إلى ترجمة قياسية

للغاية تمكن جمهور القراء المستهدفين من فهم المضمون وتذوقه ومقارنته بالمضمون الأصلي.

3. استكمل المترجم المنهج المعتمد بإستراتيجية الإيضاح وتقنياته من إطناب وإضافة المعلومات بين القوسين داخل النص، وحاشية المترجم في معظم الحالات، وقد ساعدته هذه التقنيات على توضيح المسائل وتقليل الغرابة.

4. استطاع المترجم من خلال تقديم ترجمة واضحة مفهومة أن يوسع دائرة جمهور القراء لرسالة المغيلي، ومن بينهم عدد ضخم من الأكاديمين، ولو لا الترجمة، ربما لم يعرفوا شيئا عن الرسالة مطلقا. 5. تتباين جودة الترجمة في النص المستهدف حسب نوعية النص قيد الترجمة ووظيفته الخاصة. وعموما، ظهرت التعبيرات الإخبارية بما في ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بوضوح شديد ولم تشكل صعوبات للمترجم، ومن ناحية أخرى، شكلت التعبيرات الاصطلاحية والمصطلحات الفنية، وخاصة القواعد الكلية الفقهية معوقات جسيمة، إلا أن المترجم تمكن من أداء ترجمة بعضها ترجمة ناجحة مستعملا إستراتيجيات خاصة.

6. تعددت الصعوبات التي واجهها المترجم؛ المعجمية والتركيبية والدلالة، كما تعددت إستراتيجياته لمواجهة تلك الصعوبات؛ التقريب والتطوير وإعادة صياغة التركيب وغيرها.

7. تركت الإستراتيجيات والتقنيات المعتمدة لدى المترجم تأثيرا إيجابيا على الترجمة بصفة عامة، مما جعلها مقروءة وذات مغزى. ومع ذلك، يلمس أثر الغرابة في بعض أجزاء النص الهدف، وربما يعود ذلك إلى الصعوبة الكامنة في النص بذاته، مما أجبر هونويك على تقديم ترجمة حرفية أحيانا، أو لقرار المترجم وإصراره على إصدار نص مشابه للنص المصدر؛ معنى وتأثيرا.



8. قد تساهم الدراسة المفصلة التي مهد بها هونويك النص المحقق وتعقيبه المطول عليه في فهم النص وتذوقه لجمهور القراء المتحدثين باللغة الإنجليزية.

9. إنَّ عناية المترجم بالدقة والجهود التي بذلها في تحقيق النص وترجمته يُدْكرنا بالعمل الذي قام به هيسكيت على مخطوط تزيين الورقات لعبد الله بن فودي، ولكن لا يوجد دليل قاطع يؤكد بأن هونويك قد تأثر بالفعل بذلك. وعلى كل حال، فإن العمل الذي تفضل به هونويك أكثر تفصيلاً وشمولاً نظراً للتمهيد والتعليق العريضين.

#### التوصيات:

■ هناك حاجة ملحة لتشجيع الباحثين بالمنح والجوائز للقيام بالأعمال العلمية حول المخطوطات العربية الإفريقية التي تمتاز بالقيمة التاريخية والأدبية على شاكلة هذا العمل الذي قام به هونويك، وبالإضافة إلى إظهار هذه المخطوطات إلى النور وإتاحتها لجمهور أوسع، يمكن استخدام مضمونها لإحداث التنوع في المقررات المدرسية على مستوى الثانوية العامة والجامعية، فلا يخفي أن السواد الأعظم من هذه المقررات مستوردة، ومعلوماتها لا تمت بصلة أحياناً مع ميول الدارسين وطبائعهم.

■ وكذلك يجب تشجيع الدراسات التي تسعى إلى مدارس الأعمال الترجمة للنصوص العربية الإفريقية ذات الأبعاد التاريخية والأدبية والعلمية؛ فإن ذلك سيفتح مجالاً لرواج هذه الأعمال، كما ستشكل نتائج هذه البحوث واقتراحاتها توجيهات إرشادية لمن يسعى من الباحثين إلى ترجمة بعض هذه الكنوز المحفوظة في المكتبات العامة وعند الأسر والأفراد، تنتظر من ينقذها ويخرجها من دياجي الظلام إلى أنوار المعارف.

## قائمة المراجع والمصادر بالعربية والإنجليزية: النصوص الدينية:

1. القرآن الكريم.
2. أبو الحسين، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. ط1. تحقيق. محمد أبو فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.
3. أبو عبد الله، مالك بن أنس. الموطأ. ط2. تحقيق. بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

### الكتب المحققة:

1. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. كتاب الخراج. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979.
2. الجذبي، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم. الدرر الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1996.
3. الغزالي، أبي حامد، محمد بن محمد بن محمد. التبر المسبوك في نصيحة الملوك. تحقيق. أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.
4. الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب. نصيحة الملوك. تحقيق. خضر محمد خضر. الكويت: مكتبة الفلاح، 1983.
5. المغيلي، محمد بن عبد الكريم. أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير محمد بن أسكيا. تحقيق. جون هونويك. أكسفورد: دار جامعة أكسفورد للنشر 1985.

### English References:

1. Baker, M. *In other words: A Course Book on Translating*. (London and New York: Routledge, 1992).
2. Basnett-McGuire, S. *Translation Studies*. (New York: Methuen & Co. Ltd, 1991).
3. Bell, R.T. *Translation and Translating: Theory and Practice*. (London: Longman, 1991).

4. Dimitrova, E. B. Combining Product and Process Analysis: Explication as a Case in Point. *Bulletin suisse de linguistique appliquée* 81: (2005a). 25–39.
5. Dimitrova, E. B. *Expertise and Explication in the Translation Process*. (Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 2005b).
6. Eco, U. *Mouse, or Rat? Translation as Negotiation*. (G.B: Phoenix, 2003).
7. Khomeini, A. A. Farahani. "A Framework for Translation Evaluation". *Translation Studies*, 3 (2005). 75-86.
8. Fernando, C. *Idioms and idiomaticity*. (Oxford: Oxford University Press, 1994).
9. Fernando, C. and Flavell, R. *On Idiom: Critical Views and Perspectives*. (Oxford: Oxford University Press, 1981).
10. Gentzler, E. *Contemporary Translation Theories*. (London: Routledge, 2001)
11. Haywood, L.; Thompson, M. & Hervey, S. *Thinking Spanish Translation*. (Abingdon, Oxon: Routledge, 2013).
12. Lefevere, A. *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*. (Amsterdam: Van Gorcum. 1975),
13. Leonardi. V. "Equivalence in Translation: Between Myth and Reality" *Translation Journal*, 4(4):2000.
14. Mona Baker (ed.), *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. (London: Routledge, 1998).
15. McGuire, S. *Translation Studies*.(London: Methuen & Co. Ltd, 1980)
16. McMordiew, J.S. *English Idioms and how to use them*. (Moscow: Vyschaja Shkola, 1983).
17. Mollanazer, H. *Principles and methodology of translation*. (Tehran: Samt, 2004).

18. Najjar, Ibrahim. 'Repetition' in Arabic-English Translation: The case of Adrift on the Nile. *International Journal of Foreign Language Teaching & Research*. 3 (2015):24-34.
19. Newmark, P. (1981). *Approaches to Translation*. (Oxford and New York: Pergamon Press, 1981)
20. Nida, E.A. *Language Structure and Translation*. (Stanford, California: Stanford University Press, 1975)
21. ————. *Towards a Science of Translating: With Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating*. (Leiden: Brill, 1964).
22. ———— and Taber, C.R. *The Theory and Practice of Translation*. (Leiden: E.J. Brill, 1969).
23. Pereswetoff-Morath A. & Dimitrova. E.B. (eds.), *Swedish Contributions to the Thirteenth International Congress of Slavists, Ljubljana*, 15–21, 21–31. (Lund: Lund University, 2003).
24. Pym, A. *Exploring Translation Theories*. (London and New York: Routledge, 2010).
25. Reiss, K. *Translation Criticism-the Potentials & Limitations: Categories and Criteria for Translation Quality Assessment*. E. F. Rhodes, Trans. (Manchester: St. Jerome Publishing, 2000)
26. Sallis, J. *On Translation*. (Bloomington: Indiana University Press, 2002)
27. Snell-Hornby, M. "Back to Square One? - On the troubled relation between Translation Studies and Linguistics." *Logos and Language* 3/1(2002): 21-30.
28. Vermeer, H. J. *Skopos and Commission in Translational Action*. (Helsinki: Oy Finn Lectura Ab, 1989)

29. Sager, J.C. and Hamel, M.J. (Transl. and edited). *Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation*. (Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 1995).

# الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الفقيه اللخوي دراسة في كتاب "شرح التبيان في علم البيان"

أ.د. العيد جلوي

كلية الآداب واللغات جامعة ورقلة

## الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع علم البيان من خلال قراءة كتاب «شرح التبيان في علم البيان» للإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ويكشف جهوده في مجال اللغة والبلاغة، ويتبع في البداية علاقة الشيخ المغيلي بهذه العلوم، ثم يقف البحث مطولا عند كتاب "«شرح التبيان في علم البيان» موضوع الدراسة فيتناول عنوان الكتاب وما أثير حوله، ثم التعريف بالكتاب وتاريخ تأليفه وموضوعه، ثم يتناول منهجه والقضايا التي عالجهما، خصوصا ما تعلق بعلوم البلاغة من علم المعاني الى علم البيان إلى علم البديع وأخيرا السرقات الشعرية وما أشبهها.

وقد اعتمدنا في هذه القراءة على تحقيق الدكتور أبو أزهر بلخير هانم وهو أفضل من حقق هذا الكتاب فتحقيقه هو رسالة دكتوراه ومن ثم كانت دقته وعمقه، فقد قدم للنص المحقق دراسة كافية حول الامام المغيلي وكتابه شرح التبيان في علم البيان فجاءت دراسته جامعة للكاتب والكتاب، واستطاع من خلالها أن يعرف بشخصية عظيمة تتسم بالموسوعية وبكتاب يتسم بالعمق والدقة.

## الكلمات المفتاح:

المغيلي، البيان، البلاغة، اللغة.

## The Philologist Imām al-Maghīlī: A Study in His Book "Sharh al-Tibyan fi 'Ilm al-Bayan"

### **Abstract:**

This study tackles Arabic rhetoric tradition through the reading and careful discussion of Imām al-Maghīlī's book "Sharh al-Tibyan fi 'Ilm al-Bayan" (Explanations and Drafts of Rhetoric's Crafts) in view to highlight his efforts in language and rhetoric. The study, first, tracks Imām al-Maghīlī's contributions to these branches of science, then focuses on the targeted book in terms of its title, a general view on it, time at which it was written, themes and topics. The latter is concerned more with rhetoric (semantics, eloquence, figurative speech). The study also addresses poetic plagiarism and the like. Our discussion was based on the intensive search of Abū Az'har Balkhayr Hānim who conducted the best search on this book. His intensive search was a Ph.D. thesis which qualifies it to be accurate and deep. His intensive search includes fact-finding on Imām al-Maghīlī and his book. This, in turn, qualifies his search to be comprehensive as it introduces the "writer" and the "written". Through this search, Abū Az'har Balkhayr Hānim succeeded in marking out a great figure who was encyclopedic; and an acclaimed book which was deep and accurate.

### **Keywords:**

Imām al-Maghīlī, Eloquence, Rhetoric, Language

## عصر الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الفقيه اللغوي:

عاش الإمام المغيلي بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وقد عرفت هذه الفترة بالضعف والانحطاط في الجانب السياسي، وكانت السلطة في منطقة المغرب مقسمة بين سلطة الزيانيين في تلمسان والمرينيين ثم الوطاسيين في فاس.

وقد أجمل الدارسون أسباب ضعف الزيانيين إلى جملة من الأسباب أولها "أن تلمسان ظلت على مدار تاريخها عرضة لأطماع الحفصيين من تونس، والمرينيين ثم الوطاسيين من المغرب الأقصى، كل ذلك أضعف كيان السلطة الزيانية في مراحل متعاقبة متناوبة من مراحل حياتها، وألهب كيانها بلظى الحروب والحصارات والتدخلات في أمورها الشخصية"<sup>(1)</sup>

ومما أضعف الدولة الزيانية هجوم الإسبان المتكرر على السواحل؛ فسقطت في أيديهم مدن كثيرة، ومنها مدينة بونة سنة 867 هـ، وفي سنة 868 هـ خضعت الدولة الزيانية للسلطة الحفصية وفقدت بذلك هيبتها، وتحول السلاطين إلى مجرد ممثلين للسلطة الروحية فتناحروا فيما بينهم وأدى ذلك إلى ضعفهم، ثم سيطرة القبائل الهلالية على مناطق كثيرة وفرضت نفسها بديلا للدولة الزيانية، ثم أدى سقوط غرناطة إلى إلحاق الضعف بالدولة الأمر الذي دفع السلطان الزياني إلى ترضية فردينال الخامس بحيث سافر إليه محملا بالهدايا الثمينة حتى يبقى على العرش، وعلى العموم فدولة بني زيان أضحت في أوائل القرن العاشر مرتعا للفتن<sup>(2)</sup>.

كذلك كان شأن المرينيين والوطاسيين فقد نالهم الضعف وعمهم الانحطاط، وعلى العموم فقد "ورث المغربان لأوسط والأقصى تراجعات

---

<sup>(1)</sup> أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو أزهر بلخير هانم، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2010) ص 12.

<sup>(2)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 12-13.



وانحلالا على جميع المستويات، فقد أصاب المنطقة ضعف غار في حشايا السلطتين المركزيتين: فاس وتلمسان، تجلى ذلك في مضمار التسيير السياسي والاقتصادي، كما اتضح في التدبير الإداري والاهتمام الاجتماعي نتج كما في المصادر التاريخية، لأسباب موضوعية. وهنا تكمن أهمية معرفة أوضاع ما آل إليه أمر الزيانيين 633هـ/1235م - 962هـ/1554م في تلمسان وما لحق المرينيين 668هـ/1269م - 862هـ/1441م ثم الوطاسيين 523هـ/961م - 1420هـ/1554م"<sup>(3)</sup>

وعلى الرغم من تدهور الوضع السياسي فقد كان عصر الشيخ المغيلي عصر ازدهار علمي، " ففي هذا العصر، نبغ الحافظ التنسي المتوفي سنة 899هـ، وابن مرزوق الكفيف المتوفي سنة 901هـ، والعلامة محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد المتوفي سنة 842هـ، والعلامة أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار المتوفي سنة 914هـ، والعلامة قاسم بن سعيد بن محمد العقباني المتوفي سنة 837هـ، والعلامة محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالي، والعلامة أحمد بن زكري التلمساني المتوفي سنة 899هـ، والعلامة عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفي سنة 875هـ، والصوفي الكبير إبراهيم التازي المتوفي سنة 866هـ، والعلامة المتكلم الأشعري محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي صاحب التأليف في العقائد المتوفي سنة 895هـ، والعلامة الفقيه الرياضي محمد بن يحيى التلمساني الشهير بلقب الحباك المتوفي سنة 867هـ، وأحد شيوخ السنوسي وغير هؤلاء الأعلام الذين كان يزدان بهم القرن التاسع الهجري"<sup>(4)</sup> وفي هذه

---

<sup>(3)</sup> محمد الأمين بلغيث، "الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي"، مجلة رسالة المسجد، السنة 13، العدد 03، (الجزائر: مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ماي وجوان 2015)، ص 08.

<sup>(4)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق الأستاذ رابع بونار، (كتاب صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر)، ص 08-09.

البيئة الثقافية العلمية نشأ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ومن مناهلها كرع، ولاشك أن تأثيرها فيه كان واضحا.

وخلال اشتغال الامام المغيلي بالتدريس في تلمسان لاحظ الفساد السياسي الذي يسود دولة بني زيان، والتدهور والانحلال اللذين يعمان المجتمع الزياني، وتكالب القوى النصرانية ضد البلاد وموانئها ومدنها الساحلية، وضد كل بلدان المغرب الأخرى شرقاً وغرباً كما لاحظ خروج الأمراء عن تعاليم الإسلام وانغماسهم في الملذات واستسلامهم لأهواء الأعداء من اليهود والإسبان والبرتغاليين، فأنف العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون في مقدوره أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغادر تلمسان إلى السودان الغربي في أواخر السبعينات من القرن الخامس عشر الميلادي، وقصد واحات توات<sup>(5)</sup>، واستقر بعض الوقت لدى أولاد يعقوب في واحة تمنطيط<sup>(6)</sup>، ثم انتقل إلى واحة بوعلي الهني، وأسس هناك زاويته الدينية التي ما تزال حتى اليوم تحمل اسمه<sup>(7)</sup>.

---

(5) عن منطقة توات ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة وقفات تاريخية في أعماق الذاكرة التواتية محمد بن أب المزمري حياته وأثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 2007، ص25 وينظر أيضا الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لأقليم توات، منشورات الحبر، الجزائر، ط02، 2011، ص 27. وينظر أيضا مبارك جعفري، حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص08. وينظر أيضا عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط02، 2007، ص25.

(6) تمنطيط: مدينة من أهم وأقدم المدن التجارية بالصحراء الجزائرية الكبرى، بحيث تتوسط كبريات المدن التجارية في شمال القارة، للاستزادة ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، ط 1. الجزائر، 2011 م، ص 389.

(7) ينظر يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج 2، الطبعة الأولى، 1995 م)، ص 144.

## الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الفقيه اللغوي:

يكاد كتاب التراجم والفهارس يتفقون حول اسمه فهو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف المغيلي التلمساني مولداً، والتواتي سكوناً، ويصل نسبه للحسن المثنى ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها<sup>(8)</sup>، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه محي الدين، ومنهم من قال: إن لقبه البغدادي، كما أطلقت عليه ألقاب كثيرة مثل: الشيخ، والإمام، والحجة، وناصر الدين. وتكاد تتفق المصادر أن نسبه يعود إلى قبيلة «مغيلة»، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، غير أن أرجح الروايات ما ذكره ابن القاضي في تاريخ الوفيات حيث جعل ميلاده سنة 820هـ الموافق لسنة 1417م واتفقت جميع المصادر على تاريخ وفاته وهو سنة 909هـ الموافق لسنة 1503م، وللشيخ عبد الكريم أبناء من زوجته السيدة زينب بنت الشيخ عبد الرحمن الثعالبي منهم سيدي عبد الجبار والذي تولى إمارة توات بعده، وسيدي عبد الله.<sup>(9)</sup>

وفي أحضان مغيلة بتلمسان ولد الشيخ المغيلي في أسرة عُرفت بالعلم؛ فقد كان والده عبد الكريم الذي اشتهر بالعلم والتقى يُدرّس طلبه العلوم الشرعية، وكان الطفل يجلس مع والده فيرى ويسمع ويتأثر، وفي هذه البيئة نشأ وترعرع متشعباً بالروح الدينية، وأما مغيلة فيقال إنها قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة، كبرى القبائل البربرية، ومنهم من ردها إلى النسب العربي<sup>(10)</sup>، بدأ الشيخ المغيلي دراسته الأولى في مسقط رأسه مغيلة، وبعدها اتجه إلى تلمسان حيث

<sup>(8)</sup> ينظر مبروك مقدم، "حياة وأعمال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني"، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مقدمات تعريفية: حياته وأراؤه، تأليف جماعي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2022،) ص 21.

<sup>(9)</sup> ينظر عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 02، 2007)، ص 99.

<sup>(10)</sup> ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو أزهر بلخير هانم، ص 19/18.

حفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه المالكي على شيوخه أمثال الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي، ثم اتصل بالشيخ الكبير سيدي عبد الرحمن الثعالبي فأخذ عنه التفسير والتصوف والقراءات، ولم يكتف الشيخ بالتحصيل بمسقط رأسه فقرر الرحلة الى بجاية فأخذ عن علمائها ثم رجع مرة أخرى إلى تلمسان لكنه سرعان ما غادرها إلى منطقة توات، ونزل بتمنطيط وكانت يومئذ حاضرة علمية فأخذ عن علمائها وجالس فقهاءها وناظر أدباءها، فانتفع منهم وانتفعوا منه كما قال<sup>(11)</sup>.

والمتتبع لسيرته يلحظ أن الشيخ تتلمذ على كثير من العلماء نذكر منهم الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (875 هـ / 1470 م) والشيخ العلامة أبو العباس الوغليسي، والشيخ عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي (786 هـ - 875 هـ) والشيخ يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي التلمساني (877 هـ / 1472 م)<sup>(12)</sup>

تعددت رحلات الشيخ، وكان لكل رحلة من رحلاته دافع وسبب، غير أنها تنحصر في طلب العلم والبحث عن بيئة للإصلاح والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تنقل رحمه الله بين حواضر إسلامية كثيرة نذكر منها فاس والإسكندرية والقاهرة، وتوات، وبلاد السودان، وأهير وتكدة، وكنو، وكتسينا، وتمبوكتو وغازي والحجاز. وربما مدن وحواضر أخرى و" الذي في المصادر الميسرة أن المغيلي كان جوابه، وعلى شهرته ظلت رحلاته غير مضبوطة في الزمان ولا في المكان"<sup>(13)</sup> وقد لخص الأستاذ مبروك مقدم دوافع رحلاته في:

<sup>(11)</sup> ينظر عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 101

<sup>(12)</sup> بلحاج جلول، هاجس الرحلة في حياة محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الذاكرة، العدد 13 (صادرة عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، الجزائر، جوان 2019 م)، ص 26.

<sup>(13)</sup> ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو أزهر بلخير هانم، المصدر السابق، ص 22.

- نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية.
- نشر الدعوة الإصلاحية والمنهج المغيلي.
- تبليغ الطريقة القادرية لبلاد السودان الغربي.
- التصدير للتعليم والتدريس والوعظ والإرشاد.
- تصحيح المسارات والقواعد الفقهية، وتنقيتها من الشوائب التي التصقت بها.<sup>(14)</sup>

وعلى العموم فقد أثمرت تلك الرحلات وكان لها نتائج إيجابية في حياته في كل المجالات السياسية والدينية والإصلاحية والعلمية، فالشيخ كثر عطاؤه وتعددت مواهبه وتفرعت أنشطته وهذا في حد ذاته يحتاج إلى بحوث أخرى.

دراسة في كتاب "شرح التبيان في علم البيان": كتاب «شرح التبيان في علم البيان» حققه ودرسه الدكتور أبو أزهر بلخير هانم، حققه تحقيقاً ممتازاً ودرسه دراسة وافية شافية؛ لهذا سنعتمد في هذه المداخلة على تحقيقه الرصين ودراسته الوافية مستعينين بمصادر ومراجع أخرى.

يقع الكتاب محققاً مع الدراسة في 544 صفحة، بدأه المحقق بتقديم بسيط فيه خطة الدراسة والتحقيق، ثم قسم الكتاب إلى قسمين: قسم الدراسة، وقسم التحقيق ثم يأتي النص المحقق بأبوابه الثلاثة تناول في الباب الأول علم المعاني وتناول في الباب الثاني علم البيان وفي الباب الثالث تناول علم البديع ثم في خاتمة الكتاب تناول السرقات الشعرية وما أشبهها وأنهى الكتاب بفهارس عامة.

<sup>(14)</sup> ينظر مبروك مقدم، الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006)، ص 30.

كتاب «شرح التبيان في علم البيان» كتاب في البلاغة وقد ورد تحت عناوين مختلفة مثل «مختصر تلخيص المفتاح وشرحه» و«شرح مختصر تلخيص المفتاح» و«مختصر تلخيص المفتاح» وقد جاء في مقدمة الكتاب قوله: «فهذا مختصر علم البيان مهذب الألفاظ مقرب المعاني» وختم المؤلف كتابه بقوله: «قد تم بحمد الله شرح التبيان في علم البيان»<sup>(15)</sup>

يُعدُّ هذا الكتاب تعليمياً، وهذا يتماشى مع مهنته كمدرس وغرضه تقديم دروس للطلبة في البلاغة؛ فنهج فيه منهجاً تعليمياً يعتمد على ذكر الشيء وشرحه. وقد دار موضوع الكتاب حول علم البيان هذا العلم الذي نشأ في كنف النص القرآني وهدفه خدمة القرآن الكريم.

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة حمد الله فيها وصلى على نبيه ثم شرع في تبيان الهدف من الكتاب في قوله: «أما بعد فهذا مختصر علم البيان مهذب الألفاظ مُقَرَّبُ المعاني».

انتهج الشيخ المغيلي في كتابه هذا منهج السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم)<sup>(16)</sup> ويعد كتاب مفتاح العلوم أهم مصنّفات الإمام السكاكي، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام أساسية، تحدث في القسم الأول منها عن علم الصرف وما يتصل به من الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، وجعل القسم الثاني لعلم النحو، أمّا القسم الثالث فخصّه لعلم المعاني وعلم البيان، وألحق بهما كلاماً في الفصاحة والبلاغة ودراسة للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. وكتاب السكاكي كان منطلقاً للذين كتبوا في علم البلاغة والذين نهلوا من هذا الكتاب علومه أمثال جلال الدين القزويني في كتابه

---

<sup>(15)</sup> ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، المصدر نفسه، ص70.

<sup>(16)</sup> ينظر سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح. نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط02، 1987)، ص19

(تلخيص المفتاح) وسعد الدين التفتازاني في كتابه (مختصر تلخيص المفتاح) وقد سلك الإمام المغيلي أسلوب السكاكي ومنهجه فغلب عليه المنحى التعليمي بمصطلحاته وعباراته وأسلوبه.

وقد استقى المؤلف مادة كتابه من مصادر متعددة نذكر منها: الكشاف للزمخشري، وأسرار البلاغة للجرجاني ومفتاح العلوم للسكاكي وتلخيص المفتاح والايضاح للقرظيني، مختصر تلخيص المفتاح للتفتازاني، وفي مجال الحديث اعتمد على موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري وصحيح مسلم والجامع الصحيح للترمذي، وسنن ابن ماجة، وسنن النسائي، وسنن أبي داوود، وأما التفسير فقد نهل من الكشاف<sup>(17)</sup>.

وقد دار الكتاب حول قضايا كثيرة كما بينها وشرحها المحقق الدكتور أبو أزهر بلخير هانم نوجزها فيما يلي:

- **المصطلح والمفهوم:** اعتمد في مصطلحاته على كتاب تلخيص المفتاح ومختصره غير أنه في أحيان كثيرة يقف عند مفاهيم اصطلاحية فيشرحها شرحاً تعليمياً نقدياً تارة وتارة يضيف عليها ما ليس واضحاً في كتاب تلخيص المفتاح أو كتاب مختصر تلخيص المفتاح وتارة ثالثة يأخذ منها مرادفاً، وبها استطاع الإمام أن يضع بصماته في مسألة المصطلح.

ففي باب تعريف المسند إليه نجده يوضح حقيقة مصطلح «التعريف» فيقول: «جعلُ الذاتِ مُشَاراً بها إلى خارجٍ مختصٍ إشارةً وصيغةً»<sup>(18)</sup> وعندما شرح توكيد المسند إليه، فضل استعمال «رفع» بدل «دفع» التوهم وهذا ليس من قبيل التصحيف لأنه استعمل «دفع» في مواضع أخرى.

<sup>(17)</sup> ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو أزهر بلخير هانم، المصدر نفسه، ص 79.

<sup>(18)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 79.

كما سَمَّى «المطابقة» «وضعية» على طريق الاتفاق وفي خلال تنبيهه على أن «التضمن والالتزام» عقليان شرح الظاهرة شرح خبير بالمصطلح المنطقي، وإذا هو يعلل بأن «الوضع مَتَّبَعٌ لا مَبْتَدَعٌ» وذلك حين يكون السامع عالماً بوضع الالفاظ للمعنى، بحيث لا يكون بعضها أوضح دلالة عليه من البعض، فإن لم يكن عالماً به لم يكن كلُّ واحد من الألفاظ دالاً عليه. حتى إذا انتهى إلى الكناية استوقفته عباراتها وإذا هو يؤثر استعمال: «مع جواز إرادة ما وضع له» منها على سبب هذا الاختيار الاصطلاحي بحس نقدي بليغ: وإنما قلتُ هنا...فعل هذا وهو يتحدث عن اللفظ المُراد به لازم ما وضع له، وأوضح أنه تفادى ما رده في الصيغة بسبب أن السامع يجوزه ولا يجزم به»<sup>(19)</sup>.

ومن خلال ما ذكر المحقق نستنتج أن الشيخ المؤلف كانت له جرأة في وضع ومناقشة المصطلح البلاغي كما فعل كبار علماء البلاغة حين نظروا وناقشوا ووضعوا المصطلح.

- الشواهد: وحين ننتقل إلى مسألة الشواهد نلاحظ أن الشيخ المؤلف يركز على نوعين من الشواهد الشاهد الأول وهو القرآن الكريم والشاهد الثاني الحديث النبوي الشريف وهذا ما يتفق مع سيرته التي طبعت بطابع الإصلاح أولاً ثم التدريس والتعليم ثانياً، وهو يفعل كل ذلك لتحقيق مقصده الأسمى وهو خدمة كتاب الله وسنة نبيه.

- التعريف: وأما طرائقه في التعريف فقد أبدع فيها من خلال مزجه وإدماجه بين تعاريف القزويني والتفتازاني وتصرفه فيهما، فكان «يشرحها شرح متمرس في التأليف، إذ يختصر حيث يقتضي المقام ذلك الاختصار ويسترسل حين يتطلب الموقف استرسالاً، ينطلق في الثاني بإبداء رأيه والإدلاء بدلوه في القضايا البلاغية، متجانفاً كل سقوط في مهواة الخطأ،

<sup>(19)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 80.



دليله في ذلك المجال المعرفي المكتسب من لغة العرب، وقواعدها، ومنطق اليونان، وفي بعض الأحيان خلفيته الفقهية، فما أكثر وقفاته النقدية عند أبيات شعرية، وما أغنى توضيحاته وتصحيحاته.»<sup>(20)</sup>

لهذا نجده صاحب طابع خاص في إقامة التعريف الخاص به، وهو طابع يدل على خبرة في التأليف ومعرفة بالمناظرة من ذلك قوله وتكراره للعبارة «فإن قلت...قلت» كما تميز الشيخ باستدراكات يهدف من ورائها توسيع دائرة الحد البلاغي من أجل التبسيط والتيسير، وحين يقدم التعريف يقسمه الى شطرين في مواضع كثيرة من الكتاب.

- أسلوبه: وأما أسلوبه في هذا الكتاب فقد جنح إلى الأسلوب التعليمي معتمدا على الحوار السقراطي وقد تجلى ذلك في معظم مؤلفاته، "وقد يعود هذا الأسلوب في الكتابة إلى تكوينه العلمي وميله المنطقي القائم على الإقناع والتأثير، ذلك بأنه ظل يخاطب من موقف المؤثر المنظر في مجال السياسة الشرعية العملية، والعلوم العقلية، والفتاوي، وإذا الخاص والعام يدرك مراميه ويفهم مقاصده، ولعله كان يكتب للفتنيتين عن وعي"<sup>(21)</sup>.

ومن دلائل أسلوبه التعليمي تكرار ألفاظ موحية بهذا الاتجاه كقوله: تنبيه، فائدة، واعلم، فإن قلت..قلت، فتأمل ذلك، والله الموفق للصواب، وقاله أعلم، وأعلم وفقنا الله وإياك، وغيرها مما يدل على هذا الأسلوب.

ومن خصائص أسلوبه أيضا الأسلوب الحجاجي الذي يحقق غرضا تعليميا، يظهر ذلك جليا في معظم أقسام الكتاب، وأهمية كل ذلك والهدف منها هو درء السأم عن المتلقي وهو في العادة متعلما، وشحن الفكر والذاكرة وصل الملكة وإيقاظ الموهبة.

<sup>(20)</sup> ينظر المصدر السابق، ص 85.

<sup>(21)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 87.

والمتتبع للكتاب في كل فصوله وتفصيله يجده يتميز بالجاذبية، ولعل مصدرها مكانة الشيخ بين تلاميذه ومريديه "فكتاباته إذن تمثل صلة وصل بين مرسل عالمٍ متفنن يختصر السبيل إلى المقصد، وبين مُتَلَقٍ يتمتع بخلفية منطقية محكمة ومرجعية لغوية تنم عن مستوى عالٍ لصاحبها."<sup>(22)</sup>

وإذا وضعنا الكتاب في مجاله ووسط فنه نجد أن صاحبه سلك فيه مسلكاً يعتمد على الاختصار من أجل بلوغ المقصد والهدف، وهو بذلك يعد إضافة في بابه وفنه، فكان هذا الكتاب في مقدمة الكتب التي وضعت في مجال البيان لا يقل أهمية عن مؤلفات الزمخشري والجرجاني والسكاكي وغيرهم.

ولا يعني أن الشيخ المغيلي عندما نهج منهج السكاكي في مفتاح العلوم أنه كان مقلداً مجتراً لمقولاته وأرائه، وإنما كانت له رؤيته الخاصة، وأسلوبه الشخصي، واجتهاداته، فقد عارض آراء شيوخه في غير موضع، "فقد خالف السكاكي في تعريف التشبيه اصطلاحياً من ثلاثة أوجه هي: وجه الاستعارة الحقيقية، أو الكناية، أو على وجه التجريد، قال: الثلاثة ليست في الاصطلاح من التشبيه خلافاً للسكاكي في التعريف، إذ جعله من قبيل التشبيه"<sup>(23)</sup>

وإذا تتبعنا محتوى كتاب «شرح التبيان في علم البيان» نجده جامعاً لكل أبواب البلاغة، ومنهجه في ذلك هو أن يأتي بالتعريف الموجز المختصر ويتبعه بالشرح المفصل لكل جزء من أجزاء التعريف، وسنأخذ مثلاً عن طريقة عرضه وأسلوب شرحه، ولنأخذ بالبَابِ الأول وهو باب الفصاحة يكون دليلاً ومثالاً على نهجه في تأليف كتابه، ففي باب الفصاحة يقول: لأن الفصاحة في المفرد سلامته من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، ثم

<sup>(22)</sup> ينظر المصدر السابق ص 89.

<sup>(23)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 98.

يشرح ما اختصره ويفصل ما اجمله بقوله: هذا تعليلٌ لقوله: مهذبُ الألفاظِ مقربُ المعاني والمقصدُ الأهمُّ من ذلك التخلُّصُ لتعريفِ الفصاحةِ والبلاغةِ، فالفصاحةُ يوصفُ بها المفردُ والكلامُ والمتكلمُ، فصاحةُ المفردِ سلامتهُ من تنافرِ الحروفِ والغرابةِ ومخالفةِ القياسِ، فالتنافرُ وصفٌ في الكلمةِ يُوجبُ ثقلها على اللسانِ كقولِ أعرابيٍّ سُئِلَ عن ناقتِه فقال: تركتها ترعى الهُعُخُعَ، وكلفظِ مُستَشزِزاتِ أي مرتفعاتِ، وهذا مرجعه إلى الذوقِ السليمِ، فكلُّ ما عدَّهُ الذوقُ السليمُ ثقيلاً مُتعبِسِرَ النُطقِ فهو متنافرٌ، ولا عبرةَ بقربِ المخارجِ ولا بُعدها ولا غير ذلك من صفاتِ الحروفِ إذ لا شك في فصاحةِ: (أَلَمْ أَعْهَدْ)، والغرابةُ كَوْنُ الكلمةِ وَحْشِيَّةً، أي غيرَ ظاهرةِ المعنى ولا مؤنسةِ الاستعمالِ والغريبُ قسَمَانُ غريبٌ حسنٌ وغريبٌ قبيحٌ. ثم يشرح الشيخ أقسامَ الغريبِ فالغريبُ الحسنُ هو الذي لا يغيب استعمالُه عن القربِ لأنه لم يكن وحشياً عندهم كغريبِ القرآنِ والحديثِ وك: (تَكَأْتُمْ) أي اجتمعتم، و(افرْتَقِعُوا) أي تنحَّوا. وأما الغريبُ القبيحُ يُعَابُ استعمالُه مطلقاً ويسمى الوحشيَّ الغليظِ وهو أن يكون مع كونه غريبِ الاستعمالِ، ثقيلاً على السمعِ، كرهها على الذوقِ ويسمى "التوعُّرُ" أيضاً ك (جَحِيشٍ) للمنفردِ، و"اضْلَحَمَ" أي أظلمَ، و"جَفَحَ" أي فخر وتكَبَّرَ، ثم الغرابةُ في اللفظِ إما لكونه لا يُعْرَفُ معناه إلا بعدَ البحثِ عنه في كتبِ اللغةِ المبسوطةِ كما تقدم، وإما لكونه يحتاجُ إلى أن يُخَرَّجَ له وجهٌ بعيدٌ ك (مُسَرَّجٍ) من قولِ العجاج:

وَمُقْلَةٌ وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا \* وَفَاحِمًا وَمَرْسَنًا مُسَرَّجًا

فالمقلة والحاجبُ معروفانِ وقوله "مزججا" أي مرققاً مطوَّلاً و"فاحما" أي شعراً أسودَ كالفحمِ، و"مَرْسَنًا" أي أنفأً، ومسرَّجاً: صفة الأنفِ، وكأنه شبهه بالسيفِ السريجيِّ في الرقة والاستواء، وبالسراجِ في البريقِ، فإن قلت: ما منعهم من جعله اسمَ مفعولٍ من سَرَّجَ اللهُ وجهه أي حسنه ثم أنشد مصراع البيت.

فالجوابُ كأنهم والله أعلم، لم يعتادوا على الاستعمال وكان هذا مؤلداً مستحدثاً من السِّراج، على أنه لا يبعدُ أن يقال: سرَّحَ اللهُ وجهه أيضاً من باب الغرابة.

والمخالفةُ كونُ الكلمةِ على خلافٍ وفق ما ثبتَ عن الواضع نحو: الأجلل بفك الإدغام من قوله:

الحمدُ لله العليُّ الأجلل \* الواحدِ الفردِ القديمِ الأوَّلِ  
فإنَّ القياسَ: الأجلل.

وليس من المخالفة نحو: وَقَطَطُ شَعْرُهُ، وما أشبه ذلك من الشواذ الثابتة في اللغة لأنها كذلك ثبتت عن الواضع.<sup>(24)</sup>

وفي قسم (الفصاحة في الكلام) قوله: وفي الكلام سلامته من التعقيد وضعف التأييف وتنافر الكلمات مع فصاحتها. ثم يشرح الشيخ ما أوجزه بقوله: أي والفصاحة في الكلام سلامته من كذا: فالتعقيد كون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه لخلل واقع. إما في ترتيب الألفاظ بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمامٍ أو غير ذلك ممَّا يوجبُ صعوبةً فهم المراد، وإن كان ثابتاً في الكلام جارياً على القوانين كقول الفرزدق في مدح خال هشام بن عبد الملك وهو إبراهيم بن إسماعيل المخزومي:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً \* أَبَوَامِهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ  
ثم يشرح ذلك أيضاً:

ما مثله في الناس حيُّ يُقَارِبُهُ أيُّ أحدٍ يُشَاهِبُهُ في الفضائل إلا رجلاً ملك المال والمُلكُ أَبُو أمَّ ذلك المُمَلَّكُ أَبُوهُ؟ أي: أبو إبراهيم الممدوح. أي لا يماثله

<sup>(24)</sup> ينظر المصدر السابق، ص 133

أحدٌ إلا ابنُ اخته الذي هو هشامٌ؛ ف مثلٌ: اسم ما. وفي الناس: خبرها. وحيٌّ: بدلٌ من مثل، ومملكا: مستثنى من حيٍّ، ونصبه لتقدمه، وإلا فالمختار البدل، وأبو أمه أبوه: جملة في موضع الصفة ل "مَمْلَكًا"<sup>(25)</sup>.

وإما في الانتقال من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني: المقصودُ إيرادُ اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصودِ كقول عباس بن الأحنف:

سَاطَلْبُ بُعْدِ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا \* وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

فكأنه يقول: إني لأطيين نفساً بالبُعدِ والفراقِ وأوطئها على مقاساة الأحران والأشواق، ولأتسببُ بذلك إلى وصل وقبول ومسرة لا تزول، فإنَّ (الصبرَ مفتاح الفرج) وإنَّ مع العسر يسرا، فجعل سكبَ الدمعِ وهو البكاء كناية عما يلزمُ فراق الأُحبة من الكآبة والحزن، وقد أصاب لكنه لم يصب في الكناية عما يوجبُهُ الوصالُ من الفرج بجمود العين، لأن الانتقال منه إلى بُخلها بالدمع أقربُ من انتقالها لما قصده من السرور ولهذا لا يقال لازالت عينك جامدة كما يقال: لا أبكى عينك.<sup>(26)</sup>

ثم يواصل الشرح فيقول: والضعفُ تأليفُ أجزاء الكلام على خلاف القانونِ النحويِّ المشتهر فيما بين أصحابه حتى إنه يمتنع عند الجمهور كالإضمار قبل الدِّكر لفظاً ومعنى نحو: ضرب غلامه زيد.

والتنافرُ كونُ اجتماعِ الكلمات ثقيلاً على اللسان كما في قوله:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ \* وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

وكما في قول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى \* معي وإذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي

<sup>(25)</sup> ينظر المصدر السابق، ص 134

<sup>(26)</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 134

ثم انضم إليه ثانيا فتضاعف ذلك، وليس «أمدحُه» غير فصيح بمفرده للجزم بفصاحة (فسيحُه). ثم لا بد من سلامة الكلام من التعقيد والضعف. والتنافر أن تكون كلماتُه فصيحَةً في نفسها، فزيدٌ أجَلُّ، وشعرٌ مُستَشَرٌّ وأنفٌ مُسَرَّجٌ ونحو ذلك ليس بفصيح.

ثم ينتقل الى شرح وتبيان الفصاحة المتعلقة بالمتكلم فيقول: ملكةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظٍ فصيح.

ثم يشرح هذا التعريف الموجز فيقول: يعني أن الفصاحة في المتكلم قوةٌ يقتدرُ بها على التعبير عن مقصده بلفظٍ فصيح. فقوله: "ملكةٌ" احترز به من لا يقتدر على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح إلا بلفظ أو تعبير، وقوله: (على التعبير) احترز به عن له ملكة على التصور دون التعبير، وقوله: (عن المقصود) احترز به من قوله: ملكة يُقْتَدَرُ بها على التعبير بلفظ فصيح، لكن لفظه لا يطابقُ تصوُّره، وقوله: "بلفظ فصيح" احترز به عن له ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود. لكن بلفظ غير فصيح، وإنما قال: بلفظ ولم يقل بكلام لِيَعْمَ المفرد والمركب، وليس من شرط الفصيح حصولُ التلفظ بذلك بل الفصيح من كانت له الملكة ولو لم يُعبر بذلك قط<sup>(27)</sup>.

وهذا الأسلوب يتحدث عن البلاغة وهي أيضا عنده تقسم إلى قسمين: البلاغة في الكلام والبلاغة في المتكلم، ثم يتناول أقسام البلاغة المعروفة وهي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ويختم كتابه بمباحث في السرقات الشعرية وما أشبهها.

ففي علم المعاني يتناول جملة من المسائل تتعلق بهذا العلم كتبيان أحوال المسند إليه من حيث تعريفه وما يتعلق به ثم المسند وأحواله، وفي

(27) ينظر المصدر السابق، ص136.

علم البيان يتناول المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة، وفي باب علم البديع يتناول قضايا عديدة تدخل ضمن البديع كالمطابقة ومراعاة النظير والارصاد والمشكلة والمزاوجة والعكس والرجوع والتورية والاستخدام واللف والنشر والجمع والتقسيم والتجريد والمبالغة وحسن التعليل والتفريع والاستتباع والادماج والتوجيه والهزل الذي أريد به الجد وتجاهل العارف والقول الموجب والاطراد والمحسنات اللفظية والجناس التام وغير التام والاشتقاق وشبهه ورد العجز على الصدر والسجع والموازنة والقلب والتشريع ولزوم ما لا يلزم وانهى كتابه بموضوع السرقات الشعرية وما اشبهها فتناول في هذا البحث الأخير جملة من المسائل تدرج تحت موضوع السرقات مثل الأخذ الظاهر والأخذ غير الظاهر وما يشبه السرقات الشعرية والاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.

وختم كتابه بقوله: وقد تم بحمد الله شرح التبيان في علم البيان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

انتهى وكَمُلَ بحمد الله تعالى وحسن عونه، مختصر التلخيص المنسوب لسعد الدين التفتازاني على يد كاتبه للفقير النبيه الأعز ذي الرأي البين البركة سيدي محمد ابن الخير البركة المرحوم سيدي يوسف نفعا الله ببركاته وبعلومه آمين.

في الثالث والعشرين من المحرم عام أربعة وعشرين ومائتين وألف عرفنا الله خيرهُ ووقانا شرهُ.

عبيد الله تعالى المذنب الخاطئ الراجي عفو مولاه محمد الصالح ابن المكي البرمكي غفر الله لوالديه واشياخه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والحمد لله رب العالمين.<sup>(28)</sup>

<sup>(28)</sup> ينظر المصدر السابق، ص 447.

وخلاصة القول فإن هذا الكتاب يعد لبنة أضيفت إلى صرح علوم البلاغة، وهو لا يقلُّ أهمية عن كتب الجرجاني والزمخشري والسكاكي وغيرهم من أرباب هذا العلم، وقد أظهر فيه صاحبه تمكنه في علوم أخرى وثيقة الصلة بعلم البلاغة كعلوم النحو والتفسير والحديث، والأدب، كما أظهر فيه تمكنه في الجانب التعليمي في الشرح والتفصيل والتبسيط والمحاورة والحجاج، وعن أهمية الكتاب يقول محققه: «وختاماً أصرح بأنني لم أقف في المصادر على من عُنِيَ بكتاب المغيلي كما فعلوا برجزه، ذلك الذي تعددت الشروح عليه، وانتقِيَ مرجعاً للتدريس خلال أعصرِ بلادِ السودان، بله تأثيره في مضممار التأليف، ومع ذلك فكتابُ "شرح التبيان" هذا في تقديري جدير بأن يُضافَ إلى المكتبة العربية في فِتِّه، فهو مصدر بلاغيٌّ يَجُوزُ عَدُّه تعليمياً من المستوى الرفيع أيضاً بذل فيه صاحبه من يد خبيرة بأسرار هذا العلم، مطَّلَعَةٌ على مُتباينِ تفريعاته، ذلك بأن البلاغة ليست إلا صورة نهائية لذوق الأمة النقدي في ناحية من نواحي أدائها الأدبي». (29)

---

(29) ينظر المصدر السابق، ص 98-99.



## مصادر البحث ومراجعته:

### أولاً: المصادر

1. أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق الأستاذ راجح بونار، كتاب صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر
2. أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2010.
3. سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط02، 1987.

### ثانياً: المراجع

1. جعفري، أحمد أبا الصافي، أبحاث في التراث، (الجزائر: منشورات الحضارة، ط1. الجزائر، 2011 م).
2. جعفري، أحمد أبا الصافي، رجال في الذاكرة وقفات تاريخية في أعماق الذاكرة التواتية محمد بن أب المزمري حياته وأثاره، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط02، 2007).
3. جلول، بلحاج، هاجس الرحلة في حياة محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الذاكرة، (صادرة عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 13، جامعة ورقلة، الجزائر، جوان 2019)
4. الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، (الجزائر: منشورات الحبر، ط02، 2011).
5. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط02، 2007).
6. مبارك جعفري، حول تاريخ وتراث منطقة توات، (الجزائر: دار الكتاب العربي، 2016).

7. مبروك مقدم، الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006).
8. مبروك مقدم، "حياة وأعمال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني"، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مقدمات تعريفية: حياته وآراؤه، تأليف جماعي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2022).
9. محمد الأمين بلغيث، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة رسالة المسجد، السنة 13، العدد 03، (مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ماي وجوان 2015).
10. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج 2، الطبعة الأولى، 1995).



# الرؤية الشعرية عند الإمام المغيلي: قصيدة المدح النبوي نموذجاً

الأستاذ الدكتور وفي صلاح الدين حاج ماجد

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العالمية في بيروت - لبنان

## ملخص:

تمثل قصيدة «بشراك يا قلب» درة التاج في شعر الإمام المغيلي، في سبكها ومعانيها، وأسلوبها وصدق عاطفتها، مشفوعةً بما حققته من شهرة سارت بها الركبان، وانتظمت في الصدور وطرر السطور منذ القرن العاشر حتى لحظة كتابة هذا البحث. والقصيدة بنسيجها الشعري وطابعها الوجداني الغنائي منتظمة في سلك المدح النبوية، معدودة في سمط معارضات بردة البوصيري؛ لكنها على شهرتها لم نظفر لها بدراسة نقدية تحليلية تستبطن مكنوناتها الأدبية الرفيعة، التي نحسب أن الإمام المغيلي رحمه الله قد ضمنها أصداف كلمها وعبائرها، بما عساه أن يقودنا إلى رصد ملامح الرؤية الشعرية للإمام من خلال عمق التجربة الشعرية التي عكست تجربته الإصلاحية في هذا النص الفريد بفرادة ناظمه ومقصده، وظروف نظمه الزمانية والمكانية. فقلّم الباحث قد ألقى بين عينيه عزمه في محاولةٍ طموحٍ لقطع شوطٍ مرضيٍّ في هذا الميدان الرحب، متمسكاً ما لاح له من إشارات باحت بها العبارات، وصدىً روحي ينجي القارئ في كل ركن من أركان القصيدة، يقول له: أنا ابن جلا، فهلا جلوت النفائس وأبكار العرائس!؟

## الكلمات المفتاحية:

المغيلي - الشعر - الأدب الأفريقي - الرؤية الشعرية - المدح النبوي.

## The Poetic Vision at Imām al-Maghīlī Prophetic Praise Poem as a Model

### **Abstract:**

The "Glad Tidings to the Heart" ode is amongst the crown jewels of Imām al-Maghīlī's poems in terms its pattern, meaning as well as the authenticity of its emotions. It became amongst the most well-known and wide-spread poems, memorised in the hearts and documented since the 10th century to the very time of writing this research. The ode, in terms of its poetic pattern falls under the "Prophetic Praise" genre. It is considered to be authored in a similar fashion to that of al-Būsīrī's "Mantle Ode". However, despite its fame, it has not been critically or analytically scrutinized in a manner through which its literary pearls could be unearthed. Upon analysis, it becomes apparent that Imām al-Maghīlī included within this ode literary pearls that would guide us to identifying his poetic vision. This could be achieved through the deep poetic experience that is reflected through his reformative experience in this unique text. This is particularly emphasized by the uniqueness of the author as well as the unique time and place in which it was authored. The researcher therefore intentionally and ambitiously seeks uncover much in this field. My soul echoes to the reader: let the literary beauties emerge!

### **Key Words:**

Imām al-Maghīlī, Poetry, African Literature, Poetic Vision - Prophetic Praise

## المقدمة:

يدرك كل من أعمل يراعة البحث والكتابة في جانب متصل بسيرة الإمام العلامة العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الكريم المَغِيلِي ومسيرته -رحمه الله- أنه لا محالة مقدم على رحلة للفكر والروح معًا، لا تنفك ترى فيها تناغمًا فريدًا بين عدة مسارات تتكامل فيما بينها لتشكل مجتمعة معالم الشخصية القيادية والريادية للإمام المغيلي؛ فدونك المسارات: السياسية الإصلاحية، والعلمية الفقهية، واللغوية الأدبية، والصوفية الروحية التجديدية، منتظمةً في سمط يسمو بالروح والفكر من خلال سمو أبعاده الإصلاحية النقية من شوائب الفساد بصوره المختلفة، التي تغلغت في الديار الإفريقية في نواحي الصحراء الكبرى وما جاورها، وانتهاءً بإقليم السودان الغربي (قادري ورحموني، 2020، 62 - 70)، في تلك الحقبة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن العاشر الهجري، حيث كان له - رحمه الله - في كل منها أوفر نصيب وأسدُّ سهم مصيب، ولا سيما بعد دفعه ثمنًا غاليًا جدًّا بمقتل ابنه بسبب الفساد وفتنة اليهود في توات وتلمسان (الثقافي وإبراهيم، 2016، 78). لكنه لم يستسلم بل مضى محتسبًا لله صابرًا في درب كفاحه حتى أتاه اليقين. وإن استقرأ دقيقًا لأحداث تلك الفترة وأبرز أعلامها يجعل الباحث المنصف مطمئنًا إلى أن العلامة المغيلي كان رجل الوقت أو انئذ، وقطب الرحى ونقطة البيكار التي يتعذر تجاوزها، والتي كانت الركن الأساس للزمان والمكان، وقد استفاضت الدراسات السياسية والتاريخية في حشد الشواهد والدلائل على هذه القضية (مقدم، 2006، 30 - 31).

هذا، ومن منطلق آخر، فقد أغرت شخصية الإمام المغيلي وسيرته أقلام الباحثين والكتاب، فدارت عجلة البحوث العلمية تتناول حياته وجهاده وكفاحه الإصلاحي، وآثاره العلمية ومسيرته في السلوك والتسليك والدرس والتدريس (حمو، 2019، 55 - 58، 60 - 64) و(دحمون، 2015،

25 - 26)، لكنها - فيما وصل إلى يدي من مصادر - كانت فقيرة في دراسة الجانب الأدبي الشعري لهذه الشخصية التاريخية الهامة دراسة تحليلية معمقة؛ فلم أظفر بدراسة نقدية جادة تسلط الضوء على هذا الجانب المهم الذي انعكست فيه خلاصة تجربته العلمية والنضالية، والذي أثر في مسيرته وكفاحه أيضاً (جعفري، 2007، 11). نعم كانت ثمة بحوث تناولت تحقيق بعض آثاره الشعرية كقصيدته الميمية الشهيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، قصيدة «بشراك يا قلب»، وإثبات صحة نسبتها إليه، أو ذكر مناسبتها (جعفري، 2021، 128)، وغير ذلك من تراثه الشعري، إذ تم تناوله من باب التحقيق أو العرض التاريخي العام المشفوع بعبارات التمجيد والثناء، دونما إضاءات تحليلية نقدية تستبطن عمق الدلالات والإشارات في تضاعيف هذا التراث - على قلة ما وصل منه إلينا - وتبين وظيفته في محطات حياة المغيلي وتأثيرها بها وتأثيرها فيها، ومن هنا كان هذا البحث الذي رجوت به أن أحقق إضافة لتلك الدراسات القيمة، ويكون فاتحة لباب مهم يتخصص في دراسات نقدية جادة تتناول شعر المغيلي من عدة زوايا مختلفة؛ إذ إن عمق التجربة في مسيرته الحافلة بالتحديات الخطيرة والمواقف العصبية يفتح الباب على مصراعيه لرؤى نقدية متعددة، تشد رحالها إلى الظفر ونيل الوطر بما حواه ذلك التراث الأدبي من درر نفيسة ما زالت كامنة في أعماقه.

### إشكالية البحث:

يمكننا تحديد إشكالية البحث من خلال جملة التساؤلات الآتية:

- ما القيمة المعرفية في بعدها اللغوي والأدبي التي يمثلها شعر الإمام المغيلي؟

- وإلى أي مدى يمكننا اعتبار شعره محطة محورية في مسيرته الإصلاحية؟

- وكيف جسد هذا الشعر الشخصية الثورية الإصلاحية للإمام المغيلي؟

- وما الرؤى والدلالات والإشارات التي يمكننا استقراؤها من خلاله؟

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية خاصة باعتباره محاولة بكرة - ولعلها الأولى - تسبر أغوار شعر الإمام المغيلي، في دراسة نقدية تحليلية له تسعى لمعالجة محاور ثلاثية ارتبطت بشعره:

1. الشخصية الشعاعية للإمام وملاحمها الإصلاحية:

فنتلمسها من خلال تجربته الشعاعية، وما حملته من شحنة فكرية ووجدانية تزخر بها أبياته.

2. القيمة الفنية لشعره وجمالياته الأسلوبية ومدلولاته التعبيرية:

فنقف على الرؤى والدلالات التعبيرية المعمقة وجمالياتها الفنية من خلال منطوق أبياته ومفهومها.

3. التأثير الوظيفي لشعره على الواقع والمسيرة الإصلاحية، وذلك من

خلال:

رصد وظيفية هذا الشعر وأبعاده التأثيرية في نواحي الحياة المختلفة: العلمية والاجتماعية والسياسية.

أهداف البحث:

1. تعزيز الدراسات المتخصصة في الجانبين اللغوي والأدبي من آثار

الإمام المغيلي.

2. إظهار أبعاد الشخصية الريادية والقيادية والإصلاحية للإمام المغيلي

من خلال تراثه الشعري.



3. الإضاءة على القيمة الفنية لتراثه الشعري، وربطها بمنهجه الإصلاحي.

### الدراسات السابقة:

1. دراسة أحمد جعفري (2021) بعنوان: «مخطوط قصيدة» بشراك يا قلب" بين القاضي عياض والإمام المغيلي: من الناظم؟ لماذا؟ وكيف؟"، التي تناولت ضبط نص القصيدة بشكل متقن، ثم بيان أبرز محاورها ومقاطعها الفكرية بشكل عام، قبل أن تتفرغ لعرض الشواهد والقرائن الأدبية والتاريخية على ترجيح نسبة القصيدة إلى المغيلي، إضافة إلى تضمها بعض الإشارات والملاحظات النقدية.

2. دراسة محمد بن خالد الدخيلي (2019) بعنوان: «الأدب العربي الأفريقي بين الأصالة الإسلامية والمتعة الفنية»، التي تناولت عددا من القضايا النقدية والجوانب الفنية المتعلقة بالأدب العربي الإفريقي، مع تركيز خاص على قضية تقسيم الأدب الأفريقي والنيجيري إلى عصور أدبية أسوة بالتقسيم الذي اتبع للأدبين الأوروبي والعربي. وكان اللافت إضاءة الدراسة على الأثر التاريخي الأدبي لجهود الإمام المغيلي في الأدب النيجيري في القرن التاسع الهجري حينما استقر في إقليم السودان الغربي.

3. دراسة الباحثين: باجي عبد العزيز وعبد الغفار بن نعمة (2018) بعنوان: «قراءة في مخطوط بشراك يا قلب للإمام عبد الكريم المغيلي»، التي تناولت ضبط نص القصيدة ثم بياناً إجمالياً لما اشتملت عليه من معان ومواجيد.

4. دراسة الباحثين: عثمان عبد السلام محمد الثقافي ولطيف أونيريتي إبراهيم (2016) «أضواء على آثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في الأدب العربي بنيجيريا»، التي اهتمت ببيان آثار المغيلي في الشعر العربي في نيجيريا، ثم في النثر العربي فيها، ودور تلك الآثار في عملية

الإرشاد والإصلاح التي هي عماد حركة الإمام المغيلي وعمدته، وبالأخص في توجيه الملوك وإرشادهم والتأثير في أممهم من خلالهم، ثم انتشارها في عموم غرب أفريقيا من بعد ذلك.

5. دراسة أحمد أبا الصافي جعفري (2007) «الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحًا/ أديبًا» التي تناولت الحديث عن تراث الإمام المغيلي عامة وتراثه الأدبي خاصة، مبتدئة بأثاره النظرية ثم الشعرية، التعليمية منها فالوجدانية، التي محورها ميميته "بشراك يا قلب"، معرجة على دوافع القصيدة وارتباطها بحياة الإمام الدعوية والفكرية، مع شيء من الإسقاطات على التحديات التي مر بها.

بداية الرحلة:

الإمام المغيلي ونهضة الأدب العربي في أفريقيا الغربية (السودان الغربي)

لا يكاد يختلف اثنان من أهل السير والتواريخ في عظيم الأثر الذي تركته حركة الإمام المغيلي الميدانية في إقليم السودان الغربي- وهو يشمل اليوم حوض السنغال وغامبيا وفولتا والنيجرا الأوسط (مقدم، 2006، 37) - بجوانبها المتعددة: السياسية والاجتماعية والعلمية، حيث كانت النهضة في اللغة العربية والأدب العربي شعرًا ونثرًا من أظهر ثمار تلك الحركة الإصلاحية، فانعكس ذلك على حال الطبقة المباشرة من تلاميذ المغيلي ومريديه، ثم على من جاء بعدهم وهلم جرا، إلى أن شكلت حركته مدرسة متميزة ثابتة لها امتدادها المكاني، وتأثيرها المحوري على الحالة الثقافية في تلك الحقبة، وهو الأمر الذي حدا ببعض من ألف في تاريخ الدراسات الأدبية الأفريقية واقترح عصور أدبية لها على غرار العصور المقترحة للأدب العربي أن يجعل أحد تلك العصور موسومًا باسم "العصر المغيلي"؛ فهذا هو الشيخ الأديب آدم عبد الله الإلوري، الذي يعد أول من حاول أن يؤرخ للأدب العربي الأفريقي في عصوره المختلفة في كتابه (مصباح الدراسات الأدبية في الديار

النيجيرية) (الدخيلي، 2019، ص 248)، حيث قد قسم عصور الأدب النيجيري إلى خمسة عصور:

1. العصر البرناوي.
2. العصر المغيلي.
3. العصر الونجري.
4. العصر الفلاني.
5. العصر الإنجليزي.

كذلك فعل الأديب الناقد النيجيري الأستاذ زكريا إدريس أبوحسين في كتابه (المأدبة الأدبية)، حيث قسم فيه عصور الأدب العربي الأفريقي إلى ستة عصور (الدخيلي، 2019، 249 - 250):

1. عصر الاستهلال أو عصر كانم وبرنو والموحدين (1000 – 1300م).
2. عصر الاسترشاد أو عصر الدعاة الوافدين (1300 – 1804م): وهو عصر زيارة العلماء والدعاة إلى أقاليم غرب أفريقيا من بلاد العرب، مثل:
  - أ. زيارة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.
  - ب. زيارة الشيخ جلال الدين السيوطي إلى كنو وكشنة.
3. عصر الاستقرار أو العصر الفودي (1804 – 1903م).
4. عصر الاستعمار: فرنسا وبريطانيا والبرتغال (1903 – 1960م).
5. عصر الاستقلال (1960 – 1999م).
6. عصر الازدهار (2000 – ...).

من هنا يتضح أن المغيلي رحمه الله كان مؤثراً أساسياً في نهضة الأدب، وبالتالي فإن تخصيصه بالدراسة على هذا المستوى ليس ضرباً من المغالاة في

مشايخ الطريق أو افتعالا لقضية ليست ذات بال، فحسبه من الاهتمام أن سمي باسمه عصر كامل من عصور الأدب العربي في أفريقيا الغربية، وفي هذا وحده من دلائل التجديد وعمق الأثر ما يكفي الباحث مؤنة تسويغ الاختيار للموضوع والتخصيص بالعلم محور الدراسة.

كلُّ الصيد في جوف الفرا...

بين يدي ميمية المغيلي في المدح النبوي: «بشراك يا قلب».

كان المغيلي رحمه الله شاعرًا بليغًا، كما أكد معاصروه ومن ترجموا له. وقد تنوع إنتاجه الشعري بين شعر تعليمي وشعر وجداني غنائي يجسد مسيرته الإصلاحية ويعد سفيرا لفكره التنويري. لكن معظم هذا التراث لم يصلنا، وهو الأمر الذي يتعذر معه رصد كامل تجربته الشعرية في تجلياتها المختلفة، لكن ميميته النبوية الطائفة الشهرة في الأفق تختصر وحدها الكثير من هذه التجربة الملهمة والملمة؛ فلم كان الاقتصار عليها واتخاذها نموذجًا للإبراز الرؤية الشعرية للمغيلي؟

إن الجواب عن هذا التساؤل ينحصر في أمرين رئيسين:

الأول: أنها المدحة النبوية الوحيدة التامة من شعر المغيلي التي وصلتنا محققة ومضبوطة ومسندة.

بل تكاد تكون القصيدة الوجدانية الوحيدة التي سلمت للدارسين من تراثه الأدبي المفقود، اللهم إلا مقطوعات قصارًا متناثرة هنا وهناك في تضاعيف المصادر، فهي لا تسعف المريد ولا تشفع للمراد، وبناء عليه كانت الميمية الملاذ الأمن لكل من يريد الوقوف على نموذج متكامل لشعر المغيلي تتجلى فيه عناصر العمل الفني المكتمل، فكأنها تغنيك عن أخواتها، وويكأنها كواحدة أبي ذؤيب أو بائبة صالح أو لامية الطغرائي، ونحوها من مفاريد القصائد الجياد في تاريخ أدبنا العربي، فحق لها أن تكون واسطة عقد أشعاره، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق!

الثاني: أنها نظمت أثناء رحلة الحج، بين عامي 1499 و1500م (عبد العزيز وابن نعيمة، 2018، 261)، أي قبل وفاة المغيلي بثلاث سنوات تقريبًا، أي أنها تمثل قمة نضجه الفكري وذائقة الشعرية، وخلاصة تجربته الروحية والأدبية؛ فكيف بها وقد قالها ارتجالاً، وهو في قلب الحدث وعين المناسبة: تجيش في فؤاده انفعالات هي أكبر من أن تعبر عنها الكلم، منثورة ومنظومة، في ساعة تجليات وأنوار تتشوف لها نفوس القوم، وقد شرب الوصال عند باب الوصول، في الروضة الشريفة في حضرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، محفوظاً بتجليات الكرامة ونفحة المدد المحمدي؛ حين اهتزت الروضة وانفتح بابها وفرّ الوكلاء الذين منعه من الاقتراب، وانهاled عليه الناس يتبركون به وبدعائه (السملالي، 1999، 5/110)، فكانت خير بشرى وكان خير مبشّر من خير مبشّر، فوافق إذ ذاك الخبر الخبر، فحُق لها أن تتسّم سائر شعره، وأن تتسّم بركة الحدث، على مدى التاريخ، متوجّهة بغرة مطلعها، وسماً لها ورسماً: «بشراك يا قلب!»

نعم، وأي بشرى تلك البشرية؟! ولعله بسرّها طار صيته وعلت رايته، وخفقت بنوده وأضاءت في العالمين بدوره وسعوده، فلا غرو أن تختصر القصيدة مسافات البحث والاستقراء، ويقنع بها يراع التحليل، إذ سما إليها فسام الذرا، فكلّ الصيد في جوف الفرا!

### نص القصيدة:

وقبل الشروع في محاولة تلمس الرؤية الشعرية للمغيلي وتحليلها من خلال الميمية، وتجليات تجربته الإصلاحية وإسقاطاتها عليها، أورد في ما يلي نص القصيدة مثبتاً إياها بتمامها باعتبار عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتاً، مراعيًا الجمع بين رواياتها المختلفة والمتقاربة، جاعلاً معتمدي الرواية التي حققها الأستاذ الدكتور أحمد الجعفري في دراسته القيمة (مخطوط قصيدة "بشراك يا قلب" بين القاضي عياض والإمام المغيلي: من الناظم؟

لماذا؟ وكيف؟)، ومثبتًا في بعض ألفاظها ما ترجح عندي في روايات المخطوطات الآتية، والتي نقل صورًا منها الدكتور الجعفري في ملاحق دراسته (2021، 60 – 63)، وهي:

- مخطوطة «المنة في اعتقاد أهل السنة» للشيخ سيدي المختار الكنتي.

- مخطوطة عبد الرحمن حمادو الكنتي التي أوردتها في كتابه «مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام».

- المخطوطة المحفوظة في خزانة أمحمد بن محمد الفقيه التلوليني، أدرار الجزائر.

قال العارف بالله العلامة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله عنه:

1. بشراك يا قلبُ هذا سيد الأمم \* وهذه حضرة المختار في الحرم
2. وهذه الروضة الغراء ظاهرة \* وهذه القبة الخضراء كالعلم
3. ومنبر المصطفى الهادي وحجرته \* وصحبه وبقية دائرهم
4. قطبٌ وغبٌ عن هموم كنت تحملها \* وسلّ تنل كل ما ترجوه من كرم
5. ياسيدي يارسول الله خذ بيدي \* فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
6. ياسيدي يارسول الله خذ بيدي \* يامن لقاصده أمن من النقم
7. ياسيدي يارسول الله خذ بيدي \* فبحرجودك مورد لكل ظم
8. ياسيد الرسل يامن ضيف ساحته \* يبيت في الأمن في خير وفي نعم
9. يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل \* يا أفضل الناس في ذات وفي شيم
10. يا أشرف الأنبياء يامن شفاعته \* عمت على الخلق من عرب ومن عجم

11. ياصفوة الله، يامولئى مكارمُه \* عمت على الخلق من طفل إلى هرم
12. يا صاحب الحوض، يابحرًا فضائلُه \* عمّت على الخلق في الوجدان والعدم
13. إني فقير إلى عفو ومرحمة \* وأنت أدري بما في القلب من ألم
14. وقد أتيتك أرجو منك مكرمة \* وأنت أهل الرضا والجود والكرم
15. والحال يغني عن الشكوى إليك وقد \* عرفت حالي وإن لم أحكه بفسم
16. فاشفع لعبدك واجبركسره فلقد \* أودى به الكسر مما نال من جُرم
17. يا أحمدُ يا أبا بكر ويا عمرُ \* نزيلكم في أمان غير منهنزم
18. فقد سعيت إلى أبواب حجرتكم \* سعيًا على الرأس لاسعيًا على القدم
19. أتى منأم القرى يرجو القرى كرمًا \* من سادة هم بحار الجود والكرم
20. فإن قبلتم فإنني مفلح بكم في \* زورة واغتراب وافر القسَم
21. يامن أجل ملوك الأرض قاطبة \* في باب فضلهم من أصغر الخدم
22. فهل عسى نظرة منكم لزائركم \* يغنى بها عن جميع الخلق كلهم
23. محمد وضجيعاه الذين بهم \* طبنا وغبنا عن الخسران والندم
24. يارب يارب يامولاي عبدك \* في باب الرجا يرتجي أمنا من النقم
25. فجد عليه بما يرجوه من كرم \* فقد توصل في الدنيا بحقهم
26. ثم الصلاة وتسليم الإله على \* هذا النبى رفيع القدر والشيم

عمق الرؤية الشعرية في القصيدة وإسقاطات التجربة التي تجلت  
إشارات في الجوانب الأربعة الآتية:

غربة المغيلي - النفس الثوري الإصلاحى - فخر المظفر المتواضع -  
استشراف الوداع ودنو الأجل.

## أولاً: غربةُ المغيلي

الإمام المغيلي رحمه الله كان رجل صلاح وإصلاح، فثار ضد الفساد والفاستدين، وجاهر بالحق لا يخشى في الله لومة لائم، ناذراً حياته مجاهداً بالقول والعمل، ولم تكن طريقه تلك مهيباً سالماً، بل كانت شعاباً ذات شجون وحزون، لقي فيها من بلاء المعارضة ما لقي، وذلك شأن دعاة الإصلاح الثائرين على واقع الفساد حولهم، فهم غرباء عنه وعن أهله، وهم في غربة متجددة بتجدد الصراع بين الحق والباطل، وتجدد صبرهم وتجديد عهد الثبات على الحق حتى يأتيهم اليقين، فكانوا في حالهم ومقالهم ترجماناً حياً للحديث النبوي الشريف: «إن الدين بدأ غربياً ويرجع غربياً، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي» رواه الترمذي وحسنه (18/5، 1975).

وإسقاطات تلك الغربة في الميمية نلامسها في صدى الاستغاثة التي ترددها (يا) الندائية المقترنة بصفات المدح والخصال السنية والخصائص النبوية للرسول صلى الله عليه وسلم، ولا سيما بعد إشارة الفتح والقبول واهتزاز الروضة الشريفة بعد البيت الخامس:

ياسيدي يارسول الله خذ بيدي \* فالعبد ضيفٌ وضيفُ الله لم يُضم.

فجاد بعده المغيلي - مرتجلاً - بالنداء والاستغاثة، في تدفق عاطفي وانفعال نفسي صامت متنقل خلال الأبيات، ألهبته حرارة اللحظة، وهيبة الكرامة التي تجلت في تلك الرحاب، فتوزعت مواقفه النفسية بين شكوى غربة الروح في محيط الفساد المظلم، والظماً لنفحة القرب والوصول، وترقب فيض الأمداد من المصطفى وصاحبيه. تلك المواقف لم تكن صارخة، بل جاءت خافتة متوارية في ظلال الكلمات، نستطيع أن نستبطنها ونلمح بوارق إشاراتها بتحليل معمق لبعض العبارات والتراكيب ذات الدلائل القوية، وتحديداً في الأبيات: 5، 6، 7، 8، 13، 14، 20؛ فتحدث - على



الترتيب - عن: تغيبب الهموم: «فطَبَّ وغبَّ عن هموم»، وطلب العون والأخذ باليد مؤكِّدا عليه مكررا له بإلحاح المستعطف: «خذ بيدي»، وشكوى الضيم: «وضيف الله لم يضم»، ونشدان الأمان: «يامن لقاصده أمن من النقم» و«بيت في الأمن»، والظمأ إلى الإكرام: «فبحر جودك مورد لكل ظم» والتصريح بألم القلب: «... ما في القلب من ألم» وتجديد استجداء الجود والتعطف، ثم التصريح دون مواربة بهاجس الاغتراب الذي يعيشه: «في زورة واغتراب»، والذي يرجو زواله في هذه الزيارة الشريفة للمصطفى وصاحبيه «بحار الجود والكرم». إن حياة داعي الإصلاح تحيط بها الصعاب والعقبات الكأداء، مع قلة الناصر وضعف العون والسند، فهو بحاجة ماسة إلى استنهاض العزم لمواصلة الطريق، فلا بد له من مكان موائم ينسجم معه، ينسيه غربة الروح والمجتمع، وأين سيظفر بمثل الروضة الفيحاء والقبة الخضراء والحجرة الغراء في ضيافة المصطفى "سيد الرسل وأكرم الخلق وأشرف الأنبياء"؟ الإمام المغيلي ألقى همومه وبث أحزانه وشكا مصابه وعرض حاجته، وأطلق صرخة أنين خافتة وواثقة من إجابة الطلب، وقد تحصل له طمع بالقبول - وحُقَّ له - بعد اهتزاز الروضة حين صدح لسان الحال والمقال بشهادة نفيسة: «وضيف الله لم يضم!» ويا لها من شهادة، ويا لها من كرامة! فالمغيلي ضيف رسول الله، قد قصد الزيارة الشريفة ملتزماً تعظيم الجناب المحمدي، وتعظيم الرسول هو تعظيم لله الذي أرسله، فهو في طاعة الله كذلك، يغرف من مدد البركات والفيوضات الربانية، فهو في المعنى ضيف الله، وحاشا لضيف الله أن يضام، فهما قد فُتِحَ لك يا مغيلي باب القبول بالإقبال، فسل تعطه بإذن الله!

### ثانياً: النفس الثوري الإصلاحية

لم يهدأ المغيلي في مسيرته الإصلاحية حتى وافاه الأجل، فقد عرفت عنه همته الاستثنائية في الكفاح ضد الفساد ودعاته، فارتسمت في حركته معالم

الرجل الثائر على الواقع الفاسد حوله، وما كان ليتم له ما أراد من إصلاح لولا ذلك النفس الثوري الذي عرف به. وإن نظرة عابرة إلى ميميته النبوية تريك قصيدة هي في ظاهرها هادئة النفس، تلقي على القارئ ظلالاً من الخشوع وعاطفة المناجاة المرهفة، الممتزجة بمعاني التعظيم والإجلال للمقام المحمدي الشريف وخصائصه النبوية السنية؛ لكننا إذا أنعمنا النظر بتعمق يستقي مادته من حياة المغيلي فإننا نطمئن بلا مواربة إلى أننا أمام قصيدة ثائرة تنعكس في تضاعيفها إسقاطات المسيرة الإصلاحية؛ فنحن مع الإمام المغيلي في هذه القصيدة نقف أمام شاعر ثائر، ضمّن ثنايا الكلم والعبائر من جمر الثورة المتقد ما جعلها إحدى محطاته الثورية على المستوى الفكري والوجداني. نعم قد تبدو هذه القراءة غريبة أو صادمة بعض الشيء، غير أن في النص من الدلائل والإشارات ما يشهد بذلك، بل كنا لنتفاجأ لو لم يكن الحال كذلك؛ فلقد حشد المغيلي طائفة من المفردات مشحونةً بعاطفة شديدة الانفعال، وكأنها وقود لثورة تنقلب على الواقع المرفوض، وتعبّر عن ذات صاحبها المتطلعة إلى لحظة التغيير بثقة العارف المستنير بمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه الجليلين، كما يلوح ذلك في لمع عميقة الدلالة، وكأنه نظر إلى دستور البحترى (الصيرفي، 2009، 209 / 1): [المنسرح]

«والشعرُ لمَّحٌ تكفي إشارتهُ وليس بالهذر طُوِّلَتْ خطبُهُ»

ويتجلى ذلك في الأبيات: 15، 16، 21، 22. وأولى تلك اللمع نلتمسها في

قوله:

والحال يغني عن الشكوى إليك وقد \* عرفت حالي وإن لم أحكه بفم

فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد \* أودى به الكسر مما نال من جُرم

فهو يصرح معترفاً في البيت الأول بأمرين: بحصول خطب يستدعي

الشكاية، وبكتمانها تلك الشكوى فلم يبيح بها بلسان المقال وإنما أبانها بلسان

الحال. وفي البيت الثاني يطلب جبران الكسر، أي إصلاحه لما نابه من فساد وجرم حل به. فالشكوى في البيت الأول هي شكواه من واقع الفساد، وتعاضم خطبه، فوجوده هو العلة الكبرى التي هي أساس ثورته وحركته الإصلاحية. وإن عبء الهوض بإصلاح هذا الواقع كان أكبر من قدرات المغيلي وحده، فكان لا محالة بحاجة إلى دعم خاص ومدد استثنائي يعينه على بلوغ مقصده، فكانت الزيارة المحمدية، وكانت الميمية. وشفع عرض الشكاية بالاعتراف بالكسر وما ناله من فتن المفسدين وجرمهم، وكذا واقع الثائرين، ينوءون بعبء اتهامهم أنفسهم بالتقصير، وعبء ما يصيبهم من أذى المفسدين، وعليه فما هو قرار المغيلي؟

فلنقرأ الجواب في قوله:

يامن أجل ملوك الأرض قاطبة \* في باب فضلهم من أصغر الخدم  
 فهل عسى نظرة منكم لزائركم \* يغنى بها عن جميع الخلق كلهم

قرار المغيلي هو الثبات في الموقف والاستمرار في الكفاح؛ فقد بدأ القرار بإعلان المواجهة، مستعينا بصيغة نداء للنبي صلى الله عليه وسلم مغيرة في أبعادها الدلالية لسابقتها، مستفيداً من الإتيان بالنداء مسنداً إليه معرفاً بالموصولية، مستوعباً في جملة الصلة رسالته الثورية وإعلانه قرار المواجهة؛ فبعد نداءاته السابقة ذات الطابع الوجداني المناسب لمقام المناجاة: يا سيدي، يا رسول الله، يا سيد الرسل، يامن ضيف ساحته يبيت في الأمن، يا أكرم الخلق، يا أفضل الناس، يا أشرف الأنبياء، يا من شفاعته عمت...، يا صفوة الله، يا مؤلئ مكارمه عمت...، يا صاحب الحوض، يا بحرأ فضائله عمت...، يا أحمد؛ فبعد تلك النداءات كانت نقطة التحول في المفردات التي هي عدل لفظي للتحول في التوجه الفكري، وتعبير ضمني عن مكنونات الضمير، فخطب الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه سيد ملوك الأرض، وأنهم جميعاً في رتبة أصغر الخدم بالنسبة إليه صلى الله عليه

وسلم، فهذه من المغيلي إشارة دقيقة لاستمهاضه العزم المحمدي ليمنه بمدد النصر والتأييد في معركته الإصلاحية، وأن النهج المحمدي هو نهج الصلاح والإصلاح الذي يعلو ولا يعلو عليه، وأتى لأصغر الخدم أن يتغلبوا على سيد ملوك الأرض؟! ولهذا غير في مفردات المناجاة، فانتقل من الصيغ الوجدانية الهادئة إلى الصيغ المشوبة بطابع السياسة والمواجهة، بما يحقق الانسجام مع المقام ويراعي مقتضى الحال، وذلك هو جوهر البلاغة! ولأنه كاليتيم في ميدان الإصلاح فلم يعد له من نصير سوى نظرة محمديّة من الجناب الشريف، ففيها الكفاية والغنى عما سواها، فاختر المغيلي لفظة (يعنى بها) زادًا محققًا للمواجهة، فتلك النظرة هي زاد النصر الذي لا يخذل صاحبه.

ثالثًا: فخر المظفر المتواضع.

الإمام المغيلي كان عالما ورعا عارفا بالله، صوفيا صادقا، سليم دواعي الصدر من علل القلوب وأدواء النفوس، فهو الرجل المتواضع في أحواله كلها؛ متواضع في الرخاء وفي الشدة، وفي المواجهة وعند بلوغ المقصد والانتصار في جولاته ضد الفساد. ولكن هذا التواضع لا يحجب لذة الظفر وشمخ الاعتزاز برفع راية الحق وترسيخ دعائم المنهج الرباني في المجتمع، بل لا معارضة بين التواضع وهذا الاعتزاز شعورًا وتعبيرًا، سواء بلسان الحال أم بالمقال، وكذا كان في جو القصيدة بين ظلال مباني النص ومعانيه. وإن سألت عن مواضع هذا الفخر المتواضع فالجواب: النص كلُّه! نعم، من مستهله بكلمة بشراك - بما تحمله من فيضٍ وجداني غزير وعميق يعكس معاني الفرح وطمأنينة الظفر والثقة بإنجاز الوعد وبلوغ المرام - حتى خاتمة القصيدة، ويكأنّ النص يطفو على فيض من هذه الثقة العميقة بالنصر، والاعتزاز بأنه من السعداء القلائل الذين ظفروا بإشارة القبول بعيد اهتزاز الروضة الشريفة وما جرى حينها في مرأى ومسمع من الخلائق، إذ القصيدة

كانت ارتجالية، فتدفق في أبياتها بعد البيت الخامس نفس واحد تنقل بين معانيها المختلفة، هو الفرح بهذا الاستقبال الشريف والكرامة الباهرة، التي كانت أشبه بمكافأة محمدية للمغيلي، فهو معتر بها أبد الدهر، فتدفق في قلبه المتواضع شعور الاعتزاز الظافر، الذي انطبع في القصيدة، متناغما مع شعوره بالغربة، وطمعه بمدد النصر ونظرة الفتوحات التي تجبر انكساره وتبلسم جراحه.

#### رابعاً: استشراف الوداع ودنو الأجل.

تقدم بيان أن المغيلي قد نظم القصيدة قبل وفاته بنحو ثلاث سنوات تقريبا، وهو يودع الحرم النبوي الشريف في آخر زيارة له إلى تلك الرحاب المباركة؛ وبرغم ما بيّناه من قبل من أجواء نفسية ووجدانية وثرورية حفل بها جو القصيدة، إلا أن ثمة إشارة خفية شقت لنفسها طريقا في تلك الأجواء المحترمة، حتى إنك لتتساءل: فكيف وصلت أنت من الزحام؟! وتلك الإشارة هي استشراف المغيلي دنو الأجل، فأتى بإشارات توهم إلى ذلك المعنى تلميحا، وكأنه يودع الأحبة وهذه الدنيا، ليستعد إلى رحلة من نوع آخر، زاده فيها العمل الصالح وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن المرء مع من أحب! وبحسب قراءتنا واجتهادنا فقد تلمسنا هذه الإشارة في أربعة الأبيات: 19، 20، 24، 25، وهي قوله:

- أتى مِنْامِ القُرَى يرجو القُرَى كَرَمًا \* من سادة هم بحار الجود والكرم  
 فإن قبلتم فإنني مفلح بكم \* في زورة واغتراب وافر القسَم  
 ياربّ ياربّ يامولاي عبدك في \* باب الرجا يرتجي أمنا من النقم  
 فجدّ عليه بما يرجوه من كرم \* فقد توسل في الدنيا بحقهم

فالمغيلي إذ أشرف على خاتمة القصيدة، وعلى نهاية رحلة الحياة، يرجو من سيد الرسل صلى الله عليه وسلم القبول، ولكن عن أي قبول يتحدث؟

فهو بحسب الظاهر قد حصل له القبول التام في زيارته للمقام الشريف، واهتزت له الروضة مرحبة به ومجيبة طلبه بالقرب والمناجاة، فأى قبول ينشد وراء ذلك؟ إنه الفلاح الأخرى المشروط بتحقيق قبول خاص له في ديوان المقبولين، في دار النعيم مع الأنبياء والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، فهو قبول له في الآخرة يتحقق له فيه الفلاح ومفارقة غربة الحياة الدنيا، في إشارة إلى ما ورد في الحديث الشريف: "الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة" رواه أحمد (شاعر، 1995، 6/339)، ومن هنا جاءت ألفاظ: «قبلتم»، و«مفلح»، و«اغتراب»، متحدة في أعماق الدلالة المرتبطة بنشيدان الغاية الأخرى بعد تحقق وتيقن بلوغ الغاية الدنيوية، فنلاحظ ثنائية دلالية تتجلى في كل لفظة من هذه الألفاظ الثلاثة: فالقبول قبولان: دنيوي وأخرى، والفلاح فلاحان: دنيوي وأخرى، والغربة غربتان: دنيوية ودنيوية، فتألف من هذا الثلاثي اللفظي إشارة قوية ورسالة روحية مبطنة تومئ إلى مشهد الوداع وختام الحياة الثورية والقصيدة الثائرة. ولهذا نراه في البيت الثالث يكرر ثلاثاً نداء المناجاة لله تعالى في مقام الاعتراف بالعبودية للمولى سبحانه: «يا ربّ يا ربّ يا مولاي عبدك...» في إلحاح لا تراه يحمل إلا رسالة روحية رفيعة وخاصة، تتجاوز في حجم التضرع الغايات الدنيوية الفانية إلى غايات أسمى تستدعي هذا التذلل في أعتاب مقام العبودية، وكأنها استغاثة مفارق لا محالة يرجو الفوز والنجاة في الدار الآخرة، والأمان من نقم الآخرة ورزاياها لا من مجرد فتن الدنيا الزائلة وبلاياها، ثم تأتي كلمة الدنيا في عبارته: "فقد توسل في الدنيا بحقهم" مفتاحاً من مفاتيح الإشارة إلى رحلة الوداع ومفارقة الحياة، مصرحاً بذكرها: "الدنيا"، وهي دار الممر إلى دار المقر، ففيها يجدي التوسل إلى الله بالأكابر للنجاة من الأهوال والمخاطر، والأمان من النقم بعد الموت.

## الخاتمة، ونهاية الرحلة:

تلك كانت رحلة الفكر والذوق واليراعة في سبر مكونات ميمية المغيلي المدحية، والكشف عن عمق رؤيته الشعرية التي بثها في تضاعيفها، وما تضمنته من معان ورسائل، من خلال ما لاح فيها من إشارات ذوقية تترجم عنها؛ فأنعمنا نظر التحليل فوجدناها مشتملة على أربعة جوانب معنوية هي: غربة المغيلي، والنفس الثوري الإصلاحي، وفخر المظفر المتواضع، واستشراف الوداع ودنو الأجل؛ حيث تدفق في قنواتها إحساس الشاعر المرهف، الذي اختصر تجربته الثورية الفريدة ومسيرته الإصلاحية المباركة وهي في أوج نضجها وقمة عطائها؛ فكنا أمام قصيدة نائرة ظافرة، تحكي غربة ناظمها، وتشمخ بظفره بوطر النوال والقبول، ثم تودعنا بهمس وخفوت وتواضع، وبها ختم هذا العمل الأدبي الجليل الذي وجد طريقه نحو منصة الأعمال السامية في تراثنا الأدبي العربي، وخلد اسم ناظمه علمًا بين فحول شعراء ذلك العصر، حتى انطبع باسم المغيلي فليل: العصر المغيلي. وإن الباحث ليرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة مهمة لمكتبتنا العربية الأدبية عمومًا، ولتراث الإمام المغيلي رحمه الله خصوصًا، وقد رميتُ ولست من بني ثعل، فإن وُفقت وأصبحت الغرض فَنِعَمًا هو، وإن يك غير ذلك فحسبي شرف المحاولة، وأني نشدت فلم أغفل حمولة معبد!

## مراجع البحث:

1. إبراهيم، يوسف. (2010). ملامح تطور الشعر في ولاية كشنه (نيجيريا). رسالة ماجستير، قسم الدراسات النظرية - شعبة اللغة، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.
2. أبو بكر، عيسى؛ ومقدم، عبد الرشيد. (2013). الشيخ الإمام المغيلي وأثره العلمية في نيجيريا: دراسة فنية. الملتقى الدولي الأول حول المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا: واقع وآفاق. مجلة رفوف، عدد خاص، العدد 3، 252 - 267.
3. بشير، قذاف. (2014). النثر الفني في مجموعة المغيلي وأثره في الأدب العربي النيجيري: دراسة تحليلية. رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية - حنتوب، جامعة الجزيرة، السودان.
4. الترمذي. (ط2 1975). سنن الترمذي. (ط2). المجلد 5، تح: إبراهيم عطوة. القاهرة: البابي الحلبي.
5. الثقافي، عثمان؛ وإبراهيم، لطيف. (2016). أضواء على آثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في الأدب العربي بنيجيريا، مجلة أبوليوس، 3 (1)، 76 - 99.
6. الجعفري، أحمد. (2021). مخطوط قصيدة "بشراك يا قلب" بين القاضي عياض والإمام المغيلي: من الناظم؟ لماذا؟ وكيف؟، مجلة رفوف، 9 (2)، 34 - 63.
7. جعفري، أحمد. (2007). الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحًا/أديبًا، مجلة الفضاء المغربي، 5 (2)، 117 - 130.
8. حمو، عبد الكريم. (2019). الجهود الفكرية واللغوية للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي: قراءة في مضامين الكتابة والتأليف. مجلة جسور المعرفة، 5 (1)، 53 - 71.
9. دحمون، عبد الرزاق. (2015). الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: جهوده العلمية ومواقفه السياسية. مجلة رسالة المسجد، 13 (3)، 17 - 45.
10. الدخيلي، محمد بن خالد. (2019). الأدب العربي الأفريقي بين الأصالة الإسلامية والمتعة الفنية: دراسة في الإنتاجات العلمية. مجلة طلبة للدراسات العلمية والأكاديمية، 2 (1)، 245 - 266.



11. السملالي، العباس بن إبراهيم. (1999). الإعلام بمن حل في مراكش وأغمات من الأعلام. تح: عبد الوهاب بن منصور. (ط2)، الرباط، المطبعة الملكية.
12. شاكرا، أحمد. (1995). مسند الإمام أحمد بن حنبل. (ط1). القاهرة: دار الحديث.
13. الصيرفي، حسن كامل. (2009). ديوان البحري. (ط3). القاهرة: دار المعارف.
14. عبد العزيز، باجي؛ وابن نعيمة، عبد الغفار. (2018). قراءة في مخطوط بشراك يا قلب للإمام عبد الكريم المغيلي المتوفي 909هـ. المجلة الجزائرية للمخطوطات، 13 (1)، 253 – 265.
15. قادري، منال؛ ورحموني، بسمة. (2020). محمد بن عبد الكريم المغيلي: حياته وأعماله. رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوضياف – المسيلة، الجزائر.
16. كرموش، حليلة. (2019). إسهامات المغيلي في تيسير الدرس البلاغي من خلال كتابه شرح التبيان في علم البيان. مجلة جسور المعرفة، 5 (2)، 518 – 527.
17. مبروك، مقدم. (2006). الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامسة عشر للميلاد. (د.ت)، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.

# العلاقة بين الاتجاهات الاستمولوجيا وبين مفهوم الذات عند الإمام المغيلي من خلال نازلة اليهود

إعداد: أ، د/ عبد الحاكم حمادي

المدرسة القرآنية للشيخ سيدي محمد بن كبير الجزائر

## ملخص:

تستهدف هذه الورقة تناول نازلة يهود توات: وهي نازلة لها شأن في فقه العلاقات الدولية وكيفية التعامل مع الأقليات غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي، كما لها أهمية في الصناعة الفقهية، والبحث التاريخي على حد سواء.

بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم تحيلنا إلى البحث عن المصدر الذي يمدّها بذلك الإدراك وتلك المعرفة؟ التي تتداخل فيها الدلالات الاصطلاحية مع الدلالات الضمنية، والقيام بالذات مع التسلسل، والواقعية مع المثالية.. فإن أي حديث عنها يتطلب تحديد معالمها وأنواعها وإمكانه ومصادرها.

## الكلمات المفتاحية:

الاتجاهات الاستمولوجية، نازلة اليهود، عبد الكريم المغيلي.

## **The Relationship between the Epistemological Trends and the Notion of Self According to Imām al-Maghilī through *Nazilet* the Jews of Tuat**

### **Abstract**

This paper aims to address the issue of the Jewish crisis in Tuat. This crisis has significance in the field of international relations jurisprudence and how to deal with non-Islamic minorities in Islamic societies. It is also important in the field of jurisprudence and historical research. The ideas and concepts related to this crisis lead us to search for the source that provides us with that perception and knowledge. This includes the intersection of terminological meanings with implicit meanings, self-reliance with sequence, and realism with idealism. Any discussion of this issue requires defining its dimensions, types, possibilities, and sources.

### **Keywords:**

Epistemological Orientations, Jewish Crisis, Imām al-Maghilī

نازلة يهود توات للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله ترتبط بالدرس الفقهي المتعلق بأحكام أهل الذمة، يمكن الإفادة منها في مجال فقه العلاقات الدولية وكيفية التعامل مع الأقليات غير الإسلامية في بلاد الإسلام، طبعت في رسالة موسومة بعنوان «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»<sup>(1)</sup> تحمل قيمة علمية ترتكز على الأصول الاستدلالية ومزجها بأدلة الاجتهاد الخاصة بفقهاء المالكية. ولقد تركزت إشكالية هذه الورقة البحثية على استيضاح معالم اتجاهات الأبيستمولوجيا في منهج الصناعة الفقهية الذي استخدمه الشيخ المغيلي في فتواه المتعلقة بهذه النازلة؟ وكيف يمكن الاستفادة منها في معالجة نظائرها من المستجدات الفقهية المعاصرة؟

ولمحاولة الوصول إلى الهدف من هذه الورقة سلكت خطة تتكون من: مقدمة، ومبحث أول: يتناول الإطار النظري للدراسة، ومبحث ثان: يتناول التعريف بنازلة يهود توات ومحتواها، ومبحث ثالث: يتناول دراسة النازلة من خلال اتجاهات الأبيستمولوجيا وعلاقتها بالذات المجتمعية، وخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات هي كالتالي:

### المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة.

غني عن البيان أن مصادر المعرفة تحتل مركز الصدارة من المناقشات التي تدور حول المعرفة الإنسانية، والأبيستمولوجيا بدورها تهتم بالبحث في تلك المصادر وأدواتها؛ أي: طريقة اكتسابنا للمعرفة، من أجل الكشف عن أساس البناء الفكري موضوع الدراسة

---

<sup>(1)</sup> انظر "عبد المحيد الخيالي، رسالتان في أهل الذمة: الرسالة الأولى: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمسان. والثانية: الإعلام مما أغفله العوام، للشيخ أبو القاسم ابن محمد ابن مزروق ابن عبد الحليل ابن عطوم القيرواني التونسي، دار الكتب العلمية، بيروت" لبنان الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م

تأتي هذه الورقة كمحاولة للكشف من خلال الاتجاهات  
الابستمولوجية عن موضوع المعرفة عند الشيخ محمد بن عبد الكريم  
المغيلي رحمه الله في نازلة اليهود بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم.  
المطلب الأول: التعريفات الإجرائية للاتجاهات الابستمولوجية،  
وأقسامها الرئيسية في الفكر العربي الإسلامي.

الاتجاهات الابستمولوجية: هي الأسس الفكرية والمعرفية اللازمة  
لتشكيل السلوك الإنساني في موقف معين يؤدي إلى استعداد الشخص أو  
نزوعه المسبق فيتوقع شيئاً محدداً، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجوانبها المعرفية،  
والإرادية في إطار بنية النشاط الاجتماعي؛ لفهم وتحديد أسلوب التفكير  
وأنماطه، وتحديد استعداد الشخص في بناء المعنى في موقف محدد.<sup>(2)</sup> وكما  
يرى أصحاب الاتجاه المعرفي فيعلم النفس التربوي فإن سلوك الإنسان ما  
هو إلا انعكاس لبناءاته المعرفية، وأن حل مشكلاته السلوكية لن يتم إلا  
بالتعرف على هذا البناء وتعديل اتجاهاته عند هذا الشخص.<sup>(3)</sup>

المطلب الثاني: الاتجاهات الابستمولوجية الرئيسية في الفكر العربي  
الإسلامي.

إذا تجاوزنا مصطلح الابستمولوجيا في اللغات اللاتينية: الذي يعني  
بحكم أصله الاشتقاقي نظرية المعرفة<sup>(4)</sup>. إلى أدواته التي تمثل اتجاهاته  
الرئيسية. في الفكر العربي الإسلامي<sup>(5)</sup>. والتي نببحثها في فتوى هذه النازلة هي:

---

<sup>(2)</sup> الشربيني، لطفي. موسوعة شرح المصطلحات النفسية. بيروت: دار النهضة  
العربية. 2001، ص: 78

<sup>(3)</sup> بتروفسكي، أوباروشفسكي، م. معجم علم النفس المعاصر. ترجمة: حمدي عبد  
الجواد وعبد السلام رضوان، القاهرة: دار العالم الجديد. 1996، ص، 123

<sup>(4)</sup> لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. ترجمة خليل أحمد خليل. بيروت-باريس:  
منشورات عويدات. 2002 ج: 01، ص: 356/357

الاتجاه العقلي: يقوم هذا الاتجاه على التفكير الاستدلالي، يرى أصحابه أن العقل هو مصدر المعرفة الوحيد الذي يمكن الركون إليه. يقول محمد عابد الجابري: «العقل بما ركب فيه من استعدادات أولية أو مبادئ قبلية، هو وسيلتنا الوحيدة للمعرفة... لأن المعارف العقلية تحتوي على الأسس المعرفية اليقينية القائمة بالذات»<sup>(6)</sup>.

الاتجاه الإشراقي: يطلق عليه: العرفاني أو الصوفي، المعرفة عند أصحابه تقوم على المشاهدة الباطنية، تتم عن طريق الحدس الصوفي أو الإلهام، يمثله المتصوفة، والفرق الباطنية وبعض الفرق الشيعية<sup>(7)</sup>. ونظرا للعلاقة بين التصوف والمجتمع التواتي نلمح هذا الاتجاه في الحكايات التي أوردها الشيخ عن قطب تلمسان سيدي إبراهيم المصمودي، والعلامة الزاهد الأستاذ هبة الله<sup>(8)</sup>.

الاتجاه البياني: يمثله الفقهاء وعلماء الكلام الذين أثبتوا إمكانية المعرفة ويقينيتها بتحليل الأنساق اللغوية<sup>(9)</sup>. نلمسه عند الشيخ رحمه الله: في تصوير النازلة بصناعة فقهية فريدة في التأصيل، مغايرة لمن عاصره أو

---

<sup>(5)</sup> ربابعة، جعفر؛ وآخرون. العلاقة بين الاتجاهات الإبيستمولوجية ومفهوم الذات لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. الجمعية العلمية لكليات التربية في الجامعات العربية، كلية التربية، جامعة دمشق. سنة: 2008. عدد: 2، مجلد: 6، ص: 56 وما بعدها

<sup>(6)</sup> والقيام بالذات هو الاستغناء عن السابق لاكتساب مبرر الوجود، وبناء عليه؛ فالقائم بالذات هو ما لا يسبقه في القيام شيء، الجابري، محمد، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي. ط: 6 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 2006، ص 21

<sup>(7)</sup> عبد المهيم، أحمد: نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. 2000، ص: 73

<sup>(8)</sup> انظر: رسالتان في أهل الذمة ص: 27/26

<sup>(9)</sup> الجابري، محمد. بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. 1987. ص: 120

من سبقه، واستنادها في الحكم عليها بأدلة متنوعة نقلية وعقلية، مدعمة بأصول اعتقادية وأحكام معللة، ونظر مقاصدي يتمثل في وجوب حماية الجماعة المسلمة وتحقيق وحدتها والحفاظ على أمنها من خطر اليهود، مع الاستعانة برؤية حوارية في النقاش وقبول الرأي الآخر.<sup>(10)</sup>

**المبحث الثاني: التعريف بنازلة يهود توات ومحتواها.**

سأتجاوز التعريف بالمؤلف إلى التعريف بفتوى النازلة؛ لأن العلامة: أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي المولود سنة 830هـ - 1427م بتلمسان والمتوفي سنة: 909هـ الموافق 17 فبراير 1504م بتوات هو صاحب الحدث وبالتالي من الطبيعي أن يخصص له ما يعرف به.<sup>(11)</sup>

**المطلب الاول: التعريف بنازلة يهود توات.**

أولاً: قبل الدخول في الحديث عن: نازلة يهود توات يجدر بنا أن نعلم أن اليهود نزحوا بعد سقوط مملكة غرناطة إلى جنوب الضفة، ومن بينها شمال الصحراء، واستوطنوا منطقة توات التي لم يكن فيها إلا المسلمون باعتبارها مركزاً تجارياً تمر به أو تنتهي إليه القوافل الرابطة بين شمال إفريقيا وجنوبها، واشتغلوا بالتجارة وصناعة الحلي وضرب النقود، مما ساهم في تكوينهم لثروات طائلة فتحت أمامهم مجالات واسعة للاتصال بالطبقة الحاكمة من مختلف المستويات الاجتماعية. أحكموا من خلالها السيطرة على الاقتصاد واستخفوا بالأحكام الشرعية واحتقروا فقراء المسلمين.<sup>(12)</sup> الموقف الذي لم يرق للشيوخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

---

(10) أ د محمد دباغ، المدرسة المالكية بتوات» مناهجها خصائصها وأعلامها.. محاضرة منشورة ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي» عين الدفلى» ص: 205  
(11) انظر سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي» بن يعي الطاهر ناعوس» مقال إلكتروني  
نشر بتاريخ: 2010/06/09م، ص: 12/11، www.alukah.net.

(12) فراج عطا الله سالم، محمد بن عبد الكريم المغيلي. دراسة بيلوجرافية، مجلة، عالم الكتب» مر جع سابق؛ ع: 03، مج: 11، محرم: 1411هـ، ص 334 وانظر: أبوبكر ميغا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400 الى 1100هـ في عهد

فأنكر عليهم، وكان يرى أن اليهود تجاوزت الحدود من خلال تخطيها للقوانين المعمول بها، والتي حددها الإسلام لأهل الذمة من خلال ما هو مفصل في الفقه الإسلامي، وهذه التصرفات خرق اليهود كل العهود والمواثيق، خصوصاً عند بناء معبد لهم في تمنطيط، ما جعل الشيخ محمد المغيلي رحمه الله يشن عليهم حملة أراد من خلالها أن يعيدهم إلى القوانين التي حددها لهم الإسلام والمسعى: عهد الذمة، المبني على الخضوع المطلق لسلطة المسلمين مقابل حمايتهم، والسماح لهم بالعيش بين أظهرهم بأمان وسلام، فكتب فتوى هذه النازلة

ثانياً: محتوى فتوى نازلة يهود توات.

تتكون هذه الفتوى من: مقدمة وجيزة بين فيها رحمه الله، سبب تأليفها وأنها جواب عن سؤال عرضه في شكل خطة إجمالية «عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، [فصل أول] وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، [فصل ثان] وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان، بتولية أرباب الشوكة وأخدمة السلطان.<sup>(13)</sup> [فصل ثالث]

ذكر في الفصل الأول: الأدلة من الكتاب والسنة على ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار عموماً واليهود خصوصاً، وفيه يلوم موبخاً كل من يسانداهم ويتعامل معهم قائلاً: «والحاصل أنه لا يقرب كافراً -يهودياً- من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئاً من ماله إلا من لا دين له، ولا عقل ولا مروءة.»<sup>(14)</sup> ليتناول في الفصل الثاني: أحكام الجزية،

---

الممالك غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، ط: 01. الرياض السعودية: مكتبة التوبة، 1417هـ/1997م» ص

183-184

<sup>(13)</sup> رسالتان في أهل الذمة، المرجع السابق، ص 21-22.

<sup>(14)</sup> رسالتان في أهل الذمة، المرجع نفسه ص 21-22.



والحكمة من تشريعها، مركزا على موضوع إحداه الكنائس في بلاد المسلمين. والفصل الثالث الذي عنوانه بقوله: «فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان من الجرأة والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والطغيان، بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان»<sup>(15)</sup>. كشف فيه إخلال اليهود بعهد الذمة بطغيانهم وتمردهم على أحكام الشريعة وأركانها، وهي أسباب كافية في تحللهم من عهد الذمة الشرعية الذي بموجبه استوطنوا المنطقة، وبموجبه منع استباحة دمائهم وأموالهم في نظر الشيخ رحمه الله قائلا: «...فقد حلت دماؤهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم ولا ذمة لهم؛ لأن الذمة التي ترفع عنهم السيف هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عنيد وهم صاغرون»<sup>(16)</sup>، مذكرا بأن العلماء قد اختلفوا في نقض عهدهم إذا أخلوا بواحدة بما يجب عليهم - فكيف بيهود لم يأتوا ولو بواحدة بل تحكّموا في العامة من المسلمين برشوة أرباب الشوكة والتعصب بأموالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم. وفي هذا الفصل حدّر كل من يتقرب لليهود ويتولاّهم ويقف على جنبيهم: قائلا: «... فمن حاول فك شيء من تلك السلاسل والأغلال عن رقبة أحد من الكفار فقد حاد الله ورسوله وسيقلب معهم في النار... فويل لأولياء اليهود هم الذين ينصرونهم في تعدي الحدود... فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»<sup>(17)</sup>.

ونصح اليهود بالالتزام بأحكام الجزية الشرعية إذا أرادوا أن يعيشوا في أمن وسلام بين ظهرائي المسلمين في: عاداتهم، وتقاليدهم، وعباداتهم.

<sup>(15)</sup> أبو بكر ميغا، دعوة العلامة المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي» مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية العدد السابع، ربيع الثاني: 1413هـ. ص 198

<sup>(16)</sup> انظر: رسالتان في أهل الذمة. مرجع سابق ص 16 و35؛ وانظر: أبو بكر ميغا،

دعوة العلامة المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي» مرجع سابق. ص 21

<sup>(17)</sup> رسالتان في أهل الذمة، المرجع نفسه ص 22-وما بعدها

مستدلاً بأدلة من الكتاب، والسنة، وعهد عمر رضي الله عنه لنصارى الشام. مضيفاً إليهما من الأدلة التبعية المصالح المرسلة والعرف وما جرى عليه العمل مستعيناً بفتاوى من وافقه ممن راسلهم من العلماء.

المبحث الثالث: دراسة النازلة من خلال الاتجاهات الابستمولوجية.

باعتبار أن مفهوم الذات المجتمعية لا تتشكل عند الفرد إلا عبر تشكل الاتجاهات الابستمولوجية عنده. فإذا كانت السلوكيات المجتمعية متشكلة من جملة من الأفكار والمشاعر والمعتقدات التي يكنها الفرد عن نفسه أثناء تفاعله في البيئة المجتمعية، أو الكيفية التي يدرك الفرد بها نفسه أثناء تواصله اجتماعياً فإن التأثير الإبستمولوجي يظهر جلياً على تشكيل مفهوم الذات المجتمعية ونظرة الفرد لذاته. من هنا يمكن إدراك العلاقة القائمة بين التصورات الابستمولوجية وبين سلوكيات المجتمع التواتي التي عكستها نازلة اليهود للشيخ المغيلي رحمه الله.

المطلب الأول: توقعات الدراسة:

مما تقدم تبين لنا أن موضوع النازلة يتمثل في بيان رأي الشيخ المغيلي رحمه الله في يهود توات بأنهم لا تنطبق عليهم أحكام الذمة الشرعية؛ بسبب التغييرات السلبية الكثيرة التي أحدثوها على البنية الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وتحكمهم السافر في المجتمع الذي استضافهم وفتح لهم أبوابه عندما لجئوا إليه مضطهدين، إلى درجة التحلل من التزاماتهم المالية المترتبة عن عقد الذمة، واستحداث المعابد لهم في المنطقة. لذا فالمتوقع من دراستنا لهذه النازلة:

- التعرف على الاتجاهات الابستمولوجية السائدة في المجتمع التواتي مع اليهود وقت الشيخ المغيلي رحمه الله.
- أثر هذه الفتوى في تغيير الواقع المجتمعي ضمن: الاتجاه العقلي، والاشراقي، والبياني.

- تسليط الضوء على العلاقة بين الاتجاهات الاستمولوجية وبين مفهوم الذات، في المجتمع الذي تستهدفه هذه الفتوى بقصد معرفة مواطن القوة والضعف في تفكيره وفي توجهاته المعرفية والعلمية وكيف عمل أفرادها على تقليص نقاط الضعف وخلق البدائل الإيجابية لها وبث روح التحدي.

### المطلب الثاني تحليل مضمون النازلة:

الشيخ المغيلي رحمه الله وهو يحرر الفتوى لم ينطلق من فراغ، وإنما من الواقع المرير الذي كان يعايشه المجتمع التواتي المسالم بالفطرة، اليهود من جهة، وإهمال العقل كمنتج للمعرفة من خلال النظر المآلي للنصوص عند العلماء من جهة أخرى، ترتب عنه:

أولاً: شيوع ذهنية التسول لدى الأفراد حتى أصبح المجتمع يستجدي حقوقه ولا ينتزعها ممن اغتصبها منه.

ثانياً: بروز ذهنية الألفة لدى الدعاة والاتباع؛ وهي ذهنية تركز على الاستكانة والهدوء والدعة وألفة الواقع إلى درجة التردد في تغييره، أو حتى في قبول فكرة تغييره، تنطبق على من توسعت لديه مساحة النصوص القطعية على حساب النصوص الظنية؛ وهو مؤشر للهيمنة على العقل، نرى ذلك فيما ذهب إليه المخالفون للشيخ رحمه الله الذين اعتبروا أن اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه وبنوا موقفهم على نصوص مثل حديث: من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين يوماً<sup>(18)</sup>. وما بدا لهم من حقوق لليهود احترمت زمن الفتوحات الإسلامية، واعتماد قاعدة درء المفسد أولى من جلب المصالح، وعدم تغيير منكر إذا كان ذلك يؤدي إلى منكر أعظم

(18) رواه البخاري من حديث بن عمر رضي الله عنهما.

منه..<sup>(19)</sup> واعتبروا أدلة الشيخ عموميات من النصوص، ومطلقات هي مقيدات، وأن شروط النبي عن المنكر غير متوافرة. وهكذا تحولت المسألة إلى جدل فقهي بينهم وبين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وأن المدقق في آرائهم يلاحظ الاكتفاء بالمصالح الآنية المترتبة من دوام العلاقات بين المسلمين واليهود، مع غياب النظر في المآلات، وبين ما يتعدى ضرره للغير، لذلك فإن ترجيح العلماء بعدهم إلى ما يؤيد رأي الشيخ المغيلي هو الصواب؛ لأن المواقف الحازمة التي لا تخشى في الله لومة لائم ولا تبحث عن الترخص من شأنها أن تقوي المسلمين في حاضرهم وماضيهم. الأدلة التي اعتمدها رحمه الله، وأمر من الله تعالى تفيد وجوب قتال اليهود والنصارى، وعدم رفع السيف عن رقابهم إلا بشرط إعطاء الجزية وصغارهم، «أما الصغار فحاصله أن يلزموا الذل والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم؛ ولأجل ذلك لا يمكنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، وهو أمر مجمع عليه بين علماء الأمة أجمعين.»<sup>(20)</sup> ، فبالنظر إلى نفسه كمصلح، يؤكد على إخفاء معالم دينهم، وإن كانت شعائر كفرهم قائمة اختل من صغارهم بقدر ما أقاموه من دينهم<sup>(21)</sup> ، وبعد تلقيه أجوبة المساندين له حمل رحمه الله وأنصاره السلاح وانقضوا على معابد اليهود فدمروها، واتصف بالحزم في إجلاء اليهود من المنطقة، ولم يعر للجوانب الاقتصادية اهتماماً كبيراً بقدر ما أعاره للجوانب الدينية<sup>(22)</sup>. ستعانة برؤية حوارية في النقاش وقبول الرأي الآخر.<sup>(23)</sup>

<sup>(19)</sup> انظر: احميدة بن زبطة، دور علماء توات في إرساء العلاقات العلمية في الحواضر الإسلامية» الشيخ المغيلي نموذجاً بحث لفائدة ملتقى المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في نشره وترسيخه أدرار في 3 جوان 2010 م. من ص 49 إلى 63.  
<sup>(20)</sup> نقلا عن أبي بكر ميغا، دعوة العلامة المغيلي العلمية والإصلاحية..، مرجع سابق ص 200.

<sup>(21)</sup> رسالتان في الذمة ص: 38.

<sup>(22)</sup> فراج عطا الله سالم، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ص 334.

<sup>(23)</sup> أ د محمد دباغ، المدرسة المالكية بتوات « مناهجها خصائصها وأعلامها.. محاضرة منشورة ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي» عين الدفلى ص: 205

## الخاتمة:

إنّ العلاقة القائمة بين التصورات الاستمولوجية وبين سلوكيات المجتمع علاقة واضحة، باعتبار أن مفهوم الذات المجتمعية لا تتشكل عند الفرد إلا عبر تشكل الاتجاهات الاستمولوجية عنده، فإذا كانت السلوكيات متشكلة من جملة من الأفكار والمشاعر والمعتقدات التي يكونها الفرد عن نفسه أثناء تفاعله في البيئة المجتمعية أو الكيفية التي يدرك الفرد بها نفسه أثناء تواصله اجتماعياً فإن التأثير الإستمولوجي يظهر جلياً على تشكيل مفهوم الذات المجتمعية، ونظرة الفرد لذاته.

توصلت الدراسة إلى أن الاتجاهات الاستمولوجية في لغة هذه النازلة كانت ذات طبيعة عقلانية، وقيام أفراد المجتمع بالثورة على الفساد اليهودي كان نتيجة الاتجاه العقلي، وهي نتيجة تختلف مع نتيجة دراسة ابن عبيد التي توصلت إلى أن الاتجاه الإستمولوجي [الوحيد] كان للتيار الإشراقي في الحضارة العربية الإسلامية. بدليل اعتبار الشيخ مؤسس العداوة ضد اسرائيل، والشخصية الرمز لمعاداة السامية ومناهضة اليهود في نظر الكيان الصهيوني، يتجلى لنا تأثير نازلة اليهود في واقعنا المعاصر.<sup>(24)</sup> من هنا يمكن إدراك العلاقة القائمة بين التصورات الاستمولوجية وبين سلوكيات المجتمع التواتي التي عكستها نازلة اليهود للشيخ المغيلي رحمه الله.

<sup>(24)</sup> مقال بعنوان: العلامة المغيلي الشخصية الأولى في إسرائيل بناء على دراسة متخصصة منشور بموقع الشروق أون لاين بتاريخ: 2008/03/07.

## المراجع:

1. أبو بكر ميغا، دعوة العلامة المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية العدد السابع، ربيع الثاني: 1413هـ.
2. أبوبكر ميغا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400 إلى 1100هـ في عهد الممالك غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، ط: 01 الرياض السعودية: مكتبة التوبة، 1417هـ/1997م.
3. احميدة بن زيطة، دور علماء توات في إرساء العلاقات العلمية في الحواضر الإسلامية الشيخ المغيلي نموذجاً بحث لفائدة ملتقى المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في نشره وترسيخه - أدرار في 3 جوان 2010
4. بتروفسكي، أويار وشفسكي، م. معجم علم النفس المعاصر. ترجمة: حمدي عبد الجواد وعبد السلام رضوان، القاهرة: دار العالم الجديد، 1996،
5. بن يحي الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي مقال إلكتروني نشر بتاريخ: 2010/06/09م، ص: 12/11، [www.alukah.net](http://www.alukah.net).
6. الجابري، محمد، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1978.
7. الجابري، محمد، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي. ط: 6 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
8. ربابعة، جعفر؛ وآخرون. العلاقة بين الاتجاهات الإستمولوجية ومفهوم الذات لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. الجمعية العلمية لكليات التربية في الجامعات العربية، كلية التربية، جامعة دمشق. سنة: 2008. عدد: 2، مجلد: 6.
9. الشربيني، لطفي. موسوعة شرح المصطلحات النفسية، بيروت: دار النهضة العربية. 2001.
10. عبد المحيد الخيالي، رسالتان في أهل الذمة: الرسالة الأولى: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمسان. والثانية: الإعلام مما أغفله العوام، للشيخ أبو القاسم ابن محمد ابن مزروق ابن عبد

- الخليل ابن عذوم القيرواني التونسي دراسة وتحقيق عبد المحيد الخيالي،  
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: 1421هـ-2001م.
11. عبد المهيمن، أحمد: نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي. الإسكندرية: دار  
الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. 2000.
12. فراج عطا الله سالم، محمد بن عبد الكريم المغيلي. دراسة ببلوجرافية، مجلة  
عام الكتب ع: 03، مج: 11، محرم: 1411هـ.
13. لالاند، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية. ترجمة خليل أحمد خليل. بيروت-  
باريس: منشورات عويدات. 2002.
14. محمد دباغ، المدرسة المالكية بتوات مناهجها خصائصها وأعلامها.. محاضرة  
منشورة ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي «عين الدفلى».

# الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي والطريقة الموسوية الشاذلية.

دريسي محمد.

إمام أستاذ وباحث في التراث.

مديرية الشؤون الدينية والاقواف لولاية أدرار.

## الملخص:

تتناول هذه الدراسة العلاقة الوطيدة بين الطريقة الموسوية الشاذلية، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث إن هذه العلاقة وإن لم تكن مباشرة بحكم اختلاف العصور، إلا أن شيوخ الطريقة الموسوية، يكتنون الاحترام الكبير لتراث الإمام المغيلي ويدأومون على زيارة ضريحه خلال زيارتهم لمريديهم في منطقة توات، وستحاول الدراسة أن تبحث في جذور هذه العلاقة.

## Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī and the Mussawiya Shadhiliya Sufi Order

### Abstract :

This study examines the close relationship between the Mussawiya Shadhiliya Sufi Order and Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī. Although this relationship may not be direct due to the difference in eras, the spiritual leaders of the Mussawiya Order hold great respect for the heritage of Imām al-Maghīlī and regularly visit his shrine during their visits to their disciples in Tuat. The study aims to explore the roots of this relationship.

### Keywords:

Mussawiya Shadhiliya Sufi Order, Imām al-Maghīlī, Tuat



## المدخل:

تمثل الطرق الصوفية ظاهرة دينية بارزة في تاريخ المجتمعات الإسلامية حيث إن هذه الطرق نشأت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، وظلت طوال القرون الماضية تنتشر وتتوسع داخل بلاد الإسلام، حيث تأثرت بها العديد من الدول، لاسيما البلاد الجزائرية، والتي عرف سكانها إقبالاً كبيراً على الشيوخ المتزهدين والانتماء إلى الزوايا؛ مما ساهم بشكل كبير في تنامي عدد هذه الطرق داخل البلاد منذ العهد التاسع الهجري، ثم تواصل التزايد وأصبح للطرق الصوفية أهمية كبرى في المجتمع إلى حد انتماء غالب الناس إلى طرق متعددة، والجدير بالذكر هو كثرة وتنوع الطرق الصوفية ومقامات الأولياء الصالحين في هذه البلاد، ويعود هذا التنوع إلى كثرة وتعدد المدارس والمشائخ الدينية. فكل فرقة تنتسب إلى شيخ، تسير على نهجه في التدين والزهد، وتقوم بمدحه وتردّد أذكاره، وتنشط الفرق الصوفية في العديد من المناطق خاصة في الجنوب الجزائري، ومن بينها نذكر الطريقة الموسوية الشاذلية، لصاحبها العالم الرباني، والولي الصالح الصمداني؛ سيدي احمد بن موسى رحمه الله في بلدة كرزاز، والتي تميزت باحترام جميع الطرق الصوفية، وذلك لما يظهر على مشائخها من التواضع وحفظ الحرمة لجميع الطرق ومشائخها دون استثناء ويستدل على ذلك بما يقوم به المستخلف عليها بعد وفاة من تقدم عليه، بجولة يزور فيها بعض القصور التواتية، ويختتمها بضريح الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله توضيح ذلك يظهر من خلال الوقوف على النقاط الآتية إن شاء الله إلى مقدمة، ومبحثين تحت كل مبحث مطالب، ثم الخاتمة.

## المقدمة:

اشتغلت فيها بذكر مشروعية التبرك بالصالحين وزيارة أضرحتهم، وذلك كتوطئة لما سنخلص له إن شاء في هذه المداخلة.

التبرك: مصدر تبرك يتبرك تبركاً، وهو طلب البركة، وهي كثرة الخير والنفع، ممن جعلها الله تعالى فيه، أو مما وضعت فيه بتقدير الله تعالى.

والتبرك بآثار الصالحين جائز شرعاً فقد أخرج الطبراني عن جعفر بن عبد الله بن الحكم؛ أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: «اطلبوها، فلم يجدوها فقال: اطلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة خلة (بالية) فقال خالد: (اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصره).

وتجوز زيارة قبور الأنبياء والصالحين لالتماس العظة والعبرة والتبرك بهم جميعاً، فزيارة القبور مندوبة وزيارة قبور أهل الله من باب أولى؛ لأن العظة والبركة عندهم أشد.

ومن الدلائل الدالة على مشروعية التبرك؛ ما فعله سيدنا أبو بكر الصديق لما طلب عند وفاته أن يدفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم، عند قدميه الشريفتين، كما ألح الخليفة الفاروق بنفسه كذلك، التماساً للبركة، ورغبة في القرب منه صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال فيهما: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»<sup>(1)</sup>.

وقد ورد عن أسماء بنت أبي بكر (أنها أخرجت جُبَّةً طيالسية، وقالت كان رسول الله يلبسها فنحن نغسلها للمرضى فنستشفي بها)<sup>(2)</sup>

كما ثبت أن بلالاً مرغ خديه على أعتاب الحجرة النبوية باكياً بين يدي الصحابة يوم عاد من الشام إلى المدينة، ولم يرد أن أحداً من الصحابة أنكر عليه، ولا على فاطمة فيما ورد عنها من التبرك بتربة القبر الشريف.

(1) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والبخاري في تاريخه وغيرهم.

(2) أخرجه مسلم وغيره.

ولقد نقل الحافظ العراقي في فتح المتعال، بسنده: أن الإمام أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبركاً. وقد تبرك بالشرب من ماء غسل قميص الإمام الشافعي. وكان يأخذ منها ما يمسح به وجهه وأعضائه. وفي تاريخ الخطيب أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبي حنيفة مدة إقامته بالعراق.

ومن ثم جاء اهتمام مشائخ الطرق الصوفية بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين؛ حفظاً للود، وطلباً للبركة، لا ينسون أهل القبور ولا يرمونهم وراء ظهورهم كمن انشغل بالأحياء لإتمام مصالحة الدنيوية الفانية، ذلك لأن الأرواح باقية، والأجساد فانية، وتعلق الصوفية يكون بالأرواح، وحفظ الود لها والأدب معها، لذلك يزورون مشائخهم، وكل صاحب فضل عليهم، وكل من له علاقة بالله تبدأ مع الله، ولا يرون الفضل إلا من الله عز وجل دون إنكار الأسباب، وهذا يتجلى واضحاً فيما يقوم به المستخلف في الطريقة الموسوية، في أول جولة له إلى قصور توات، وتتويجها بزيارة ضريح العلامة الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله.

ثانياً: المبحث الأول: اشتغلت فيه بالتعريف بالشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله.

#### 1 المطلب الأول: نسبه، وأصل تسميته:

نسبه: هو الإمام المجاهد، والداعية المصلح، والعالم الفقيه، سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي، يتصل نسبه بعبد الله بن محمد بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>(3)</sup>

<sup>(3)</sup> ين عبد الكريم سالم بن عبد القادر آل المغيلي، خلاصة قولي ودليلي في الرد على الطاعن في نسل ونسب الشيخ سيد محمد المغيلي، (الجزائر: دار الكتاب العربي 2018)

أصل تسميته: اشتهر رحمه الله بلقب (المغيلي) نسبة إلى مغيلة قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفارقة البيض.

ومغيلة مدينة صغيرة، أسسها الرومان، وأن لهذه المدينة أرض طيبة في الجبل، وأرض جميلة في السهل.

التلمساني: نسبة إلى تلمسان، باعتبار ميلاد الشيخ ونشأته بها.

التواتي: نسبة إلى إقليم توات بولاية أدرار حالياً. والنسبة إلى توات باعتبار رحلة الشيخ المغيلي إليها، ووفاته بها.

## 2 المطلب الثاني: في ولادته ونشأته ووفاته:

ولادته: ولد الشيخ المغيلي في مدينة مغيلة بتلمسان سنة (831 هـ) الموافق ل(1427 م). ورجحه بعض المؤرخين، وقيل: ولد سنة: (790 هـ) الموافق ل(1388 م).<sup>(4)</sup>

نشأته: نشأ رحمه الله بين أحضان عائلة مشهورة بالعلم والتقوى والتصوف، وعلى رأسها أبوه عبد الكريم المغيلي، والمشهور بالعلم والصلاح، وبين أحضان شيخ مغيلة (محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي) الشهير بالجلاب، وغيرهما من مشائخ تلك البلدة.

وفاته: الذي رجحه الكثير من الدارسين هو غرة شهر رمضان سنة (909 هـ)، وضريحه في زاوية الشيخ بزواية كنتة، يزار، وتلمس عنده البركات، رحمه الله.

## 3 المطلب الثالث: في تكوينه العلمي:

حفظ القرآن الكريم على يد (محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي) الشهير بالجلاب، كما أخذ عنه مبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهية للمذهب

<sup>(4)</sup> نفس الرجوع السابق.

المالكي كالرسالة والمختصر وغيرهما. كما أخذ الحديث عن الإمام (سعيد المقري)، وعلوم العربية من الإمام (يحيى بن ايدر)، ثم رحل في طلب العلم فقصد مدينة بجاية وهي يومئذ بلاد علم، فانتفع من مشايخها في علوم شتى كال تفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم العربية، ثم من بجاية التحق بسيدي عبد الرحمان الثعالبي، فانتفع به كثيراً، ثم رجع إلى بلده تلمسان، ومنها انتهى به المطاف في توات.

#### 4 المطلب الرابع: المكانة العلمية للشيخ ابن عبد الكريم المغيلي:

فقد ظهرت في مصنفاته التي تربوا على العشرين مصنفاً؛ في مختلف العلوم، والفنون، بين توحيد، تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، ومنطق، وعربية، وأشعار. ولقد أقرَّ جلَّ العلماء ممن عاصره، وممن جاء بعده، وإلى زمننا هذا له بالفضل والتفوق في العلوم، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد قال العلامة المؤرخ، سيدي أحمد بابا التنيكتي مثنياً عليه: (محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين)<sup>(5)</sup> وقال فيه أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله في رسالة بعث بها إليه: «من عبىد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....»<sup>(6)</sup>.

وقال فيه الإمام السيوطي رحمه الله في رده على رسالة الشيخ المغيلي: «عجبت لنظم ما سمعت بمثله.... أتاني عن حبر أُفِرُّ بنبله.إلى أن قال: سلام

<sup>(5)</sup> التنيكتي، أحمد باب، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق:عبد الحميد الهرامة (طرابلس: دار الكاتبط 1، 2000)، ص576

<sup>(6)</sup> العلامة الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي. تأليف مولاي التهامي رحمه الله.

على هذا الإمام فكم له لديّ ثناء واعتراف بفضله»<sup>(7)</sup> وقال فيه الشيخ العلامة الفقيه سيدي محمد باي بلعالم رحمه الله: «...المجاهد الأكبر والعلامة الأغر الشيخ السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني...»<sup>(8)</sup> وهذا الثناء والمدح من هؤلاء العلماء إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظمة الرجل الذي انتشر صيته في العديد من المناطق، بأنه العالم، والمعلم، والمجاهد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

### 5 المطلب الخامس: الإنتاج الفكري للشيخ:

لم يكتب الشيخ المغيلي بما كان يرد عليه من كتب ومصنفات العلماء، ولكنه اهتم بدوره بالتأليف والتصنيف، فحرر عدداً من الآثار في التفسير، والفقه، والبلاغة، والمنطق، والتصوف، والقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كل هذه الآثار لا تختلف في غناها وتنوعها عما خلفه غيره من العلماء.

وهي على الترتيب في المجالات العلمية المختلفة:

#### 1 علوم القرآن:

- البدر المنير في علوم التفسير.

#### 2 الحديث وعلومه:

- عمل اليوم واللييلة.

- مفتاح النظر في علم الحديث.

#### 3 السيرة النبوية:

- عدد من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

<sup>(7)</sup> نفس المرجع السابق.

<sup>(8)</sup> انظر الرحلة العلية.

#### 4 الفقه:

- شرح خطبة مختصر خليل.
- مغني النبيل في شرح مختصر خليل.
- إكليل المغني.
- أحكام أهل الذمة.
- شرح بيوع الأجال من كتاب ابن الحاجب الفقهي.
- تاج الدين فيما يجب على الملوک والسلاطين.

#### 5 المنطق:

- شرح الجمل للخونجي في المنطق.
- مقدمة في المنطق.

#### 6 العربية:

- مقدمة في العربية.
- مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة.
- وله مؤلفات في مجالات أخرى ك: (تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين كتاب الفتح المبين منح الوهاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح).<sup>(9)</sup>

#### 6 المطلب السادس: تكوينه الصوفي:

الطريقة القادرية: وهي تنسب إلى الشيخ مولاي عبد القادر بن أبي صالح موسى الذي ينتهي عمود نسبه الطيبي إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله. والذي اعتمده الشيخ عبد القادر في طريق التصوف؛ الشيخ حماد بن

<sup>(9)</sup> يحيى بوعزيز. تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين، (الجزائر: دار البصائر، 2009)، ص 70

مسلم الدباس المتوفي ببغداد سنة (525 هـ)، حيث لازمه مدة خمسة وعشرين عاماً، والشيخ حماد بن مسلم أخذ عن القاضي الصوفي أبي سعيد المبارك المخزومي، عن علي القرشي، عن أبي الفرج الطرطوشي، عن عبد الواحد التميمي، عن الشيخ أبي بكر الشبلي، عن الشيخ أبي القاسم الجنيد رأس الطائفة الصوفية السنية، ومنه إلى أفراد السلسلة حتى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.<sup>(10)</sup>

وتعتمد هذه الطريقة في برنامجها التربوي ورداً خاصاً يستمد عناصره التكوينية مما خلفه مؤسسها الشيخ عبد القادر من أذكار مأثورة وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ساهمت هذه الأوراد والأذكار بنصيب وافر في تهذيب النفوس والتمسك بالدين.

وقد انتشرت هذه الطريقة في المغرب منذ القرن السادس الهجري على يد الشيخ أبي مدين الغوث الذي لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة، وطلب منه الإذن في ورد طريقته، فأجابه إلى طلبه، ولقنه الذكر، وألبسه الخرقة القادرية للتبرك، وأسمعه شيئاً من مروياته، وأمره بنشر الطريقة والدعوة إلى الله وتربية المريدين، وألزمه الخلوة للتفكير والعبادة مدة إقامته بمكة.<sup>(11)</sup>

فلما عاد الشيخ أبو مدين إلى بلاده زاره كثير من علماء عصره وعباده، وأخذوا عنه الطريقة التي رجع مبشراً بها وسندها المتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته خلفه أبو محمد صالح في نشر هذه الطريقة، فحققت على يده ما حققته في المشرق، وظلت منذ هذا التاريخ تؤدي دورها التربوي في مختلف المناطق المغربية، لتنتقل بعدها إلى توات، ثم السودان، على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي أخذها من شيخه سيدي

<sup>(10)</sup> انظر مقدمة جنة المرید دون المرید للشيخ محمد بن المختار الكنتي.

<sup>(11)</sup> نفس المرجع السابق.



عبد الرحمان الثعالبي رحمه الله، وكان احتضان فضاء توات للشيخ المغيلي نقطة تحول في تاريخ هذا الفضاء جعلت منه محطة رئيسة لعبور الطريقة القادرية نحو بلاد السودان.

ثالثاً: المبحث الثاني: التعريف بالطريقة الموسوية وعلاقتها بالشيخ ابن عبد الكريم المغيلي.

## 1 المطلب الأول: تعريف الطريقة عند الصوفية:

تعريفها لغة: هي المنهج والمسلك. وقيل: هي السيرة والمذهب والطريق، والجمع طرائق.<sup>(12)</sup>

تعريفها في اصطلاح الصوفية: هي السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله، فهي سفر إلى الله، والسالك أو المريد هو المسافر، فعلى المسافر أن يسلك طريق القوم، وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة.<sup>(13)</sup> وقيل: هي مجموعة الآداب والأخلاق والعقائد التي يتمسك بها طائفة الصوفية.<sup>(14)</sup>

## 2 المطلب الثاني: التعريف بشيخ الطريقة الموسوية:

نسبه: هو العارف بالله، الجامع بين الشريعة والحقيقة، العالم التقي الزاهد الرباني، شيخ المشائخ؛ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي رحمه الله، يتصل نسبه بسيدنا الحسن السبط ابن سيدنا علي بن أبي طالب (ض) وسيدتنا فاطمة الزهراء (ض) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كنيته: أبو العباس، كناهها غير واحد، كسيدي أحمد الحبيب رحمه الله شيخ توات في بعض رسائله، هي في مكتبتنا والحمد لله.

<sup>(12)</sup> مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط.

<sup>(13)</sup> أورده السيوطي في الجامع الصغير وزيادته.

<sup>(14)</sup> انظر ظهور الحقائق في بيان الطرائق لعبد الله مولى عكاشة.

مولده ومكان ولادته: الذي صحّحه سيدي أحمد الحبيب في رسالة جمع فيها رموز الشيخ سيدي أحمد بن موسى؛ أنه ولد بواد الساورة بأولاد موسى سنة (863 هـ) الموافق ل (1443 م).

### رحلته العلمية:

يعدّ رحمه الله من العلماء العارفين بالله الموصوفين بسعة الرحلة لطلب العلم والتربية، فقد رحل إلى فاس في سن المراهقة، حيث تتلمذ فيها على مشائخ عدة، ومن عجائب ما يحكى عنه أنه كان يستظهر أزيد من مائتي مصنف في مختلف فنون العلم، ولا سيما في علوم القوم، حتى قيل عنه أنه أصبح مرجع الفتوى بفاس بعد وفاة شيخه ابن غازي رحمه الله<sup>(15)</sup>، ثم انتقل مرتحلاً من فاس إلى سلجماسة فنزل عند الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي بعد ما صحب سيدي أحمد بن يوسف الملياني، ليتحقق بالجمع بين علمي الشريعة والحقيقة، ثم رحل إلى الإمام القدوة سيدي أحمد العروسي، بالساقية الحمراء، وذلك بأمر من سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي، ففرح به سيدي أحمد وانتفع به، ثم رجع إلى فاس ثم عاد منها بعد أن جاوز الأربعين من عمره إلى بلدته الزاوية الكبيرة سنة (903 هـ) الموافق ل (1483 م)، حيث أسس فيها زاويته لنشر العلم وتكوين الأجيال، وإرشاد الضال، يتجلى ذلك في رموزه رحمه الله.

وفاته: سنة (993 هـ) الموافق ل (1573 م).<sup>(16)</sup>

### 3 المطلب الثالث: التعريف بالطريقة الكرزازية الموسوية:

الطريقة الكرزازية نسبة إلى مؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن موسى الحسني (مولي كرزاز)، الذي اشتهر بالعلم والورع إلى أن أصبح مقدماً

<sup>(15)</sup> مولاي التهامي غيتاوي: الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى، (دت)، ص 39.

<sup>(16)</sup> دريسي محمد وآخرون. (. اعمال الملتقى الوطني السابع العرف ودوره في تحقيق التلاحم والاستقرار. الجزائر: دار الكتاب. 2018)

للساذلية التي أخذها على شيخه سيدي أحمد بن يوسف الملياني، ومحمد بن عبد الرحمان السهلي؛ الذي كان مقدماً للشاذلية في وقته<sup>(17)</sup>.

وتعتمد هذه الطريقة الكرزازية السلسلة الشاذلية، التي تمتد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الإمام علي والحسن البصري، عن طريق أبي الحسن الشاذلي وتلاميذه.

وذكر الطريقة الكرزازية هو نفسه ذكر الشاذلية، لكن سيدي أحمد بن موسى أضاف البسملة إلى الأذكار بعد صلاة الصبح (200 مرة)، وبعد صلاة العشاء (100 مرة).

وتمر سلسلة المشيخة في هذه الطريقة في أحفاد مؤسسها.

ومن عادة كل خليفة جديد على هذه الطريقة؛ أن يقوم بجولة يزور فيها بعض قصور توات، وما فيها من أضرحة لصلحاءها، وتنتهي بزيارة المنصور (فنوغيل)، وفي إحدى الزيارات لأحد المشائخ، وهو سيدي أحمد بلكبير الملقب (بوعجاجة)<sup>(18)</sup>، وقف عليه في الرؤيا المنامية سيدي محمد ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله، وطلب منه إدراجه في زيارة المشائخ،<sup>(19)</sup> فأمر بها ورسما لمن بعده، فصار المشائخ في هذه الطريقة بعد ذلك، يبدأون هذه الجولة من عريان الرأس، ثم برينكان يتغذى فيه ويتعشى، ثم وجلان، ثم أسبع، ثم أمراقن، ثم تينيلان، ثم زاوية سيدي البكري، ثم برشيد، ثم الجديد، ثم زاقلوأ، ثم في يوم الخميس زاوية الشيخ لزيارة ضريح الشيخ ابن عبد الكريم، دون أن يتغذى أو يتعشى في هذه الزاوية. والسبب في ذلك؛ أنه

<sup>(17)</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)

ج 4، ص 89.

<sup>(18)</sup> تولى المشيخة في هذه الطريقة سنة [1880. 1894].

<sup>(19)</sup> أخبرني بهذه القصة الشيخ الفقيه سيدي الحاج عبد الرحمان بن سيدي الحاج عبد الله آل سيدي عبد الله بن عبد الرحمان السباعي عن أبيه المذكور.

كان من عادة مشائخ هذه الطريقة في زيارتهم لضريح ابن عبد الكريم، يقسمون ما أهدي إليهم من مال أثناء هذه الجولة مع أهل زاوية الشيخ ابن عبد الكريم؛ نصفين، نصف يحتفظ به الشيخ لزاويته، والنصف الآخر لأهل الزاوية المذكورة، ويتغذى عندهم، ففي إحدى الزيارات، قال بعضهم ملاحظاً للمشائخ: إنما تهدينا لنا، لا يساوي نصف نفقة ما قدمناه ضيافة لك؛ فكان ذلك سبباً في قطع هذه العادة عندهم، وترسيمها عند الأشراف الإسماعيليين بعد طلبوا ذلك من الشيخ المذكور، فصار بعد ذلك كلما قام شيخ من مشائخ هذه الطريقة بزيارة هذه البلدة؛ يكتفي بدفع ما أهدي له من مال كله إليهم، دون أن يطعم عندهم<sup>(20)</sup>، ويرجع لمقر زاوية الأشراف بقصر زاوية كنتة، حيث يتغذى ويتعشى فيها، وينام ليلته في مقر زاويتهم، منتظراً الفتح عليه بالإذن في إعطاء ذكر الطريقة (السر)، بعد زيارة ضريح ابن عبد الكريم.

ولهذه الطريقة أتباع في لعمور وحميان وتلمسان وعين تموشنت، وفجيجو القواررة ووادي الساورة، وفي شرق المغرب والجنوب الجزائري، ويذكر أنها تشرف على عشر زوايا أخرى.<sup>(21)</sup> ومن عادة مشائخها في زيارتهم الموسمية؛ تفقد فقراء الطريقة، وعلى رأسهم مقدم تلك البلدة.

#### ملاحظات:

إن ما كتبه أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي؛ أن ما عليه مشائخ هذه الطريقة من أنهم إذا ما قدموا بلدة من البلدان التي يزورونها، يكتفون بما يصنعونه من طعام بأنفسهم، حتى لا يكلفون مقدم تلك البلدة ما لا يطيق؛ يبدو منه أنهم يفعلون ذلك رياء وسمعة في كلام هذا معناه، وهذا غير صحيح؛ لأنهم يفعلون ذلك حتى لا يكلفون مقدم تلك

<sup>(20)</sup> أخبرني بهذه القصة الإمام الشيخ الحاج محمد بوحسون حفظه الله.

<sup>(21)</sup> نفس المرجع السابق.

البلدة ما لا يطيق، ولهذا إذا لم يقم هو باستضافة والوفد المرافق له؛ يستضفه الشيخ وجماعته من الفقراء.

#### 4 المطلب الرابع: علاقتها بالشيخ المغيلي رحمه الله:

لم ينقل في كتب من ترجم للشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي أنه التقى بسيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وذلك يرجع والله أعلم إلى الفارق الزمني الطويل بينهما، حيث أن الشيخ سيدي أحمد بن موسى، الذي كان في القرن الحادي عشر، وعلى قول أنه أدرك شيئاً من أواخر القرن العاشر، لم يؤسس زاويته في كرزاز إلا بعد رجوعه من رحلته العلمية التي شملت مدينة فاس وسلجماسة والساقية الحمراء، وذلك بعد أن بلغ عمره (41 سنة)، ومعنى هذا أنه لما رجع من رحلته هذه؛ كان ابن عبد الكريم المغيلي قد توفي رحمه الله، في القرن العاشر، فلم تحصل بينهما ملاقة.

وعليه فإن كان لهذه الطريقة من علاقة بالشيخ ابن عبد الكريم؛ فإنما هي من باب التماس البركة، بزيارة ضريحه، وذلك في تلك الجولة التي يقوم بها كل خليفة جديد على هذه الطريقة، والتي يختمها بزيارة ضريح الشيخ المغيلي رحمه الله.

وبعد زيارة ابن عبد الكريم يرجع الشيخ لمقر زاوية الأشراف الإسماعيليين بقصر زاوية كنتة، حيث يتغذى ويتعشى، ويقضي هذه الليلة، في خلوة الشيخ مولاي سالم العالم، وفيها قد تظهر له علامة المشيخة، وذلك برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يأذن له في تلقين ذكر هذه الطريقة للمريدين (السر)، وهو ما يسمى عند العامة. (جري الماء)، وإذا لم يفتح عليه بهذه الرؤيا؛ يرجع إلى مقر زاويته، وقد يعيد هذه الزيارة مرة أخرى.<sup>(22)</sup>

<sup>(22)</sup> مجموعة من المؤلفين، كتاب الندوة الثانية أولاد السي حمو بلحاج أعلام وأثار، من محاضرة للأستاذ مولاي احمد اسماعيلي، (أدرار: دار الكلمة، 2016).

علماء بأن رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ليست مقيدة بزيارته لضريح الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله، فقد يؤذن له دون أن يقوم بهذه الزيارة للضريح المذكور، وفي أمكنة وأزمنة أخرى، كما وقع للعديد من مشائخ هذه الطريقة مثل القطب الرباني والعالم الصمداني سيدي بوفلجة بن عبد الرحمان الكرزازي مولداً والتلمساني موطناً ومدفنناً، رحمه الله.

رابعاً: الخاتمة:

نستنتج مما تقدم ذكره آنفاً؛ أنه إن كان للطريقة الكرزازية الموسوية من علاقة بالشيخ ابن عبد الكريم المغيلي رحمه الله؛ فإنما يبرز ذلك في أن مؤسس الطريقة الأول (سيدي أحمد بن موسى)، كان يهدف من رواء تأسيس طريقته إلى تكوين شخصية الفرد المسلم بمبادئ دينية رشيدة، والتحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وهذا الهدف يظهر جلياً في دعوة ابن عبد الكريم المغيلي الإصلاحية.

وأما ما ذكرناه من زيارة أحفاد سيدي أحمد بن موسى رحمه الله لضريح الشيخ المغيلي، إنما هو من باب التماس البركة فقط، كما هو الشأن عند أصحاب الطرق عموماً، وإن كان لمشائخ هذه الطريقة في هذه الزيارة ميزة خاصة في هذا المجال، بسبب الرؤيا المنامية التي رآها سيدي أحمد بن الكبير (بوعجاجة). والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

- صحيح الامام البخاري
- صحيح الامام أحمد
- صحيح الامام مسلم

## المصادر

1. أحمد باب التنيكتي. نيل الابتهاج بتطيريز الديباج. طرابلس: دار الكاتب 2000.
2. جنة المرید دون مرید. (بدون). الرباط: منشورات الرابطة المحمدية للعلماء.
3. محمد الحسني ابن عسکر دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر. بيروت: دار الغرب (1977)

## المراجع:

1. بوعزيز يحيى. (2009). تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين. الجزائر: دار البصائر.
2. دريسي محمد وآخرون. (. اعمال الملتقى الوطني السابع العرف ودوره في تحقيق التلاحم والاستقرار. الجزائر: دار الكتاب. 2018)
3. سعد الله أبو القاسم، .. تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار البصائر 2007.
4. سماعيلي مولاي أحمد وآخرون، . الندوة الثانية لاولاد سيدي حم بلحاج. أدرار: دار الكلمة (2016).
5. بن عبد الكريم سالم بن عبد القادر المغيلي.. خلاصة قولي ودليلي في الرد على الطاعن في نسل ونسب الشيخ سيد محمد المغيلي. الجزائر: دار الكتاب العربي (2018).
6. غيتاوي مولاي التهامي. الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى. الجزائر: anep. (دت،).
7. غيتاوي مولاي التهامي. العلامة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مآثره وآثاره. الجزائر: دار الكتاب العربي (2021).

## المقابلات الشفوية:

1. عبد الرحمن بنسبع. (- 10, 2022). حول زيارة شيخ كرزاز لتوات. (محمد دريسي، المحاور)
2. محمد بوحسون. (- 10, 2022). زيارة شيخ كرزاز لتوات. (محمد دريسي، المحاور)

# أثار الشيخ المغيلي (ت909هـ / 1504م) العلمية: مقاربة ببليوغرافية

أ.عبد الله حمّادي الإدريسي.

عضو بمختبر تاريخ الجزائر-جامعة وهران1-أحمد بن بلة-الجزائر.

## ملخص:

تمثل مؤلفات العلامة الجزائري محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ/1504م)، ورسائله إلى الأعيان والملوك -التي قارب مجموعها بتنوع فنونها ومضامينها بين تأليف ورسالة 50- خمسين- عنوانا- تراثا علميا عربيا إسلاميا مهماً في ساحة المعرفة وعلوم الدين واللغة العربية والسياسة والمنطق والجدل، وقد رأى بعضها نور عالم الطباعة فعمت به الفائدة، بينما لا يزال البعض منها مخطوطا في حاجة ماسة بل ملحة إلى تحقيقه وطبعه ليعم نفعه أمة الإسلام.

## The Scientific Works of Imām al-Maghīlī (d.909 AH/1504 AD) A Bibliographic Approach

### Abstract:

The scientific works of the Algerian scholar, Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī al-Tlemsani (died 1504 CE), and his treaties to nobles and kings - which comprise a total of 50 titles in diverse fields such as composition, treaties, Islamic heritage, Arabic language, politics, logic, and debate - represent an important Arab-Islamic scientific legacy. Some of these works were edited and printed and widely disseminated, while others remain in manuscript form and are in urgent need of editing and printing for the benefit scholars and researchers.

### Keywords:

Imām al-Maghīlī, Manuscripts, Editing and Printing, Islamic Legacy



## 1/ موجز ترجمة المغيلي:

هو العلامة الجزائري الأشعري المالكي؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي نسبا، التلمساني مولدا ومنشئا ودارا.

كان ملما بجلّ علوم الشريعة واللغة والمنطق، ولد نحو 830هـ/1426م بمسقط رأسه ودار نشأته مدينة تلمسان، من الحواضر الكبرى بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وبها تعلّم ونبغ على يد فطاحلها الأعلام، كما كانت له رحلات علمية إلى بجاية ومحروسة الجزائر أيضا من كبريات حواضر المغرب الأوسط وربما إلى غيرها، فاستفاد من أعلامها، وكانت له أيضا رحلات دعوية وإصلاحية ببلاد توات من صحراء المغرب الأوسط (الجزائر)، وكذا بعدة ممالك من ممالك السودان الغربي الإسلامية جنوب صحراء المغربين الأوسط والأقصى، وكانت له أيضا رحلات إلى المغرب الأقصى ومصر والحجاز لأغراض متعدّدة مناظرة واستفادة وإفادة وحجّا لبيت الله تعالى، وملاقة الأعلام الأخيار.

قضى حياته في سبيل الله مُتعلّما ومُعلّما ومجاهدا ومهاجرا ومصالحا ومرشدا ومؤلفا في شتى فنون الشريعة واللغة والسياسة والمنطق، فترك علما ينتفع به كتبا وتلاميذ ومريدين، وولدا صالحا يدعو له، وصدقة جارية مساجد وزوايا ومعاهد تدرّس شتى العلوم، وتحمي المرجعية السنّية الأشعرية المالكية الجنيديّة، إلى أن وافاه أجله المحتوم بزوايته بقصر بوعلي ببلاد توات وهي ولاية أدرار الحالية بهذه الصحراء الجزائرية المباركة سنة 909هـ/1504م قدّس الله سرّه، وقبره بها شهير له مشهد عظيم يزوره المحبّون والأخيار من جميع الأقطار.

وقد اشتهر بموقفه حول اليهود وكنائسهم ببلاد توات المذكورة، وبالصحراء عموما، وقد اختلف في ذلك ومن ناصره من العلماء وأتباعه مع قاضي توات يومها أبي محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني

(ت927هـ/1520م) ومن ناصره من أهل العلم وأتباعه، وقد بسط ذلك فتاوى وردودا العلامة الجزائري نزيل فاس بالمغرب ودفينها أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1508م) في معياره تحت عنوان: «نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط»<sup>(1)</sup>.

اختصرت ترجمته الطويلة الحافلة بالأحداث العظيمة عمّن ترجم له من أصحاب كتب التراجم وهم كثير، من متقدمين كالتنبيكتي في نيل الابتهاج<sup>(2)</sup>، وكفاية المحتاج<sup>(3)</sup>، وابن مريم في البستان<sup>(4)</sup>، ومن المتأخرين كالعبّاس المراكشي في الإعلام<sup>(5)</sup>، والزركلي في الأعلام<sup>(6)</sup>، وغيرهم في المتقدمين والمتأخرين عربا وعجما، وقد ألفتُ في سيرته كتابا مفصّلا في جزئين<sup>(7)</sup>.

## 2/ مؤلفاته ورسائله:

ذكر من ترجم له ممّن ذكرنا سالفًا وغيرهم؛ جملة من تأليفه ورسائله رحمه الله تعالى، وأنها عديدة في فنون شتى، منها المطبوع حاليا ومنها المخطوط.

وهذا سرد تفصيلي حول مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة التي اهتدينا إلى معرفتها، ومنها ما هو بحوزتنا مطبوع أو مصور لمخطوط منها، والتي اختار لها

(1) انظر: الونشريسي، المعيار المغرب، 1401هـ/1981م، ج2/صص214-254

(2) انظر: التنبيكتي، نيل الابتهاج، 2004م، ج2/صص264-268، علم رقم: 704

(3) انظر: التنبيكتي، كفاية المحتاج، 2002م، صص455-457، علم رقم: 610

(4) انظر: ابن مريم، البستان، 1985م-1986م. صص253-257

(5) انظر: المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، 1976م. ج5/ص

ص106-111، علم رقم: 628

(6) انظر: الزركلي، الأعلام، 2002م، ج6/ص216

(7) انظر: عبد الله حمّادي الإدريسي، ابن عبد الكريم المغيلي فقيه تلمسان،

1440هـ/2019م.

رحمه الله عناوين، وكذا رسائله التي لم يختر لجلها عناوين، وإنما اخترع لها الباحثون المعاصرون المحققون لها عناوين كالتالي:

### 1- البدر المنير في علوم التفسير:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهو مخطوط لم نعثر عليه حاليا.

2- تفسير سورة الفاتحة قد يصلح له العنوان التالي: "تفسير فاتحة الكتاب، ذكرى لأولي الألباب": ذكره ابن مريم في البستان حيث قال: إنّه مخطوط في ورقة واحدة، دون أن يحدد لنا العنوان. وقد وجدت منه حاليا نسخة واحدة مخطوطة أصلية بخط جميل بالأسود والألوان من 17 صفحة بالحجم المتوسط، اطلعت عليها شخصيا وأمتلك مصورة منها، وهي الآن بحوزة الدكتور نذير أوسالم المدرّس بجامعة وهران بالجزائر، وقد وصلت إليه هذه النسخة عن طريق بعض الطلبة الموريتانيين الذين جلبوها من عند مالك خاص بجمهورية موريتانيا الإسلامية، قيل لي أنّ هذا الأصل كان بمكتبة الشيخ بدّاه ولد البُصري أحد علماء موريتانيا.

هذا وقد قام الدكتور علّال بوربيق بتحقيقها ضمن كتاب له<sup>(8)</sup>.

### 3- التبيان في علم البيان:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر دون تعيين عنوانه وقد اكتفوا بذكرهم أنه "مختصر تلخيص المفتاح"، أي أنه مختصر اختصر به كتاب تلخيص المفتاح للقزويني، وهو كتاب في علم البلاغة والمعاني والبيان.

وهذا الكتاب لم نعثر عليه حاليا إلا ضمن شرحه آتي الذكر الذي حققه الدكتور أبو أزهر بلخير هانم.

<sup>(8)</sup> انظر: علّال بوربيق، شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، 2013م.

#### 4- شرح التبيان في علم البيان:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر دون تعيين عنوانه، وقد اكتفوا بذكرهم أنه شرح ل «مختصر تلخيص المفتاح» أي إنّه شرح لمختصره الذي اختصر به كتاب تلخيص المفتاح للقزويني، وهو سالف الذكر قبل قليل والمسمى ب«التبيان في علم البيان».

وهذا الشرح حققه مؤخرًا الدكتور أبو أزهر بلخير هانم<sup>(9)</sup>.

وقد ألف المغيلي شرحه هذا بالأسكندرية بمصر دون أن يشير إلى تاريخ تأليفه ولعله يكون قد ألفه في الفترة التي ألف فيها كتابه إفهام الأنجال آتي الذكر الذي صرّح فيه كما سيأتي أنه ألفه بمصر بتاريخ 17 صفر سنة 866هـ/موافق نحو 21 نوفمبر 1461م.

هذا وقد اعتمد المحقق لهذا الشرح أبو أزهر بلخير هانم على نسخة فريدة واحدة مخطوطة وجدها بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا بالمغرب تحت رقم: 767، نسخها محمد الصالح ابن المكيّ البزمكي بتاريخ 23 محرم سنة 1224هـ/موافق نحو 10 مارس 1809م.

وجاء في مقدمة الكتاب شرح التبيان هذا من كلام المغيلي بعد ما يلزم الفتح به عادة ما صورته: «...أما بعد: فيقول عبيد الله الغني به عمّن سواه، محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا، المالكي مذهبا، المغربي إقليما، المغيلي نسبا، التلمساني منشئا، الإسكندري منزلا: إني استخرت الله تعالى في وضع شرح لطيف على المقدمة الملقّبة ب"التبيان في علم البيان"، ومن الله تعالى أسأل التوفيق والغفران، إنه السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...»<sup>(10)</sup>. وقوله:

<sup>(9)</sup> انظر: المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، 2010م

<sup>(10)</sup> نفسه، ص. 127.

"الإسكندري منزلاً" يفيدنا أنه كانت للمغيلي رحلة إلى مصر ولربما أطل فيها المكث قبل رحيله من تلمسان إلى بلاد توات، وسيوضح هذا أكثر الكلام عند حديثنا عن كتابه إفهام الأنجال.

وحسب دراسة الدكتور أبي أزهر بلخير هانم محقق شرح التبيان فإن المغيلي قد شرح في هذا الشرح كتابه "التبيان في علم البيان" الذي اختصره من تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمان القزويني (ت سنة 739هـ/1338م) وكذا من مختصر شرحه للإيضاح للقزويني نفسه لمؤلفه سعد الدين التفتازاني (ت سنة 793هـ/1390م)، علماً بأن الكتاب الأمّ «المفتاح» هو كتاب «مفتاح العلوم» لمؤلفه يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت سنة 626هـ/1229م).

#### 5- مفتاح النظر في علوم الحديث:

هو كما ذكر التنبكتي في كفاية المحتاج موضوعه علم الحديث. تحدّث فيه المغيلي عن آراء الإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي التي تحدث عنها في كتابه التقريب واليسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث.

لم نعثر عليه حالياً.

6- الأربعون حديثاً: جمع فيه أربعين حديثاً ينبنى عليه العمل على منوال أربعين الإمام النووي وغيره من أهل الحديث. توجد منه نسخ مخطوطة كالتالي:

- نسخة بمركز أحمد بابا التنبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية بتبكتو بدولة مالي تحت رقم:30، 2036.

- نسخ مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس بفرنسا أرقامها كالتالي:782، 26-64، و2254، و100-131، و5629، و1-36، و6903، وArab5626

ضمن مجموع من ورقة 1ب إلى ورقة 36ب نسخه لمالكة الأصلي أحمد التفسير الفوتي، بدون تاريخ نسخ.

7- تأليف في المنهيات: ذكره التنبكتي في نيل الابتهاج وغيره ممن ترجم للمغيلي، إلا أننا نجهد محل وجوده اليوم.

8- الفتح المبين: ذكره التنبكتي في نيل الابتهاج وفي كفاية المحتاج. ولا ندري ما موضوعه ولا عن محل وجوده اليوم.

9- تنبيه الغافلين عن مكر الملبّسين بدعوى مقامات العارفين: ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهو مخطوط لم نعثر عليه حالياً.

10- مصباح الأرواح في أصول الفلاح: ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهو كتاب في العقائد الإسلامية والإمامة والبدع، أرسله إلى العلامة محمد بن يوسف السنوسي والعلامة محمد بن أحمد بن محمد الشهير بابن غازي شيخ الجماعة بفاس فأثني عليه وقرضه مع تحفظ ابن غازي على بعض فقراته بخصوص نواقض الإسلام.

وتوجد من هذا الكتاب نسخ مخطوطة كالتالي:

أ- نسخة محفوظة بالخرانة الملكية (الحسنية) بالرباط بالمملكة المغربية وعنوانها التصنيفي بها هو: «رسالة في علم الكلام»، ضمن مجموع من ورقة رقم 138 إلى ورقة رقم 158، تحت رقم: 13446.

ب- مصورة من نسخة مخطوطة عن أصلها المخطوط الذي نجهد محله في هذا الحين، والمصورة هذه وجدناها بدون رقم التصنيف بخرانة المرحوم العلامة الشيخ باي بلعالم التواتي صاحب مدرسته وزاويته مصعب بن عمير بدائرة أولف بولاية أدرار الجزائرية.

ج- نسخة محفوظة بالخرانة الملكية (الحسنية) بالرباط بالمملكة المغربية وعنوانها التصنيفي بها هو: "رسالة في علم الكلام"، ضمن مجموع من

صفحة رقم 50 إلى صفحة رقم 91، مع إسقاط التقييم 61 و 62 سهوا في العد والانتقال إلى الرقم 63 مباشرة بعد الرقم 60، تحت رقم: 13722.

وقد قام محمد شايب شريف بتخريجه مع الدراسة سنة 2013م أيضا على نفس مصورة نسخة محمد باي بلعالم<sup>(11)</sup>.

هذا وقد حقق الأستاذ راجح بونار رسالة للمغيلي ظلنا أنّها «مصباح الأرواح»، فطبعها خطأ في عنونها بمصباح الأرواح<sup>(12)</sup>.

11- رسالة في الرد على المعتزلة: لم يختار لها المغيلي عنوانا خاصا. توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية بتمنطيط بأدرار(توات)الجزائرية، وكذا توجد نسخة مخطوطة منها في مكتبة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف المذكورة، وكذا توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي ببوعلي بأدرار بالجزائر.

وقد حققها الأستاذ الجزائري الدكتور عمّار طالبي في جريدة الشعب الصادرة بالجزائر بتاريخ 17 فيفري 1988م.

هذا وقد حققها أيضا مؤخرا أحد أحفاد المغيلي بتوات(أدرار) الجزائرية وطبعها بالجزائر؛ وهو السيد بن عبد الكريم محمد السالم بن الحاج عبد القادر آل سيدي المغيلي، وهو إمام مسجد بوسط ولاية أدرار بالجزائر.

12- مراسلة بين الشيخ المغيلي والشيخ محمد بن يوسف السنوسي حول علم الكلام انتقد فيها الأول الثاني: توجد منها مخطوطة بخزانة القرويين بفاس بالمغرب تحت رقم: 1531/7 ضمن مجموع من ص 124/ب إلى ص 145/ب.

<sup>(11)</sup> انظر: المغيلي، مصباح الأرواح، 1434هـ/2013م.

<sup>(12)</sup> انظر: المغيلي، مصباح الأرواح، 1968م.

هذه المراسلة أو المناظرة التي فيها كلام الشيخين المغيلي وصاحبه السنوسي معاً قام بتحقيقها الأستاذ أحمد العلمي حمدان<sup>(13)</sup>.

وكذا حققها الدكتور علال بوربيق ضمن تأليف له<sup>(14)</sup>.

وتوجد منها أيضاً نسخة مخطوطة بمكتبة الشيخ الشاذلي النيفر بتونس ضمن مجموع تحت رقم: 1019 من الورقة 90 إلى 118.

13- كتاب جوابي عن سؤال وُجِّه إليه بخصوص اليهود كالتالي: «ما يجب من الجزية والصغار وما عليه أكثر يهود الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان»:

لم يختر له المغيلي عنواناً لأنّه في الأصل رسالة أجاب بها من سأله هذا السؤال ابتدأها بعد ما يستفتح به عادة بقوله: «إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته».

وقد ظنّ الأستاذ رايح بونار كما ذكرناه سالفاً أنّ هذه الرسالة الجوابية هي كتاب المغيلي «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»، فطبعها على ما ذكرناه سابقاً بهذا العنوان وهو خطأ منه.

توجد منه نسخ مخطوطة كالتالي:

- نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب في مجموع تحت رقم: ك1131.

- نسخة مخطوطة عند الأستاذ رايح بونار أشار إليها في كتابه الذي أخطأ فيه العنوان سالف الذكر.

---

<sup>(13)</sup> انظر: حمدان، فلسفة الفكر الديني بين السنوسي والمغيلي، و: حمدان، في تيار العقيدة السنية بالغرب الإسلامي، 1988م.

<sup>(14)</sup> انظر: علال بوربيق، شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، المرجع السابق.



- مصورة مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة.

- نسخة مخطوطة بدار الكتب القومية بالقاهرة بمصر تحت رقم:  
تصوف عربي/920 ورقم الميكروفيلم بالمكتبة هو 37425.

- نسخة مخطوطة ضمن مجموع تحت رقم 5086 من ورقة 54 إلى ورقة  
63 محفوظ أصله بمكتبة جامعة الملك سعود-قسم المخطوطات- بالرياض  
بالمملكة العربية السعودية.

- نسخة مخطوطة تحت رقم: 3-330 بمؤسسة الملك عبد العزيز آل  
سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمغرب. وهذه  
النسخة نسخها المسمى عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي الزباني  
بتاريخ أواخر رجب سنة؟.

- نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر بمصر تحت رقم 312349.

- نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم:  
1508.

هذا وقد ذكر المرحوم الدكتور محمد حجي في كتابه الحركة الفكرية  
أن هذه الرسالة طبعت مرتين طبعتين حجريتين بفاس بدون ذكره لتاريخ  
الطبع<sup>(15)</sup>.

كما قام بتحقيقها الأستاذان بنحادة وبنميرة تحت عنوان «رسالة في  
اليهود»<sup>(16)</sup>.

14- كتاب جوابه عن سؤالين وُجِّها إليه بخصوص اليهود كالتالي: «ما  
يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية

<sup>(15)</sup>-انظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، 1978م. ج1/  
ص268.

<sup>(16)</sup>-انظر: المغيلي، رسالة في اليهود، 2005م.

والصغار»، و«ما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية وإظهار العزة بقوم كبار»: وهي رسالة لم يختر لها المغيلي عنوانا خاصا وربما عنونها البعض بـ«أحكام أهل الذمة» كما عند الزركلي في الأعلام عند ترجمته له. وهذا صدر نص الجواب عن السؤال المذكور كالتالي:

(...أما بعد، فيقول محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لطف الله به. لقد سألتني عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعمّا يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، ثم ورد عليّ سؤال آخر فيما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية وإظهار العزة بقوم كبار. ولما رأيت في هذا السؤال من المسائل ما اندرج فيه مقصد ذلك السائل، اقتصر على تفصيل جوابه وإيضاحه ونصه بعد بسط افتتاحه:

ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخلاء ويلقبونهم بالغلائف فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم ويجعلون الموازين والسكة بأيديهم دون أمير يكون عليهم، فيغشون المسلمين ويخونونهم ويجحدونهم شيأهم ويخدعونهم. ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفته غلائفهم عنهم وخاصمته دونهم حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم. والفرض ان هؤلاء الغلائف جهال ليس عندهم علم بموجب الجزية وغيرها من حقوق المسلمين على اليهود. فإذا قيل لهم أنكم أعنتم اليهود على التمرد ومنع الجزية وإذاية المسلمين يقولون على هذا أدركنا آباءنا وعليه أدركت آباؤنا آباءهم ولم نسمع قط من أنكر ذلك ولا من غيره من الفقهاء ونحن إن قهرنا اليهود يرحلوا عنّا إلى من يمنعم فتدركنا المعرة وتتعلل أسواقنا...).

توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية المذكورة من 43 صفحة نسخها محمد بن عبد الرحمان بن عمر بتاريخ آخر شهر شوال سنة 1208هـ/موافق نحو 30 ماي 1794م، وكذا توجد منه مصورة

مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة. كما توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 3392، كما توجد منه نسخة بخزانة كوسام بأدرار الجزائرية المذكورة، كما توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب تحت رقم: 20/30، كما توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب القومية بالقاهرة بمصر تحت رقم: تصوف عربي/920، وأما رقم الميكرو فيلم للمخطوط بهذه الدار فهو: 37425.

15- رسالة حول اليهود من المغيلي إلى جميع أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لم يختر لها المغيلي عنوانا خاصا كعادته في مثل هذه الرسائل حول اليهود.

توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة في ورقتين تحت رقم: 2-330 بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمغرب.

16- شرح خطبة المختصر (مختصر خليل):

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذكر، وقد شرح فيه مقدمة مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي رحمة الله عليه.

مخطوط لم نعثر عليه حاليا.

17- مغني النبيل في شرح مختصر خليل:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذكر، وهو شرح وجيز لمختصر خليل على طريق المزج مختصر جدا لم يكمله المغيلي وصل فيه للقسم بين الزوجات.

مخطوط لم نعثر عليه حاليا.

وقد ذكر التنبكي في نيل الابتهاج وغيره ممن ترجم للمغيلي سالفاً، أنه قيل أنّ المغيلي شرح ثلاثة أرباع من مختصر خليل.

### 18- إكليل مغني النبيل:

هو كما ذكره عند التنبكي في نيل الابتهاج وكفاية المحتاج حاشية على شرحه على مختصر خليل السالف «مغني النبيل» لم تكمل، وقد وقف التنبكي منها إلى باب التيمّم.

توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أقبلي بأدرار(توات) الجزائرية على ما قيل لي والله تعالى أعلم.

### 19- مفتاح الكنوز:

هو كما ذكره ابن مريم في البستان قطعة من شرح كتاب البيوع من مختصر خليل.

وذكر التنبكي في نيل الابتهاج وغيره ممّن ترجم للمغيلي سالفاً، أنّ المغيلي شرح قطعاً من البيوع وغيرها من مختصر خليل. ولا ندري عن محل وجود المخطوط هذا اليوم.

### 20- السبيل في بيوع آجال خليل:

هو كما ذكره ابن مريم في البستان شرح لبيوع الآجال من مختصر خليل بن إسحاق المالكي.

ولا ندري عن محل وجود المخطوط هذا اليوم.

### 21- إفهام الأنجال بيوع الآجال:

ذكره العباس المراكشي في الإعلام، وقد ذكر عنده خطأ أو مصحفاً طباعياً هكذا "إفهام الأنجال"، وهو شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب بحث فيه المغيلي مع ابن عبد السلام وخليل في آرائهما في تلك المسائل من البيوع، ولم يذكر له عنواناً من ترجم للمغيلي غير العباس المراكشي في إعلامه.

توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم:470ك  
ضمن مجموع من ص 309 إلى ص 386 منقولة عن أصل المؤلف كما أفاده  
الناسخ، وهذه صورة مفتحتها من كلام المغيلي بعدما يلزم الفتح به عادة:

...أما بعد: فيقول عبيد الله الغني به عمّن سواه: محمد بن عبد الكريم  
بن محمد بن عمر بن يخلف، الأشعري معتقدا، المالكي مذهبا، المغربي  
إقليما، المغيلي نسبا، التلمساني منشأ، المصري منزلا...

وقوله «المصري منزلا» يفيدنا أنه كانت للمغيلي رحلة إلى مصر ولربما  
أطال فيها المكث قبل

رحيله من تلمسان إلى بلاد توات، وقد صرّح في كتابه شرح التبيان في  
علم البيان سالف الذكر أنه ألفه بالأسكندرية أيضا مما يفيدنا أن كتابه  
إفهام الأنجال هذا ألفه بالقاهرة حيث إطلاق كلمة مصر يومها يعنمها كما  
أفاده الدكتور أبو أزهر بلخير هانم في مقدمة دراسته وتحقيقه لشرح  
التبيان للمغيلي سالف الذكر.

ثم يقول في مختتمه ذاكرة تاريخ تأليفه تفصيلا ما صورته: «...كان  
الفراغ من تصنيف هذا الكتاب المبارك عند أذان العصر من يوم الجمعة  
السابع عشر صفر سنة 866هـ/موافق نحو 21 نوفمبر 1461م]، قال ذلك  
وكتبه مصنفه محمد بن عبد الكريم بن محمد التلمساني رحمه الله...» اهـ.

هكذا نقل الدكتور أبو أزهر بلخير هانم في مقدمة تحقيقه ودراسته لكتاب  
شرح التبيان في علم البيان للمغيلي سالف وآتية التاريخ بالأرقام، وأظنه تصرف  
فيه إذ يفترض أن يكون المغيلي ذكره بالحروف الهجائية أي هكذا: "سنة ست  
وستون وثمانمائة". فنحن هنا لم ننقل من المخطوط إفهام الأنجال مباشرة  
وإنما نقلنا عن نقل عنه أعني الدكتور أبو أزهر بلخير هانم<sup>(17)</sup>.

<sup>(17)</sup> انظر: بلخير هانم، مقدمة تحقيقه ودراسته لكتاب شرح التبيان في علم البيان  
للمغيلي.المصدر السابق.

22- شرح على المقدمة الوغليسية في الفقه لصاحبها سيدي أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي (ت 786هـ/1384م):  
مخطوط لا نعلم عن محل وجوده الآن، وخبره في الكتاب أو التقييد الموالي.

23- تقييد في الآيات الخمس لقيام الساعة قيّد من شرح المغيلي على المقدمة الوغليسية في الفقه لصاحبها سيدي أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي (ت 786هـ/1384م):

يوجد منه نسخة مخطوطة في ورقتين تحت رقم: 19-315 بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمغرب.

وهذا بعض صورة ما جاء في أوله كالتالي: وقال الإمام المغيلي في شرح الوغليسية ما نصه: «فصل في ترتيب الآيات الخمس التي هي علامات على قيام الساعة. قال القرطبي: اختلف في ذلك بالتقديم والتأخير. قال: فأول الآيات الدجال ثم نزول عيسى ابن مريم عليه السلام...».

وهذا بعض صورة ما جاء في آخره كالتالي: «...وأن الشام على ما قاله كعب الأخبار بعد خراب الأرض أربعين سنة، وكل ما نقلت عن القرطبي بالمعنى فراجعه في تذكرته، وقد كدنا نخرج عن المقصود لحصرنا على جميع الفوائد في هذا التقييد عسى الله أن يتقبله... الخ. انتهى لفظ المغيلي في شرحه الوغليسية المذكور دون واسطة».

وهذا يفيدنا أن للمغيلي شرحا على المقدمة الوغليسية في الفقه المذكورة إلا أننا نجهل حاليا محل وجوده، وهذه المقدمة الوغليسية المطبوعة المحققة حاليا<sup>(18)</sup>؛ هي مختصر فقهي تكلم فيه مؤلفه العلامة

<sup>(18)</sup> انظر: حفيظة بلمهوب، الإمام أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي.. مع تحقيق: المقدمة الوغليسية في الفقه، 2007م.

الجزائري أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي من فقهاء بني  
وغليس الواقعة جنوب بجاية بالجزائر (ت 786هـ/1384م) كما ترجم له  
التنبكتي أيضا في التلّيل<sup>(19)</sup> عن تعريف الإسلام والإيمان، وأركان الإيمان،  
وعن الحكم التكليفي، وعن الطهارة، والصلاة، والصيام اشتهر في الوسط  
العلمي بـ«المقدمة الوغليسية في الفقه» أو «الوغلّيسية» اختصارا.

24- رسالة مختصرة في علم الفرائض والموارث قد يصلح لها  
العنوان التالي: «المفروض في علم الفروض»:

هذا الكتاب لم يختر له المغيلي عنوانا خاصا، وهو في علم الفرائض  
والموارث، افتتحه بعد ما يلزم الافتتاح به بالعبارة التالية: (أما بعد، فإن  
المفروض من علم الفروض معرفة الوارث من غيره وما له من تركة  
مورثه. فالورثة من الذكور خمسة عشر...).

مخطوط بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم المذكورة، كما توجد منه  
مصورة مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة، وكذا منه نسخة مخطوطة  
بخزانة كوسام بأدرار المذكورة. كما توجد منه مصورة لدى جمعية الأبحاث  
التاريخية بمدينة أدرار (توات) الجزائرية.

25- رسالة مختصرة في علم الفرائض والموارث قد يصلح لها  
العنوان التالي: "المختصر في علم الفرائض":

هذا الكتاب لم يختر له المغيلي عنوانا خاصا، وهو في علم الفرائض  
والموارث، افتتحه بعد ما يلزم الافتتاح به بالعبارة التالية: (أما بعد، فهذا  
مختصر في علم الفرائض مشتملا على جملة من مهمات الضوابط بينت فيه  
المفتقر إليه معتصما بالله متوكلا عليه ورتبت المقصد من ذلك في باين  
وخاتمة والله الموافق للصواب. الباب الأول في بيان من يرث ومن لا يرث وما

(19) انظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ج 1/ص 270، علم رقم: 292. المصدر السابق

لكل من الورثة.....الباب الثاني في كيفية تصحيح المسائل.....الخاتمة في بيان كيفية قسم التركة....).توجد منه مصورة مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة، وتوجد منه مصورة بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم المذكورة.

## 26-مصباح الأرواح وميزان الأرباح لمن حُصَّ بحقيّة أعمال السّلاح في الكفاح:

هو رسالة في أحكام الإمارة وما يلزم الأمير.

هذه الرسالة يترجح أن المغيلي كتبها لسلطان كنو[قانو]بالسودان الغربي وهو السلطان أبو عبد الله محمد رنفا بن يعقوب<sup>(20)</sup>، إذ قد أشار إليها إجمالاً التنبكتي في نيل الابتهاج وغيره ممّن ترجم للمغيلي سالف الذكر، من أن المغيلي كتب لهذا السلطان المذكور رسالة في أمور السلطنة يحضّه فيها على اتباع الشرع، وأمرهم فيها بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده.

لم يختار المغيلي لها عنواناً إلا ما جاء في مقدّماتها في نسخة مركز أحمد بابا التنبكتي بتنبكتو بمالي تحت رقم 2145، من خطّ النّاسخ من أنّ عنوانها هو: «مصباح الأرواح وميزان الأرباح لمن حُصَّ بحقيّة أعمال السّلاح في الكفاح».

وقد نسخ هذه النّسخة بدون ذكر لتاريخ النّسخ المسّعى محمّد الأمين بن محمّد بن محمّد الشّيخ، كتبها لشيخه محمّد بن محمّد بن الوليّ حمّ بن الزّكي.

وقد اخترع لهذه المخطوطة المهتمون بجمع تراث المغيلي عناوين متعددة كل على حسب ما فهمه من مضمونها، فتارة سمّيت ب"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، وتارة ب"كتاب الإمارة" وتارة ب"التعريف فيما يجب

<sup>(20)</sup> انظر ترجمته عند: آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية.



على الملوك" إلى غير ذلك كما ذكر ذلك الزركلي في ترجمته للمغيلي في كتابه الأعلام.

والرسالة هذه طبعها محققة مع تعليقات وشروح مفيدة الأستاذ آدم عبد الله الألوري سنة 1974م ضمن كتاب له<sup>(21)</sup>، وكذلك نشرها الأستاذ أحمد العلمي حمدان في مجلة بفاس تحت عنوان "استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان"<sup>(22)</sup>، وكذا قام بتحقيقها الأستاذ محمد خير رمضان يوسف تحت عنوان «تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين»<sup>(23)</sup>، وكذا خرجها الأستاذ محمد بن أحمد باغلي من نسخة مخطوطة واحدة وقام بطبعها مثبتا في الطبعة صورة المخطوطة كاملة لكن تحت عنوان «فيما يجب على الأمير»<sup>(24)</sup>.

27- رسالة جوابية حول «ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام»:

هذه الرسالة كتبها المغيلي لسلطان كنو[قانونا] بالسودان الغربي وهو السلطان أبو عبد الله محمد رنفا بن يعقوب سالف الذكر إذ قد أشار إليها إجمالا التنبكتي في نيل الابتهاج وغيره ممن ترجم للمغيلي سالفو الذكر، من أن المغيلي كتب لهذا السلطان المذكور رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها على اتباع الشرع، وأمرهم فيها بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده.

(21) انظر: نفسه، صص 46-60.

(22) انظر: حمدان، استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان، 1989م، صص 89-

111.

(23) انظر: المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، 1994م.

(24) انظر: المغيلي، فيما يجب على الأمير، 2008م.

والرسالة هذه كتبها المغيلي للسلطان المذكور وهو في كنوانو[قانون] عام 897هـ/1492م ولم يختار لها المغيلي عنوانا خاصا.

طبعها محققة مع شروح وتعليقات مفيدة الأستاذ آدم عبد الله الألوري سنة 1965م وكذا سنة 1974م ضمن كتابين له<sup>(25)</sup>.

كما سرد نصها المرحوم الدكتور يعي بوعزيز ضمن كتاب له<sup>(26)</sup>، كما نشرها أيضا الأستاذ رابح بونار ملحقة بتحقيقه لكتاب المغيلي حول أهل الذمة الذي أخطأ وظنّه هو كتاب مصباح الأرواح على التفصيل السابق<sup>(27)</sup>.

28- أجوبة على أسئلة سلطان كاغو[قاغو=قاو] أول الأساكي ملوك سنغاي المرحوم أسكيا أبي عبد الله الحاج محمد بن أبي بكر:

ذكرها من ترجم للمغيلي سالفو الذكر، غير أن المغيلي لم يختار لها عنوانا خاصا. اهتم بنشرها وطبعها محققة الأستاذ عبد القادر زبانية مع ترجمته للمغيلي صاحبها وأسكيا الحاج محمد وطبعها ملحقة بكتاب له<sup>(28)</sup>، وكذا الأستاذ آدم عبد الله الألوري في كتاب له<sup>(29)</sup>، وكذا الأستاذ مقدم مبروك مقدم<sup>(30)</sup>، وكذا لخصها وعلّق عليها المرحوم الدكتور يعي بوعزيز في كتاب له<sup>(31)</sup>.

---

<sup>(25)</sup> انظر: الألوري، موجز تاريخ نيجريا، 1965م، و: الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية.

<sup>(26)</sup> انظر: يعي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية...، 2001م، صص 95-98.

<sup>(27)</sup> انظر: رابح بونار في تحقيقه ل مصباح الأرواح للمغيلي، صص 73-77. المصدر السابق.

<sup>(28)</sup> انظر: عبد القادر زبانية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية...، 1989م.

<sup>(29)</sup> انظر: الألوري، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية...، صص 62-69، المرجع السابق.

<sup>(30)</sup> انظر: مقدم مبروك، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمر الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير، 2002م.

<sup>(31)</sup> انظر: يعي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية...، صص 99-106. المرجع السابق.

## 29-هدية الأسرار بلسان الأنوار:

موضوعها أحوال الرعية ببلاد السودان الغربي.

توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية المذكورة نسخها المسمى محمد بن عبد الرحمان بن عمر بتاريخ آخر شوال سنة 1208هـ/موافق نحو 30 ماي 1794م على حسب ما ذكره الدكتور مبروك مقدم، والله تعالى أعلم.

## 30-هداية المسترشدين ونصيحة المهتدين:

توجد منه مخطوطة تحت رقم 2257ع209 من أربع صفحات ضمن مجموع بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط بالمغرب، أولها من كلام المغيلي ما صورته:

(بسم الله الرحمان الرحيم، هداكم الله وأرشدكم، وسلام عليكم...).

31-فهرسة: ذكرها من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهي فهرسة في مروياته، وقد ذكر فيها المغيلي مشايخه وما درسه من العلوم عليهم.

قال محمد عبد الحي الكتاني في شأنها بعد تعريفه بصاحبها ما صورته:

(المغيلي: هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفي سنة 909[هـ/1504م] يروي عن الثعالبي ويحيى بن بدير وغيرهما، له فهرسة نرويهما من طريق الفجيجي[الفقيهي]، عن أبيه عنه.<sup>(32)</sup>

يقصد هنا الكتاني بالفجيجي[الفقيهي] عن أبيه أي أنّ هذه الفهرسة يرويها محمد عبد الحي الكتاني بسنده إلى المغيلي مرورا بسيدي أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبّار الودغيري الفجيجي[الفقيهي]وقد ذكر من ترجم

<sup>(32)</sup>-الكتاني، فهرس الفهارس، 1982م، ج/2 ص 573، علم رقم: 330.

للمغيلي من المتقدمين سالفَيّ الذّكر، أنّ سيدي محمد بن عبد الجبّار  
الفقيهي هو من جملة من تتلمذ أو أخذ عن الإمام المغيلي.

توجد من هذه الفهرسة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس بفرنسا  
وكذا توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة آل الشيخ سيديا في أبوتلميت في  
موريتانيا، كما سيفيدنا به بعد قليل الدكتور حماه الله ولد سالم، وكذا  
توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة مطارفة بأدرار(توات)الجزائرية على ما  
قيل لي والله تعالى أعلم.

يقول عنها الدكتور الموريتاني حماه الله ولد السالم معلقا على ما ذكره  
صاحب الطرائف والتلائد سيد محمد الخليفة الكنتي حول كون سند  
المغيلي في التصوف أنّه قادري قائلًا ما نصه:

(عند الرجوع إلى فهرس شيوخ المغيلي، ضمن كناش يحوي أحزابه  
وأوراده، يتضح بجلاء أنّه لم يكن منتميا إلى القادرية، بل كان شاذلي الطريقة  
بشكل لا مرأى فيه.نهنا إلى ذلك الأستاذ محمد بن مولود بن داداه الشنافي،  
إذ أكد أنّه عندما طالع كناش المغيلي المحفوظ في المكتبة الوطنية في باريس  
لم يجد لغير الأحزاب والأوراد الشاذلية ذكرا.

وتوجد نسخة فريدة-بحسب علمنا-من كناش المغيلي هذا، ضمن  
محفوظات مكتبة آل الشيخ سيديا في أبوتلميت في موريتانيا، نبه إلى ذلك  
"ل.ماسينيون"، وأورده استطرادا "لريش".....<sup>(33)</sup>.

### 32- مجموع قصائد من نظم المغيلي:

ذكر من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر أنه كانت له مجموعة من الأشعار  
نظمها في مناسبات متعددة سيما التي يهجو بها من عارضه في مذهبه اتجاه

---

<sup>(33)</sup> حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل، 2008م، ص  
233-232.

يهود توات وتلك الجهات وكذا قصيدته الميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي عارض بها بردة البصري رحمة الله عليه وقد نشرها العباس المراكشي في إعلامه كاملة عند ترجمته له. هذا وقد قرع سمعي أن هناك من ينسبها جهلا وتحكما للقاضي عياض وهو غير صحيح إذ قد أجمع من ترجم له من المتقدمين كالتنبكتي في نيله وكفايته وغيره على أنها من نظمه وأنه ارتجلها وأنشدها في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل الروضة الشريفة. هذا ولم يختر المغيلي لقصيدته الميمية عنوانا خاصا وقد يصلح لها العنوان التالي: "القصيدة الميمية في مدح خير البرية".

هذا وقد اعتنى بعض النساخ بجمع تلك القصائد في مجموع مستقل وهو مجموع فيه بعض نظم المغيلي كقصيدته الميمية المذكورة وكذا بعض هجائه لأنصار اليهود بالمجتمع التواتي وغير ذلك.

وقد جمع بعض النساخ مجمل تلك الأشعار ومنها القصيدة الميمية في مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب تحت رقم: 683ق، وكذا توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة، وكذا توجد القصيدة الميمية مخطوطة بمركز سيدي أحمد بابا التنبكتي المذكور بجمهورية مالي الإفريقية تحت رقم: 3567 في 4 ورقات، وكذا توجد منها نسخة مخطوطة بدون رقم التصنيف بخزانة زاوية سيدي المدني بن الحاج بدائرة لواتة بولاية بني بعباس بالجنوب الغربي الجزائري.

هذا وقد سرد الشيخ محمد باي بلعالم رحمة الله عليه بعضا من نظم المغيلي في كتابه الرحلة العلية<sup>(34)</sup>.

---

(34) انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات...، 2005م، ج2/صص 129-130.

### 33- مقدمة في العربية:

ذكرها من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، ولم يختر لها المغيلي عنوانا خاصا وموضوعها كما يوحيه عنوانها هو مقدمة في علوم اللغة العربية، توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية المذكورة على حسب ما ذكره الأستاذ مبروك مقدم، وقد أخبرني أهل مكتبة المغيلي المذكورة أنها كانت موجودة عندهم إلا أنها فقدت.

كما رجح الدكتور أبو أزهر بلخير هانم استنادا إلى قرائن أن تكون هذه المقدمة هي المخطوطة التي لا تحمل اسم مؤلفها الموجودة تحت رقم: 3940د بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب<sup>(35)</sup>.

34- مقدمة في المنطق: ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهي في علم المنطق، ولعلها هي نفسها كتاب فصل الخطاب أو اللباب التالي الذكر عقبه.

ولا نعلم حاليا محل وجود المخطوط المذكور المقدمة في علم المنطق إن كان سفرا آخر غير فصل الخطاب أو اللباب.

35- فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب أو اللباب في رد الفكر إلى الصواب: وهو في علم المنطق، وقد ذكره من ترجم للمغيلي من المتقدمين سالفو الذّكر ولعله هو المقصود بـ «المقدمة في علم المنطق» عند من ترجم له من السابقين وعند أبي راس الناصري في عجائب الأسفار<sup>(36)</sup> حيث ذكره باسم «اللباب في رد الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولي الألباب»، وحدّثنا أبو راس النّاصري أيضا أن المغيلي ردّ به على السيوطي جلال الدين عندما

<sup>(35)</sup> انظر ما قاله في دراسته وتحقيقه لـ المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، ص 47، المصدر السابق.

<sup>(36)</sup> انظر: أبو راس، عجائب الأسفار...، 2008م، ج2/صص 49-50+صص 87-91.

ألف كتابه المسمى «القول المشرق في تحريم المنطق» إذ للسيوطي مجموعة كتب ألفها في تحريم الاشتغال بعلم المنطق وهي:

- القول المشرق في تحريم علم المنطق.

- جهد القريحة في تجريد النصيحة وهو تلخيص لكتاب تقي الدين ابن تيمية المعنون ب"نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان.

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام<sup>(37)</sup>.

توجد منه مخطوطة مصورة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة، وكذا توجد منه مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب ضمن مجموع تحت رقم: 2231د.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخرا محققا اعتمد محققه فيه على نسختين مخطوطتين يمتلكهما تحت عنوان "لبّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب"<sup>(38)</sup>، وقد أورد المحقق صور أوائل وأواخر المخطوطتين يظهر عليها العنوان كاملا "لبّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب" وجاء في آخر النسخة التامة منهما ما نصه: «فهذا لبّ اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولوا الألباب والله الموفق للصواب، كمل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه»، بينما مصورة مكتبة الإمام المغيلي المذكورة والتي اطلعت عليها لم ترد فيها كلمة «لبّ» وقد جاء في آخرها ما صورته: «...فهذا اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولوا الألباب والله الموفق للصواب. كما فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه والحمد لله رب العالمين على يد ناسخه

<sup>(37)</sup> انظر: الألواري، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية...، ص 22. المرجع السابق.

<sup>(38)</sup> انظر: المغيلي، {لبّ} اللباب في رد الفكر إلى الصواب، 2006م.

لعمه شيخه ملتصقا لجل أدعيته البركة الفقيه الولي الصالح سيدي محمد عبد العزيز بن جدنا الفقيه سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمان البلبالي أواخر شوال الحرام سنة خمس وخمسين ومائتين وألف [أواخر شوال 1255هـ/موافق نحو 05 جانفي 1840م] عبید ربه تعالی محمد البدري بن محمد عبد الرحمان بن النسب.».

هذا وقد ذكر أبو راس الناصري في عجائب الأسفار سالف الذكر قوله:

«ولما ألف السيوطي كتابا في تحريمه [أي تحريم المنطق] وسمّاه "القول المشرق في تحريم المنطق"، ألف الشيخ محمد في معارضته كتابا سمّاه "كتاب اللباب في رد الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولي الألباب» جمع فيه بين تسمية وتعريض.»<sup>(39)</sup>.

ويقول المغيلي في صدر هذا الكتاب بعد مفتتحه ما صورته:

«...أما بعد فإن أول ما يتقرب به العبد إلى الله طلب العلم لوجه الله على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يطلب العلم بالنظر، وليس النظر بمصيب أبدا ولا بمخطيء أبدا، بل بعض النظر مصيب وبعضه مخطيء.....». ومن خلال هذه المقدمة يتضح خطأ من جعل فصل الخطاب هذا أو اللباب شرحا لنظم المغيلي تالي الذكر «منح الوهاب» إذ لو كان الأمر كذلك لأشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب كما سيأتي معنا لاحقا إشارته بذلك في شرح له من شروح منح الوهاب المذكور.

### 36- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذكر، وهو نظم في علم المنطق. توجد منه نسخ مخطوطة ب:

- نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية المذكورة.

<sup>(39)</sup> أبو راس، عجائب الأسفار، ج2/صص49-50+صص87-91، المرجع السابق.



- مصورة عن مخطوطة بمكتبة الإمام المغيلي المذكورة.  
- نسخة مخطوطة بمركز سيدي أحمد بابا التنيكتي المذكور بجمهورية  
مالي الإفريقية تحت رقم:1024.

- نسخة مخطوطة تحت رقم: 250 ضمن مجموع بدار الكتب المصرية  
بالقاهرة.

- نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس بفرنسا تحت رقم: 5602،  
47-36.

وقام الأستاذ آدم عبد الله الألوري بنشر أرجوزة منح الوهاب هذه في  
كتاب له<sup>(40)</sup>.

37- شرح من الشروح الثلاثة لنظم منح الوهاب في رد الفكر إلى  
الصواب:

سبق معنا وأن ذكرنا أن المغيلي شرح نظمه منح الوهاب في رد الفكر إلى  
الصواب بثلاثة شروح. وقد وجدنا له شرحا لهذا النظم لم يعين عنوانه حيث  
توجد منه نسخة مخطوطة ناقصة الآخر تحت عنوان "شرح منح الوهاب في  
رد الفكر إلى الصواب" بجامعة الملك سعود بالرياض بالمملكة العربية  
السعودية تحت رقم: 4260 ف 3/897 نسخها بخط مشرقى واضح كما  
علمه القائمين على شؤون المكتبة المذكورة المسى كرد علي بتاريخ سنة  
1144هـ/1731م، وإن كان اسم الناسخ المذكور وتاريخ النسخ غير واردين في  
النسخة. كما وجدنا من هذا الشرح أيضا نسخة كاملة مخطوطة تحت  
رقم:2231 من 26 صفحة بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمغرب ضمن مجموع.

---

<sup>(40)</sup> انظر: الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية...، صص 25-28، المرجع  
السابق.

وجاء في صدر هذا الشرح ما صورته بعد البسمة والصلعمة: «..قال الشيخ العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التلمساني المغيلي نسبا رحمه الله. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا. أما بعد فهذا شرح موجز لبيان المهم من رجزي الملقب بمنح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب...». هذا وقد صدرت نسخة الرياض المذكورة برجز المغيلي منح الوهاب المذكور إلى أنه ينقصه أوائله.

38- إمناح الأحباب من منح الوهاب: هذا الكتاب هو أحد شروح المغيلي على نظمه منح الوهاب في علم المنطق، حيث ذكر الزركلي في الأعلام أن للمغيلي شرحا على منظومته في المنطق منح الوهاب المذكورة سماه: "إمناح الأحباب من منح الوهاب"، وذكر الزركلي أنه توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب القومية بمصر دون أن يشير إلى رقمه بها، إلا أن الدكتور أبو أزهر بلخير هانم أشار إلى أن رقم هذه النسخة بدار الكتب القومية أو المصرية بالقاهرة بمصر هو: 250 ضمن مجموع وذكر أيضا إلى أنه توجد منه نسخة مخطوطة بمركز سيدي أحمد بابا التنبكي المذكور بجمهورية مالي الإفريقية تحت رقم: 1017 وهي في 15 ورقة، كما أفادنا أيضا إلى أنه توجد بمركز أحمد بابا هذا نسخ مخطوطة من أحد شروح المغيلي على نظمه منح الوهاب وأرقامها بالمركز كالتالي: 1399، و1090، و2771، وكذا أفادنا إلى وجود نسخة أخرى من أحد شروح المغيلي على نظمه المنطقي المذكور بنفس المركز تحت رقم: 1018، وكذا أفادنا إلى وجود نسختين من أحد شروح المغيلي على نظمه المنطقي المذكور بالمكتبة الوطنية بباريس بفرنسا تحت رقمي: 5673، و257-259<sup>(41)</sup>.

<sup>(41)</sup> انظر دراسته وتحقيقه لـ المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، ص 48، المصدر السابق.

39- شرح من الشروح الثلاثة لنظم منح الوهاب في رد الفكر إلى

الصواب:

توجد منه نسخة مخطوطة بمركز أحمد بابا التنبكتي بتنبكتو بمالي المذكور أشار إلى وجودها به الوفد المالي المشارك في أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار المنعقد سنة 1405هـ/1985م<sup>(42)</sup>، ولست أدر هل هو شرح آخر من الشروح الثلاثة لنظم منح الوهاب، أو أنه أحد شروح النظم المذكورة سالفًا.

40- شرح على جمل الخونجي:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، وهو في علم المنطق. توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية المذكورة، كما توجد منه نسخة مخطوطة أخرى بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم المذكورة على حسب ما ذكره الأستاذ مبروك مقدم والله تعالى أعلم.

41- مناظرة نظمية مع العلامة المصري الشهير جلال الدين السيوطي

حول علم المنطق:

ذكره من ترجم للمغيلي سالفو الذّكر، نظمها المغيلي حين بعث إليه الشيخ السيوطي كتابه: "القول المشرق في تحريم الإشتغال بالمنطق (وهو مطبوع)، فأجابه المغيلي بأبيات ثم رد عليه السيوطي بمثل قافيته. هذا وقد قام الأستاذ آدم عبد الله الألوري بسرد نص مناظرة المغيلي مع السيوطي المذكورة حول علم المنطق وقام مشكورًا بوضع تعليقات وشروح على نظم الشيخين في كتاب له"<sup>(43)</sup>.

<sup>(42)</sup> انظر: وفد دولة مالي، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، 1988م. ص32.

<sup>(43)</sup> انظر: الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية...، صص 22-24. المرجع السابق.

42- رسالة فيما يلزم ويستحب للمؤمن عمله من العبادات والفضائل في اليوم واللييلة:

لم يختر لها المغيلي عنوانا خاصا، وهي مجموع أدعية وأذكار وآداب وأخلاق وترغيب في بعض السنن والعبادات والآداب الشرعية، وترهيب من مخالفة المرغب فيه المذكور، كل ذلك هو ما ينبغي أن يرود المسلم نفسه عليه في يومه وليلته.

توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس بفرنسا تحت رقم: 5673، كما توجد منه نسخة بمكتبة المغيلي المذكورة.

وقد قام الأستاذ محمد بن أحمد باغلي بتخريج نسخة بباريس هذه وطبعها مثبتا صورة أول المخطوط وآخره مخترعا لها العنوان التالي: «عمل اليوم واللييلة»، وقد جاء في مقدمة المخطوطة ما نصه: «...فيقول عبید الله المعتصم بالله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المالكي رحمه الله وبارك عمره، هذه جملة مباركة في عمل اليوم واللييلة من عمل بها فقد حاز فضلا عظيما وهدي صراطا مستقيما...»، ولم يذكر في النسخة تاريخ التأليف ولا تاريخ النسخ إلا أن ناسخها هو ذياك علي بن محمود بن محمد بن سليمان<sup>(44)</sup>.

43- مجموع نوازل في فقه:

لا ندري عنه إن كان سفرا مستقلا أم هي نوازل متفرقات حفظها تلاميذه عنه ونقلها عنهم أصحاب النوازل. وقد قرأت جملة منها في نوازل العلامة فقيه حاضرتي النعمة وولاتة بموريتانيا العلامة القصري ابن عثمان الجكني الديلي الولاتي النعماي المتوفي عام 1235هـ/1819م والتي توجد منها مصورة بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية بتمنطيط بتوات

<sup>(44)</sup> انظر: المغيلي، عمل اليوم واللييلة، 2008م.

المذكورة. كما تناقل هذه النوازل جلة من العلماء بالسودان كآل الفودي في كتاباتهم.

#### 44- تهليل القرآن:

توجد منه نسختان مخطوطتان؛ الأولى ضمن مجموع تحت رقم: 374 بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان بالمغرب. والثانية: توجد بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 1205.

#### 45- النظم الكامل في علم الميزان:

هو في علم العروض، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة البلدية بتطوان بالمغرب تحت رقم: 889.

#### 46- الجامع في الأخلاق والآداب:

توجد منه نسخة مخطوطة أتم نسخها بتاريخ 06 ربيع الثاني 1196هـ/موافق 21 مارس 1782م تحت رقم: 609-16 بخزانة دار التلاميذ (إرؤان) بجامع غرداية الكبير بالجزائر.

#### 47- كتاب في الفقه:

توجد منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع تحت رقم: 374 بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان بالمغرب.

## المصادر والمراجع:

زيادة على مؤلفات المغيلي المخطوطة المذكورة في هذه المحاضرة، فهذه قائمة المصادر والمراجع المعتمدة فيها كالتالي:

1. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.
2. -أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909ه/1504م)، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق الدكتور أبو أزهر بلخير هانم، الطبعة الأولى 2010م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
3. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، بعناية: محمد شايب شريف، الطبعة الأولى 1434ه/2013م، دار ابن حزم، بيروت-لبنان.
4. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، رسالة في اليهود، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة، الطبعة الأولى 2005م، دار أبي رقرار، الرباط-المغرب.
5. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1994م.
6. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، فيما يجب على الأمير، إعداد وتحقيق محمد بن أحمد باغلي، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر العاصمة، 2008م.
7. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، {لبّ}اللباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق ودراسة أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، الطبعة الأولى 2006م، دار ابن حزم، بيروت-لبنان.
8. -محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت909ه/1504م)، عمل اليوم والليلة، إعداد وتحقيق محمد بن أحمد باغلي، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر العاصمة، 2008م.

9. -أحمد بن يحيى الونشريسي(ت 914هـ/1508م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م.
10. -أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق الدكتور علي عمر، الطبعة الأولى 2004م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر.
11. -أحمد بابا التنبكتي(ت 1036هـ/1626م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط النص وعلّق عليه أبو يحيى عبد الله الكندي، الطبعة الأولى 2002م، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
12. -محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الميمني المديوني التلمساني(كان حيا عام 1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م-1986م.
13. -أبو راس محمد بن أحمد الناصر الجزائري(ت1233هـ/1817م أو1238هـ/1822م)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، 2008م.
14. -العباس بن إبراهيم المراكشي(ت 1378هـ/1958م)، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط-المغرب، 1976م.
15. -محمد عبد الحي الكتاني(ت1382هـ/1962م)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، اعتناء الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية 1982م، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
16. -خير الدين الزركلي(ت1396هـ/1976م)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الخامسة عشرة 2002م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.
17. -آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجريا، دار الحلبي، القاهرة-مصر، 1974م.
18. -محمد حجي(ت1424هـ/2003م)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء-المغرب، 1978م.

- 19.- أحمد العلمي حمدان، فلسفة الفكر الديني بين السنوسي والمغيلي، مرقونة تحت رقم:ر-ج-189 علم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط-المغرب.
- 20.- أحمد العلمي حمدان، في تيار العقيدة السنية بالغرب الإسلامي(نص مراجعات كلامية بين السنوسي والمغيلي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد:3. سنة 1988م.
- 21.- وفد دولة مالي الإفريقية، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار(توات)المنعقد تحت عنوان"الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"، أدرار 13-14 شعبان 1405هـ/3-4 ماي 1985م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م.
- 22.- أحمد العلمي حمدان، استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان- تحقيق رسالة المغيلي في أمور السلطنة مع التقديم لها والقول في غرضها وغرض ما كتبه من جنسها، بحث مطبوع في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد 5/سنة 1989م، فاس-المغرب.
- 23.- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- 24.- مقدم مبروك، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2002م.
- 25.- يحي بوعزيز(ت 1428هـ/2007م)، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.
- 26.- حفيظة بلمهوب، الإمام أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي(ت 786هـ/1384م) آثاره وأراؤه الفقهية-جمع ودراسة-مع تحقيق: المقدمة الوغليسية في الفقه، تحقيق حفيظة بلمهوب، الطبعة الأولى 2007م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.



- 27.- حمّاه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل (1591م-1898م)، الطبعة الأولى 2008م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان.
- 28.- محمد باي بلعالم (ت1430هـ/2009م)، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005م.
- 29.- علال بوربيق، شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلي (تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي، طبعة خاصة 2013م بدعم من وزارة الثقافة بالجزائر في إطار احتفالية الذكرى الخمسين للاستقلال (1962م-2012م) ضمن سلسلة الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر.
- 30.- عبد الله حمّادي الإدريسيّ، ابن عبد الكريم المغيلي فقيه تلمسان وإصلاحاته بصحراء توات وممالك غرب السودان، ط أولى 1440هـ/2019م، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، العاصمة الجزائر-الجزائر.

# البعد الإصلاحى الاجتماعى عند الإمام المغيلى من خلال تراثه الفقهى

أ.د. محمد دباغ.  
جامعة أدرار – الجزائر.

المخلص:

يُعدّ الإمام المغيلى من العلماء المصلحين الذين أسهموا بقسط وافى في نشر العلم والمعرفة؛ وكذا القيام بجهود اصلاحية ظاهرة انطلقت من منطقة توات لتصل إلى دول السودان الغربى، وكان لموسوعيته وثقافته المتنوعة أثر جلى في فكره الإصلاحى الذى يعد بحق مادة علمية ثراء لأبحاث علمية في ميادين مختلفة.

الكلمات المفتاحية:

المغىلى؛ إفريقيا؛ الإصلاح؛ المجتمع توات

## The Social Reform Dimension of Imām al-Maghīlī through his Jurisprudential Heritage

### Abstract

Imām al-Maghīlī is one of the reformist scholars who contributed greatly to the dissemination of knowledge and awareness, as well as making visible reform efforts that started from the region of Tuat and reached the states and kingdoms of Western Sudan. His encyclopedic knowledge and diverse culture had a clear impact on his reformist thinking, which is truly a scientific material richness for scientific research in various fields.

### Keywords:

Imām al-Maghīlī, Africa, Repair, the Society, Tuat

## مقدمة:

لقد عرف التاريخ الإسلامي على مر العصور علماء مصلحين مجددين،  
امتثلوا منهج الإسلام في الدعوة والاصلاح الاجتماعي مصداقاً لقوله تعالى:  
﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾<sup>(1)</sup>.

ومن هؤلاء الإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي أسهم في  
نشر العلم والمعرفة بمنطقة توات ودول غرب إفريقيا كما كان له دور  
اصلاحي تمثل في نصح الولاة والسلطين وإرشادهم إلى كثير من القضايا في  
إدارة شؤون الحكم، كما استطاع توظيف اجتهاده الفقهي في كثير من  
القضايا الاجتماعية والاقتصادية خاصة بمنطقة توات وفي هذا العرض  
سنبين أمثلة من القضايا الاصلاحية في فكره رحمه الله.

**المبحث الأول: التعريف بالإمام المغيلي وتراثه الفقهي بوجه عام.**

**المطلب الأول: حياة الإمام المغيلي.**

**الفرع الأول: مولده ونشأته.**

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، ولد  
بمدينة مغيلة وقد اختلف في عام ميلاده على أقوال رجح منها الباحث أحمد  
الحمدي عام 820هـ<sup>(2)</sup> بينما رجح الباحث مبروك مقدم عام 831هـ<sup>(3)</sup>.

أما أبناؤه من زوجته الأولى وهي زينب بنت الشيخ عبد الرحمن الثعالبي:  
هم علي وعبد الجبار وعبد الله الذي تكنى الشيخ به فهو بذلك «أبو عبد

<sup>(1)</sup> النحل: 125.

<sup>(2)</sup> أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي  
والتعامل مع المكانة، (الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع)، ص: 21.

<sup>(3)</sup> مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، من خلال المصادر والوثائق  
التاريخية، (الجزائر، دار الكتاب، 2003)، ص: 27.

الله»<sup>(4)</sup>. كما أنه تزوج زوجة ثانية بكانو بالسودان الغربي فأنجب ثلاثة أبناء وهم أحمد وعيسى والسيد الأبيض<sup>(5)</sup>.

نشأ بمدينة تلمسان حيث حفظ القرآن الكريم على يد والده وكذا مبادئ اللغة وموطأ الإمام مالك بن أنس، ثم درس على يد الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب<sup>(6)</sup>. ثم أخذ عن الشيخ أبي يحيى التلمساني ثم انتقل إلى مدينة بجاية حيث درس على يد الشيخ أبي علي الزواوي المنقلاتي ثم توجه إلى الجزائر حيث درس على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي<sup>(7)</sup>.

ومن أهم تلاميذه:

- عمر الشيخ بن أحمد البكاي.
- محمد بن عبد الجبار الفيحي.
- الشيخ العاقب<sup>(8)</sup>.

### الفرع الثاني: منهجه العام في الدعوة والإصلاح.

بعد إنهاء رحلة الطلب، بدأ الإمام المغيلي رحلة نشر العلم فدخل منطقة توات حيث استقر بقصر أولاد سعيد من ضواحي تيميمون فاتخذها منطلقاً توجه منه لباقي قصور توات وقال مقالته المشهورة «دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا».

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى قضية يهود توات التي تناظر فيها مع أبي عبد الله العصموني فكانت من أهم القضايا الفكرية والشرعية التي اشتهر رحمه الله بها<sup>(9)</sup>.

<sup>(4)</sup> أحمد الحمدي، ص: 21.

<sup>(5)</sup> أحمد الحمدي، ص: 22.

<sup>(6)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في الغلائف، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016)، ص: 35.

<sup>(7)</sup> المغيلي، ص: 26، أحمد الحمدي، ص: 24-25.

<sup>(8)</sup> ينظر: أحمد الحمدي، ص: 31-34.

وقد كان من نتائج معالجته لقضية اليهود إجلاؤهم عن المنطقة، ثم واصل سيره باتجاه إفريقيا حيث أسلم على يديه سلطان تنبكتو فدخل كانوا، ثم انتقل إلى أرض التكرور حيث التقى الحاج محمد اسكيا<sup>(10)</sup>.

وتتجلى أوجه الإصلاح من خلال ما تقدم فيما يلي<sup>(11)</sup>:

1- نشر العلم الشرعي.

2- التصدي لمظاهر الفساد والظلم الاجتماعي الناجم عن تصرفات اليهود وسيطرتهم على أغلب المرافق الحيوية.

3- الدعوة إلى الإسلام في غرب إفريقيا وتوجيه حكامها وإعانتهم على شؤون الحكم وإدارة الشؤون السياسية.

4- توفي رحمه الله عام 909هـ بقصر بوعلي<sup>(12)</sup> (مجموعة من المؤلفين، 1985، ص:11).

**المطلب الثاني: التراث الفقهي للإمام المغيلي.**

**الفرع الأول: المؤلفات.**

لقد تنوعت مؤلفات الشيخ تنوعاً يتناسب مع موسوعيته في التكوين حيث اهتم بالعلوم العقلية والنقلية فألف في الفقه والمنطق والعقيدة والسياسة الشرعية، وكانت له مناظرات مع علماء عصره ظهر من خلالها تنوعه في علوم مختلفة.

<sup>(9)</sup> نور الدين بوكركود، نازلة يهود توات للشيخ المغيلي التلمساني بين الصناعة الفقهية المعتمدة وأوجه الإفادة المعاصرة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد2، (قسنطينة-الجزائر، 2019، المجلد 33)، من الصفحة 402 الى الصفحة 447.

<sup>(10)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م)، ص: 06.

<sup>(11)</sup> المغيلي، ص: 43.

<sup>(12)</sup> مجموعة من المؤلفين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، نبذة عن حياته ومآثره ولاية أدرار - (الجزائر، 1985م)، ص: 9.

وفيما يلي ذكر نماذج من مؤلفات الإمام المغيلي المخطوطة والمطبوعة:

- البدر المنير في علوم التفسير.
- مقدمة في العربية.
- تلخيص المفتاح.
- شرح الجمل للخونجي.
- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب.
- مختصر في علم الفرائض.
- أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي.
- كتاب المفروض من علم الفروض.
- الميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

#### الفرع الثاني: الفتاوى والمراسلات.

إنّ الكلام عن النوازل والمراسلات عند الإمام المغيلي ينطلق من تأصيل كثير من القضايا الفكرية والسياسية عنده بناء على النصوص والمقاصد الشرعية، ولذلك أظهرت اجتهاداته في مجال بعض القضايا الخلافية رسوخه الفقهي وتميزه المقاصدي، يقول الباحث محمد الصالح ضيف: «إن بداية النشاط السياسي للمغيلي ظهر مدة وجوده بتوات من خلال قضيته مع اليهود ثم استمر بعد هجرته إلى السودان الغربي وتواصله مع حكامها بعد أن خلف عديداً من المصنفات والرسائل في الجانب السياسي ضمت الكثير من آرائه وأفكاره في السياسة الشرعية والأدب السلطاني اشتملت على قواعد شرعية وسياسية بدت من خلالها معالم فكره السياسي»<sup>(13)</sup>.

ومن الفتاوى والمراسلات التي أظهرت بجلاء فكرة السياسي ونظره

المقاصدي:

---

<sup>(13)</sup> محمد الصالح ضيف، مقاصد السياسة الشرعية عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ت 909، (أدرار - الجزائر، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، 2016-2017)، ص: 178.

1. نازلة يهود توات.
2. أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي.
- ويستنتج من عرض مؤلفات الشيخ ما يلي:
3. بيان تضلعه في علوم القرآن والتفسير تأسيا بشيخه عبد الرحمن الثعالبي.
4. تمكنه من علم العقائد ومذاهب الفرق الكلامية حيث ألف في ذلك كتاب الرد على المعتزلة.
5. تضلعه في العلوم العقلية والجدلية وذلك يظهر في تأليفه في علم المنطق وكذا مناظراته مع علماء عصره.
6. إدراك الشيخ المغيلي اهتمامات أهل منطقة توات خاصة والمسلمين عامة بمدح النبي صل الله عليه وسلم ومدى شوقهم إلى زيارة البقاع المقدسة، ولذلك ألف قصيدة مشهورة تردد ضمن المدائح النبوية ومطلعها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم \* وهذه حضرة المختار في الحرم  
وهذه الروضة العزاء ظاهرة \* وهذه القبة الخضراء كالعلم  
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته \* وصحبه وبقيع دائر بهم<sup>(14)</sup>

<sup>(14)</sup> أحمد جعفري، مخطوط قصيدة بشراك ياقلب بين القاضي عياض والإمام المغيلي من الناظم لماذا وكيف، العدد2، (أدرار- الجزائر، مجلة رفوف، المجلد 9، 2021)، ص: 35.

المبحث الثاني: قضايا فقهية إصلاحية من التراث الفقهي للإمام المغيلي.

المطلب الأول: الفقه والإصلاح الاجتماعي مفهوماً وتجليات.

الفرع الأول: جوانب الإصلاح الاجتماعي في أبواب الفقه.

يعرّف الفقه الإسلامي بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية وموضوعه: يتعلق بأفعال المكلفين في العبادات والمعاملات والعادات والجنايات وعلاقات المسلمين فيما بينهم وعلاقاتهم مع غيرهم في السلم والحرب<sup>(15)</sup>.

ومن خلال الموضوعات المذكورة يتبين لنا:

7. ارتباط الفقه الإسلامي بالخصائص العامة للشريعة فهو يمتاز بالريانية والعالمية والشمولية والمرونة ولذلك يكون صالحاً دون شك لتنظيم شؤون الأفراد والمجتمعات والدول<sup>(16)</sup>.

8. معالجته لمختلف قضايا الحياة وبيان ذلك يظهر في كون آية الدين أطول آية في القرآن<sup>(17)</sup>.

9. قدرته على استيعاب مختلف القضايا والأحداث عبر الزمان والمكان وفق خاصية الاجتهاد التي من خلالها يتمكن الفقيه من إلحاق المتغيرات بالثوابت.

10. تأثر كثير من التشريعات العالمية بالفقه الإسلامي منهجاً وموضوعاً.

11. قيام الحضارة الإسلامية التي عرفت ازدهاراً وقوة واستمراراً على أحكام الشريعة الإسلامية انطلاقاً من مجتمع المدينة على يد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(18)</sup>.

---

<sup>(15)</sup> يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، (لبنان، مؤسسة الرسالة،

1997)، ص: 11.

<sup>(16)</sup> القرضاوي، ص: 11.

<sup>(17)</sup> البقرة: 281



12. مراعاة العلاقات الاجتماعية والإنسانية في النصوص الشرعية والأحكام الفقهية وضبطها بها.

13. انطلاق المغيلي في تفقهه وفتواه من المذهب المالكي الذي يتخذ من العرف أحد أصوله يجعل اصطلاحاته الاجتماعية منضبطة بالفقه الإسلامي<sup>(19)</sup>.

### الفرع الثاني: مفهوم الإصلاح الاجتماعي.

الإصلاح لغة من الصلاح وهو إزالة الفساد فالصلاح ضد الفساد، قال الرازي وبابه دخل ونقل الفراء صلح أيضا بالضم<sup>(20)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾<sup>(21)</sup>.

واصطلاحاً: الصالح الخالص من كل فساد<sup>(22)</sup>. ومنه يكون الإصلاح: إزالة الفساد بإرجاع الشيء إلى حاله الأصلية. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءٌ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(23)</sup>.

### مفهوم الإصلاح الاجتماعي:

نظراً لتداخل مصطلح الإصلاح الاجتماعي مع مصطلحات ذات صلة كالثورة والتغيير فإننا نختار أحد التعريفات الموجزة حيث عرفه الباحث معاذ عليوي بقوله (يشير مفهوم الإصلاح الاجتماعي إلى تحسين الأحوال

---

<sup>(18)</sup> محمد رمضان البوطي، فقه السيرة، (لبنان، سوريا، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1999م)، ص: 152.

<sup>(19)</sup> محمد دباغ، المذهب المالكي، مناهج ومصطلحات، (الجزائر، مطبعة صخري، 2012)، ص: 67.

<sup>(20)</sup> محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (مكتبة لبنان، 1986)، ص: 154.

<sup>(21)</sup> هود: 88.

<sup>(22)</sup> سعد أبو حبيب، ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعد أبو حبيب، (سوريا، دار الفكر، 1988)، ص: 215.

<sup>(23)</sup> الأنعام: 45

الاجتماعية دون أن يؤدي إلى تغيير شامل في البناء الاجتماعي بشكل جذري<sup>(24)</sup>.

وبالاحظ على التعريف:

1. اقتصاره على معنى ضيق نسبياً عن المطلوب في بحثنا ولذلك لا بد من الحديث عن معنى أوسع يشمل التغيير الاجتماعي الشامل لمختلف القطاعات الاستراتيجية في المجتمع.

2. دخول مصطلح شرعي في مفهوم الإصلاح الاجتماعي يغيب عن جل الباحثين الاجتماعيين وهو مصطلح الدعوة الذي اقترن بنشاط كبار المفكرين المسلمين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وابن باديس والإمام المغيلي.

3. لما كان مفهوم الإصلاح يعني إزالة الفساد فإنه لا يقتصر في نظر المفكرين المسلمين على الفساد الحسي بل يتعداه إلى إزالة الفساد المعنوي كمحاربة الشعوذة ومظاهر الشرك.

المطلب الثاني: أثر الفقه العام للإمام المغيلي في قضايا الإصلاح.

الفرع الأول: التفريق بين الفقه العام وفقه النوازل.

لئن كان الفقه الإسلامي علماً تطبيقياً متصلاً بحياة الناس وتصرفاتهم، فإنّ فيه جانباً نظرياً ينظم الحالات العامة والعادية، وجانباً تطبيقياً يدرس الحالات الخاصة وسيخرج أحكامها بناء على ما تختص به من حيثيات تبنى عليها الأحكام، ولذلك قرر العلماء أن الفتوى تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً وعرفاً وتختص النوازل عن بقية القضايا الفقهية أنها حوادث لم يسبق بيان أحكامها من قبل المتقدمين فهي تحتاج إلى اجتهاد خاص، كما أنها تمثل التطبيق العملي للقضايا الفقهية النظرية<sup>(25)</sup>.

<sup>(24)</sup> معاذ عليوي، مقال بعنوان: مفهوم الإصلاح الاجتماعي، (المركز الديمقراطي العربي،

2016)، ص: 01.

<sup>(25)</sup> محمد دباغ، ص: 45.

والإمام المغيلي الذي هو محل بحثنا كان له إسهام في نوعي الفقه،  
الفقه العام وفقه النوازل وبيان ذلك فيما يلي.

الفرع الثاني: قضايا من الفقه العام عند الإمام المغيلي وأبعادها  
الاجتماعية.

#### 1- من المسائل الشاذة في الميراث (الأكدرية)

قال الإمام المغيلي: «وهي زوج وأم وجد وأخت شقيقة أو لأب، وهي  
شاذة، وعلل شذوذها بأن مقتضى القواعد أن الجد يعصب الأخت فلا  
يفرض لها شيء، لكن لما كانت القسمة لا تمكن منها لأنها تنقص الجد عن  
السدس لم يكن بد من أن يفرض لها النصف فتعول الفريضة بنصفها ثم  
يرجع عليها الجد فيقتسمان ما في يديهما للذكر مثل حظ الاثنتين، ويشترط  
في هذه المسألة شرطان أحدهما اقتران الأنوثة بالأخوة، فلو كان مكان الأخت  
أخ لم يأخذ شيئاً لأنه عاصب بنفسه والشرط الثاني أن لا يكون للميت أخت  
أخرى من جهة من الجهات فإنها متى كانت كان للأم السدس فيقاسم الجد  
الأخوات إن كانت المقاسمة خيراً له»<sup>(26)</sup>.

وقد عبّر عن هذه المسألة فقيه المواريث الإمام الرحي نظماً بقوله:

والأخت لا فرض مع الجد لها \* فيما عدا مسألة كملها  
زوج وأم وهمما تمامها \* فاعلم فخيرأمة علامها  
تعرف يا صلاح بالأكدرية \* وهي بأن تعرفها حريّة  
فيفرض النصف لها والسدس له \* حتى تعول بالفروض المجملّة  
ثم يعودان إلى المقاسمة \* كما مضى فاحفظه واشكرناظمه  
فقد تبين من خلال هذه المسألة:

<sup>(26)</sup> أحمد الحمدي، ص: 107.

- تأليف الإمام المغيلي في الفقه العام كما تقدم.
- جرية في المسألة على مقتضى مذهب الإمام مالك ومن وافقه في النظر إلى هذه المسألة الشاذة.
- ضبط أحكام المواريث وتحقيق مسائلها من أهم الأمور التي تبعد الخلافات والنزاعات الاجتماعية، فيكون الاهتمام بهذا الموضوع من أهم دقائق فقه الإمام المغيلي حيث ألف فيه استقلالاً. ومنه كتابه المفروض في علم الفروض).

## 2- مسألة الإمامة (نصب الحاكم).

من المسائل المهمة في الفقه الإسلامي -مجال السياسة الشرعية- مسألة الحاكم في التشريع الإسلامي من حيث وجوب نصبه ووظائفه وتصرفاته في سائر شؤون الدولة من أجل إقامة العدل الذي هو أساس الملك قال تعالى: (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)<sup>(27)</sup>.

ولقد اهتم الإمام المغيلي بهذه المسألة اهتماماً خاصاً حيث بين تأصيلها الشرعي وأبعادها السياسية والاجتماعية، وأسس مبادئ عامة يسير عليها الحاكم الذي يريد صلاح حكمه في الدنيا والفوز في الآخرة.

حيث قال في تاج الدين: «الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى فعلى كل ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها، فتوكل على الله واستعن في أمرك كله بالله وليكن عملك كله لوجه الله... ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم، وإنما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم»<sup>(28)</sup>.

(27) المائة: 51.

(28) محمد بن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، (الجزائر، دار ابن حزم، 1994م)، ص: 18.

يستخلص من بيان المغيلي لأهمية الإمامة وخطورتها ما يلي<sup>(29)</sup>:

1. إدراك الحاكم أن وظيفة الحكم أمانة عظيمة يجب عليه مراقبة الله فيها والحرص على العدل والانصاف.

2. ضرورة الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه فإن ذلك كفيلا بتدليل الصعاب وتسهيل المهمات قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾<sup>(30)</sup>.

3. من أهم وظائف الحاكم صلاح الدين والدنيا يقول الباحث محمد الصالح ضيف «ونظرة فقهاء السياسة الشرعية لمقاصد الخلافة وللمصالح التي تدور عليها تتحدد في هذين البعدين:

- الأول: حراسة الدين.....

- والثاني: سياسة الدنيا بالدين).

3- مسألة إقامة العدل في وظيفة القضاء.

يقول الإمام المغيلي في كتاب تاج الدين الباب السادس فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام:

«للسلطة رجالان: العدل، والإحسان.

فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره، فمن العدل أن يسوي بين الخصمين في دخولهما وجلوسهما، والنظر إليهما والكلام معهما وغير ذلك من شأنهما وليكن في جميع شأنه بمعزل عن ظهور الميل لأحدهما أو غيرهما، من قبض ينفر أو بسط يجسر»<sup>(31)</sup>.

<sup>(29)</sup> ضيف، ص 212.

<sup>(30)</sup> الطلاق، 03

<sup>(31)</sup> المغيلي، ص: 41.

ثم بيّن رحمه الله بعض التفاصيل الفقهية في مجال القضاء حيث قال (ولا يجوز له شيء من أحكامه إلا بمشهور مذهب إمامه فإن الحكم بغير المعتمد جور وضلال ويجب نقضه على كل حال<sup>(32)</sup>).

وظاهر كلام المغيلي رحمه الله أنه يؤكد التمسك بمعتمد المذهب بالنسبة للقضاة المقلدين وإلا فالأصل في القاضي الاجتهاد ويمكننا أن نستخلص من عرض المؤلف للمسألة جملة من القضايا الإصلاحية منها:

1. التأكيد على الحرص على إقامة العدل في وظيفة القضاء مصداقاً لقوله تعالى: (يا داود إن جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)<sup>(33)</sup>.

2. ذكر المغيلي لمسائل تطبيقية كفيلة بتحقيق العدل بين الخصوم.

3. تتبع المغيلي الدقيق لحيثيات باب القضاء حيث ذكر أن باب الجنايات يختص بأنواع من السياسات: أي الإجراءات الخاصة حيث بيّن الفرق بين من ادّعى عليه بسرقة أو بنفس، وذكر أحكام كل من الحالتين.<sup>(34)</sup>

4. إنّ تحقيق العدل في مجال القضاء من أهم الثوابت المحققة للإصلاح الاجتماعي والمسهمة في الحفاظ على الاستقرار والطمأنينة بوجه عام.

الفرع الثالث: قضايا من فقه النوازل عند الإمام المغيلي وأبعادها الاجتماعية.

توطئة: لقد أبرز وجود اليهود في منطقة توات عدة نوازل، كما استوجب الكلام في عدة قضايا من السياسة الشرعية أحدثت سجلاً ونقاشاً بين

<sup>(32)</sup> المغيلي، ص: 43..

<sup>(33)</sup> سورة ص، 36.

<sup>(34)</sup> المغيلي، ص: 46.

علماء المنطقة اقتضى البحث الواسع وإعمال مختلف المسالك الفقهية في الترجيح بين الأقوال من أجل بيان القول الذي يلزم العمل به ازاء القضايا المستجدة، وكان للإمام المغيلي اليد الطولى والحضور البارز في القضايا المطروحة، وبيان ذلك في النماذج الآتية:

1. جعل المكاييل بيد اليهود عن طريق الموالين لهم: قال المغيلي رحمه الله: «وأما جعل الموازين والسكة بأيديهم من غير أمين يكون عليهم فحرام شرعاً وقبيح طبعاً ولا يخالف في ذلك أحد من علماء الإسلام قطعاً؛ لأن السكة والميزان من أعظم أمانات الله ومن أهم مصالح عباد الله فواجب على من كلفه الله برعاية المسلمين أن ينزع السكة والموازين من أيدي الكفرة المفسدين وأن يجعلها بيد أمين من صالح المؤمنين»<sup>(35)</sup>.

وقد علل الإمام المغيلي سبب المنع بقوله: «لأن الكفرة أعداء الدين أهل غش وخديعة وعداوة بليغة للمؤمنين لاسيما يهود العشرة التاسعة من القرن التاسع في أطراف البلاد فواجب على من كلفه الله برعاية العباد أن يبعد عنهم وعن أعمالهم أهل الفساد»<sup>(36)</sup>.

هذا تعليل عام بمنع الكافر من الاستيلاء على أعمال المسلمين التي هي من هذا النوع وقد استدلل رحمه الله من المنقول بقوله «وكيف لا وقد كتب عمر رضي الله عنه للأجناد أن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين فلا تجعلوا النصرارى في أعمالكم، وفي المدونة قال مالك وأمر عمر رضي الله عنه أن لا يكونوا جزارين ولا صيارفة وأن يقاموا من أسواقنا كلها فإن الله قد أغنى المسلمين بالمسلمين»<sup>(37)</sup>.

---

<sup>(35)</sup> المغيلي، ص: 125.

<sup>(36)</sup> المغيلي، ص: 126.

<sup>(37)</sup> المغيلي، ص: 127.

وهكذا رأى المغيلي أنّ سيطرة اليهود على الأسواق والحياة الاقتصادية له تأثير بالغ على المجتمع الإسلامي، لعدم تورعهم عن العقود الفاسدة والغش في سائر المعاملات.

2- ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار.

ورد إلى الشيخ سؤال مفاده قوله: «أمّا بعد فقد سألتني بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعمّا عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتوليه أرباب الشوكة أو خدمة السلطان فقلت والله المستعان وعليه التكلان»<sup>(38)</sup>.

ومما جاء في جوابه: «والحاصل أنه لا يقرب كافراً من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله أو يجعل بيده شيئاً من ماله إلا من لا دين له ولا عقل له ولا مروءة له»<sup>(39)</sup>.

وهذا نصّ صريح منه على الإنكار الشديد والرفض المطلق وقد دعم قوله ببعض الآبيات مستشهداً:

إذا قرب الإنسان أخيار قومه \* وأعرض عن أشرارهم فهو صالح  
وكل امرئ ينبك عنه قرينه \* وذلك أمر في البرية واضح<sup>(40)</sup>  
3- من مسائل الرهن.

أنّ أحد سكان توات رهن داراً لليهودي خمس سنين فسكنها اليهودي في تلك المدة، فهل له أن يسكنها وإن سكنها فهل عليه كراؤها، فكان جواب المغيلي بأن اليهودي ليس له أن يسكنها. وإن سكنها فعليها أجرتها في جميع ما سكن<sup>(41)</sup>.

<sup>(38)</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الإمام، دراسة وتحقيق الأستاذ عبد المجيد الخيالي، لبنان، (دار الكتب العلمية، 2001م)، ص: 22.

<sup>(39)</sup> المغيلي، ص: 23.

<sup>(40)</sup> المغيلي، ص: 23.



ويتضح من المسألة<sup>(42)</sup>:

1. حسن تعامل أهل توات مع اليهود.
2. عدم إنكار المغيلي على الراهن رهنه لليهودي، لأنه لا اعتداء في أصل المعاملة، وإنما كان موقف الإمام منهم لاعتداءهم وظلمهم.
3. تخريج الإمام المغيلي الفتوى على مقتضى فروع المذهب المالكي مما يدل على اعتماده له في الفتوى.

وتوجه قول المغيلي أن اليهودي لم يشترط الانتفاع بسكنى الدار فإنه اشتراطه جاز.

### الخاتمة:

بعد الإطلاع على ترجمة الإمام المغيلي، وجهوده العلمية والإصلاحية مع التركيز على تراثه الفقهي وبيان البعد الإصلاحي الاجتماعي من خلاله يمكننا إجمال حصيلة البحث فيما يلي:

- يُعدُّ الإمام المغيلي من العلماء، الأفاضل الذين تعددت مناهلهم وتخصصاتهم فألّفوا في مجالات مختلفة وأبدعوا في فنون عديدة.
- لقد كان لتنقل المغيلي وترحاله سواء في مرحلة الطلب أو مرحلة التعليم والإصلاح أثر كبير في تكوين شخصيته وإطلاعه على عادات وأعراف مختلفة وبيئات متعددة، وهذا الأمر مكنه من اكتساب فكر اصلاحي شامل استطاع من خلاله أن يحسن التعامل في دعوته وإصلاحه مع بيئات وشعوب مختلفة.
- إنّ تنوع مؤلفات الإمام وتوسع نشاطه العلمي والفكري يجعل منه شخصية تحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث في مختلف التخصصات والمعارف.

(41) أحمد الحمدي، ص: 95.

(42) الجعلي، سراج السالك شرح اسهل المسالك، ( القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1972م): 146/2.

- تجلّى البعد الإصلاحي في فقه الإمام المغيلي نظرياً من خلال مؤلفاته العامّة، وعملياً من خلال أجوبته على النوازل الواردة إليه بشأن كثير من القضايا.
- لقد كان للإمام المغيلي إسهام متميز في مجال السياسة الشرعية حيث أمد هذا المجال بقواعد ومبادئ مبنية على النصوص والمقاصد الشرعية.
- نستفيد من تصرفات الإمام المغيلي وفتاويه سعة الفقه الإسلامي وقدرته على مسابرة الأحداث المختلفة عبر الزمان والمكان.
- لا زالت شخصية الإمام المغيلي في حاجة إلى الدراسات المتخصصة من خلال الملتقيات والأبحاث في المستويات المختلفة، قصد إعطاء هذه الشخصية الفذة ما يليق بها من التكريم وحسن التوظيف لجهودها.
- ضرورة مزيد البحث في تراث علمائنا الأفاضل وإظهار ما خفي من الكنوز المغمورة في خزائن المخطوطات وغيرها من المراكز.
- بخصوص جهود الإمام المغيلي والعناية بها نوصي بما يلي:
  1. إجراء دراسات أكاديمية حول مؤلفات الشيخ في العلوم المختلفة: (الفقه – اللغة – المنطق – الفكر والدعوة...)
  2. العمل على إنشاء مركز دراسات خاص بتراث الإمام المغيلي.
  3. توظيف النظرية السياسية للإمام المغيلي في إثراء الفقه الدستوري المعاصر.
  4. العمل على إيجاد آليات للاستفادة من تراث الإمام المغيلي الموجود بدول السودان الغربي.

## قائمة المصادر والمراجع:

### القرآن الكريم.

1. أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانة، (الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2012م).
2. محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في الغلائف، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016).
3. محمد الصالح ضيف، مقاصد السياسة الشرعية عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ت 909، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، (جامعة أدرار، الجزائر، 2016-2017).
4. محمد دباغ، المذهب المالكي، مناهج ومصطلحات، (الجزائر، مطبعة صخري، 2012).
5. مجموعة من المؤلفين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، نبذة عن حياته ومآثره ولاية أدرار - (الجزائر، 1985).
6. الشيخ عبد الكريم المغيلي، القصيدة الميمية، (الجزائر، مطبوعة بأعمال المهرجان الثقافي، 1985).
7. محمد رمضان البوطي، فقه السيرة، (لبنان، سوريا، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1999).
8. معاذ عليوي، مقال بعنوان: مفهوم الإصلاح الاجتماعي، (المركز الديمقراطي العربي، 2016).
9. المنظومة الرحبية في علم الميراث.
10. محمد بن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، (دار ابن حزم، 1994).
11. محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الإمام، دراسة وتحقيق الأستاذ عبد المجيد الخيالي، (لبنان، دارالكتب العلمية، 2001).
12. الجعلي، سراج السالك، شرح أسهل المسالك، (مصر، مطبعة البابي الحلبي، 1997).

13. سعد أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعد أبو حبيب، (سوريا، دار الفكر، 1988).
14. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (مكتبة لبنان، 1986).
15. يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، (لبنان، مؤسسة الرسالة، 1997).
16. مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، من خلال المصادر والوثائق التاريخية، (الجزائر، دار الكتاب تلمسان، 2003م).
17. محمد بن عبد الكريم المغيلي، اسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م).
18. أحمد جعفري، مخطوط قصيدة بشراك ياقلب بين القاضي عياض والإمام المغيلي من الناظم لماذا وكيف، العدد2(أدرار- الجزائر، مجلة رفوف، المجلد 9، 2021)، من الصفحة 34 إلى الصفحة 63.
19. نور الدين بوكركود، نازلة يهود توات للشيخ المغيلي التلمساني بين الصناعة الفقهية المعتمدة وأوجه الإفادة المعاصرة، المجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد2، (قسنطينة- الجزائر، المجلد 33، 2019م)، من الصفحة 402 إلى الصفحة 447.



## فهرس الجزء الأول

- 7 ..... ديباجة الملتقى:
- 15 ..... رسالة رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون
- 19 ..... كلمة رئيس الملتقى الحاج محمد حسوني
- 23 ..... كلمة رئيس اللجنة العلمية
- الأستاذ الدكتور أحمد جعفري  
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار / الجزائر
- 31 ..... كلمة أحفاد الإمام المغيلي بالزاوية المغيلية ولاية أدرار الجزائر
- الأستاذ الدكتور الصديق حاج أحمد آل المغيلي
- 33 ..... بولاية كنو- نيجيريا
- السيد الحاج عبدالكريم بن سيدى علي بن صالح آل المغيلي
- خطاب صاحب السمو الملكي
- 37 ..... أمير كنو الحاج أمين أدوباير و CFR, CNOL, J.P.
- تعريب: أ.د. أمين الله آدمو الغميري قسم الدراسات الإسلامية والشريعة.  
جامعة بايرو، كنو- نيجيريا
- 43 ..... الإمام المغيلي ودوره في إحياء الأمة واستقرار المجتمعات
- الشيخ محمّد المأمون القاسمي الحسني  
عميد جامع الجزائر
- «الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
- 57 ..... في كتابات النيجيريين: قديما وحديثا»
- إعداد الأستاذ الدكتور: ثاني عمر موسي  
قسم اللغة العربية كلية الآداب والدراسات الإسلامية  
جامعة عثمان بن فودي صكتو صكتو نيجيريا

- 73 ..... - الإمام المغيلي في الكتابات الغربية -عرض وتوصيف-  
الدكتور الطاهر عبو  
الجامعة الإفريقية أحمد دريعة -أدرار- الجزائر
- 97 ..... - الدلالات الرمزية لمكانة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي  
في التراث التواتي .....  
الأستاذ أحمد بن حسان  
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية أدرار
- 123 ..... - «الإمام المغيلي وأثره بإقليم قورارة» .....  
الأستاذ عبد الرحمان الجوزي  
إمام أستاذ معتمد وعضو المجلس العلمي بولاية بجاية
- 151 ..... - الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وعقيدته السنّية .....  
إعداد وتقديم: محمد سالم بن عبد الكريم  
(إمام ومدّرس بقطاع الشؤون الدينيّة أدرار)
- 179 ..... - التكامل المعرفي وأثره في بناء شخصية المصلحين وصقلها  
الإمام المغيلي أنموذجا .....  
د. مصطفى أحمد قنبر  
أستاذ مساعد.وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي دولة قطر
- 199 ..... - مكانة المنطق في مؤلفات عبد الكريم المغيلي .....  
أ.د. عبد القادر بوعرفة  
جامعة وهران- الجزائر
- 223 ..... - تراجم المغيليين عند المشاركة  
الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أنموذجا .....  
إبراهيم باجس عبد المجيد.  
باحث دراسات تراثية.
- 241 ..... - نازلة يهود توات من خلال موسوعة المعيار المعرب .....  
أ.د/ محند أو إدير مشنان  
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1

- اهتمام الغربيين بتراث المغيلي: مذاكرة ترجمة هونوك لأجوبة المغيلي على أسئلة أسكيا..... 269  
د. محمد حافظ  
محاضر وباحث بشعبة اللغة العربية، قسم اللغات الحديث، جامعة غانا
- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الفقيه اللغوي دراسة في كتاب "شرح التبيان في علم البيان." ..... 309  
أ.د. العيد جلولي  
كلية الآداب واللغات جامعة ورقلة
- الرؤية الشعرية عند الإمام المغيلي: قصيدة المدح النبوي نموذجًا..... 331  
الأستاذ الدكتور وفي صلاح الدين حاج ماجد  
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العالمية في بيروت- لبنان
- العلاقة بين الاتجاهات الاستمولوجيا وبين مفهوم الذات عند الإمام المغيلي من خلال نازلة اليهود..... 353  
إعداد: أ، د/ عبد الحاكم حمادي  
المدرسة القرآنية للشيخ سيدي محمد بن كبير الجزائر
- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي والطريقة الموسوية الشاذلية..... 367  
دريسي محمد  
إمام أستاذ وباحث في التراث  
مديرية الشؤون الدينية والوقف لولاية أدرار
- آثار الشيخ المغيلي (ت 909 هـ/ 1504 م) العلمية: مقارنة ببليوغرافية... 383  
أ.عبد الله حمادي الإدريسي  
عضو بمختبر تاريخ الجزائر-جامعة وهران 1- أحمد بن بلّة-الجزائر
- البعد الإصلاحي الاجتماعي عند الإمام المغيلي من خلال تراثه الفقهي... 417  
أ.د. محمد دباغ  
جامعة أدرار - الجزائر